

الإندلس المطربة

بروض القرطاس

في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينته فاس

تأليف

علي بن أبي زرع الفاسي

دار المنصور للطباعة والوراقة - الرباط

1972

تنبيه

تعمدنا - أثناء طبع هذا الكتاب - أن
نكتب الألف اللينة ألفاً مطلقاً (الفتا = الفتى ،
ورما = رمى) ، وأن نمد رسماً كل ما هو ممدود
لفظاً (هاذا = هذا وداوود = داود) مما يحسبه
القارئ خطأ مطبعياً وما هو إلا تصويب لأخطاء
لا موجب للاستمسك بها وان مضا على العمل
بها زمن طويل

فوجب التنبيه

هَذَا الْكِتَابُ

★ اسمه الكامل على أصح الروايات (الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس)

★ زعم بعض المستشرقين أن كلمة القرطاس مصحفة عن كلمة الفرطاس لقب زيري بن عطية المفاوى غارس الزيتون الذي يمر فى وسطه سور فاس بين باب فتوح وباب الجديد (الحصن الجديد) ، وأن روض القرطاس المحرف الى القرطاس هو زيتون ابن عطية وكان من متنزهات فاس الشهيرة فى العصر الوسيط ، وبهذا التأويل يفهم اسم الكتاب

★ كان الكتاب يعرف باسمه الطويل المسجوع المذكور فى الفقرة الأولى ، ثم صار يعرف اختصارا باسم القرطاس فقط ، خصوصا فى القرنين الأخيرين بعدما ألف محمد بن الطيب العلمى كتابا سماه أيضا الأنيس المطرب

★ نسب الكتاب لابن أبى زرع عدد من المؤرخين الكبار الذين عاصروه أو كانوا فى زمان قريب من زمانه ، مثل علي الجزائى فى (جنا زهرة الأساس) ومحمد بن الخطيب السلمانى فى (الاحاطة) ، ومحمد بن مرزوق العجيسى التلمسانى فى (المسند الصحيح الحسن) ، وعبد الرحمان بن خلدون الحضرمى فى (كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر) ، وكذا عدد كبير من العلماء والأدباء والمؤرخين الذين جاءوا من بعدهم مثل أحمد المقرئ القرشى التلمسانى صاحب (نفح الطيب)

★ اسم ابن أبى زرع أبو الحسن علي بن عبد الله كما ورد فى (جنازهرة الأساس) ، المؤلف بعد (القرطاس) بقليل ، وسماه أحمد ابن القاضى فى كتابه (لقط الفرائد من حقق الفوائد) أبا عبد الله محمد ، وجعله ممن توفي عام ٧٤١ فى واقعة طريف ، وسماه (أصحاب بيوتات فاس الكبرى) أبا العباس أحمد ونعتوه بالشيخ الكبير الامام الخطيب البليغ الواعظ الورع الزاهد السوى الصالح العلامة المدرس المفتى ، وذكروا ان العامة قدمته للامامة بجامع القرويين والراجح أن أبا الحسن علي بن عبد الله هو الاسم الحقيقى لابن

أبى زرع مؤلف (القرطاس) لعدة أسباب ، منها

- أن الجزئائى ذكره بهاندا الاسم ، وهو أعرف به ، لأنه معاصر له
- أن اسمه كتب كذلك على عدد من نسخ الكتاب المكتوبة بداية من القرن الثامن الهجرى ، ومنها النسخة العتيقة المحفوظة بمكتبة أكسفورد
- أن محمد بن أبى زرع الذى زعم ابن القاضى أنه مؤلف تاريخ قناس هو شخص آخر ذكره الجزئائى فى (جناز هرة الآس) أيضا وجعله من مصادر تاريخه

- أن أحمد بن أبى زرع الذى نسب اليه أصحاب (بيوتات فاس الكبرى) تاريخ فاس وردت أخباره فى (جناز هرة الآس) وفى (القرطاس) فى الفصل المتعلق بخطباء جامع القرويين ، وفى كلا الكتابين وصف الرجل بالزهد والصلاح ولم يشر الى اهتمامه بالتاريخ ولا الى تأليفه فى تاريخ فاس على الخصوص ، ولو أنه فعل ذلك لما أغفل الاشارة اليه مؤلفا الكتابين المذكورين ، ثم ان المدة الفاصلة بين تقديم أشياخ فاس وفقهائها أحمد بن أبى زرع للإمام بجامع القرويين وبين تأليف (القرطاس) لاتقل عن ٦٠ سنة ، فلو فرضنا أن عمر امام يقدمه الفقهاء والأشياخ والعامه للإمامة بأكبر مساجد المغرب لايمكن أن يقل عن ٤٠ سنة يكون ألف (القرطاس) على فرض تأليفه اياه وهو ابن مئة سنة وذلك مستحيل ، أما النعوت والأوصاف التى أضفاها أصحاب (بيوتات فاس الكبرى) على الامام أحمد بن أبى زرع فهي من وحي الخيال قطعا

★ لايعرف شيء عن حياة ابن أبى زرع مؤلف (القرطاس) سوى ماذكر من أنه كان شاهدا بسماط العدل ، والغالب أن ماذكر عنه صحيح ، لأن فى ثنايا الكتاب ماينم عن ذلك

★ أسرة ابن أبى زرع أسرة نبه ذكرها بقاس فى أواخر العصر الموحدى وأوائل العصر المرينى ، وقد ذكر منها رجال عرفوا بالصلاح والزهد والفضل ، مثل أبى العباس أحمد الذى قدمه الفقهاء والأشياخ للإمامة بجامع القرويين بعد وفاة الامام علي بن حمد ، وأبى عبد الله محمد أول خطباء الجامع الكبير بقاس الجديد ، وأبى عبد الله محمد المتوفى فى وقعة طريف سنة ٧٤١ ، وعلى ابن عبد الله مؤلف (القرطاس)

★ نسب (القرطاس) أيضا الى رجل يسما صالح بن عبد الحليم ، ذكر فى بعض الكتب أنه غرناطى ، وفى كتب أخرآ أنه من كتاب الدولة المرينية ، وثبت هاذا الاسم فى عدد من نسخه التي كتبت ابتداء من أواخر القرن الثامن الهجرى ، وقد حاول واحد ممن أسهموا فى تأليف (بيوتات فاس الكبرى) التلفيق بين النسبتين ، فزعم أن القرطاس قرطاسان كبير وصغير ، أحدهما من تأليف ابن أبى زرع والآخر من تأليف صالح بن عبد الحليم ، والظاهر أن هاذا التلفيق هو من باب جبر الخواطر إذ لايعرف قرطاس الأخر غير القرطاس المتداول الذى ننشره اليوم إلا ان يكون المراد بأحد القرطاسين كتاب (الذخيرة السنية ، فى تاريخ الدولة المرينية) الذى نشرناه أخيرا ، وهو أيضا من تأليف ابن أبى زرع

★ صالح بن عبد الحليم أو أبو علي صالح ابن أبى صالح ! رجل تاريخى معروف ينقل عنه أحمد ابن عذارى فى (البيان المغرب) وهو مصمودى من قبيلة هيلانة (ايلان) كان يقيم فى مدينة نفيس ويعيش فيها عيشة خمول أشار اليه باقتضاب صاحب كتاب (مفاخر البربر) الذى قد يكون هو ابن عذارى نفسه ، وذكر أنه كان حيا وقت تأليف الكتاب سنة ٧١٢م أما صالح ابن عبد الحليم الغرناطى كاتب الدولة المرينية الذى يزعم البعض أنه مؤلف كتاب القرطاس فهو حتى الآن غير معروف والغائب على الظن أنه شخص خيالى

★ قد يكون صالح بن عبد الحليم الهيلانى أملا كتابا فى التاريخ ، وقد يكون له ولد اسمه عبيد الله هو الذى سمع املاءه ودونه ، يرجح هاذا العثور على أوراق تتعلق بالفتح العربى لبلاد المغرب منسوبة الى عبيد الله بن صالح ابن عبد الحليم ، نشرها الأستاذ الكبير ليفى بروفانصالح فى صحيفة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد (١) وبعض ما فى هاذه الصفحات مطابق لما ينقله ابن عذارى عن صالح بن عبد الحليم ، ولكن لاوجود له فى القرطاس ، مما يدل على أنه كتاب أخر غير

★ موضوع القرطاس هو تاريخ المغرب عموما وتاريخ مدينة فاس خصوصا كما يدل عليه اسمه ، بداية من الدولة الادريسية الحسنية الى سنة ٧٢٦ من سنوات عهد السلطان المريني عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المشهور بكنيته أبى سعيد .

★ أسلوب ابن أبى زرع أسلوب فقيه أو عدل متوسط المعرفة بعلوم اللغة ، وعباراته تختلف باختلاف المؤلفين والرواة الذين ينقل عنهم ولا ينسب اليهم كلامهم فى أغلب الحالات ، فلهاذا يوجد فى هاذد الببارات البليغ والمتوسط والركيك .

★ طريقة ابن أبى زرع ليست طريقة الحوليات التى جرى عليها أغلب المؤرخين المسلمين فى العصر الوسيط ، ولكنها طريقة من يؤرخ للدول ، فهو يذكر الدولة ونسبها وتشعب قبائلها ومراحل تأسيسها ثم يذكر سلاطينها واحدا واحدا وما قاموا به من أعمال ، ثم يذكر فى نهاية الكلام على كل دولة ما حدث فى أيامها من أحداث اجتماعية واقتصادية وظواهر طبيعية كوفيات الأعيان ورخاء الأسعار وانتشار الأوبئة والمجاعات ونزول الامطار بغزارة وظهور نجوم غريبة .

★ بقى كتاب القرطاس على ما فيه من أغلاط من أهم مراجع المؤلفين المغاربة منذ تأليفه نظرا لشموله ووفرة أخباره ، ولما ظهرت الطباعة الحجرية بفاس طبع بها أربع مرات أولها سنة ١٣٠٣ هـ أما فى الخارج فان الكتاب نسال حظه من اهتمام المستشرقين منذ بداية عصر النهضة ، بأول ترجمة معروفة له هي ترجمة بتس ديلاكروا الى اللغة الفرنسية سنة ١٦٩٢ ثم ترجمه فى القرن التالى الى الالمانية مستشرق نمساوي يسما فراز فون دومبي ، ثم ترجمه الى البرتغالية الراهب خوسى دي سانطر نطونيو وطبعت هاذه الترجمة فى لشبونة سنة ١٨٢٨ كما ترجم كوندى مايختص منه بالاندلس الى اللغة الاسبانية ، وفى سنة ١٨٣٤ نشر المستشرق السويدى ك.ج. تورنبرك قسما منه ، ثم نشر ذلك العالم نفسه بين سنة ١٨٤٣ وسنة ١٨٤٦ نصه العربى مع ترجمة لاتينية وعدة حواشى فى أربعة مجلدات ، وأخر محاولة

لضبعه هي التي قام بها الأستاذ الجليل السيد الهاشمي الفيلاي ، فقد حقق نصه وشرح ما يحتاج الى الشرح من عباراته وألفاظه ، وقدمه الى شركة النشر المغربية التي كان انشأها بسلا الأستاذ الوطني المرحوم سعيد حجي فجزأه الى ثلاثة أجزاء صدر منها جزأان عن المطبعة الوطنية بالرباط سنة ١٩٣٦ ولم يصدر الجزء الثالث .

★ عندما تأسست دار المنصور للطباعة والوراقة في العام الماضي جعلت من مشمولات برنامجها لبعث التراث العلمي والأدبي والتاريخي لأقطار المغرب العربي طبع كتاب (القرطاس) ، فقامت بتحقيق نصه على عدد من نسخه المخطوطة في أزمنة مختلفة وحررته من الأخطاء التي اعتقدت أنها من عمل النسخ وذهبت على الأخطاء التي اعتقدت أنها مما وقع فيه المؤلف نفسه .

★ قامت دار المنصور - علاوة على تحرير النص - بتحقيق الأعلام الواردة فيه ومقابلة التاريخ الهجري بالتاريخ الميلادي ، وحذف الكنا التي تضيع معها أسماء الناس الحقيقية أو تحدث تشويشا في أذهان القراء ، واجتنبت الشروح والحواشي الا فيما اعتقدت أن شرحه ضروري أو مفيد ، ووضعت له الفهارس المتنوعة التي تسهل على القراء العثور على مايبغونه بسرعة ، وطبعته على الطريقة التي طبعت بها الكتب الصادرة عنها من قبل .

★ تعتقد دار المنصور أنها بطبع هذا الكتاب طبعة كاملة عصرية تخطو خطوة مهمة في طريق بعث تراثنا التاريخي وتؤمل أن تجد من معونة المثقفين وتشجيعهم مايعينها على قطع مراحل أخرا في طريق البعث الطويل ، والله ولي التوفيق

دار المنصور للطباعة والوراقة

الأئيس المطرب بروض القرطاس
فى اخبار ملوك المغرب
وتاريخ مدينة فاس



تأليف

علي بن عبد الله ابن أبى زرع الفاسى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلا الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله مصرف الأمور بمشيئته وتدبيره ، ومسهل العسير بمعونته
وتيسيره ، ومبدع الأشياء بحكمته وتصويره ، خالق الخلق بقدرته وباسط
الرزق بتقديره ، أحمداه حمد معترف بذنوبه ومقر بتقصيره ، وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص بقلبه وسره وضميره ،
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اصطفاه برسالته وحباه بمحبته وتفضيله
وتخييره ، صلا الله عليه وعلى آله الطيبين وأزواجه الطاهرات الذين
أذهب الله عنهم الرجس وخصهم بتطهيره ، ورضي الله عن صحابته
السابقين بتصديقه ونصرته وتعزيزه وتوقيره ، وعن التابعين لهم باحسان
الى يوم الدين ما اختلف الليل بظلامه والنهار بنوره ، والدعاء للدولة
السعيدة العلية ، المرينية العبد الحقة أعلا الله كلمتها ورفع قدرها ،
وأبقا على مر الأيام فخرها ، بالتأييد والتمكين ، والنصر والفتح المبين .
أما بعد أطلال الله بقاء مولانا الخليفة الامام معلى الاسلام ورافعه ،
ومنل الكفر وقامعه ، تاج العدل وناشره ، ومأحى الظلام وهاتكه ، ملك
الزمان ، وسراج الاسلام والايمان ، أمير المسلمين أبو سعيد عثمان ،

ابن مولانا الامام المظفر المنصور ، الملك العابد الزاهد المذكور ، الذي تقدم بكل فضيلة وسبق ، الامام العدل القائم بالحق ، امير المؤمنين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق ، نصره الله واعلا كلمته ، وأيده وخلد ملكه وأيامه ، وفسخ له فى البلاد شرقا وغربا ، وأوطأ له رقاب الأعداء سلما وحربا ، وفتح على يديه الفتح المبين ، وجعل الخلافة كلمة باقية فى عقبه الى يوم الدين ، ولازال للخلافة يحيى آثارها ، ويجدد اظهارها ، ويرفع منارها ويجلو أنوارها ، والسعد مخيم بفنائها وعتباته ، والنصر مقرون برأياته ، وقلوب الأمة مجتمعة على طاعته ومحبته ، مامحا النور الظلم ، وغنا الحمام على غصن وترنم .

لا زال يحى حما الاسلام مجتهداً فى الحق ينظر لديننا وللدين
ينال ما شاء من دنياه قاصده يغنى ويعطى عطاء غير ممنون

وانى لما رايت مكارم دولته السعيدة اطلالها الله وخلدها ، واعلا كلمتها وأيدها ، تنظم نظم الجمان ، وسور محاسنها تتلا بكل لسان ، وغرر مآثرها وبركاتها تشرق بكل ناحية ومكان ، وغرر أنوارها تلهى عن الغزل ، وتسير سير المثل ، أردت خدمة جمالها ، والتقرب الى كمالها ، والتفياً بظلالها ، والورود من عذب زلالها ، بتأليف كتاب جامع للطيف الأخبار وملح الآداب ، يحتوى على غرر التاريخ وعجائبه ، ونوادر الأثر وغرائبه ، يخبر بنبذ من أخبار ملوك المغرب المتقدمين ، وأمرائه الماضين ، وأمه السالفين ، وتاريخ أيامهم وذكر أنسابهم وأعمارهم وسيرهم ، وغزواتهم وأحوالهم فى دولتهم ، وما رسموه بالمغرب من المراسم ، وصنعوا عن المصانع والمعالم ، وفتحوا من البلاد والأقاليم ، وبنوا من الحصون والمدن والمكارم ، وأذكرهم أميراً بعد أمير ، وملكا بعد ملك ، وخليفة بعد خليفة ، وأمة بعد أمة ، على حسب تواليهم فى أعصارهم ومراتبهم فى دولتهم وأزمانهم كما وقع فى الزمان ، من أول دولة الامام ادريس بن عبد الله الحسنى الى هَذَا الأوان ، أبذل فيه جهدى وأظهر جلدى بقدر الوسع والامكان ومساعدة الزمان ، فاستخرت الله تعالا فى تأليفه ، واستعنته

فى تقيدده ، فسهل الله تعالما ما أردته من ذلك ويسره بفضله وبركات
مولانا أمير المومنين الظاهرة الباهرة ، فالتفت هاذا المجموع المقتضب ،
انقبت جواهره من كتب التاريخ المعتمد على صحتها ، والمرجوع اليها ،
سوى مارويته عن أشياخ التاريخ والحفاظ والكتاب ، وقيدته عن الرواة
الثقات الأنجاب ، وحذفت فيه الأسناد خيفة الاكثار والامتداد ، مع الميل
الى ترك الاسهاب والتطويل ، وتجنب الاختصار والتقليل ، وجعلته كتابا
مخرجا على التوسط فهو خير الأمور ، ومعمدى فى ذلك على مارواه
الجمهور ، عن النبي صلا الله عليه وسلم من الحديث المأثور ، اذ قال
يؤدب أمته ويبسطها : (خير الأمور اوسطها) .

وسميته (الأنيس المطرب بروض القرطاس ، فى أخبار ملوك المغرب
وتاريخ مدينة فاس) ، والله سبحانه يعصمنا من الزلل ، ويجنبنا الخطأ
فى القول والعمل ، ويبلغ السؤل والأمل ، ويبقى لنا أمير المسلمين تعلقو
على الدولات دولته ، وتمضى فى الأعداء صولته ، منصوره أعلامه ،
محمودة أيامه ، لارب غيره ، ولاخير الاخير .



الخبر عن ملوك المغرب

من الأدارسة الحسينيين وذكر قيامهم وبنائهم مدينة فاس

دار ملكهم وقرار سلطانهم رضي الله عنهم

قال المؤلف عفا الله عنه :

كان السبب في دخول الأدارسة الحسينيين المغرب وتملكهم عليه أن الامام محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم كان قام على أمير المسلمين أبي جعفر المنصور العباسي بالحجاز ، منكراً لجوره وعسفه ، وذلك في سنة خمس وأربعين ومئة (١) وكان الامام محمد يدعا بالنفس الزكية لنفسه وكثرة عبادته وزهده وورعه وعلمه وفضله ، وكان له ستة اخوة ، وهم : يحيى ، وسليمان ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسا ، وادريس ، فبعث أربعة منهم دعاة الى الأمصار يدعون الى طاعته وبيعته ، وبعث عيسا الى أفريقية فأجابها بها خلق كثير من قبائل البربر ، وبقي هناك الى أن توفي ولم يتم الأمر ، وبعث أخاه يحيى الى خراسان ، فأقام بها حتى مات أخوه محمد ففر الى بلاد الديلم فأسلم على يديه خلق كثير ، ودعا لنفسه فباعه عالم عظيم فقوي أمره ، وذلك في أول خلافة الرشيد ، فلم يزل الرشيد يبعث اليه الجيوش ويدبر له الحيلة حتى أتاه سلماً فأقام عنده مدة الى أن مات مسموماً في أيام الرشيد ، وبعث (اي الامام محمد النفس الزكية) ايضاً أخاه سليمان الى بلاد مصر داعياً للبيعة ، ولما اتصل به قتل أخيه سار

(I) هنا خلط ابن أبي زرع بين ثورة الامام محمد النفس الزكية على الخليفة أبي جعفر المنصور سنة 145 وبين ثورة الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى على الخليفة موسى الهادي سنة 169 فجعل الثائرين ثائراً واحداً ، وتبعه في الخلط كل من نقل عنه من المؤرخين المغاربة وقد تصرفنا في الفقرات التي وقع فيها الخلط - وهي المطبوعة بحروف غليظة - تصرفاً أعاد الحقائق التاريخية الى نصابها .

الى بلاد المنوبة ، ثم الى بلاد السودان ، ثم خرج الى زاب أفريقية ، ثم سار الى تلمسان من بلاد المغرب فتنزلها واستوطنها ، وذلك فى أيام أخيه ادريس ، فكان له بها أولاد كثيرون ، ، فكل حسنى هناك من نسل سليمان ابن عبد الله بن حسن ، وقد دخل ولده الى بلاد دكالة والسوس الأقصا وبعث أخاه ابراهيم الى البصرة فغلب عليها وعلى الأهواز وفارس ، وبعث الحسن بن معاوية الى مكة فملكها ، وبعث عاملا الى اليمن ، ودعا لنفسه وخطب عن منبر رسول الله صلا الله عليه وسلم وتسميا بالمهدي ، وحبس رباح بن عثمان المرى عامل المدينة) .

(ولما بلغ الخبر الى أبى جعفر المنصور أشفق من أمره وكتب اليه كتابه المشهور ، ثم عقد على حربه لابن عمه عيسا بن موسى بن علي ، فزحف اليه فى العساكر وقاتله بالمدينة فهزمه وقتله فى منتصف رمضان سنة خمس وأربعين ، ولحق ابنه علي بالسند الى أن هلك هناك ، واخنفا ابنه الآخر عبد الله الأسترالى أن هلك فى أخبار طويلة ، ورجع عيسا الى المنصور فجهزه لحرب ابراهيم أخى محمد النفس الزكية الداعى له بالبصرة ، فقاتله آخر ذي القعدة من تلك السنة فهزمه وقتله)

(ثم خرج فى أيام الخليفة الهادي الحسين بن علي بن الحسن الثالث بن الحسن الثنا ، وذلك فى سنة تسع وستين ومئة ، وسار الى مكة ، وكتب الهادي الى محمد بن سليمان بن علي ، وكان قدم حاجا من البصرة فولاه حربه فقاتله يوم التروية بفتح على ثلاثة أميال من مكة ، وهزمه وقتله واقترق اصحابه ، وكان فيهم عمه ادريس بن عبد الله الكامل ، وبقي القتل من أصحابه فى موضع المعركة حتى اكلتهم الطيور والسياب لكثرتهم ، وكانت هاذه الواقعة بوم السبت ، وهو يوم التروية ، الثامن من شهر ذي الحجة سنة تسع وستين ومئة) .

(ولما قتل الحسين بن علي وشيعته فر عمه ادريس) بنفسه مستترا فى البلاد يريد المغرب ، فسار من مكة حتى وصل مصر ومعه مولا له

اسمه راشد فدخل اليها والعامل عليها للهادي (٢) علي بن سليمان الهاشمي ، فبينما ادريس ومولاه راشد يمشيان في شوارعها ويجولان بطريقها اذ مرا بدار حسنة البناء والهيئة فوقفا ينظران اليها ويتأملان حسن بنائها واتقانها ، واذا بصاحب الدار (٣) قد خرج وسلم عليهما ، فردا عليه ، فقال لهما ما الذي تنظران من هذه الدار ؟ فقال له راشد ياسيدي انه أعجينا حسن بنائها واحكام اتقانها وشكلها ، قال أظنكما غريبين عن هاذه البلاد ، قال راشد : جعلت فداك ، ان الأمر كما ذكرت قال : فمن أي الاقاليم أنتما ؟ قالا من الحجاز ، قال من أي بلاده ؟ قالا من مكة ، قال واخالكما من شيعة الحسينيين الفارين من وقعة فخ ، فأرادا أن ينكرا له حالهما ويخفيا عنه أمرهما ، ثم انهما توسما فيه الخير والفضل ، فقال له راشد : ياسيدي أرا لك صورة حسنة ، وقد توسمت فيك الخير لحسن صورتك وطلاقة وجهك وبشرتك ، ولايسد ان تكون أفعالك وشيمك مطابقة ومشابهة لصورتك الجميلة ، ولكن أرايت ان اخبرناك من نحن وما خبرنا وأمرنا أكنت تستر علينا ؟ قال نعم ورب الكعبة أكتم أمركما وأصون سركما وأبذل جهدي في صلاح حالكما ، قال راشد : ذلك المظن بك والثقة بفضلك ، هاذا ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وأنا مولاه راشد ، فررت به خوفا عليه من القتل قاصدا الى بلاد المغرب ، فقال لهما الرجل : لتطمئن نفوسكما وتسكن روعتكما ، فاني من شيعة أهل البيت ومواليهم ، وأولا من كتم سرهم وستر أمرهم وبذل جهده في حقهم ، فلاتخافا ولاتخرنا فانتما من الآمنين ، ثم أدخلهما الى منزله ، فأقامسا

(2) في الأصل للمهدي ، والصواب أن الهادي هو الذي كان خليفة ببغداد عند فرار ادريس بن عبد الله الكامل الى المغرب بعد مقتل الحسين بن علي بفخ يوم 8 ذي الحجة سنة 169 وقد كانت وفاة المهدي والد الخليفة موسى الهادي في شهر محرم قبله ، أما علي بن سليمان الهاشمي فقد كان حثا تاملا على مصر ، ولها من قبل الخليفة موسى الهادي في آخر سنة 169 .

(3) واضح مولا صالح بن المنصور ، وكان صاحب البريد بمصر ، رافضى النزعة ، وقد ضرب الخلدفة الهادي - وقيل هارون الرشيد - عنقه وصلبه لما بلغه خبر تهريبه ادريس الى المغرب (الكامل لابن الأثير 5 : 76) .

عنده مدة فى اكرام ونعيم ، فاتصل خبرهما بعلي بن سليمان الهاشمي عامل مصر ، فبعث الى الرجل الذى هما عنده ، فقال له انه قد رفع الي خبر الرجلين اللذين هما عندك فى منزلك مخفيان ، وأن أمير المؤمنين قد كتب الي فى أمر الحسنين والبحث عن من وجد منهم ، وقد بعث عيونته على الطرقات وجعل الرصاد فى أطراف البلاد ، فلا يمر أحد من الناس حتى يعرف ويعلم صحة نسبه وحاله ، ومن أين قدم والى أين يسير ، وانى أكره أن أتعرض لدماء أهل البيت أو أن ينالهم أذا بسببى ، فلك الأمان ولهما ، فسر اليهما وأعلمهما بمقالتى لك وقل لهما يخرجان من عملى ليلا يصل خبرهما الى الهادى (٤) فيخرجكم من يدي ، وقد أجلتكم فى الخروج ثلاثة أيام ، فسار الرجل الى ادريس ومولاه راشد فأعلمهما الخبر فعزما على الخروج الى المغرب ، فاشترا الرجل لهما راكبتين ولنفسه أخرا وصنع لهما زادا يبلغهما الى أفريقية وقال لراشد: اخرج أنت مع الرفقة على الجادة وأخرج أنا مع ادريس على طريق غامض لاتسلكه الرفاق وموعدا مدينة برقة (٥) أنتظرك بها حيث أمان عليه من الطلب ، فقال : الرأي مارأيت ، فخرج راشد مع الرفقة على الجادة فى زى التجار ، وخرج ادريس مع الرجل المصرى على البرية حتى وصل به مدينة برقة ، فقعدا بها حتى لحق بهما راشد ، فجدد لهما الرجل هناك زادا يبلغهما وودعهما وانصرف راجعا الى مصر ، وسار ادريس مع مولاه راشد الى أفريقية يجدان السير حتى بلغا الى القيروان، فأقاما بها مدة ثم خرجا الى المغرب الأقصى .

وكان راشد من أهل النجدة والشجاعة والحزم والقوة والعقل والدين والنصيحة لأهل البيت رضى الله عنهم ، فعمد الى ادريس حين خرج به الى القيروان ، فآلبسه مدرعة صوف خشنة وعمامة غليظة وصيره

(4) فى الأصل المهدي ، انظر التعليق نمرة 2 .

(5) هى مدينة المرج الحالية الواقعة على الطريق الداخلى الذى يربط بين بنغازى وطلمينة على بعد 44 كلم الى الشرق من الأول و 26 كلم الى الجنوب الغربى من الثانية ، أنشأها اليونان فى منتصف القرن السادس قبل الميلاد .

كالخادم له يأمره وينهاه ، كل ذلك خوفاً عليه وحياطة له ، فلم يزا على ذلك حتى وصل إلى مدينة تلمسان ، فاستراحا بها أياماً ، ثم ارتحلا عنها نحو بلاد طنجة فسارا حتى عبرا وادي ملوية ونحلا السوس الأدنى وحده من وادي ملوية إلى أم الربيع ، وهو أخصب بلاد المغرب وأعظمها بركة ، والسوس الأقصى من جبل دون إلى بلاد نول ، فسار ادريس ومولاه راشد حتى نزلا بمدينة طنجة ، وهي يومئذ قاعدة بلاد المغرب وأم مدنه ، إذ لم يكن بالمغرب مدينة أعظم ولا أقدم منها ، وقد ذكرنا تاريخها ومن بناها في كتابنا الكبير المسما بأزهار البستان ، في أخبار الزمان .

فلما وصل ادريس طنجة أقام بها أياماً ، فلم يجد بها مراده ، فرجع مع مولاه راشد حتى نزل مدينة وليلى قاعدة جبل زرهون ، وكانت وليلى متوسطة خصبة كثيرة المياه والغروس والزيتون ، وكان لها سور عظيم من بنيان الأوائل ، فنزل بها ادريس رضي الله عنه على صاحبها اسحاق بن محمد بن عبد الحميد (٦) الأوربي المعتزلي فأقبل عليه اسحاق وأكرمه وبالغ في براه ، فأظهر له ادريس أمره وعرقه نفسه ، فوافقه في حاله (٧) وأنزله معه في داره وتولا خدمته والقيام بشؤونه وكان دخول ادريس رضي الله عنه المغرب عام مئة وسبعين (٨) .

ونزوله على اسحاق بمدينة وليلى في غرة ربيع الأول المبارك من سنة مئة واثنين وسبعين (السبت ٩ غشت ٧٨٨ م) فلما دخل رمضان من السنة المذكورة جمع عبد الحميد أخوانه وقبائل أوربة فعرفهم بنسب ادريس وفضله وقرايته من رسول الله صلا الله عليه وسلم وشرفه

(٦) في الأصل عبد الحميد وهو خطأ ، والصواب هو أن صاحب وليلى في زمن وصول الامام ادريس بن عبد الله الكامل إلى المغرب كان هو اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ، ذكر ذلك مؤرخون كبار متفقون على ابن أبي زرع .

(٧) الذي يظهر من سياق الكلام أن اسحاق هو الذي وافق الامام ادريس ، أما المؤرخون قبل ابن أبي زرع فيذكرون أن الامام ادريس هو الذي وافق اسحاق في مذهبه الاعتزالي .

(٨) في الأصل (المغرب ونزوله) والصواب هو ما ذكره المؤرخون الذين قدموا على ابن أبي زرع في الزمان من أن الامام ادريس وصل إلى المغرب سنة 170 ونزل على اسحاق سنة 172 .

وعلمه وكمال خلال الفضائل المجتمعة فيه ، فقالوا له الحمد لله الذى اتانا به وشرقنا بجواره ، فهو سيدنا ونحن عبيده نموت بين يديه ، فما تريد منا ؟ قال تبايعونه ، قالوا سمعا وطاعة ، مامنا من يتوقف عن بيعته ومايريد •

الخبر عن بيعة الامام إدريس الحسنى

رضي الله عنه

هو الامام القائم بالمغرب الأقصى ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضي الله عنه ، بويع له بمدينة وليلى يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعين ومئة (٦ يبرابر ٧٨٩ م) ، وكان أول من بايعه قبائل أوربة ، بايعود على الامارة والقيام بأمرهم وصلواتهم وغزاهم وأحكامهم ، وكانت أوربة فى ذلك الوقت أعظم قبائل المغرب وأكثرها عددا وأشدها قوة وبأسا وأحدها شوكة ، ثم بعد ذلك أتته قبائل زناتة وأصناف قبائل البربر من أهل المغرب منهم زواغة ، وزواوة ، ولماية ، وسدراتة ، وغياثة ، ونفزة ومكناسة وغمارة ، فبايعوه ودخلوا فى طاعته ، فقويت أمورهم وتمكن سلطانه ، ووفد عليه الوفود من سائر البلدان ، وقصد اليه الناس من كل صقع ومكان ، فاستقام أمره بالمغرب ، وأخذ جيشا عظيما من وجوه قبائل زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة وغيرهم ، فخرج بهم غازيا الى بلاد تادسنا فنزل أولا مدينة شالة ففتحها ثم فتح بعدها سائر بلاد تامسنا ثم سار الى بلاد تادلة ففتح معاقلها وحصونها ، وكان اكثر هذه البلاد على دين النصرانية ودين اليهودية ، والاسلام بها قليل ، فأسلم جميعهم على يديه ، ثم قفل الى مدينة وليلى فدخلها فى الآخر شهر ذي الحجة من سنة اثنتين وسبعين المذكورة فأقام بها شهر محرم مفتتح سنة ثلاث وسبعين حتى استراح الناس •

ثم خرج برسم غزو من بقي بالمغرب من البربر على دين النصرانية واليهودية والمجوسية ، وكان قد بقي منهم بقية متحصنون بالمعاقل والجبال والحصون المنيعة ، فلم يزل الامام ادريس يجاهدهم ويستنزلمهم حتى دخلوا فى الاسلام طوعا وكرها ، وفتح بلادهم ومعقلهم ، وأباد من أبا الاسلام منهم بالقتل والسبي ودمر بلادهم وهدم معقلهم ، منها حصون فندلاوة ، وحصون مديونة وبهلولة ، وقلع غياثة وبلاد فازاز .

ثم رجع الى مدينة ولىلى فدخلها فى النصف من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين المذكورة ، فأقام بها بقية جمادى المذكورة والنصف من رجب التالى له حتى استراح جيشه ، ثم خرج فى نصف رجب المذكور (٨ دجنبر ٧٨٩ م) برسم مدينة تلمسان ومن بها من قبائل مغراوة وبنى يفرن ، فوصل مدينة تلمسان ، ونزل بخارجها ، فأتاه أميرها محمد بن خزر بن صولات المغراوى الخزرى فطلب منه الأمان فأمنه ادريس ، وباعه محمد بن خزر وجميع من معه بتلمسان من قبائل زناتة ، فدخل ادريس المدينة صلحا وأمن أهلها وبنا مسجدها وأتقنه وصنع فيه منبرا وكتب عليه :

(باسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أمر به ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وذلك فى شهر صفر سنة أربع وسبعين ومئة) .

فاتصل بالرشيد أن ادريس قد استقام له أمر المغرب وباعه كافة من به من القبائل ، وأنه قد فتح مدينة تلمسان وبنا مسجدها ، وأخبر بحربه وحاله وكثرة جنوده وشدته فى الحرب ، وأنه قد عزم على غزو أفريقيا ، فخاف الرشيد أن يعظم أمره فيصل اليه لما يعلم من فضله وكماله ومحبة الناس فى أهل بيت النبي صلا الله عليه وسلم ، فاغتنم لذلك غما شديدا وعظم عليه شأنه ، فبعث الى وزيره القائم بأمر مملكته وصلاح سلطانه ، يحيى بن خالد بن برمك ، فأخبره بأمر ادريس واستشاره فى أمره ، وقال له انه ولد علي بن أبى طالب وابن فاطمة بنت النبي

صلا الله عليه وسلم وقد قوي سلطانه وكثرت جيوشه وعلا شأنه واشتهر أمره واسمه ، وفتح مدينة تلمسان وهي باب افريقية ، ومن ملك الباب يوشك ان يدخل الدار ، وقد عزمت على أن أبعث له جيشا عظيما لقتاله ، ثم اني فكرت في بعد البلاد وطول المسافة وتناؤى المغرب عن المشرق ، ولاطاقة لجيوش العراق على الوصول الى السوس من أرض المغرب ، فرجعت عن ذلك ، وقد هالني أمره ، فأشر علي برأيك فيه ، فقال يحييا يأمرير المومنين أرا من الرأي أن تبعث اليه برجل ذى حزم ومكر ودهاء ولسان واقدام وجرأة فيقتله وتستريح منه ، فقال الرأي مانذكرت ، من يكون الرجل ؟ فقال يأمرير المومنين ، أعرف بحاشيتي رجلا اسمه سليمان ابن جرير من أهل الحزم والاقدام والفتك والشجاعة والعلم بالجدال والكلام والمكر والدهاء تبعث به اليه ، فقال أسرع بذلك الآن ، فخرج الوزير يحييا الى سليمان بن جرير فعرفه المقصود وما يريد منه أمير المومنين ووعده على ذلك الرفعة والمنزلة العالية والصلوات السنية وأعطاه أموالا جزيلة وتحفا مستطرفة وجهزه بما يحتاج اليه ، فخرج سليمان بن جرير من بغداد يجد السير مظهرا النزوع (الى ادريس) فيمن نزع ومتبرئا من الدعوة العباسية ، ومنتحلا للطب حتى وصل الى المغرب ، فقدم على ادريس رضي الله عنه بمدينة ولىلى ، فسلم عليه ، فسأله الامام ادريس عن اسمه ونسبه ومن أي البلاد قدم وماسبب قدومه الى المغرب ، فذكر له أنه من بعض موالى أبيه ، وأنه اتصل به خبره ، فأتاه برسم خدمته لأجل محبته وولايته لأهل البيت ، ان لا يعدل بهم أحد ولا يقاس بهم سواهم ، فأنس به ادريس وسكن الى قوله وسر به سرورا عظيما وركن اليه وحل من قلبه بمنزلة رفيعة ، فكان لايقعد ولاياكل الا معه ، لأنه لم يجد في بلاد المغرب من يانس به ويستريح اليه غيره ، وذلك لجهل أهل المغرب في ذلك الوقت وجفاء طباعهم ، ولما ظهر له ايضا من سليمان بن جرير من النبيل والأدب والظرف والبلاغة ، فحل منه محلا رفيعا .

فكان سليمان بن جرير اذا جلس الامام ادريس رضي الله عنه بين رؤساء انبرابر ووجوه القبائل يتكلم فيذكر فضائل أهل البيت ، وعظيم

بركاتهم ويقيم الدلائل على امامة ادريس رضي الله عنه وأنه الامام لا امام غيره ، ويأتى على ذلك بالحجج البينة والبراهين القاطعة وبأحاديث تعجب ادريس ، فكان ادريس يتعجب من فصاحته وبلاغته ومعرفته بالجدال ويستظرفه ويحبه ، فلم يزل سليمان بن جرير عند ادريس يرتقب فيه الفرصة ويعمل فى قتله الحيلة فلا يجد الى ذلك سبيلا من أجل مولاه راشد الذي لايزيله ولا يفارقه ، الى أن غاب راشد ذات يوم فى بعض شؤونه ، فدخل عليه سليمان بن جرير فوجده وحده ، فجلس بين يديه على عادته ، فتحدث معه مليا ، فلم ير لراشد أثرا ، فانتهز الفرصة واغتنم الخلوة ، فقال ياسيدى جعلت فداك ، انى جئت من المشرق بقارورة طيب أتطيب بها، ثم انى رأيت هاذه البلاد ليس بها طيب قرأيت ان الامام اولا بها منى ، فخذها تطيب بها فقد أثرتك على نفسى ، وهو من بعض مايجب لك علي ، ثم أخرجها من وعاء ووضعها بين يديه ، فشكره ادريس على ذلك ، ثم أخذ القارورة ففتحها وشمها ، فلما رأى سليمان بن جرير الامام ادريس قد فتح القارورة وشمها وتحصل بمراده منه وتمت حيلته فيه جعل يده فى الأرض وخرج كأنه يريد قضاء حاجة الانسان فسار الى منزله وركب فرسا من عناق الخيل وسباقها كان أعدها لذلك ، وخرج من مدينة ولبلي يطلب النجاة ، وكانت القارورة مسمومة ، فلما استنشق ادريس الطيب صعد السم فى خيشومة وانتهى الى دماغه فغشي عليه وسقط بالأرض على وجهه لايفهم ولا يعقل ولا يعلم أحد ما به ولا ما أصابه ، فاتصل خبر غشيته بمولاه راشد ، فأقبل اليه مسرعا فدخل عليه فوجده يجود بنفسه وقد أشرف على الموت لايقدر أن يبين الكلام ، فقعده عند رأسه متحيرا فى أمره لايعلم ما به ، حتى قطع سليمان بن جرير مسافة من الأرض ، وأقام ادريس فى غشيته الى عشي النهار ، فتوفي رحمه الله ، وكانت وفاته فى مفتتح شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومئة (الثلاثاء ١٦ يوليوز ٧٩٣ م) فكانت امارته بالمغرب خمسة أعوام وسبعة أشهر ، واختلف فى سبب وفاته ، فقليل سمه فى طيب كما تقدم وقليل سمه فى حوت من الشابل، وقليل سمه فى سنون لأنه كان يشتكى باسترخاء لثاته ، والله أعلم

• بصحة ذلك •

فلما توفي ادريس رضي الله عنه نظر راشد الى سليمان بن جرير فلم يجده فسأل عنه ، فأخبر أنه لقي على أميال كثيرة من البلاد ، فعلم حينئذ أنه هو الذى سمى ، فركب فى جمع كثير من البربر وخرج فى طلبه وجد المسيرة طول ليلته ، وتقطعت الخيل فى أثره فلم يلحق به أحد من القوم الا راشد وحده أدركه وهو يجوز نهر ملوية ، فصاح به راشد وشد عليه بالسيف فقطع يده اليمنا وشجه فى رأسه ثلاث شجات وجرحه فى جسده ، كل ذلك لا يصيب له مقتلا ، وعيي جواد راشد ، وفر سليمان بن جرير وهو متخن بالجراح حتى وصل العراق فأخبر بعض الناس أنه رآه بالعراق ببغداد مبطولة (٩) يده اليمنا وبرأسه وجسده أثر الجراحات قد برئت ، فرجع راشد من تبع سليمان بن جرير الى مدينة ولىلى ، فدفن بقربها ادريس رضي الله عنه ليتبرك الناس بقبره وزيارة تربته رحمه الله تعالى ، ولم يكن لادريس حين وفاته ولد الا ان ام ولده تركها حبلا •

قال أبو محمد عبد الملك بن محمود الوراق فى كتاب القباس ، والبكرى ، والبرنسى وغيرهم ممن اعتنا بتاريخ أيام الأدارسة : ان الامام ادريس بن عبد الله لم يترك ولدا مولودا الا أنه ترك جارية له مولدة من تالد البربر اسمها كنزة حامل منه فى الشهر السابع من حملها ، فجمع راشد رؤساء القبائل ووجوه الناس بعد فراغه من دفن ادريس ، فأخبرهم ان ادريس لم يترك ولدا الا حملا بجاريتته كنزة وهي فى الشهر السابع من حملها ، وقال لهم فان رأيتم أن تصبروا على الجارية حتى تضع حملها فان كان ذكرا ربيناه ، فاذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه تبركا بأهل البيت وذرية النبي صلا الله عليه وسلم ، وان كان جارية نظرتم لأنفسكم من ترضونه وترونه أهلا لذلك ، فقالوا له أيها الشيخ المبارك مالنا رأي الا مارأيت فانك عندنا عوض من ادريس تقوم بأمرنا كما كان ادريس وتصلى بنا ، وتحكم فينا بما يقتضى الكتاب والسنة حتى تضع الجارية ، فان وضعته غلاما

ربيناه وبإيعناه ، وان وضعت جارية نظرنا فى أمرنا ، على أنك أحق الناس به لفضلك ودينك وعلمك ، فشكرهم راشد على ذلك ودعا لهم وانصرفوا ، فقام راشد بأمر البربر حتى أتمت الجارية أشهر حملها فوضعت غلاما أشبه الناس بوالده ادريس رحمه الله ، فأخرجه راشد الى رؤساء البربر حتى نظروا اليه ، فقالوا هاذا هو ادريس بعينه كأنه لم يميت ، فسماه راشد باسم أبيه وقام بأمره وأمر البربر وكفله حتى فطم وشب فأدبه أحسن أدب ، وأقرأه القرآن فحفظه وله من السنين ثمانية أعوام ، وعلمه السنة والفقه والنحو والحديث والشعر وأمثال العرب وحكمها وسير الملوك وسياستها ، وعرفه أيام الناس ودربه مع ذلك على ركوب الخيل والرمي بالسهم ومكايد الحروب ، فلما أدب فى ذلك كنه وكملت له من السنين احدا عشرة سنة أخذ له مولاه راشد البيعة من قبائل المغرب فبويع له بجامع مدينة وليلى .

الخبر عن دولة الامام إدريس بن إدريس الحسنى

رضي الله عنه

هو الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضي الله عنهم ، أمه أم ولد مولدة نفزية اسمها كنزة مولده فى يوم الاثنين الثالث من شهر رجب الفرد عام سبعة وسبعين ومئة (١٤ أكتوبر ٧٩٣ م) ، كنيته أبو القاسم ، صفته صفة أبيه ، كان أبيض اللون مشوبا بحمرة أكحل أجعد تام القد جميل الوجه أقنا الأنف مليح العينين واسع المنكبين شتن الكفين والقدمين أبلج أفلج أدمج ، فصيحاً بليغاً أديباً عاملاً بكتاب الله تعالاً قائماً بحدوده ، راوياً لحديث النبي صلا الله عليه وسلم ، عارفاً بالفقهِ والسنة والحلال والحرام وفصول الأحكام ورعا تقياً جواداً كريماً حازماً بطلاً شجاعاً ، له عقل راجح ، وحلم واسع واقدام فى مهمات الأمور .

قال داوود بن القاسم بن عبد الله بن جعفر الاوربي :

شهدت مع ادريس بن ادريس بعض غزواته للخوارج الصفرية من
البربر فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا ، فلما تقارب الجمعان نزل ادريس
فتوضأ وصلا ركعتين ودعا الله تعالا ثم ركب فرسه وقدم للقتال ، فقاتلناهم
قتالا شديدا ، فكان ادريس يضرب في هذا الجانب مرة ثم يكر في الجانب
الثاني ، فلم يزل كذلك حتى ارتفع النهار فرجع الى رايته ، فوقف بازائها
والناس يقاتلون بين يديه ، فطفقت أنظر اليه وأديم الالتفات نحوه وهو
تحت ظلال البنود يحض الناس ويشجعهم ، فأعجبنى مارأيت منه من
شجاعته وقوة جأشه ، فالتفت نحوي فقال لي يا داوود مالي أراك تديم
النظر الى ؟ قلت أيها الامام انه أعجبنى منك خصال لم أرها في غيرك ،
قال وماهي يا داوود ؟ قلت أولها ما أراه من حسنك وجمالك وثبات عقلك ،
ومن علاقة وجهك ، وماخصصت به من البشر عند لقاء عدوك ، قال ذلك
من بركة جدنا رسول الله صلا الله عليه وسلم ودعائه لنا وصلاته علينا
واراثته عن أبينا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قلت أيها الامام وأراك
تبصق بصاقا مجتمعا وأنا أطلب قليل الريق في قمى فلا أجده ، قال يا داوود
ذلك لاجتماع عقلي وقوة بأسى عند الحروب ، وعدم المريق من فمك لطيش
لبك وامتراق عقلك ولما خامرك من الرعب ، قال داوود فقللت أيها الأمير
وأنا أيضا أتعجب من كثرة تقلبك في سرجك وقلة قرارك في موضعك ،
قال ذلك منى زرع الى القتال وحزم وصرامة ، وهو أحسن في الحرب ،
فلاتطبه رعبا ، وانشأ يقول :

اليس أبونا هاشم شد أزره وأوصا بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ولانشتكى مما يؤول الى النصب

وكان ادريس رضي الله عنه شاعرا مجيدا ، وكان بهلول بن عبد
الواحد (١٠) رئيسا معظما في قومه ، وكان من خاصة ادريس ، فكاتبه

١٠ المدغرى ، ينظر عنه الحلة السيرا الجزء الاول ص ١١١ وص 55 ولادريس أشعار
أخرا تنظر في ص 55 من الكتاب المذكور .

ابن الأغلِب عامل الرشيد على أفريقية واستهواه بالمال فمال إليه وباع الرشيد ، فكتب إليه ادريس بن ادريس :

أبهلول قد شممت نفسك خطة تبدلت منها ضلة برشاد
أضلك ابراهيم من بعد داره فأصبحت منقادا بغير قياد
كأنك لم تسمع بمكر ابن أغلِب غدا أأخذ بالسيف كل بلاد
ومن دون مامتك نفسك خاليا ومناك ابراهيم شوك قتاد

وزيره عمير بن مصعب الأزدي •

قاضيهِ عامر بن محمد بن سعيد القيسي •

كاتبه أبو الحسن عبد الله بن مالك المالكي الأنصاري •

ولما كمل الامام ادريس بن ادريس من العمر احدا عشرة سنة وخمسة أشهر عزم مولاه راشد على أخذ البيعة له على قبائل المغرب من البربر وغيرهم ، فاتصل الخبر بابراهيم بن الأغلِب عامل أفريقية ، فحاول قتل راشد ، فاندس إليه من أبلغ أموالا كثيرة الى خدام راشد من البربر فاستهواهم بها فقتلوا راشد ، وذلك في سنة ثمانية وثمانين ومئة •

فقام بأمر ادريس بعده أبو خالد يزيد بن الياس العبدى ، فأخذ له البيعة على جميع قبائل البربر ، وذلك يوم الجمعة غرة ربيع الأول سنة ثمانية وثمانين ومئة (١٦ يبرابر ٨٠٤ م) بعد قتل راشد بعشرين يوما وهو ابن احدا عشرة سنة وخمسة أشهر ، قاله عبد الملك الوراق في تاريخه، وفي قتل راشد يقول ابراهيم بن الأغلِب في بعض ماكتب به الى الرشيد يعرفه بخدمته ونصيحته :

الم ترنى بالكيد أريدت راشدا وأنى بأخرا لابن ادريس راصد
تناوله عزمى على بعد داره بمحتومة قد هياتها المكاييد
فتاه أخوعك بمقتل راشد وقد كنت فيه شاهدا وهوراقد

يريد بأخى عك محمد بن مقاتل العكى والى أفريقية للرشيد ، لأنه لما حاول ابن الأغلِب قتل راشد فتهيا له كتب العكى الى الرشيد يعلمه أنه هو الذي فعل ذلك ، فكتب صاحب البريد صحة الخبر الى الرشيد وأعلمه

أن ابن الأغلِب هو الفاعل لذلك والمتولى له ، فصَح ذلك عند الرشيد
وكتب انعكى وصدق ابن الأغلِب ، وكان ابن الأغلِب من قواد أفريقية
فكتب الرشيد بعزل العكى عن أفريقية وولاها ابن الأغلِب .
قال البكرى والبرنسى :

ان راشد لم يمت حتى أخذ البيعة لادريس بالمغرب ، وان الامام
ادريس رضي الله عنه لما كمل احدا عشرة سنة ظهر من نكائه وعقله ونبله
وفصاحته وبلاغته ماأذهل عقول العامة والخاصة فأخذ له راشد البيعة
على سائر قبائل البربر ، وذلك يوم الجمعة سابع ربيع الأول سنة ثمانية
وثمانين ومئة ، فصعد ادريس رضي الله عنه المنبر وخطب الناس فسى
ذالك اليوم فقال .

«الحمد لله أحمده وأستعين به وأستغفره وأتوكل عليه ، وأعوذ به
من شر نفسى وشر كل ذى شر ، وأشهد أن لااله الا الله ، وأن محمدا
عبده ورسوله المبعوث الى الثقلين بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه
وسراجا منيرا ، صلا الله وسلم عليه وعلى آل بيته الطاهرين الذين أذهب
الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، أيها الناس : انا قد ولينا هاذا الأمر
الذي يضاعف للمحسن فيه الأجر ، وللمسيء الوزر ، ونحن - والحمد لله -
على قصد جميل فلا تمدوا الأعناق الى غيرنا ، فان ماتطلبونه من اقامة
الحق انما تجدونه عندنا» .

ثم دعا الناس الى بيعته ، وحضهم على التمسك بطاعته ، فتعجب
الناس من فصاحته ونبله وقوة جأشه وثبوت جنانه على صغر سنه .

ثم نزل فسار الناس الى بيعته ، وازدحموا عليه يقبلون يديه ،
فبايعه كافة قبائل المغرب من زناتة وأوربة وصنهاجة وغمارة وسائر قبائل
البربر ، فتمت له البيعة ، وبعد بيعته بقليل توفي مولاة راشد ، والله أعلم ،
فاستقام الناس لادريس بن ادريس بالمغرب وتوطأ له الملك وكثر سلطانه ،
وقويت جنوده ، وأتباعه ، وعظمت جيوشه وأشباعه ، ووفدت عليه الوفود
من البلدان وقصد الناس نحوّه من كل ناحية ومكان ، فاقام بقية سنة ثمان

وثمانين التي ولي فيها يعطى الأموال ويصل الوفود ويستميل الرؤساء والأشياخ .

وفي سنة تسع وثمانين ومئة وفدت على ادريس رضي الله عنه وفود العرب من بلاد أفريقية وبلاد الأندلس في نحو الخمسمئة فارس من القيسية والأزد ومدلج وبنى يحصب والصدف وغيرهم ، فسر ادريس بوفادتهم وأجزل صلاتهم وقربهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر ، فاعتز بهم لأنه كان فريدا بين البربر ليس معه عربي ، فاستوزر عمير بن مصعب الأزدي ، وكان من فرسان العرب وسادتها ، ولأبيه مصعب مآثر عظيمة بأفريقية والأندلس ، ومشاهد في غزو الروم كثيرة ، واستقضا منهم عامر بن محمد بن سعيد القيسي من قيس عيلان ، وكان رجلا صالحا ورعا فقيها سمع من مالك وسفيان الثوري وروا عنهما كثيرا ، ثم خرج الى الأندلس برسم الجهاد ، ثم جاز الى العدو فوفد منها على ادريس فيمن وقد عليه من العرب ، ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر من جميع الآفاق ، فكثر الناس وضافت بهم مدينة وليلى .

فلما رأى ادريس رضي الله عنه أن الأمر قد استقام له وعظم ملكه وكثر جيشه وضافت بهم المدينة ، عزم على الانتقال عنها وأراد ان يبني مدينة يسكنها هو وخاصته وجنوده ووجه اهل دولته فركب في خاصة من قومه ورؤساء دولته وخرج يتخير البقاع ، وذلك في سنة تسعين ومئة ، فوصل الى جبل زالغ فأعجبه ارتفاعه وطيب تربته واعتدال هوائه وكثرة محارثه فاخذت مدينة بسنده مما يلي الجوف وشرع في بنائها ، فبنا جزءا من سورها ، فأتا سيل من أعلا الجبل في بعض الليالي فهدم جميع ماكان بناه من السور المذكور ، وحمل ما حوله من خيام العرب ، وأفسد كثيرا من الزرع ، فلما رأى ذلك ادريس رضي الله عنه رفع يده من البناء وقال : هاذا موضع لا يصلح للمدينة ، فالتسيول تركبه من رأس الجبل ، قاله ابن غالب في تاريخه .

وقيل ان ادريس بن ادريس رضي الله عنهما لما وصل الى جبل زالغ

صعد فى ليلته فأعجبه ارتفاعه وأشرفه على جميع الجهات ، فجمع قواده ووجود دولته وحشمه فأمرهم ببناء الديار فى سند الجبل فبنوا الديار ، وحفروا بالجبل الآبار ، وغرسوا الزيتون والكرم والأشجار وشرع هو فى بناء المسجد والسور ، فبنا من سورها جزءا يزيد على الثلث ، فلما كان فى بعض الليالى نزل مطر عظيم وابل ، فهبط السيل من أعلا الجبل دفعة واحدة ، فهدم جميع ماكان مبنيا وأفسد جميع ماكان غرس ، وحمل ذلك كله حتى رما به فى نهر سبو وهلك فيه خلق كثير ، فكان ذلك سبب رفع أليد من بنائها .

فأقام الامام ادريس رضى الله عنه الى أن دخل شهر المحرم مفتح سنة احدا وتسعين ومئة ، فخرج يتصيد ويرتاد لنفسه موضعا يبني فيه ماقد عزم عليه ، فوصل الى وادي سبو حيث هي حمة خولان (١١) فأعجبه الموضع لقربه من الماء ولأجل الحمة التي هنالك ، فعزم على ان يبني به المدينة ، وشرع فى حفر الأساس وعمل الجير وقطع الخشب وابتدأ بالبناء ، ثم نظر الى وادي سبو وكثرة ماياتى به من المدود العظيمة فى زمن الشتاء ، فخاف على الناس الهلكة فبدا له فى بنائها ورفع يده عنها ورجع الى مدينة ولىلى ، فبعث وزيره عمير بن مصعب الأزدي يرتاد له موضعا يبني فيه المدينة التي أراد ، فسار عمير فى جماعة من قومه يرتاد له ماطلب ، فاخترق تلك النواحي وجال فى تلك الجهات يخترع الأرضين والمياه حتى وصل الى فحص سايس ، فوجد فسحة الأرض واعتدالها وكثرة المياه فأعجبه ماراه من ذلك ، فنزل هنالك على عين غزيرة من ماء تطرد فى مروج مخضرة ، فتوضأ وصلا بهم صلاة الظهر حولها ، ثم دعا الله تعالا أن يهون عليه مطلبه ، وان يدلّه على موضع يرتضيه لعبادته ، فركب وأمر قومه ان ينتظروه عند تلك العين حتى يعود اليهم ، فنسبت العين اليه وسميت به عين عمير الى الآن ، وعمير هاذا هو جد بنى الملجوم من بيوتات فاس (١٢) ، فسار عمير في

(١١) حمة سيدى حرازم الحالية .

(١٢) أنظر عن بنت بنى الملجوم بيوتات فاس الكبرى ص ١٠ طبع دار المنصور .

فحص سايس يطلب ماخرج اليه حتى وصل الى العيون التي ينبعث منها نهر مدينة قاس ، فراا عيونا كثيرة تزيد على ستين عنصرا ومياهها تترد فى فسيح لأرض ، وراا حول العيون شجرا من الطرقاء والطخش والعرعر والكلخ وغيره ، فشرب من ذلك الماء فاستطابه ، فقال هاذا ماء عذب وهواء معتدل ، وهو اقل ضررا واكثر نفعا ، وحوله من المزارع أكثر مما حول نهر سبو ، ثم سار مع مسيل الماء حتى وصل الى موضع مدينة قاس ، فنظر الى ما بين الجبلين غيضة ملتفة الأشجار ، مطردة العيون والأنهار ، وفى بعض منها خيام من شعر يسكنها قبائل من زناتة يعرفون بزواغة وبنى يرغثن ، فرجع عمير الى ادريس وأعلمه بما وقع عليه من الأرض وما استحسنه من كثرة مياهها وطيب تربتها ورطوبة هوائها وصحتها واعتدال الهواء فأعجبه ماراه من ذلك ، وسأل عن مالك الأرض فقل له قوم من زواغة يعرفون ببني الخير فقال ادريس رضي الله عنه هاذا قال حسن ، فبعث اليهم واشترا منهم مواضع المدينة بستة الاف درهم ودفع لهم الثمن وأشهد عليهم بذلك وشرع فى بناء المدينة .

وقيل كان يسكن مدينة قاس قبيلتان من زناتة وزواغة وبنى يرغثن ، وكانوا أهل أهواء مختلفة ، منهم على الاسلام ، ومنهم على النصرانية ومنهم على اليهودية ، ومنهم على الجوسية ، ومنهم بنو يرغثن وكانوا يسكنون بخيامهم بحومة عدوة الأندلس الآن ، وكان بيت نارهم بالشيبوية (١٢) وكانت زواغة بحومة عدوة القرويين ، فكان القتال بين القبيلتين لايزال على مر الأيام ، فلما اتا ادريس رضي الله عنه مع عمير لينظر الى الموضع الذي ارتاده له وجد زواغة وبنى يرغثن يقتتلون فيما بينهم على حدود الأرض ، فبعث ادريس اليهم ، فحضر الفريقان بين يديه ، فاصلح بينهما ، ثم اشترا منهم الغيضة التي بناها فيها المدينة ، وكانت عظيمة لاترام لكثرة المياه والأشجار والسبعا

(13) مازال مكان الشيبوية معروفا الى اليوم ، وهو واقع بين تنطرة بين المدن وحدادى النخالين .

والخنازير فرضوا جميعا ببيعها واخراجها من يد الفريقين ثم شرع
فى البناء

وقيل انه اشترا موضع عدوة الأندلس من بنى يرغثن بألفى درهم
وخمسمئة درهم فدفع لهم المال وكتب العقد بشرائها منهم كاتبه الفقيه
أبو الحسن عبد الله بن مالك الخزرجى الأنصارى وذلك فى سنة احدا
وتسعين ومئة فنزل به ادريس رضى الله عنه وشرع فى بناء السور،
وضرب أبنيته وقبابه بالموضع المعروف اليوم بجراوة (١٤) ودور
عليها جدرا من الخشب والقصب قسما الموضع جراوة الى اليوم
ثم اشترا موضع عدوة القرويين من بنى الخير الزواغيين بثلاثة الاف
درهم وخمسمئة درهم وشرع فى بنائها

الخبر عن بناء الامام إدريس بن إدريس

رضي الله عنهما مدينة فاس وذكر ما خصت به من الفضائل والمعاسن
التي تفوق بها جميع المغرب

قال المؤلف عفا الله عنه

لم تزل مدينة فاس من حين أسست دار فقه وعلم وصلاح ودين
وهي قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها وقطبها وهي كانت دار مملكة
الأدارسة الحسينيين الذين اختطوها ودار مملكة زناتة من بنى يفرن
ومغراوة وغيرهم من ملوك المغرب فى الاسلام ونزلها لتونة فى أول
ظهورهم على المغرب ثم بنوا مدينة مراكش فانتقلوا اليها لقربها من
بلادهم بلاد القبلة فأتا الموحدون بعدهم فنزلوا مراكش واتخذوها دار
ملكهم لقربها من بلادهم وكونها مينة فى جوارهم وبين قبائلهم ومدينة
فاس لم تزل أم بلاد المغرب فى القديم والجديد وهي الآن

قاعدة بلوك بنى مرين أطال الله أيامهم ، وأعلا أمرهم ، وخذل سلطانهم ،
فهي منهم فى المحل الرفيع والشكل البديع وقد جمعت مدينة فاس
بين عنودية الماء ، واعتدال الهواء ، وطيب القربة ، وحسن الثمرة ، وسعة
المحرت وعظيم بركته وقرب المحطب وكثرة عدده وشجره وبها منازل
مؤنقة ويساتين مشرقة ورياض مورقة وأسواق مسرتبة منسقة
وعيون منهمة وأنهار متدفقة منحدره وأشجار ملتفة وجنات دائرة
بها محدفة

وقالت الحكماء أحسن مواضع المدن أن تجمع خمسة أشياء وهي
النهر الجارى والمحرت الطيب والمحطب القريب والسور الحصين
والسلطان إذ به صلاح حالها وأمن سبلها وكف جبايرتها ، وقد جمعت
مدينة فاس هاذه الخصال التى هي كمال المدن وشرفها وزادت عليها
بمحاسن كثيرة نذكرها بعد أن شاء الله تعالى

فلها من المحرت العظيم سقيا وبعلا على كل جهة منها ماليس هو
على مدينة من مبدائن المغرب وعليها المحطب فى جبل بنى بهلول الذى
الذي فى قبلتها (١٥) يصبح كل يوم على أبوابها من أحمال حطب البلوط
والفحم مالا يوصف كثرة ونهرها يشقها نصفين ويتشعب فى داخلها
أنهارا وجداول وخلصان فتتخلل الأنهار ديارها ويساتينها وجناتها
وشوارعها وأسواقها وحماماتها وتطحن به أرحاؤها ، ويخرج منها
وقد حمل أنفالتها (١٦) وأقذارها ورماداتها

وقد أنشد الفقيه الصالح الزاهد يوسف ابن النحوى (١٧) فى
مدحها ووصفها

(١٥) كانت قبيلة بنى بهلول تسكن الجبال الواقعة شمال غربى فاس حيث حمة مولى
يعقوب الحالية وتمتد مساكنها عبر سهل سايس الى جبال صفرو حيث قرية البهاليل الحالية
وهاذه الجبال الأخيرة هي الواقعة فى القبلة وهي التى يعينها المؤلف

(١٦) جمع نفل ، ما يرسب من كدرة فى أسفل الشيء ، والكلمة من العامى الفصح الجارى
فى السنة العامة الى اليوم

(١٧) أبو الفضل أنظر عنه التشوف ع ٩ وجلوة الالتباس ص 346

يافاس منك جميع الحسن مسترق وساكنوك ليهنهم بما رزقوا
هاذا نسيمك أم روح لراحتنا ؟ وماؤك السلسل الصافي أم الورق ؟
ارض تخللها الأنهار داخلها حتى المجالس والأسواق والطرق
وكان الفقيه يوسف ابن النحوى من أهل العلم والدين والورع
والفضل ذكر صاحب كتاب التشوف (١٨) أنه من أكابر رجال المغرب

وللفقيه الكاتب البارع أبى عبد الله المغيلى (١٩) فى وصفها ويتشوق
ليها حين ولي القضاء بمدينة أزمور

يافاس حيا الله ارضك من ثرا وسقك من صوب الغمام المسبل
ياجنة الدنيا التي اريت على حمص بمنظرها البهي الأجل
غرف على غرف ويجرى تحتها ماء الذ من الرحيق السلسل
وبساتن من سندس قد زخرقت بجداول كالأيم أو كالفيصل
وبجامع القروي شرف ذكره انس تذكره بهيج تيلبلسى
وبصحنه زمن المصيف محاسن فمع العشي الغرب فيه استقبال
واجلس ازاء الخصة الحسناء به واكرع بها عنى قديتك وانهل

قال المؤلف

ويخرج نهر مدينة فاس فيسقى جناتها وبحائرهما الى أن يصب
بوادى سبو على مقدار الميلىن منها

وماء نهر مدينة فاس من أفضل مياه الأرض وأعذبها وأخفها
يخرج من عيون بأعلاها فى بسيط من الأرض من ستين عنصرا كلها
تتبعث من جهة القبلة وثلاثة عناصر من قبل المغرب على نحو عشرة
أميال من المدينة فيجتمع ما يخرج من تلك العناصر من المياه فيصير
نهرًا كبيرًا فيجرى فى بسيط من الأرض على الكرفس والسعدا من
منبعه حتى ينحدر على المدينة فى مرج لايزال كذلك صيفًا وشتاء حتى

(18) التشوف ع 9

(19) أنظر عنه مستودع العلامة ص 48 وجدوة الإقتباس ص 145 ودرة البحال I 273

ينخل البلد ، وينقسم فى داخلها على جداول كثيرة كما قدمنا .
ومن فضائل ماء هذا النهر انه يفتت الحصى ، ويذهب الصنان
لمن اغتسل به وداوم على شربه ، ويلين البشرة ، ويقطع القمل ، ويسرع
الهضم ، ويشرب على الزيق فلا يعدى ، ومن يستكثر من شربه فلا يضره ،
وذلك لأجل جريانه على الكرفس والسعدا فهو فى نهاية الخفة والعذوبة
ومن فضائل هذا النهر ما ذكره ابن جنون المتطبب انه ينبه شهوة
الجماع اذا شرب على الريق ، ومن فضله أنه يغسل به الثياب من غير
صابون فيبيضها ويكسوها رونقا وبصيصا ورائحة طيبة كما يفعل
الصابون ، فيقسم عليها أنها غسلت بالصابون .

ومن فضائل نهر مدينة فاس أنه يخرج منه الصدف الحسن الذي
يقوم مقام الجواهر النفيس ، تباع الحبة منه بمتقال ذهب وأقل وأكثر ،
وذلك لحسنه وصفائه وعظم جرمه ، ويوجد فى مياه هذا النهر
السرطين وليست توجد فى مياه الأندلس الا نادرا ، ويخرج فيه أيضا
أنواع من الحوت من اللبيس والبورى والسيناخ والبوقه ، وهو حوت
لذيذ الطعم كثير المنفعة ، وعلى الجملة ان نهر مدينة فاس يفوق مياه
المغرب فى العذوبة والخفة وكثرة المنفعة .

وتفوق مدينة فاس غيرها من البلاد بمعدن الملح الذى عليها ليس
فى معمور كرة الارض ملح مثله ، وهو على نحو ستة أميال منها ، وطول
هاذه الملاحه نحو ثمانية عشر ميلا أولها من مجشر الشاطبي ، وأخرها
بوادى مكس عند دمنة البقول ، وفى هاذه الملاحه أصناف من الملح لا يشبه
بعضها بعضا فى الألوان والصفة ، فالملح بالمدينة كثير جدا يباع عشرة
أصوع بدرهم وأقل وأكثر ، بحسب ما يجلب .

ومن بركة هاذه الملاحه أنها كلها تحرث بالزرع ، فتجد فدايين
الزرع فى وسط الملح مخضرة ناعمة تتمايل خاماتها فضلا من الله تعالا
وبركة منه ، وكان الملح قبل هاذا يباع حمل بدرهم لا يجد بائعه من
يشتره منه لكثرتة ، وعلى مسيرة ثلاثين ميلا من فاس جبال بنى يازغة

حيث يقطع خشب الأرز فيجلب الى المدينة منه فى كل يوم ما لا يحصى كثرة، ومن هذه الجبال ينبعث نهر سبو (٢٠) من عنصر واحد شبه مغارة فيسير حتى يمر بمشرق مدينة فاس على مقدار الميلين منها فيصيد أهل المدينة الشابل والبورى وأصناف الحوت ويحملون منها أحمالا الى المدينة فتطلى طرية لم تتغير وأكثر نزحات أهل المدينة نهر سبو وبالقرب أيضا من مدينة فاس حمة عظيمة تعرف بحمة خولان وماؤها أشد ما يكون من السخانة وبالقرب منها أيضا حمة وشتاتة (٢١) وحمة أبى يعقوب (٢٢) وهي من الحصات المشهورة بالمغرب

وسكان مدينة فاس أحد أهل المغرب أذهانا وأشدهم فطنة وأرجحهم عقلا وألنيهم قلوبا وأكثرهم صدقة وأعزهم نفوسا والطفهم شمائل وأقلهم خلافا على الملوك وأكثرهم طاعة لولاتهم وحكامهم وكيفما تقلبت الأحوال فهم يسمون على أهل بلاد المغرب عملا وفقها ودينا

ومدينة فاس لم تزل من يوم أسست مأوا الغرياء ممن دخلها استوطنها وصلاح حاله بها وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والصلحاء والأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم فهي فى القديم والجديد دار علم وفقه وحديث وعربية وفقهاؤها الفقهاء الذين يقندى بهم جميع فقهاء المغرب لم يزل ذاك على مر الزمان وذلك ببركة بانيتها مولانا ابريس رضي الله عنه ، فإنه لما أراد الشروع فى بنائها رفع يده وقال (اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلا بها كتابك وتقام بها حدودك واجعل أهلها مستمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها) ، ثم أخذ المولى بيده فايتدا بحفر الاساس ، فلم تزل منذ بنيت الى يومنا هذا وهو عام سبعة وعشرين

(20) قرب قرية مصدورة جنوبى غرب جبل حمة

(21) حمة صغيرة تقع فى السفح الشمالى للجبل زلاغ فيها جميع خواص مياه حمة مولاى يعقوب ، ولكن مياهها قليلة ، فلذلك لا يستحم فيها إلا أهل القرى والمدائن المجاورة لها

(22) حمة مولاى يعقوب الحالية وهو يعقوب بن الأشقر الشهلول المتوفى سنة ٥89 هـ انظر ترجمته فى سلوة الأنفاس 3 216 وانظر أيضا بيوتات فاس الكبرى ص 14

وسبعمئة دار علم وفقه وسنة ، والجماعة بها قائمة •

ويكفى من فضلها وشرفها ماورد عن النبي صلا الله عليه وسلم فى وصفها ، فانه وجد فى كتاب دارس بن اسماعيل أبى ميمونة بخط يده رحمه الله تعالا : حدثنى ابن أبى مطر بالأسكندرية قال : حدثنى محمد ابن ابراهيم المواز ، عن عبد الرحمان ابن القاسم ، عن مالك بن أنس ، عن محمد بن شهاب الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبي صلا الله عليه وسلم أنه قال : ستكون مدينة تسمأ فاس أهلها أقوم أهل المغرب قبلة وأكثرهم صلاة ، أهلها على السنة والجماعة ومنهاج الحق لايزالون متمسكين به لا يضرهم من خالفهم يدفع الله عنهم مايكرهون الى يوم القيامة •

وذكر ابن غالب فى تاريخه أن الامام ادريس رضى الله عنه لما عزم على بنائها ووقف فى موضعها يختطها مر به شيخ كبير راهب من رهبان النصارا وقد نيف على مئة وخمسين سنة كان مترهبا فى صومعة قريبة من تلك الجهة ، فوقف بادريس وسلم عليه ، ثم قال له أيها الأمير ماتريد أن تصنع بين هاذين الجبلين ؟ فقال أريد أن أخط بينهما مدينة لسكناي وسكنا اولادى من بعدى ، يعبد الله تعالا بها ويتلا بها كتابه وتقام بها حدوده ، قال أيها الأمير ان لك عندى بشرا ، قال وماهى أيها الراهب ؟ قال انه أخبرنى راهب كان قبلى فى هادا الدير توفى منذ مئة سنة أنه وجد فى كتاب علمه أنه كان بهادا الموضع مدينة تسمأ ساف خربت منذ ألف وسبعمئة سنة ، وانه يجدها ويحىي دأثرها ويقيم دارسها رجل من آل بيت النبوة يسما ادريس ، يكون له شأن عظيم وقدر جسيم لايزال دين الاسلام قائما بها الى يوم القيامة ، فقال ادريس رضى الله عنه : الحمد لله أنا ادريس ، وأنا من آل بيت الرسول صلا الله عليه وسلم ، وأنا بانيتها ان شاء الله ، فكان ذلك مما قوا عزم ادريس على بنائها ، فشرع فى حفر أساسها •

قال المؤلف

ويدل على صحة هذه الرواية مارواه البرنسى أن رجلاً من اليهود احتقر أساس دار بينها لسكانه بقنطرة عزيلة من المدينة المذكورة والموضع يومئذ شعراء بالطخش والبوط والطرفاء وغير ذلك فوجد فى الأساس دمية رخام على صورة جارية منقوش على صدرها بالقلم المسند «هَذَا مَوْضِعُ حَفَامٍ عَمَرَ الْف سَنَةَ ثَمْ خَرِبَ فَأَقِيمَ مَوْضِعَهُ بَيْتَةً لِلْعِبَادَةِ»

وكان تأسيس الامام ادريس لمدينة فاس على ما ذكره المؤرخون الذين اعتنوا بتاريخها وأنبأوا عن ابتداء أمرها فى يوم الخميس غرة ربيع الأول عام اثنين وتسعين ومئة (٤ يناير ٨٠٨ م) أسس عدوة الأندلس منها وأدار بها السور وبعدها بسنة أسست عدوة القرويين وذلك غرة ربيع الآخر من سنة ثلاث وتسعين ومئة (٢٢ يناير ٨٠٩ م) وابتدأ ببناء سور عدوة الأندلس القبلى فأدار السور على جميعها وبنّا بها الجامع الذى برحبة البير المعروف بجامع الأشياخ (٢٣) وأقام فيه الخطبة ثم شرع فى بناء عدوة القرويين فى سنة ثلاث وتسعين المذكورة وكان موضعها شعراء وغياضا ملتفة فبقي يقطع الشجر والخشب ويبنى فى موضعه وأعجبه ماراً من كثرة العيون فيها وتدفق الأنهار فانتقل عن عدوة الأندلس إليها ونزل منها بموضع يعرف بالمقرمدة وضرب فيه قيطونة وأخذ فى بناء الجامع وهو المسجد المعروف الآن بجامع الشرفاء (٢٤) ، شرفه الله بذكره وأقام فيه الخطبة ثم أخذ فى بناء داره المعروفة الآن بدار القيطون (٢٥) التى يسكنها الشرفاء الجوطيون من أولاده ثم بنا القيسارية الى جانب المسجد الجامع ، وأدار الأسواق حوله من كل جانب ، وأمر الناس بالبناء والغرس

(23) هو المسجد الواقع بأعلا عقبة الصفاح عند بداية زنقة سيدى بوجيدة ويعرف بالجامع الأنور (جامع النوار)

(24) هو المسجد الواقع أمام باب الحفاء من ضريح الامام ادريس الثانى

(25) بجانب مسجد الشرفاء المتقدم أمام الباب الذى بصحن مسجد الضريح الادريسي

وقال لهم : (من ابتنا موضعا وغرسه قبل تمام السور بالبناء فهو له هبة ابتغاء وجه الله تعالا) ، فابتنا الناس الديار ، واغترسوا الثمار ، وكثرت العمارة والغبطة ، فكان الرجل يخطط موضع منزله وبنائه ويستانه من الشعراء ثم يقطع منه الخشب فيبنى به لايحتاج الى خشب غيره .

ووفد عليه فى تلك الأيام جماعة من الناس من بلاد العراق فأنزلهم بناحية عين علون ومنهم بنو ملولة (٢٦) ، وكان بعين علون شجر من طخش وعليق وكلخ وبسباس وأشجار برية ، وكان بها عبد أسود يقطع الطريق ، وكان الناس قبل بناء المدينة يتحامونها ولا يمرن بتلك الناحية ولا يقدر أحد على سلوكها من أجل علون المذكور والتفاف الأشجار وخيرير المياه والأنهار وكثرة الوحوش المؤذية بها ، فكان الرعاة يتحامونها بمواشيهم ، ولا يسلكها الا الجماعات من الناس ، فعرف ادريس رضي عنه بخبر علون حين شرع فى بناء عدوة القرويين فأمر بالقبض عليه ، فخرجت الخيل فى طلبه ، فقبض عليه وأتى به اليه فأمر بقتله وصلب على شجرة هناك كانت على رأس العين المذكورة ، فبقي علون مصلوبا على تلك العين حتى تمزقت أشلائه وتقطعت أوصاله ، فسميت العين به الى الآن (٢٧) وأدار الامام ادريس رضي الله عنه سور عدوة القرويين ، وابتدأه من رأس عقبة عين علون ، وصنع برأس العقبة بابا وسماه باب أفريقية ، وهو أول باب صنع بالمدينة المذكورة ، ثم هبط بالسور على عين دردورة حتى وصل به الى عقبة السعتر (٢٨) فصنع هنالك بابا وسماه باب حصن سعدون (٢٩) ثم هبط بالسور الى أول أغلان (٣٠) فصنع هنالك بابا وسماه باب الفرس ، ثم أدار السور مع أغلان حتى وصل

26) فى الأصل ملونة بلتون ، وعند أصحاب بيوتات قاس الكبرى بلامين انظر ص 38 .

27) وحتى الآن ، أسفل عقبة الشرايطين .

28) العقبة الواقعة بين العشايبين وباب الجيسة ، حيث ضريح سيدى أحمد بن يحيى

29) هو أصل باب الجيسة الحال . والمكان الذى بنى فيه هو مكان قوس ساباط حومة

الحفارين فوق رحبة الزرع القديمة ، انظر سلوة الأنفاس I : 190 .

30) هو مكان حومتى فندق اليهودى والبلدية ، انظر جنا زهرة الآس ص 101

به شفير الوادي الكبير الفاصل بين العدوتين ، فصنع هنالك بابا وسماه باب الفصيل (٣١) وهو الباب الذي يخرج منه الى بين المدينتين ، ثم جاز الوادي بالسور وطلع به مع ضفة النهر خمس مسافات ، وصنع هنالك بابا سماه باب الفرج ، وهو الذي يسمى الآن باب السلسلة ، ثم جاز النهر أيضا بالسور الى عدوة القرويين وطلع به مع النهر الكبير فسى أسفل القلعة الى عيون ابن اللصايد الى الجرف ، وصنع هنالك بابا سماه باب الحديد ، وهو فى أعلا القلعة مما يلى الجرف ، ثم سار بالسور من باب القلعة المذكور الى باب أفريقية ، فجاءت مدينة عدوة القرويين متوسطة كثيرة الأنهار والعيون والبساتين والأرحاء لها ستة أبواب ، وابتدأ أيضا سور عدوة الأندلس من جهة القبلة ، فبنا بها باب الفوارة هناك ، ومنه يخرج الى مدينة سجلماسة ، وهو الآن مبنى يعرف بباب زيتون ابن عطية لم يفتح من سنة عشرين وستمئة ، وهبط بالسور على المخفية الى الوادي الكبير ، الى برزخ (٣٢) وعمل هنالك بابا يقابل باب الفرج من عدوة القرويين ، ثم سار بالسور على الشيبوية ، وفتح هنالك بابا يعرف بباب الشيبوية مقابلا لباب الفصيل من عدوة القرويين، ثم سار بالسور الى رأس حجر الفرج ، فصنع هنالك بابا سماه باب أبى سفيان ، ومنه يخرج الى بلاد غمارة والى الريف ، ثم سار بالسور على جرواوة ، فصنع هنالك بابا شرقيا يعرف بباب الكنيسة ، ومنه يخرج الى بلاد تلمسان ، ومنه يخرج الى حارة المرضا ، فلم يزل الباب على ما بناه أدريس الى أن هدمه عبد المؤمن بن علي أيام ظهوره على المغرب وفتح مدينة فاس ، وذلك فى سنة أربعين وخمسمئة ، فلم يزل الباب مهدوما الى أن بناه الناصر بن المنصور الموحدى حين جدد سور المدينة، وذلك فى سنة احدا وستمئة ، وسماه باب الخوذة ، وكانت حارة المرضا بخارج هذا الباب ليكون سكناهم تحت مجرا الريح الغربية فتصمّل

(٣١) هو باب النخبة الحال .

(32) حومة سيدى العواد الحالية ، انظر سلوة الأنفاس I : 307 .

الرياح أبحرتهم ولا يصل الى أهل المدينة منها شيء ، وليكون تصرفهم من الماء وغسلهم بعد خروجه من البلد ، فلما كانت المجاعة العظما التي خلا فيها المغرب وتوالت به الفتن وعدمت الأقوات ، وذلك من سنة تسع عشرة الى سنة سبع وثلاثين وستمئة لما أراد الله انقراض الدولة الموحدية وظهور الدولة المرينية بالمغرب أطالها الله وخلدها ، فانتقل الجذما فى أيام المجاعة والفتنة من خارج باب الخوخة وسكنوا بالكهوف التي بخارج باب الشريعة من أبواب عدوة القرويين ، وهي الكهوف التي بقرب الوادي بين مطامر الزرع وجنة المصاراة (٣٣) فأقاموا هنالك الى أن ظهرت الدولة المرينية على المغرب ، واستقام امرها ، وأشرق نور عدلها ، وشمل الناس بركتها ، فانجبرت الناس وعمرت البلاد وتأمنت الطرقات ، وكثرت الخيرات ، فرفع الى يعقوب بن عبد الحق رحمه الله أمر الجذما وتصرفهم وغسل ثيابهم وأنتبهم وأقذارهم فى نهر مدينة فاس لقربيهم منه ، وان ذلك ضرر لأهل المدينة ، فأمر رحمه الله عامله على المدينة وهو الشيخ ادريس ابن أبى قريش أن ينقلهم من هنالك ليبعدوا عن ماء الأنهر ، فنقلهم الى كهوف برج الكركب الذي بخارج باب الجيسة من أبواب عدوة القرويين ، وذلك فى سنة ثمان وخمسين وستمئة .

وبنا أيضا الامام ادريس رضي الله عنه باب عدوة الأندلس القبلى، وسماه باب القبلة ، فلم يزل الباب على ما بناه ادريس الى ان هدمه دوناس حين غلب على عدوة الأندلس فدخلها بالسيف فبناه الفتوح بن دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية الزناتي المغراوي فى أيام ولايته على المدينة المذكورة ، وقيل ان الذي بناه الفتوح بن دوناس المغراوي بن معنصر اليفرنى وبه سمي .

(33) المصاراة فى عرف المغاربة والأندلسيين القدماء هو القضاء الفسيح الواقع خارج أسوار المدن والمعدود من متنزهاتها ، وروض المصاراة بفاس هو الروض أو الرياض الملوكية التي كانت تمتد جنوبي القصر الملكي حيث المدينة الحديثة (دار الديببخ) وقد بقى هاذا اللفظ يستعمل فى الرسوم والعقود الى عهد السلطان الحسن الأول ، انظر ما كتبه عن كلمة المصاراة الأستاذ محمود على مكى فى تعليقه على جزء من المقتبس لابن حيان الفرضى ص 294 .

قال ابن غالب فى تاريخه : قال عبد الملك الوراق : وكانت مدينة فاس فى القديم بلدين ، لكل بلد منها سور محيط بها وأبواب تختص بها ، والنهر بين البلدين فاصل ، وهو الوادي الكبير الداخل من ناحية باب الجديد من أبواب عدوة القرويين ، فيجري بين العدوتين حتى يخرج من موضع يسما بالرميلة قد صنع له هناك فى السور بابان عظيمان يخرج عليهما بشبايك من خشب الأرز مزودة وثيقة يخرج منها الماء ، وكذلك صنع له فى موضع دخوله باب كبير عليه شبك محكم وثيق ، وأسوار المدينة منيعة مرتفعة ، وأبوابها حصينة ، فلعدوة القرويين فى سورها الغربى باب الجديد ، ومنه يخرج الى واديا والى جبل فازاز ومعدن عوام ، وباب سليمان بابها الأعظم ، ومنه يخرج الى مدينة مراكش وبلاد الحامدة وغير ذلك من بلاد المغرب ، ولها أيضا فى سورها باب الجوف ، وهو باب المغيرة ، ومنه يخرج الى الرابطة القديمة التى فى رأس العقبة ، سد فى زمان المجاعة سنة سبع وعشرين وستمئة فلم يزل على حاله الى الآن ، ولها أيضا فى سورها الجوفى باب حصن سعدون ، وهو الباب الذى كان أنشأه ادريس رضى الله عنه بعقبة السعتر ، فلما كثر الناس بالمدينة واتسعت الأرباض بخارجها فى أيام زنانة أدار عليها الأمير عجيسة بن المعز سورا ، وصنع فيه بابا فوق باب حصن سعدون المذكور وسماه باسمه باب عجيسة ، كما فعل أخوه الفتوح فى عدوة الأندلس ، فلم يزل باب عجيسة على حاله بقية أيام زنانة وأيام لتونة الى أيام أمير المومنين محمد الناصر الموحد حين أمر ببناء سور المدينة الذى كان هدمه جده عبد المومن عام أربعين وخمسمئة ، فبنا فوق باب عجيسة بالقرب منه بابا كبيرا وسماه باب عجيسة وترك باب عجيسة على حاله ، ثم أمر بتغيير اسم الباب الذى بناه وترك اضافته الى عجيسة وأسقط الناس العين وأدخلوا الألف واللام عوضا منها فقالوا الجيسة ، ولم يزل باب الجيسة على ما بناه عليه الى أن تهدم وتخرّب اكثره بمر السنين عليه وتوالى الايام واللهاى ، فعرفت أمير المومنين يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ورضي عنه بأمره وهو ببلاد الأندلس ، فنفذ أمره الكريم من الجزيرة الخضراء ببناء البواب

واصلاحه ، فجدد بأسره ماعدا القوس البرانى فانه وجد صحيحا فترك على حاله وذلك فى سنة أربع وثمانين وستمئة ، وكذلك أمر أيضا أمير المسلمين يعقوب رحمه الله باصلاح السور القبلى من عدوة الأندلس ، فجدد أكثره ورم ماتخلق منه وهدم من باب زيتون ابن عطية الى باب الفتوح على يد قاضيه الفقيه أبى أمية الدلائى ، فأصلحه وأتقنه وذلك فى سنة احدا وثمانين وستمئة .

ودور مدينة فاس أكثرها على طبقتين بالأعلا والأسفل ، ومنها مايكون على ثلاث طبقات وأربع طبقات ، وذلك لعقد تربتهم ، وكثرة خشب الأرز عندهم ، وهو أطيب خشب الأرض ، يعمر العود منه فى سقف البيت ألف سنة لايعفن ولا يسوس ولا يعتريه شيء مالم يصبه الماء .

ولم تزل الخطبة تقام فى عدوتي مدينة فاس من حين بنيت حتى الآن: خطبة بعدوة الأندلس ، وخطبة بعدوة القرويين ، وقيسارية ودار سكة بكل عدوة منها ، وكان بها أيام زناثة سلطانان أخوان شقيقان ابنا الأمير دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية ، وهما الفتوح وعجيسة ، فكان الفتوح بعدوة الأندلس وعجيسة بالقرويين ، وكل واحد منهما له جيش وحشم ، وألقا الله تعالا بينهما العداوة والبغضاء ، كل ذلك على طلب الرياسة وتنافسها على الظهور فى الدنيا ، فلم تزل الحرب بين الفريقين على قديم الزمان والقتال بينهما على ضفة الوادى الكبير بموضع يعرف بكهف الرماد ، بين المدينتين ، وكان أهل عدوة الأندلس أهل نجدة وشدة ، وأكثرهم ينتحل الحراثة والفلاحة ، وأهل عدوة القرويين أهل رفاهية ونخوة فى البناء واللباس والفراش والمطعم والمشرب ، وأكثرهم صناع وتجار وسوقة ، ورجال عدوة القرويين أجمل من رجال عدوة الأندلس ، ونساء عدوة الأندلس أجمل من نساء عدوة القرويين .

وبمدينة فاس من أصناف الأزهار والفواكه ما لا يوجد فى غيرها من البلاد الا مفترقة فى أقاليم شتا ، وتوجد فى مدينة فاس مجتمعة فى نهاية الحسن والطيب ، وتختص عدوة القرويين بكثرة الأنهار والأرحاء

والعيون العذبة والآبار القريبة الطيبة ، وبها الرمان السفرى الذى ليس فى المغرب مثله حلوة ولذة وولادة ، والتين الشعرى والسبتى الطيب الحسن ، والعنب والخوخ والجوز والعناب والسفرجل والأترج ، وسائر الفواكه الخريفية تأتى فى عدوة القرويين فى نهاية الطيب والحسن والحلاوة ، وتختص عدوة الأندلس أيضا بحسن الفواكه الصيفية وطيبتها كالفتحاح الطرابلسى الحلو الأصفر الذى ليس مثله فى جميع المغرب لحسنه وحلاوته ، ولذة مطعمه وخفته ورقه قشره وطيب رائحته واعتدال خلقته، والفتحاح اللبوى والطلحى والكلخى ، وأصناف الكمثرا والمشمش والبرقوق والتوت ، كل ذلك بها فى نهاية الطيب والحسن ، وبخارج باب بنى مسافر من أبوابها موضع يعرف بمرج قرقة تثمر فيه الأشجار مرتين فى كل سنة فيأكل الناس الفتحاح والكمثرا بالمدينة الصيف والشتاء ، ويحصد الزرع بفحص المصاراة التي بخارج باب الشريعة من أبواب عدوة القرويين عن أربعين يوما .

قال المؤلف للكتاب :

قد شاهدت الزرع حرث بالمصاراة المذكورة فى خامس عشر من شهر أبريل وحصد فى فى أآخر مايه ، منشأه فى الطيب والبركة عن خمسة وأربعين يوما ، وذلك فى سنة تسعين وستمئة وهو عام الريح الشرقية ، دامت فيه الشرقية أربعة أشهر ، ولم ينزل مطر تلك السنة ، ولم ترو الأرض الا فى الثانى عشر من شهر أبريل المذكور ، فحرث الزرع مخاطرة ف جاء كما ذكرنا .

ومما تفوق به مدينة فاس سائر مدن الأرض أن بها ماعين ، ماء العيون وماء الأنهار ، فمياه العيون باردة فى الصيف حين يراد ذلك منها لتبرد الحر ، وتقطع الظمأ وهي أيضا سخنة فى الشتاء حين يحتاج السى ذلك منها ، ومياه الأنهار بالعكس فى ذلك سخنة فى الصيف باردة فى الشتاء ، فلايزال الماء السخن والبارد موجودين بها فى الشتاء والصيف، فهي بسبب ذلك معينة على الدين والطهارة والصلاة والتنظيف .

واختلف الناس فى السبب الذى سميت من أجله : فقيل ان ادريس رضي الله عنه لما شرع فى بنائها كان يعمل فيها بيديه مع الصناعات والفعلية والبنائين تواضعا منه لله تعالا ورجاء الأجر والثواب ، فصنع له بعض خدمته فاسا من ذهب وفضة ، فكان ادريس رضي الله عنه يمسكه بيده ويبتديء به الحفر ويخطط به الأساسات للفعلية ، فكثرت عند ذلك ذكر الفأس على ألسنتهم فى طول مدة البناء ، فكان الفعلية يقولون هاتوا الفأس ، خذوا الفأس ، احفروا بالفأس ، فسميت مدينة فاس لأجل ذلك ، قاله صاحب كتاب الاستبصار فى عجائب الامصار (٢٤) ويقال انه لما شرع فى حفر أساسها فى جهة القبلة وجد فى الحفير فاس كبير طوله أربعة أشبار ، وسعته شبر ، وزنته ستون رطلا ، فسميت المدينة به وأضيفت اليه ، وقيل ان ادريس رضي الله عنه لما شرع فى بنائها قال له خاصته أيها الأمير كيف نسميها ؟ قال : سموها باسم أول رجل يطلع عليكم ، فمر بهم رجل فسألوه عن اسمه وكان ألتغ ، وقال اسمى فارس فأسقط السراء من لفظه لأجل اللثغة ، فقال الامام ادريس سموها كما نطق بها فقالوا فاس ، وقيل سميت فاس لأن قوما من الفرس نزلوها مع ادريس رضي الله عنه حين أسسها ، فسقط عليهم جرف ، فماتوا من حينهم ولم ينج منهم الا قليل ، فسميت مدينة الفرس ، ثم خفف الناس الاسم فقالوا عدينة فارس ، ثم أسقطوا السراء من اللفظ اختصارا فقالوا مدينة فاس ، وقيل لما تسمت بالبناء قيل لادريس رضي الله عنه كيف نسميها ؟ قال نسميها باسم المدينة التي كانت قبلها فى موضعها الذى أخبرنى الراهب أنه كان هنا مدينة أزلية من بنيان الأوائل فخربت قبل الاسلام بألف وسبعمئة سنة وكان اسمها مدينة ساف ، ولكن اقبلوا اسمها وسموها ، فقلبوه فأتا منه فاس فسميت مدينة فاس ، وهذا أصح ما يكون فى تسميتها والله أعلم .

ولما فرغ الامام ادريس رضي الله عنه من بناء المدينة وأدار السور على جميعها ورتب الأبواب أنزل القبائل ، كل قبيلة بناحية ، فنزلت العرب

القيسية من باب أفريقية الى باب الحديد من أبواب عدوة القرويين ، ونزلت الأزد على حدتهم ، ونزل اليحصبيون على حدة القيسية من الجهة الاخرى ، ونزلت صنهاجة ولواتة ومصمودة والشيخان كل قبيلة بناحيتهما ، فأمرهم ادريس رضي الله عنه بغرس الأرض وعمارتها ، فغرسوا جانبي الوادئ من منبعته بفحص سايس الى مصبه بنهر سبو بالشجر والكرم والزيتون وضروب الثمار ، فعمرت الأرض بالحراثة والغرسة ، وأينعت الثمار ، وأطعمت الأشجار والكرم من سنتها ، وذلك ببركة الامام ادريس رضي الله عنه وسلفه الطاهرين صلوات الله عليهم ورحمته ، ونيته الصالحة وطيب التربة وعذوبة الماء واعتدال الهواء ، فظهرت البركات وتسوّلت الخيرات ، وزادت العمارات ، وقصدها الناس من جميع البلاد والجهات ، وأتاها من رغب فى جوار السلالة الكريمة الطاهرة أهل بيت المصطفى صلا الله عليه وسلم ، ومن ركن الى الأمن والعافية ، فاجتمع بها خلق كثير من اليهود وغيرهم ممن رغب فى العافية، فنزلهم بناحية أغلان الى باب حصن سعدون وفرض عليهم الجزية ، فكان مبلغ جزيتهم فى كل سنة ثلاثين ألف دينار ، وأنزل جميع أجناده وقواده بعدوة الأندلس ، وجعل بها جميع كسبه من الخيل والابل والبقر والغنم بأيدي ثقافته ، ولم ينزل معه بعدوة القرويين غير مواليه وحشمه وسائر رعيته من التجار والصناع والسوقة .

فأقامت مدينتنا فاس على ما بناه الامام ادريس رضي الله عنه طول مدته وأيام ولده من بعده الى أيام زناتة ، فكثرت العمارات بها وكثرت الأرباض ، واتصل البناء حولها من كل جهة ، فبنيت بها الفنادق والحمامات والارحاء والمساجد والأسواق من باب أفريقية الى عين اصليتين ، وبنا الناس أيضا من الجانب الجوفى والقبلى والشرقى ، ونزلت القبائل من زناتة ولواتة ومغيلة وجراوة وأوربة وهوارة وغيرهم ، واقتطعوا الجهات ، فنزلت كل قبيلة جهة مثل حارة لواتة وحارة الربط ، وأغلان ، وطريانة ، وحارة ابن أبى برقوقة ، وبرزخ ، وحارة ابن أبى عامر ، والجرف الأحمر ، وغير ذلك ، ودارت الأرباض بكل جهة بالمدينة ، واتصل البناء بعضه ببعض .

وأما أهل الأندلس بقرطبة حين أوقع بهم الامام الحكم بن هشام وأجلهم عن الأندلس الى العدو فصعدوا الى مدينة فاس وكانوا ثمانية آلاف بيت، فنزلوا عدوة الأندلس وشرعوا بها فى البناء يمينا وشمالا الى ناحية الكدان ومصمودة وفوارة وحارة البادية والكنيف الى الرميطة فسميت عدوة الأندلس ، وسميت عدوة القرويين ، لان أول من نزلها مع ادريس رضى الله عنه ثلاثمئة بيت من أهل القيروان ، فسميت بهم ونسبت اليهم ، وبنا بعدوة القرويين فى أيام زناثة حمام قرقف وحمام الأمين وحمام الرشاشة (٣٥) وحمام الرياض ، وبني بعدوة الأندلس حمام جرؤارة ، وحمام الكدان ، وحمام الشيخان ، وحمام الجزيرة ، وبنوا الفنادق ، وزادوا مساجد كثيرة، وأزالوا الخطبة عن جامع الشرفاء الذى بنا ادريس رضى الله عنه لصغره وأقاموها بجامع القرويين لسعته ، ولم يزل مسجد الشرفاء على ما بناه ادريس بن ادريس رضى الله عنهما لم يزد فيه أحد من الملوك ولا من الرعية تحريا منهم وتبركا بابقاء ما بناه ادريس رضى الله عنه بها الى أن خر سقفه وتخلقت جدرانها وأشرف جميعه على السقوط والانكباب لتقادم العهد ومرور الأيام عليه ، فانتدب لبنائه الفقيه الموفق الحاج المبارك شعيب ابن الفقيه الحاج المبرور المرحوم محمد بن أبى مدين ابتغاء وجه الله تعالا ورجاء مغفرته وثوابه ، فشرع فى نقضه وبنائه ، ورد على ما كان عليه من غير زيادة ولانقصان ، وذلك فى سنة ثمان وسبعمئة .

وبلغت مدينة فاس أيام المرابطين وأيام الموحدين من بعدهم من العمارة والغبطة والرفاهية والدعة مالم تبلغه مدينة من مدن المغرب ، وانتهى عدد مساجدها فى أيام المنصور وولده الناصر الى سبعمئة واثنين وثمانين مسجدا .

وأحصاء ما بها من السقايا وديار الوضوء مئة واثنان وعشرون موضعا ، منها اثنان وأربعون موضعا فى ديار الوضوء ، وباقياها سقايات، منها بمياه العيون ، ومنها بمياه الأنهار .

وأحصيت الحمامات منها المبرزة للناس فى تلك المدة فكانت ثلاثة وسبعين حماما .

وأحصيت الأرحاء التى دار عليها سور المدينة فوجدت أربعمئة حجر واثنين وسبعين حجرا دون مابخارجها من الأرحاء .

وأحصيت الديار بها فى أيام الناصر ، فكانت تسعة وثمانين الف دار ومئتي دار وستا وثلاثين دارا ، وتسعة عشر الف مصرية واحدا وأربعين مصرية (٣٦) .

ومن الفنادق العدة للتجار والمسافرين والغرياء أربعمئة فندق وسبعة وستين فندقا .

وأحصيت الحوانيت بها فى المدة المذكورة فكانت تسعة ألاف حانوت واثنين وثمانين حانوتا ، وقيساريتان ، احدهما بعدوة القرويين والثانية بعدوة الأندلس على وادي مضمودة .

وأحصى ما بها من الترابيع (٣٧) والأطرزة العدة لصناعة الحياكة فكانت ثلاثة ألاف موضع وأربعة وستين موضعا .

وكان بها من الديار العدة لعمل الصابون سبع وأربعون دارا ، ومن ديار الدباغ ست وثمانون دارا ، وديار الصباغ مئة دار وست عشرة دارا ، وكان بها اثنتا عشرة دارا لسك الخحاس ، وكان بها من الكوش المعدة لعمل الجير وطفية مئة كوشة وخمس وثلاثون كوشة .

وكان بها من الأفران فى جهاتها وأزقتها ألف فرن ومئة وسبعون فرنا ، وكان بها أحد عشر موضعا لعمل الزجاج ، وبخارجها من الديار المعدة لعمل الفخار مئة دار وثمان وثمانون دارا .

وكان بضمفتي الوادي الكبير الذى يشقها من حيث يبتدىء الدخول

(3٦) دور وبيوت صغيرة ومتوسطة تبنا فوق الحوانيت ومداخل الدور الكبيرة ونحوها نسبت الى مصر لأن شكل بنائها منقول منها .

(37) جمع تربية ، سوق صغير مربع الشكل يعمل به بعض الصناع كالخياطين ونحوهم ، ولا تزال هذه الترابيع موجودة بفاس ومسماة بهذا الاسم الى اليوم .

الى البلد الى أخرها حيث يخرج بالرميلة بالجانبين منه دار الصباغين وحوانيتهم ودار الدباغ ودار الصبانين وحوانيت الخياطين والتصابين والسفاجين والكوش والأقران المعدة لطبخ الغزل وغيرهم مما يحتاج الى ناء ، وفى أعلا ذلك كله أطرزة للحياكة ، ولم يكن بالمدينة واد يظهر حاشا الوادى الكبير المذكور ، وباقى أنهارها بني عليها ديار ومصارى(٢٨) وحوانيت ، ولم يكن بداخلها رياض ولاغرس حاشا زيتون ابن عطية خاصة وكان بها أربعمئة حجر لعمل الكاغد ، وخرب ذلك كله فى أيام المجاعة والفتنة التى كانت فى أيام العادل وأخيه المامون ، وذلك من سنة ثمان عشرة الى سنة سبع وثلاثين وستمئة ، وكان مدة توالى الخراب عليها عشرين سنة الى أن ظهرت الدولة المرينية ، فانجبرت البلاد وتأمنت الطرقات .

قال المؤلف رحمه الله :

نقلت ذلك كله من تقييد بخط الشيخ الفقيه المشرف على بن عمر الأوسى ، نقله من زمام بخط المشرف القويقى مشرف المدينة فى أيام الناصر الموحدى .

وذكر ابن غالب فى تاريخه أن الامام ادريس رضى الله عنه لما فرغ من بناء المدينة وحضرت الجمعة صعد المنبر وخطب الناس ثم رفع يده فى آخر خطبته فقال :

(اللهم انك تعلم أنى ما أردت ببناء هذه المدينة مباحاة ولا مفاخرة ولا سمعة ولا مكابرة ، وانما أردت ببنائها أن تعبد بها ويتلا بها كتابك ، وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك صلا الله عليه وسلم ما أبقيت الدنيا ، اللهم وفق سكانها وقطانها للخير وأعنهم عليه ، واكفهم مؤونة أعدائهم وأدر عليهم الأرزاق ، وأعمد عنهم سيف الفتنة والشقاق والنفاق، انك على كل شيء قدير) .

فأمن الناس على دعائه ، فكثرت الخيرات بالمدينة ، وظهرت البركات ، فكان المزرع فيها فى أيام ادريس رضي الله عنه وأيام نريته لايباع ولا يشترا لكثرتة ، فبلغ وسق القمح بها فى أيامهم درهمين ، ووسق الشعير بدرهم ، والقطنية مالها سوم ، والكبش بدرهم ونصف ، والبقرة بأربعة دراهم ، والعسل خمسة وعشرون رطلا بدرهم ، والفاكهة لاتباع ولاتشترا من كثرتها ، دام ذلك خمسين سنة .

ولما فرغ ادريس رضي الله عنه من بناء المدينة انتقل اليها بمحلته واستوطنها واتخذها دار ملكه ، وأقام بها الى سنة سبع وتسعين ومئة ، فخرج الى غزو نفيس (٢٩) وبلاد المصامدة ، فوصل اليها فدخل مدينة نفيس ومدينة أغمات ، وفتح سائر بلاد المصامدة ورجع الى فاس فأقام بها الى شهر المحرم من سنة تسع وتسعين ومئة ، فخرج منها برسوم غزو قبائل نفزة ، فسار حتى غلب عليهم ، ودخل مدينة تلمسان ، فنظهر فى أحوالها وأصلح أسوارها وجامعها وصنع فيه منبرا ، قال أبو مروان عبد الملك الوراق : دخلت مسجد تلمسان فى سنة خمس وخمسين ومئتين ، فرأيت فى رأس منبرها لوحا من بقية منبر قديم قد سمر عليه هناك مكتوب فيه : «هذا ما أمر به الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم فى شهر المحرم سنة تسع وتسعين ومئة»، فأقام ادريس رضي الله عنه بمدينة تلمسان وأحوازها ثلاث سنين ، ثم رجع الى مدينة فاس ، فلم يزل بها الى أن توفي رحمه الله سنة ثلاث عشرة ومئتين ، وهو ابن ست وثلاثين سنة ، ودفن بمسجده بازاء الحائط الشرقى منها ، وقيل دفن بقبليتها ، وقال البرنسى : توفي ادريس بن ادريس رضي الله عنه بمدينة وليلى من بلاد زرهون فى ليلة اثني عشر من جمادا الآخرة سنة ثلاث عشرة ومئتين المذكورة (٢٩ غشت سنة ٨٢٨ م) ، وسنه يومئذ ثمان وثلاثون سنة ، ودفن الى جانب قبر أبيه فى رباط وليلى ، وكان سبب وفاته أنه أكل عنبا فشرق بحبة منه فمات من حينه ، فكانت

أيامه بالمغرب ستا وعشرين سنة ، وخلف من الولد اثني عشر نكرا ، أولهم محمد ، وعبد الله ، وعيسا ، وادريس ، وأحمد ، وجعفر ، ويحييا ، والقاسم ، وعمر ، وعلي ، وداوود ، وحمزة ، فولي بعده منهم محمد وهو أكبرهم .

الخبر عن دولة الأمير محمد بن الامام ادريس

ابن إدريس الحسنى رضي الله عن جميعهم

هو الأمير محمد بن الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن ابن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .
أمه حرة من أشراف نفزة .

صفتة : أسمر اللون ، حسن القد ، شاب السن ، مليح الوجه ، جعد الشعر .

لما ولي قسم المغرب بين اخوته ، وذلك برأي جدته كنزة أم أبيه ، ولا أخاه القاسم مدينة طنجة وسبته وقلعة حجر النسر ومدينة تطوان وبلاد مصمودة وما والا ذلك من البلاد والقبائل ، وولا أخاه داوود بلاد هوارة وبلاد تسول ومكناسة وجبال غيابة وتازة ، وولا أخاه عيسا على شالة وسلا وأزمور وتامسنا وما والا ذلك من القبائل ، وولا أخاه يحييا مدينة البصرة ومدينة أصيلة ومدينة العرائش الى بلاد ورغة ، وولا أخاه عمر مدينة تيكساس ومدينة ترغة وبلاد صنهاجة وغمارة وما والاها ، وولا أخاه أحمد مدينة مكناسة وبلاد فازاز ومدينة تادلة ، وولا أخاه عبد الله مدينة أغمات وبلاد نفيس وبلاد المصامدة والسوس ، وولا أخاه حمزة مدينة تلمسان وأعمالها ، وأقام هو بمدينة فاس دار ملكهم وقرار سلطانهم ، وتصاغر الباوقون عن الولاية فبقوا في كفالة جدتهم مع أخيه محمد الأكبر ، فأقام الأدارسة ولاة على بلاد المغرب ، فضبطوا ثغورهم ، وحكموا بلادهم ، وأمنوا سيلهم ، وحسنت سيرتهم الى أن خرج على الامام محمد أخوه عيسا

بمدينة شالة ومدينة تامسنا ونكث طاعته ونيد بيعته واستبد بنفسه
فكتب الامام محمد الى أخيه القاسم صاحب طنجة وسبته. يأمره بحريه
فامتنع من ذلك وأحجم عنه (٤٠) فكتب الامام محمد الى أخيه عمر
صاحب مدينة تيكساس وبلاد غمارة بمثل ما كتب به للقاسم فامتثل أمره
وسارع اليه وجمع عسكريا عظيما من قبائل البربر من غمارة وأوربسة
وصنهاجة وغيرهم وسار نحو عيسا ، فلما قرب من أحوازه كتب الى أخيه
محمد يستمده بألف فارس من قبائل زناتة وفرسانهم فمضوا عمر لوجهه
فأوقع بأخيه عيسا وهزمه هزيمة عظيمة وأخرجه عن مدينة شالة وسائر
أعمالها ، وكتب الى أخيه محمد بالفتح والهزيمة ، فكتب اليه الأمير محمد
يشكر فعله ويوليه عمله ويأمره بالمسير الى قتال أخيه القاسم الذي عصا
أمره وامتنع من حرب عيسا فسار الأمير عمر بجيوشه الى قتال أخيه
القاسم حتى نزل عليه بمدينة طنجة فخرج القاسم الى لقائه فكانت
بينهما حروب عظيمة ثم هزم فيها القاسم ، واحتوا عمر على ما بيده من
البلاد ، وسار القاسم الى ساحل البحر مما يلي مدينة أصيلة ، فبنا هناك
مسجدا على ضفة النهر بموضع يعرف بتاهدات فاقام يتعبد فيه وزهد
في الدنيا الى أن مات رحمه الله تعالى وأقام الأمير عمر بن ادريس
رضي الله عنه عاملا لأخيه محمد على ما كان بيده ويد أخيه القاسم الى
أن توفي بموضع يقال له فيج الفرس من بلاد صنهاجة فحمل الى مدينة
فاس فدفن بها وصلا عليه أخوه محمد الامام

وعمر بن ادريس هاذا هو جد الحموديين القائمين بالأندلس بعد
الأربعمئة للهجرة وترك عمر بن ادريس من الولد عليا أمه رقية بنت
اسماعيل الأزدي وادريس أمه زينب بنت القاسم الجعدي وعبد الله
ومحمد أمهما جارية مولدة اسمها رباب وأقام الامام محمد بعد وفاة
أخيه عمر سبعة أشهر وتوفي بمدينة فاس فدفن بشرقي جامعها مع

(40) أنظر القطعة التيمرية التي اعتذر بها القاسم بن ادريس لأخيه محمد عن مقاتلة إبيها

أبيه وأخيه ، وذلك فى شهر ربيع الثانى سنة احدا وعشرين ومئتين (أبريل سنة ٨٢٦ م) فكانت أيامه بالمغرب ثمانية أعوام وشهرا واحدا ، واستخلف ولده عليا فى موضعه الذى مات فيه .

الخبر عن دولة الأمير علي بن محمد بن ادريس

الحسنى رحمهم الله تعالى ورضي عنهم

هو الأمير علي بن محمد بن ادريس بن ادريس ، أمه حرة اسمها رقية بنت اسماعيل بن عمير بن مصعب الأزدي ، بويغ يوم وفاة أبيه باستخلافه له فى حياته ، وسنه يوم بويغ تسعة أعوام وأربعة أشهر ، فظهر منه من الذكاء والنبيل والفضل ما يقتضيه شرفه ونسبه الصحيح ، وسار بسيرة أبيه وجده فى العدل والفضل والدين والحزم واقامة الحق وتأسيس البلاد وقمع الأعداء وضبط البلاد والثغور ، فكان الناس بالمغرب فى زمانه فى أمن ودعة الى أن توفي فى شهر رجب من سنة أربع وثلاثين ومئتين (يبرابر ٨٤٩ م) فكانت أيامه بالمغرب نحو الثلاث عشرة سنة ، وولي أخوه يحيى بن محمد .

الخبر عن دولة الأمير يحيى بن ادريس بن ادريس

الحسنى رحمهم الله

هو الأمير يحيى بن محمد بن ادريس بن ادريس بن عبد الله ابن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم ، ولي بعد وفاة أخيه علي وبعده اليه فى حياته ، فسار بسيرة أخيه وأبيه وجده ، وفى أيامه كثرت العمارة بفاس ، وقصد اليه الناس من الأندلس وأفريقية وجميع بلاد المغرب

فضاقت بسكانها فبنا الناس الأرباض بخارجها وبنا الأمير يحيا بها
الحمامات والفنادق للتجار وغيرهم وفى أيامه بنى جامع القرويين
شرفه الله بذكره

الخبر عن جامع القرويين وصفته

وما زيد فيه فى كل زمان من حين أسس إلى وقتنا هذا
وهو عام ستة وعشرين وسبعمئة

قال المؤلف عفا الله عنه

لم تزل الخطبة بجامع الشرفاء الذى بناه الامام ادريس رضي الله
عنه بعدوة القرويين وبجامع الأشياخ من عدوة الأندلس طول أيام الأدارسة
وكان موضع جامع القرويين أرضاً بيضاء يعمل بها اصناف الخبز
وبها أيضا اصناف من الشجر لرجل من هوارة كان قد حازها والده من
قبله حين بنيت المدينة فأتا وفد القيروان الى ادريس رضي الله عنه فى
جمع كثير بعيالهم وأولادهم فأنزلهم حوله بعدوة القرويين وكأنت
فيهم امرأة مباركة سالحة اسمها فاطمة ، وتكنا ام البئين بنت محمد
الفهري القيرواني أتت من أفريقية مع أختها وزوجها فسكنوا بالقرب من
موضع الجامع المذكور ، فتوفى زوجها وأختها ، فورثت منهما مالا جسيما
حللا طيبا ليس فيه شبهة لم يتغير بينع ولاشراء فأرادت ان تصرفه فى
وجوه البر وأعمال الخير ، فعزمت على بناء مسجد تجد ثوابه فى الآخرة،
يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا فاشترت موضع القرويين
ممن كان حازه ودفعت إليه المال ثم شرعت فى حفر أساسه وبنائه
وذلك يوم السبت مهل رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومئتين (أتجنبر
٨٥٩ م) فبنته بالطايبية والكذان وحفرت فى وسطه فصنعت كهوقما
واقطعت منها الكذان وأخرجت منها التراب والحجر والرمل الأصفر

الطيب ، فبنت به الجامع المذكور كله حتى تم ، ولم تدخل فيه من تراب غيره ، وحفرت البئر التى فى الصحن ، فكان البنائون يسقون منها الماء لبناء الجامع المكرم حتى فرغ من بنائه ، ولم تصرف فيه سواه احتياطا منها وتحريا من الشبهة ، ولم تزل فاطمة القروية المذكورة صائمة من يوم شرع فى بنائه ، الى أن تم ، وصلت فيه شكرا لله تعالا الذى وفقها لأعمال الخير ، وكان المسجد الذى بنته فاطمة المذكورة أربعة بلاطات وصحننا صغيرا ، وجعلت محرابه فى موضع الثريا الكبيرة الآن ، وجعلت طوله من الحائط الغربى الى الحائط الشرقى مئة وخمسين شبرا ، وبنت فيه صومعة غير مرتفعة بموضع القبلة التى على رأس العنزة الآن ، فتم الجامع أربعة بلاطات وصحننا صغيرا ، ذكره أبو القاسم بن جنون فى تفسيره فى تاريخ مدينة قاس .

وقيل هما أختان فاطمة أم البنين ، ومريم ، بنتا محمد الفهرى المذكور ، فبنت فاطمة جامع القرويين المذكور ، وبنت مريم جامع الأندلس من مال حلال طيب موروث عن أبيهما واختيهما ، فلم يزل المسجدان على ما بنتهما الأختان المذكورتان بقية أيام الأدارسة كلها حتى تقضت أيامهم ، وتملكت زناتة على البلاد واستقام ملكهم بالمغرب ، فبنوا الأسوار على رباط العدوتين الأندلس والقرويين ، فزادوا فى الجامعين القرويين والأندلس زيادة كثيرة حدودها ظاهرة باقية الى الآن ، وكثر الناس ، وضاق مسجد الشرفاء بالناس لصغره فأزالوا عنه الخطبة وأقاموها بجامع القرويين لكبره وسعته ، وصنعوا به منبرا من خشب الصنوبر وذلك فى سنة خمس وأربعين وثلاثمئة .

وكان أول خطيب خطب به الشيخ الفقيه الصالح عبد الله بن علي الفارسي ، وقيل أن أول من نقل الخطبة من مسجد الشرفاء الى جامع القرويين الأمير حامد بن حمدان الهمداني عامل عبيد الله الشيعى على المغرب ، وذلك فى سنة احدا وعشرين وثلاثمئة ، ونقل الخطبة من مسجد الأشياخ بالعدوة الى جامع الأندلس ، وكان أول خطيب خطب به الفقيه الصالح أبو الحسن بن محمد الصدفى ، فلم يزل الأمر على ذلك ، ولم

يزل الجامعان على حالهما القرويين والأندلس الى أن تغلب أمير المؤمنين عبد الرحمان الناصر لدين الله الأموي ملك الأندلس على بنى بلاد العدو فبايعته مدينة فاس فيمن بايعه ، فولا عليها عاملا له من زناة يعرف بأحمد بن أبي بكر الزناتى ، وكان رجلا فاضلا من أهل الدين والفضل والورع فكتب الى أمير المؤمنين يستأذنه فى اصلاح مسجد القرويين واتقانه والزيادة فيه فأذن له بذلك وبعث له بمال كثير من أخماس غنائم الروم وأمره ان يصرفه فى بنائه فأصلح جامع القرويين وزاد فيه من ناحية المشرق وناحية المغرب والجوف وهدم صومعته القديمة التي كانت فوق العنزة وبنا الصومعة التي به الآن

الخبر عن بناء صومعة القرويين شرفها الله بذكره

لما شرع الأمير أحمد بن أبي بكر فى بناء صومعة القرويين جعل سبعة كل وجه منها سبعة وعشرين شبرا فيتجمل (٤١) فى الأربع جهات مئة شبر واحدة وثمانية أشبار وهو الذى فى ارتفاعها بلا شك ولا ريب وكذلك يجب ان تكون من جهة البناء والنظر الهندسى وجعل بابها من جهة القبلة وكتب عليه فى مربعة بالجص وحشاه باللأزورد

«ياسم الله الرحمن الرحيم الملك لله الواحد القهار هذا ما أمر به أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن أبى سعيد عثمان بن سعيد الزناتى هداية الله ووفقه ابتغاء ثواب الله تعالى وجزيل احسانه»

وابتدأ العمل فى هاذه الصومعة فى يوم الاثنين غرة رجب من سنة اربع وأربعين وثلاثمئة (٢ اكتوبر ٩٥٥ م) وفرغ من بنائها وتشبيدها فى شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وثلاثمئة (يوليوز - غشت ٩٥٦ م) وكتب فى طرف المربعة «لااله الا الله محمد رسول الله» وجعل

مربعة أخرا من جهة الصحن فيها مكتوب : «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يفرغ الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم» ، وركب على رأس المنار تفافيح صفارا مموهة بالذهب وركب فى أعلاها سيف الامام ادريس بن ادريس رضى الله عنهما الذى بنا المدينة تبركا به ، وسبب القائه فى أعلا المنار ان الأمير أحمد بن أبى بكر الزناتى لما فرغ من بناء الصومعة اختصم اليه بعض حفدة ادريس رضى الله عنه فى السيف المذكور ، وطلب كل واحد أن يحوز السيف لنفسه ، فطال نزاعهم فيه بين يديه ، فقال لهم الأمير أحمد بن أبى بكر هل لكم أن تبيعوه وتتركوا النزاع فيه ؟ قالوا وماتصنع به أيها الأمير ؟ قال أجعله فى أعلا هاذه الصومعة التى بنيت تبركا به ، قالوا له أيها الأمير أما اذا تفعل هازا فنحن نهبه لك طيبة بذالك نفوسنا ، فوهبوه له ، فجعله فى أعلا المنار ، ولم تزل الصومعة على ما بناه أحمد بن أبى بكر بالحجر المنجور المحكم ، وبها أنقاب يعيش بها أصناف الطير من الحمام والزرانير الى أن ولي الفقيه الشيخ الخطيب الصالح محمد بن أبى الصبر (٤٢) خطة القضاء مع الخطابة والامامة بالجامع المذكور ، وذلك فى سنة ثمان وثمانين وستمئة ، فاستشار فى تبيضها واصلاحها أمير المؤمنين يوسف بن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم ، فأذن له فى ذلك ، وأمره ان يأخذ من أموال أعشار الروم ما يحتاج اليه ، فقال له ان فى مال الأحماس ما فيه كفاية ان شاء الله ، فشرع فى تبيضها ، فلبس الصومعة بالجص والجيز ، وسمر المسامير الكبيرة بين أحجارها ليثبت التليس والبناء ، فدخل فيها من المسامير ثلاثة عشر ربعا (٤٣) ونصف ربع ، فلما فرغ من تليسها دلكتها حتى صارت كالمرآة الصقيلة ، فانقطعت منها اذاية الطير فحسنت ، وبنا أيضا الغرفة التى

42) قاضى السلطان يعقوب بن عبد الحق المرينى ، توفى سنة 706.

٤٣) أى ربع قنطار ، وما زالت الكلمة مستعملة بهازا المعنا الى اليوم ، وكان الناس يهدون لبعضهم فى اللواتم (الكباش والربع) من الدقيق .

على بابيها لمبنت المؤذنين والمخاوصين (٤٤) وبقي الجامع المكرم على ما زاد فيه الأمير أحمد بن أبي بكر الى أيام هشام المؤيد ، فتغلب حاجبه المنصور بن أبي عامر ، فبنا بالجامع المبارك القبة التي على رأس العنزة فى وسط الصحن حيث كان المنار القديم ، ونصب على أعلاها طلاسـم وتمائيل كانت قبل ذلك على رأس القبة فوق المحراب مما صنعه الأوائل ، ومنه ما صنع فى أيام الشيعة ، فجعل الطلاسـم على أعمدة من حديد فوق القبة ، منها طلسم للفار ، فكان الفار لايدخلها ولا يعيش فيها ولا يفرخ وان دخلها افتضح وقتل ، ومنها طلسم للعقرب ، وهو صورة طائر فسى منقاره شبه ذنب عقرب ، فالعقرب لايدخل الجامع المكرم أصلا ولا يفرخ فيه ، وان أدخله بعض المصلين فى ثوبه ملصقا خمد فلا يتحرك ، قال الحاج الفقيه ابن هارون لقد شاهدت عقربا ظهر به فى يوم جمعة جاءت فى ثياب بعض المصلين أو فى بعض أمتعتهم فوقعت بين الصفوف خامدة لا تتحرك كمثـل الميت حتى كملت الصلاة والناس قد فسحوا من حولها خوفا من أذاها ، فلما فرغوا من الصلاة قتلوها فتحركت حين قتلت ، وهـاذا غايتها ، وعنها طلسم على رأس عمود من نحاس أصفر فيه تفافيح يذكر أنه للحية ، فهي أيضا لا تفرخ فيها ولا تدخلها ، وان دخلتها افتضحت و قتلت ، وقيل ان ما وجد فيها من الحيات فهو من عمار الجن ، وهـاذا لاينكر ولم يوجد قط على قديم الزمان وحديثه من لسعته فيه حية ولاعقرب .

وبنا أيضا الحاجب المظفر عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر الساقية المستطيلة بازاء باب الحفاة ، وجلب اليها الماء من وادي حسن الذي بخارج المدينة من ناحية باب الحديد ، وصنع بالجامع منبرا من خشب العناب والابنوس وكتب عليه «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . هذا ما أمر بعمله الخليفة المنصور سيف الاسلام عبد الله هشام المؤيد بالله أطلال الله بقاءه ، على يد حاجبه عبد الملك المظفر بن محمد المنصور ابن أبي عامر وفقهم الله تعالى ، وذلك فسى

شهر جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمئة» ، فكان ذلك المنبر يخطب عليه الى أيام لثونة ، ولم تزل الأمراء والملوك يهتمون بالزيادة فى الجامع المكرم واصلاح ماتهدم منه تيركا به وابتغاء ثواب الله تعالا حتى قام المرابطون بالمغرب وملكوا جميعه ، وجاءت دولة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين اللمتونى ، فكثرت العمارة بالمدينة وتناهست الغبطة ، فضاق الجامع بكثرة الناس فى أيام الجمعة حتى أنهم يصلون بالأسواق والشوارع والطرق ، فاجتمع الفقهاء والأشياخ وتكلموا فى ذلك مع قاضى المدينة ، وهو الفقيه محمد بن داوود ، وكان أحد القضاة الفضلاء من أهل العلم والعنل والورع ، فأعلم القاضي أمير المسلمين بما رفع اليه من أمر الجامع المكرم واستأنذه فى الزيادة ، فأذن له وقال له : يكون الانفاق فى ذلك من بيت المال ، فقال له القاضي : نسال الله أن يغبنيه عنه من ماله الذى تجمع من أحباسه بأيدى الوكلاء ، فأمره علي بن يوسف بتقوا الله تعالا والتحرى فى ذلك من الشبهات ، والاجتهاد فى أمر الجامع وبنائه والزيادة فيه ، والنظر فى أحباسه وجميع أحواله واستخراجها ، فدعا له وانصرف عنه الى مجلس قضائه ، فسأل عن الأحباس ، فوجدها فى أيدي أقوام قد أكلوها وحسبوها من أموالهم ، فأزالها عن أيديهم وقدم وكلاء غيرهم ممن يورثق بدينهم ، وحاسب المعزولين الذين كانت بأيديهم ، وطالبهم بغلة الرباع والأرضين المحبسة ، فخرج عليهم بالمحاسبة أموالا كثيرة ، فأغرهم اياها وأضاف اليها غلات تلك السنة ، فاجتمع من ذلك مايزيد على الثمانين ألف دينار ، ثم شرع فى الزيادة فى الجامع من قبلته وشرقه وغربه ، فابتدأ بشراء الأملاك والديار التي بقبلة الجامع وغربه وشرقه ، فاشترا منها ما أحب واحتاج اليه بأحسن شراء وأتم ثمن دون غبن على أحد فى ذلك ، وكان أكثرها فى ديار اليهود لعنهم الله ، ومن امتنع من البيع قوم عليه موضعه ودفع له الثمن بالزيادة اقتداء بعمل أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين زاد فى المسجد الحرام ، فلما كمل له من شراء الدور ماأراد ومايصلح به أخذ فى هدمها وبيع نقضها ، فاجتمع له فى نقضها مثل

قيمتها التي اشتريت بها ، وبقيت الأرض زيادة ببركة من الله تعالا ، فأضافها للجامع وأخذ فى البناء ، فبنا اولاً الباب الكبير الغربى وهو باب الفخارين القدماء ، ويعرف الآن بباب الشماعين ، وكان يجلس على بنائه بنفسه ، فحسنة فى طوله وارتفاعه وعرضه واتساعه ، وركب عليه أبواباً عظيمة ، وحسن قواعده حتى لا يمكن أن يصنع مثله ، وصنع على ظهر الباب من داخل المسجد قبة فيها مكتوب «صنع هذا الباب والقبة وكملاً بالبناء والتركيب فى شهر ذى الحجة سنة ثمان وعشرين وخمسمئة» ولما حفر أساس هذا الباب وجد تحت رتاج المصراع الذى عن يسار الداخل فى الباب المذكور حيث هي الدكانة الآن عينا من ماء معين، عليها تربيع مثل الصهرج ، طوله ثمانية أشبار وعرضه كذلك ، والبناء عليه مقبو ، لا يعلم أحد كم له من السنين ، فخير لهم أنه كرز مدفون فهدم الأقباء فلم يجدوا غير صهرج يتدفق بماء معين فيه سلحفاة قد ملأت الصهرج بأسره من أوله الى الآخره ، فأرادوا اخراجها منه فلم يستطيعوا ذلك ، فاستشار القاضى ابن داوود الفقهاء فى رأيه ، فاجتمع رأيهم أن تترك فى موضعها ويعاد عليها الأقباء كما كان ، فسبحان الله العظيم القائم برزقه لما يشاء ، لا اله الا هو ، واليه المصير، فبنا عليه موضعه وطلع عليه الأساس ، وطبع الباب ، وجعلت قواعده من نحاس أحمر ، قاله أبو القاسم بن جنون .

قال المؤلف للكتاب :

رأيت تقييدا بخط الحاج الفقيه الصالح أبى الحسن بن محمد بن برون الأزدى أن الأقباء المذكور انما وجد فى موضع رتاج المصراع الذى عن يمين الداخل من ناحية القرسطون ولم يزل الباب على ما بناه أبو عبد الله بن داوود الى أن احترق السوق فى ليلة أربع وعشرين من شهر جمادى الآخرة من سنة احدا وسبعين وخمسمئة (٩ يناير ١١٧٦ م) طلع الحريق بالناس من سوق باب السلسلة حتى وصل الى الباب ، فاحترقت القبة التى كانت تم من الخشب واحترق اكثر الباب ، فجددت

القبّة والباب على يد السيد عمر بن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المومن ابن علي وبأمره ، وذلك فى شهر جمادا الأخيرة سنة ستمئة ، وكان الناظر فى بنائها أبا الحسن بن محمد الأزرق العطار ، والانفاق فيها من بيت مال المسلمين وعلى يد القاضى أبى يعقوب بن عبد الحق ، وتوفى الفقيه أبو عبد الله بن داوود فولى القضاء بعده مكانه الفقيه المبارك عبد الحق بن عبد الله بن معيشة فحذا حذوه واقتفا أثره فى ذلك ، وجمع أهل البناء والنظر السيد ، وكان من نظره أن يجعل المحراب من القرويين على عين قرقف فلم يمكنه ذلك لأجل دار الفقيه أبى علي بن أبى الحسن التي تعرضت له فى طريقه ، فكان الذى أجمع عليه رأيهم من الزيادة ثلاثة بلاطات ومحرابا ، ومنبرا ، وزاد فيه من ناحية الغرب البلاط المرتفع على الأرض المذكورة من القبلة الى الجوف ، وزاد فيه من ناحية المشرق بلاطين من القبلة الى المستودع ، بنا ذلك بترابها الذى خرج منها لم يدخل فى بنائها من تراب الكهوف والمقاطع التي يبنى الناس منها شيء ، وكذلك الكذان الذى بنيت به انما قطع منها ، لأنه حفر فى وسط البلاط الثانى من القبلة حفيرا ، فظهر كهف بعيد الغور لا يظهر قعره ، فكان الفعلة يقطعون الكذان منه ويحفرون التراب ويخرجه الرجال على رؤوسهم للبنائين فيبنون به ، ولم يصرفوا فى جميع بنائه ماء حاشا ماء البئر التي فى المصحن ، كل ذلك تحريا من الشبهات أن لاتدخله ، وتوثق فى بنائه غاية وتحفظ ، وراا من رأيه السيد أن يجعل الأبواب كلها مغطاة بالنحاس الأصفر ، ويبدلها مما هي عليه ، ويعمل أمام كل باب قبة ويزيد فى سعته وكماله ، ويبدل الصومعة ، فشرع فى بناء المحراب والقبّة التي عليه منقوشين بالذهب وللأزورد وأصناف الأصبغة ، وتم ذلك على غاية الجمال والكمال ، وكان يبته الناظرين اليه من حسنه ، ويشغل المصلين ، فلما دخل الموحدون المدينة وذلك فى يوم الخميس الخامس عشر لربيع الآخر سنة أربعين وخمسمئة (٥ اكتوبر ١١٤٥ م) خاف فقهاء المدينة وأشياخها أن ينتقد عليهم الموحدون ذلك النقش والزخرف الذى فوق المحراب ، لأنهم قاموا بالتحشف والتقل ، فقيل لهم

ان أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي يدخل غدا المدينة مع أشياخ الموحدين برسم صلاة الجمعة بالقرويين ، فخافوا لذلك ، فأتا الحمامون الجامع تلك الليلة ، فنصبوا على ذلك النقش والتذهيب الذي فوق المحراب وحوله بالكاغد ، ثم لبسوا عليه بالجص وغسل عليه بالبياض وذلك ، فنقضت تلك المنقوش كلها وصارت بياضا ، وصنع المنبر الذي به الآن من الأبنوس والصنديل والعاج والنارنج والعناب وأصناف الخشب العظيم ، وكان الذي عمله ونجره الشيخ الأديب أبو يحيى العناد ، عمر طويلا حتى نيف على المئة ، وكان اماما فى اللغة والشعر ، روا عنه الفقيه أبو محمد بن زيدان ، أدركه وقد أخذت منه السن العالية ، ولما تم المنبر الشريف صنع له غشائين أحدهما من جلد معزى والثانى من عقيرة ، وبلغت فيه النفقة ثلاثة آلاف دينار وسبعة عشر درهما ، وشرع فى تغشية الأبواب بالصففر، فغشا منها ثلاثة ، وجاءته العزلة ، فعزل والمنبر والبناء وباب الجنائز وصحنه كل ذلك كأن لم يتم ، فولي بعده قضاء المدينة المذكورة الفقيه الحافظ العالم المشاور عبد الملك بن بيضا القيسى ، فتم ذلك كله على يديه على ما بدأه عبد الحق بن معيشة ، حاشا نقشه باقى الأبواب بالصففر وابدال الصرمعة ، فانه لم يصنع فى ذلك شيئا ، بل وقف فيه حيث انتهى ابن معيشة ، وكان الفراغ من هذه الزيادة المذكورة وحجرة الجامع وباب الجنائز والمنبر فى شهر شعبان المكرم سنة ثمان وثلاثين وخمسة .

وأول خطيب خطب عليه الشيخ الفقيه الصالح مهدي بن عيسا ، وكان من أفصح الناس وأكثرهم قريحة ، كان يخطب كل يوم جمعة بخطبة لاتشبه الأخرى ، فلما دخل الموحدون المدينة بدلت أحوال بأحوال ، ورجال برجال ، وبدل الخطباء والأئمة بجميع البلاد ، فكان لايوم ولا يخطب الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري .

وأما الصحن الذى بالجامع المكرم فعمل وفرش فى أيام الفقيه القاضى أبى عبد الله ابن داوود ، وكان الذى نزل فرشاه وبناءه صخر ابن مسعود البناي ، وكان من أعرف الناس بالبناء والنجارة ، وكان قد

فرشه قبله غيره ، فلم يرض عمله ولم يكمل ، فحفره العريف محمد بن أحمد ابن محمد الخولاني ، واشترط على نفسه أن لا يبقى فيه تحصينا ولا زقنة ، وأنه ان صب أعلاء قلة ماء انحدرت في أسفله مجموعة لا ينقص منها شيء لشدة اعتداله ، وكان رحمه الله باع أربعة من الديار أصولا موروثة عن آبائه ، فصنع بأثمانها أجر شبه البجماط (٤٥) نصف أجرة في الطول ، وصنع الجير ، فبناه العريف المذكور بماله ويده هو وصخر بن مسعود المذكور حتى كمل عمله واتقانه ، ولم يأخذ عليه شيئا الا ابتغاء ثواب الله تعالى نفعهما الله بنياتهما ، وكان جملة ما دخله من اللاجور (٤٦) لفرشه أربعة وأربعين ألف أجرة ، لأن طول الصحن أحد عشر قوسا ، في القوس الواحد من القبلة الى الجوف عشرون صفا ، في كل صف مئتا أجرة ، فيتجمع في كل قوس أربعة آلاف أجرة ، ويتجمع في أحد عشر قوسا أربع وأربعون ألف أجرة ، وحوله طرد دائر فيه ثمانية آلاف أجرة فيجتمع في الجميع كله اثنان وخمسون ألف أجرة . دون شك ولاريب ، وكان فرش الصحن وبناء الباب الكبير المقابل القرسطون على يد القاضي ابن داود المذكور سنة ست وعشرين وخمسئة ، ولما تم الصحن بالفرش والبناء أمر القاضي فصنع له بكاكير وشرائط غليظة وقلاع من شقق الكتان مبطنة بالمقيرة على قدر الصحن وما يظله ، فكان اذا أتا زمن الصيف واشتد الحر شدت البكاكير وجبذت (٤٧) الشرائط فيرتفع القلاع في الهواء على الصحن كله ، فسيظل الناس تحتها من حر الشمس فيكون فيه الظل ، وجعل في القلاع أبوابا للرياح تدخل منها ليلا يهلك الناس بالغم والحر ، فلم تزل القلاع تنصب في زمن الصيف فيستظل بها الناس في زمن الحر كله حتى تمزقت بطول السنين وممر

(45) واحدته بجماطة ، قطع رقيقة محمرة من خبز معجون بسكر ونافع وزنجلان ، يتزود بها المسافرون الأثرياء في الأسفار ونحوها ، وتقدم في الولايم الى المدعوات في حجم صغير وتسمي حينئذ القفاص .

(46) استعمل المؤلف كلمة اللاجور واللاجورة بمعنا الأجر والأجرة كما تنطق بهما العامة ، وقد أبقينا هاهو الكلمة هنا على حالها في المتن كمثل ورددناها الى أصلها في غيره .

(47) يستعمل المغاربة جيدا بمعنا جنب ، ومعناها واحد ، وكلاهما فصيح .

الأيام والليالي ، فلم يقدر أحد أن يعمل مثلها .

وأما الخصة والبيلة التى بالصحن فعملت فى سنة تسع وتسعين وخمسة على يد موسى بن حسن بن أبى شامة ، وهو صانعها ، وكان من أهل الهندسة والمعرفة بالبناء ، وكان الذى أنفق فيها ماله الفقيه المبارك أبو الحسن السجلماسى نفعه الله تعالا بقصده ، وكان من أهل الدين واليسار والإيثار ، كان يتصدق كل يوم بعشرة دنانير من طيب ماله وربحه ، ولما شرع فى عملها أخرج من المعدة (٤٨) الكبيرة قادوسا من رصاص ، فشق به فى الصحن حتى وصل الى البيلة الكبيرة والخصة المذكورتين ، وهى بيلة من رخام أبيض ، لم ير مثلها لحسنها وصفائها وشدة بياضها وطولها ، وفيها عشرون ثقبا من جهة اليمين وعشرون ثقبا من جهة الشمال ، وينصب الماء الى البيلة من أنابيب خمسة ، فاذا امتلأت انحدر الماء فى الأربعين ثقبا التى فى اليمين والشمال فيصير الى الخصة ، وهى خصّة من نحاس أحمر مموه بالذهب قامت على ساق من نحاس أحمر مموه منقوش ، طوله خمسة أشبار من الأرض ، وقسم المساق بنصفين ، يصعد الماء من النصف الواحد فيفور فى وسط الخصة من تفاحة فيها عشرة أنابيب فيملاً الخصة ، ثم يفور فى اثقاب بجوانب الخصة لأنها بطاقتين ، ثم ينحدر فى النصف الثانى من العمود المذكور ، فلاتزال البيلة والخصة مملوءتين بالماء تجريان ولايسيل على الأرض منها قطرة واحدة والناس يشربون منها وينتفعون بمائها ، وصنع حول الخصة أكواب مموهة بالذهب بسلاسل من نحاس دائرة بها يشرب الناس منها ، وفوق البيلة شبك من رخام أبيض أاية فى الزمان ، وتحتة كتاب منقوش فى حجر أحمر نصه : (بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما ، وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وان منها لما

١٥٨ مجمع للماء مربع أو مستدير يتفرق منه الماء على الدور وغيرها بمقادير معلومة من مشارب بنيت بدقة ، وقد يكون أصل الكلمة المعدا أى المكان الذى يعدو منه الماء ويجرى الى الجهات التى يراد جريه اليها ، وقد يكون المكان المذكور شبه بالمعدة .

يهبط من خشية الله ، وما الله بغافل عما تعملون ، كملت فى جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وخمسمئة) ويصير فضل ماء الخصة والبيطة المذكورتين الى مياضى عين قرقف ، فينتفع به هنالك فى البيوت والسقاية ، ثم يصير الى دار الصباغ ، وهنالك يغور وتتم منفعتة .

وأما العنزة التى يصلا اليها فى زمن المصيف فكانت القديمة من خشب الأرز ، الواحا سانجة فى أعلاها كتابة ، وهي (صنعت هاذه العنزة فى شهر شعبان المكرم سنة أربع وعشرين وخمسمئة) ، وأما العنزة التى بها الآن فصنعها الفقيه الخطيب قاضى الجماعة وخطيبها محمد بن أيوب (أبى الصبر) أيام ولايته القضاء بمدينة فاس ، وأنفق فيها من مال الأحباس ، وابتدأ فيها العمل فى أول شهر ذى القعدة عام سبعة وثمانين وستمئة (السبت ٢٧ نونبر ١٢٨٨ م) وفرغ من عملها وركبها فى موضعها يوم السبت الخامس من شهر ربيع الأول عام تسعة وثمانين وستمئة موافق الثامن عشر من شهر مارس العجمى (١٢٩٠ م) .

وعدد سوارى المسجد المكرم مئتا سارية واثنتان وسبعون سارية ، منها قديمة ومنها جديدة ، وعدد المسقفة منها ستة عشر بلاطا من القبلة الى الجوف ، ومن غرب الى شرق تربيعة لا اعوجاج فيه من كل الجهات ، يحمل كل بلاط أربعة صفوف ، فى المصف الواحد من الناس مئتان اثنتان وعشرة رجال ، لأن فى كل بلاط احدا وعشرين قوسا ، يجلس فى كل قوس عشرة من الرجال فيكمل من العدد فى كل بلاط ثمانمئة وأربعون رجلا لأشك فيها ولاريب ، وعدد البلاطات ستة عشر بلاطا ، فيتجمل فى جميعها من عدد الرجال ثلاثة عشر ألف رجل وأربعمئة رجل وأربعون رجلا بلاشك ولاريب ، وكسر ما بين السوارى منه ، فوجد يحمل خمسمئة وستين رجلا ، فيتجمل من العدد أربعة عشر ألفا ، وكسر الصحن فوجد يحمل ألفين وسبعمئة رجل ، وحجر الجامع يصلى فيها صفوف من الناس غير معدلة فصحح العدد فيها بألف وخمسمئة رجل ، وحول الجامع رحاب وأسواق يصلى فيها الناس يوم الجمعة كسرت بأربعة الألف رجل وخمسمئة رجل ، فتجمل فيها من عدد المصلين يوم الجمعة اثنان وعشرون

ألفا وسبعمئة تنقص قليلا وتزيد قليلا ، والامام واحد ، وذلك فى سنى
الرخاء والعمارة .

وعدد القرمود الذى فى سقف الجامع المكرم أربعمئة ألف قرمود
وسبعة وستون ألف قرمودة وثلاثمئة قرمودة .

وعدد أبوابه خمسة عشر بابا كبيرا لدخول الرجال ، وبابان
صغيران للنساء لايدخل عليهما رجل ، والأبواب القديمة منها أبواب
الشرقى وأبواب الغربى ، وأبواب القبلة والجوف محدثة ، وأخر ما
أحدث بها الباب الكبير المدرج الذى بالقبلة ، أحدثه وبناه الفقيه علي بن
محمد بن عبد الكريم الحدودى أيام ولايته على فاس ، وصنع به باب
حفاء مضاهيا ومقابلا لباب الحفاء الذى بجامع الأندلس ، وجلب اليه
الماء من عيون ابن اللصايدى المعروفة الآن بعيون الكوازين فأتا بالنساء
حتى وصل به الى رحبة الزيبب ، فصنع هنالك سقاية وأجرا بها من
ذلك الماء ، ثم سار حتى وصل به الى الباب المذكور ، وكان فتح هانئا
الباب وبنائه وجلب مائه فى سنة تسع وثمانين وستمئة ، وكان فتح هانئا
الباب المذكور من غير استئذان ولا مؤامرة لأسير المومنين يوسف بن أمير
المومنين يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم ، فلما عرف أمير
المومنين بفتحه للباب قبله انجامع المذكور أنكر ذلك عليه وقبح فعله ،
ونكبه بسببه ، إذ أحدث بالجامع المذكور ما لم تدع اليه ضرورة ، ولم
يستأذنه فيه ، فأمر بالباب فسد .

وأما الثريا الكبرى فصنعت فى أيام الفقيه الصالح الخطيب الورع
عبد الله بن موسا المعلم ، وهو الذى اجتهد فى عملها ، وكان قبلها فى
موضعها ثريا مثلها ذى الجرد ، ولكنها تخلفت بطول الدهر فتكسرت ،
فهبطت ونقضت وسبكت وزيد عليها نحاس مثلها . واستأجر الصناع
على عملها ، فقامت بسبعمئة دينار وسبعة عشر دينارا ودرهمين ونصف
درهم ، وعدد قناديلها خمسمئة قنديل وتسعة قناديل وزنتها سبعة عشر
قنطارا ونصف قنطار وثلاثة عشر رضلا من النحاس والذى تحلمه

قناديلها من الزيت قنطار واحد وسبع قنل ، وعدد قناديل الجامع كلها اذا أوقدت ألف قنديل وواحد وسبعمئة قنديل ، يسرج فيها من الزيت فى ليلة سبع وعشرين من رمضان ثلاثة قناطر ونصف قنطار ، ولم تزل هاذه الثريا الكبرا تسرج فى ليلة سبع وعشرين من رمضان خاصة الى أن ولي قضاء المدينة الفقيه يوسف بن عمران ، فأمر بإسراجها فى أول ليلة من رمضان الى الآخر الشهر ، فلم يزل الأمر على ذلك الى أن توفي القاضي المذكور يوم عرفة سنة سبع عشرة وستمئة ، وفي أيامه فتح الباب بالوراقين وعملت عليه القبة العظيمة المقریصة بالجبس ، وذلك سنة سبع عشرة وستمئة المذكورة، فأقامت الثريا الكبيرة تسرج بعده سنة واحدة واختلفت الأحوال ، وجاءت أيام المجاعة والفتن ، فقلت الجبايات بالمدينة ، ومات أكثر الناس جوعا ، وقل الانفاق على الجامع وعدم الزيت ، وكانت تشعل فى ليلة سبع وعشرين خاصة الى أن ولي القاضي الحيونى فأمر أن لايشعل منها كأس واحد فى ليلة سبع وعشرين ولا غيرها ، وقال انا لانعبد النار ، وانما نعبد الله فلم يزل الأمر على ذلك الى أن ولي الفقيه الخطيب محمد بن أيوب (أبى الصبر) قضاء المدينة فى سنة سبع وثمانين وستمئة ، فاستشار فى أسراجها أمير المسلمين يوسف بن أمير المومنين يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم، فنفذ أمره بإيقادها فى ليلة سبع وعشرين من رمضان خاصة ، فدام العمل على ذلك الى الآن .

وأما الدقف الحمر التى على باب القبلة حيث يخرج الى باب الجنائز فكانت لأبى القاسم بن الملجوم المعروف بابن رقية ، صنعها للعلية التى كانت بداره من حارة لواتة ، وقامت عليه العلية والأبواب بمال جليل لما حسن من بنائها ، فرفع عنه الى أمير المسلمين يعقوب بن يوسف ابن عبد المومن أنه يكشف من تلك العلية على الديار وعلى مسلخ حمام بنت البان المجاور لها ، فينظر منه الى النسوة اذا تجردن فى مسلخ الحمام المذكور ، وشهد عليه بذلك عند الخليفة ، فنفذ أمره الى قاضى المدينة أبى محمد التادلسى بهدم العلية وتغية أثرها فهدمت فى يوم

الأربعاء ثالث يوم من رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمئة ، فبقيت الدفء عند ورتته ، فلم يروا لها أحسن من تصريفها فى جامع القرويين المكرم ، فوهبوا له طيبة نفوسهم بذلك ، وفى الدفء صنعة مكتوبة فيها اسمه واسم الصانع الذي عملها ، وفى آخرها : (وكان عملها فى شهر رجب سنة ثمان وسبعين وخمسمئة) فركبت هاذة الدفء بالقرويين فى سنة عشرة وستمئة .

وأما المستودع فصنع فى أيام الفقيه الصالح أبى محمد يسكر ، فحفر أرضه وركز بالتراب والجير وجعل طبقة من حجارة الرخام وطبقة من الرمل والجير ، وكان المتولى لبنائه الفقيه أبو القاسم بن حميد حتى تم ، وجعل له مفاتيح ثلاثة فى أول باب ، وثلاثة فى الباب الثانى وجعل فيه صناديق كثيرة عليها أبلاج (٤٩) وثيقة ، ولكنه احتيل عليه ودخل وأخذ جميع ما فيه من أموال الأحياس وربعات الجامع وكتب وأمانات الناس ، وذلك فى أيام القاضى الفقيه أبى عمران ولم يعلم من فعل ذلك .

وأما الحائط الشرقى منها مع ما قرب منه فإنه عمل من قديم وأشرف على السقوط والانكفاء وذلك فى أيام المجاعة والفتن وخراب المدينة ، ولم يكن لأحد فى ذلك الوقت قدرة على بنائه ، فرمم وترك على حاله ، فبقي كذلك الى سنة اثنتين وثمانين وستمئة ، فاستشار والى المدينة أبو عبد الله الحدودى أمير المسلمين القائم بالحق ، يعقوب بن عبد الحق ، فى نقضه واصلاحه ، فنفذ أمره الكريم رضى الله عنه بينائه واصلاح ما يحتاج اليه الجامع المكرم ، وان يكون الانفاق فى ذلك من مال الجزية والأعشار اذا نفذ مال الأحياس ، فبنى الحائط الشرقى وماوالاه من السقف ، وأنفق فى ذلك مالا كثيرا .

وأما الحائط الجوفى فإنه تخلق أيضا بمر السنين عليه وأشرف على السقوط ، فاستأذن الفقيه القاضى أبو غالب المغبلى أمير المسلمين

(49) أبلاج : أفعال ، وصانعها البلاج ، وفى فاس سوق يعرف بسوق البلاجين الى الآن ، ومازلت كلمة بلج معنا أقفل مستعملة حتى اليوم بناحية جبالة .

يوسف فى بنائه فنفذ أمره رضى الله عنه ببناؤه واصلاحه ، وأعطاه خلخالين من الذهب زنتهما خمسمئة دينار ، وقال له اصرفه فى بناء الحائط المذكور فانهما حلال محض ، كان صنعتهما والذى أمير المسلمين لوالدتى مما أفاء الله تعالا عليه من أخماس غنائم الروم من بلاد الأندلس ، فورتتهما عنها ، فلم ار لتصريفهما موضعا أوجب من هذا ، فعسا الله تعالا ان ينفع به الجميع ، فنقض الحائط من باب الحفاء الى الآخر بيت النساء ، وبني من المال المذكور ، وذلك فى سنة تسع وتسعين وستمئة .

وأما السقاية الكبرى فصنعت فى أيام الفقيه الامام الفاضل الزاهد الورع المبارك أبى محمد يسكر نفعنا الله به ، وكان المنفق فيها الشيخ الموفق المبارك موسى بن عبد الله بن سداب اتا من جبل بنى يازغة بمال كثير ، فاستوطن مدينة فاس ، وكان يالف الشيخ الفقيه يسكر المذكور ، فذكر له يوما أنه جاء بمال طيب ويريد ان يصرفه فيما يحتاج اليه الجامع ، وان المال حلال ورثه عن أبيه عن جده لم يتغير ببيع ولا شراء ، وأصله من الحرث والماشية ، فامتنع الفقيه يسكر أن يقبل منه شيئا او يصرف منه درهما فى الجامع المذكور فألح عليه أن يعمل سقاية ودار وضوء بازاء الجامع تكون عوننا للمصلين ، فلم يتركه ولم يقبل منه حتى أخذ بيده وحمله الى محراب الجامع المكرم ، وأعطاه ختمة من الكتاب العزيز فاستحلفه فيها فى وسط المحراب أن ذلك المال حلال طيب مسن تركة والديه وجده لم يتغير ببيع ولا شراء ، فلما حلف قال له اشرع الآن فيما أردت من عمل الميضاة والسقاية ، والله تعالا ينفعك بقصدك ، فاشترا فندقا كان هنالك فى موضع دار الوضوء مقابلا لباب الحفاء ، وشرع فى نقضه وبناء الميضاة والسقاية فى مكانه ، وذلك فى غرة صفر من سنة ست وسبعين وخمسمئة ، فكتب الشيخ الفقيه يسكر السى أمير المسلمين يعلمه بالأمر ويستأذنه فى جلب الماء ، فاذن له بظهير ، وان يشق حيث شاء من شوارع المدينة وطرقها ، فجمع العرقاء والبنائسين وأهل الهندسة وأمرهم أن ينظروا فى المواضع التى يمكن ان يأتي الماء

منها ، فلم يجدوا أوفق من عيون دار الدباغين ، فلم يستحسنها الفقيه
يسكر لسبب أوساخ الدباغين المجاورين لها ، وكون الموضع كثير الأقبال
والشعر ، فتركوه ووجدوا بالقرب من دار الدباغ المذكورة دار صباغ
وبها عين عظيمة تعرف بعين خومال ، فاشتراها موسا بن سداب المذكور،
فأكثر فى قيمتها اضعاقا بسبب العين التي بها ، وهاذه العين تخرج من
بيت مقبو تحت الأرض شبه بيت الحمام ، والماء يفور فيه من موضعين ،
من كل موضع فؤارة ، ويخرج من حجر صلد ، وهي فى غاية العذوبة
والطيب ، الا أن فيه ثقلا ، فحصر الماء الى قادوس يخرج منه الى
صهريج ملبس بالرصاص مربع ، فى كل وجه عشرة أشبار ، والصهريج
الى جانب البيت ، ثم أخرج الماء من الصهريج فى قواديص الرصاص
التنورية ، فشق فى وسط عقبة سوق الدخان الى القرسطون فى قبلة
جامع الشرفاء ، ثم فى سماط سوق القيسارية ، ثم فى سوق الخرازين ،
ثم فى تربيعة القزازين الى أن وصل الى المعدة التي بالموثقين ، وهي
معدة من رصاص فى الآخر حانوت من سماط الموثقين الملصق بالجامع ،
وينصب الماء من المعدة المذكورة الى صهريج مربع من رصاص ، ومنه
يفترق الماء الى جميع السقايات والخصمة والبيلة وبسبب الحفاء ودار
الوضوء وبيوتها وسقاية الشباك ، فيصير الى كل موضع القدر الذى
يصلح له لايزيد ولا ينقص ، وفرشت بيوت دار الوضوء بالرخام ، وهي
خمسة عشر بيتا ، يدخل الماء كل بيت منها على حدة ، وجعل فى وسط
الميضأة بيلة متسعة تشبه الصهريج ، وفى وسط البيلة جعبة من نحاس
مموه بالذهب ، فيها أنابيب ينصب منها الماء الى الصهريج فى غاية
الحسن ، وجعل سمك هاذة الميضأة قبة عظيمة كبيرة مقربصة بالجص
منقوشة باللزورد وأصناف الأصبغة ، ويقابل هاذة الميضأة باب الحفاء
من الجامع المكرم ، وهو باب كبير يدخل منه الى الصحن ، واتسعاع
هاذا الباب اكثر من ارتفاعه ، فيه بيلة من رصاص بطوله تندفق فيها
المياذ المعينة وينصب منها على رخام أزرق وأخضر وأحمر يغسل عليه
الحفأة أرجلهم ، وسائر الباب مفروش كله بالرخام حتى الى الصحن ،

فرشه الخطيب محمد بن أيوب (أبى الصبر) أيام ولايته القضاء بالمدينة المذكورة ، وكان قبل ذلك مفروشا بالآجر من جنس الصحن ، وبجانب باب الحفاء السقاية القديمة المستطيلة التى بناها عبد الملك المظفر ، يتوضأ منها الناس للصلاة ويسقى منها الساقون بالزقاق ويخرج فيضها الى ميزاب بخارج السقاية فيسقى منه الخدم والصبيان .

الخبر عن خطباء القرويين

فى الدولة الموحدية والدولة المرينية العبد الحقية
اطالها الله وخلصها

قال المؤلف عفا الله عنه :

كان أول خطيب خطب على منبر القرويين الذى صنعه القاضى عبد الحق بن معيشة الفقيه الخطيب الصالح الورع مهدي بن عيسا ، وكان من أحسن الناس خلقا وخلقا ، وأفصحهم لسانا وأكثرهم بياناً ، وكادت موعظته تؤثر فى القلوب لصدقه وإخلاصه ، وكان يخطب كل جمعة خطبة لاتشبه الأخرى ، فأقام يخطب عليه مدة من خمسة أشهر ، ويدخل الموحدون المدينة فعزلوا مهدي وقدموا مكانه الفقيه الصالح المبارك أبا الحسن بن عطية لأجل حفظه لللسان البربري ، لأنهم كانوا لايقدمون للخطابة والامامة الا من يحفظ التوحيد باللسان البربري ، فتقدم فى أول جمعة من شهر جمادا الأولا من سنة أربعين وخمسمئة ، فكان يخطب بها الى أن توفي رحمه الله فى يوم السبت الثامن لذي القعدة سنة ثمان وخمسين وخمسمئة .

ثم ولي بعده الفقيه الصالح الورع يسكر بن موسا الجورائي ، وهو أحد أشياخ المغرب فى الدين والورع والفضل والزهد والمجاهدة والتقشف والايثار والصدقات ، فانه كان موسرا له غنم وماشية كثيرة ببلده ورثها

عن أبائه ، وكان يوم ولايخطب ، لأنه كان أعجمي اللسان شديد العجمة ، فقدم من ينوب عنه فى الخطبة ، وهو الفقيه الزاهد محمد بن حسن بن زيادة الله المزنى ، فلم يزل يخطب الى أن توفي رحمه الله يوم الاربعاء الثالث والعشرين من جمادا الأولا سنة اثنتين وسبعين وخمسمئة .

فخطب بعده الفقيه عبد الرحمان بن حميد باستخلاف الفقيه يشكر له فى ذلك ، فأقام الفقيه يشكر اماما بالقرويين أربعين سنة لم يسه فيها يوما واحدا فى صلاته لشدة حضوره ، وتوفي الفقيه عبد الرحمان بن حميد يوم الاثنين الرابع عشر لشهر رمضان المعظم من سنة احدنا وثمانين وخمسمئة .

فاستخلف مكانه للخطبة الفقيه الصالح الورع موسى المعلم ، كان يقريء الصبيان فى قنطرة أبى رؤوس ، وكان له صوت شجي حسن يبكى كل من يسمعه يقرأ القرآن ، فلما وصله الأمر بالخطبة داخلته دهشة وأطلق صبيانه ثم أخذ يبكي ويدعو ويقول : اللهم لاتفضحنى بين عبادك يا أرحم الراحمين ، فلما كان بكرة يوم الخميس خرج الى الرابطة التى بخارج باب أصلين ، وجعل يتمشى بين مقابر الصالحين ويدعو ويبكى حتى جاء الليل فدخل الرابطة وبات بها مع جماعة من الناس ، فأقام الليل كله يصلى ويتلو القرآن ويدعو ويبكى والناس يبكون لبكائه وخشوعه حتى أصبح ، فصلا بهم صلاة الصبح ، ثم أخذ فى البكاء والدعاء حتى قام المؤذنون بالانذار الأول من يوم الجمعة ، فلبس أحسن ثيابه وسار الى الجامع المكرم والمؤذنون حوله ، فقعده فى حجرة الجامع حتى قرب الأذان ، فصعد المنبر والناس ينظرون اليه وهو يبكى ويرعد حتى فرغ المؤذنون من الأذان ، فقام وخطب ولم يتوقف ولم يتلجلج ، ثم دخل المحراب ، فاتا بالحكمة وفصل الخطاب ، وبكا وأبكا من سمعه ومن كان خلفه ، فلما تمت الصلاة أقبل الناس اليه يقبلون يديه ويتبركون به ، ولم يزل خطيبا الى أن وصل الفقيه القاضى محمد بن ميمون الهوارى فكان أول سؤاله لأهل المدينة عن خطيب القرويين ، فذكروا له فيه خيرا وأثنوا عليه كثيرا ، فلما جاءت الجمعة رآه فلم تعجبه صورته

واستبشعه وقال فيه قولاً ، فقال له بعض من حضر لو سمعت خطبته لأعجبك ، فلما سمع خطبته بكأ وطلب منه المغفرة والدعاء ، وكان الفقيه المعلم سريع الدمعة ، كثير الخشوع ، الغالب على أحواله الخوف ، فمات يشكر فى اليوم الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة ثمان وتسعين وخمسة ، فاستبد الفقيه موسى المعلم بالخطبة والامامة ، فلم يزل عليهما الى أن مات فى الموفى عشرين لشهر صفر عام تسعة وتسعين وخمسة . وكان بين وفايتهما ثلاثة أشهر نفعا الله بهما .

فولى بعده ولده الفقيه عبد الله بن موسى المعلم وسنه يوم ولى المحراب ثمان عشرة سنة وكان له حظ وافر من الحسن والجمال والعلم والدين المتين والفضل والورع العظيم والصوت الحسن ، ولم تكن له صبوة فى شبابه ، ولم يزل من صغره مشتغلاً بالعلم وطلبه منقطعاً للعبادة ولم يدخل محراب القرويين من يوم بنيت الى يومنا هذا امام شاب دون لحية سواد ، وذلك لاجتماع خلال الخير والفضل فيه واجماع الناس على فضله ودينه وورعه ، وكان له من حسن الخلق مايطابق صورته الحسنة ، ولما مرض والده موسى قيل له استخلف ولدك للمحراب فانه أهل له ، فقال لهم ان علم الله فيه خيراً فهو يستخلفه الى خدمة بيته ، فلما توفي موسى وحمل الى قبره ووضع على شفيره ضج الناس بالبكاء وذكروا من يصلى عليه بالناس ، فقال القاضى لولده تقدم فصل على أبيك ، فقام وكبر وصلا على أبيه وانصرف الناس ، فقدم فى موضع والده للامامة فكان يصلى بالناس ، فلما جاءت الجمعة لبس ثياب أبيه التى كان يخطب بها ، وأعطاه أبو مروان ابن حيون برنسا أبيض ، فطلع به المنبر فأتا بالحكمة فى خطبته وقراءته ، فاستحسنه الناس وكان شاباً صيتاً كثير الخشوع والبكاء ، ولما أتا محمد الناصر أمير المؤمنين الى مدينة فاس بعث اليه ليصله ويراد ، فطلع اليه فى ضحا يوم الاثنين فدخل عنده الى قصره الذى على وادى فاس فاجتمع به وسلم عليه ، وبقي يحادثه ويستحسن كلامه وألفاظه الى أن حان وقت صلاة الظهر ، فقال له قم فصل بنا ، ففعل ، فقال له من تركت فى موضعك ؟ فقال تركت

فيه من هو خير منى ، وهو معلمى الذي قرأت عليه كتاب الله العزيز ، فانه لما جاءنى رسولك تحيرت فى أمر المحراب والصلاة بالناس وقلت : لأعلم متى يكون رجوعى ، فمررت بمعلمي الذي هو سيدي ومولاي ، لقول رسول الله صلا الله عليه وسلم : مولاك من علمك أية من كتاب الله تعالا ، فأعلمته القضية واستخلفته فى مكانى ، فقال له الناصر : جزاك الله خيرا ، ثم أمره بالانصراف ، وأتبعه مملوكا بسبعة أثواب وخريطة فيها الف دينار ، فرجع الى أمير المؤمنين فشكره ودعا له بخير ، وقال له يا أمير المؤمنين : أما الثياب فقبلتها ، وأما الدراهم فلا حاجة لى بها ، فانى رجل نساخ أتعيش من نسخ يدي ، فقال له : تستعين بها وتصرفها فيما يصلح لك ، فقال له : يا أمير المؤمنين لا تفتح علي هذا الباب واعفنى من أخذها ، فأنت أحق بها ، تفرقها فى الأجناد والغزاة وتصرفها فى مصالح المسلمين وسد ثغورهم ، فانصرف ولم يأخذ منها شيئا ، ولم يزل اماما وخطيبا الى أن توفي رحمه الله يوم الأحد الحادى عشر من رجب الفرد عام أحد عشر وستمئة .

وكان قد استخلف فى مرضه الفقيه ابو محمد القضاعى (٥٠) معلمه للكتاب العزيز ، فلما توفي قام ابو محمد القضاعى يؤم ويخطب عوضا منه ، فانتقد عليه ، وطعن فيه بعض الفقهاء والأشياخ ، وقالوا يبعث الصبيان الى النفائس (٥١) ، فكتب الفقيه أبو محمد بن نمير الى أمير المؤمنين يخبره ، فقال لهم : ان الذى قدمه للصلاة أقر بى يدي أنه خير منه ، فاتركوه على حاله ، فحينئذ ترك الفقيه أبو محمد القضاعى المكتب واعتكف بالجامع ، وسكن الدار المحبسة على الأئمة الى أن توفي

50) سمي فى بعض النسخ الخطبة بعبد الله وكنى بأبى محمد ، وفى بعضيا الآخر سمي بالقاسم ولقب بأبى محمد ، فأثرنا الاكتفاء فى تسميته بالكنية المتفق عليها .

51) جمع نفيسة ، أى النساء بلغة العوام ، وكان من عادة معلمى الكتاتيب القرآنية (المساييد) اذا عسر الوضع على حامل أو لم يسقط خلاصها بعد ولادتها أن يرسلوا أطفالهم يتجولون فى الزنقات والطرق ممسكين بأطراف رداء وهم يشدون : (النفيسة طال بيا النفاس ، يارب واعطها الخلاص ، حرمة طه ويس ، والقرآن الحكيم) ، وأصحاب الحوائث والمارة يرمون فى وسط الرداء بفلوس وبعض الفواكه اليابسة كالتمر والتين والزبيب ، ولا يزال أطفال المسيد يتجولون حتى يأتى الخبر بولادة النفساء وخلصها أو موتها !

رحمه الله يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة
خمس عشرة وستمئة .

فخطب بعده الفقيه الصالح الورع محمد بن عبد الرحمان الشلبى
وكان من أهل الدين والعلم والفضل وكان له صوت حسن ومعرفة
بالأوقات والنجوم ، وفى مدة امامته جاء الفقيه المؤذن يوسف بن محمد
بن علي القسطنى من قصر كتامة وكان له صوت حسن فى الأذان والإقامة
ومعرفة بالأوقات ، فأمر الفقيه القاضي يوسف بن عمران الخطيب محمد
الشلبي أن يتركه يخطب يوما واحدا ليشتهر بذلك ويرتسم فى زمام
الخطباء ، فتمارض الشلبى وخطب فى موضعه ، وكان يخطب بجامع
القصبة اذا مرض خطيبها ، وتوفي الفقيه محمد الشلبى فى سنة تسع
وعشرين وستمئة .

فخطب بعده الشيخ الفقيه الصالح الورع أبو محمد عبد الغفار
نحو سبعة أشهر وتأخر .

فخطب بعده الشيخ الفقيه الورع المبارك المجاب المدعوة ، الحاج
الخطيب ؟ الى أن توفي فى سنة خمس وثلاثين وستمئة ، فخطب بعده
الشيخ الفقيه الصالح المبارك علي بن الحاج الى أن توفي فى سنة ثلاث
وخمسين وستمئة .

فولى بعده الشيخ الامام العالم المجتهد المشاور الصالح الورع
محمد ابن الشيخ الحاج الصالح المبارك المبرور يوسف المزدغى نفعنا
الله به ، فقدم ولده الفقيه الصالح الزاهد المبارك محمد (أبا القاسم)
للخطابة ، وبقي هو للامامة ، ولما دعى للامامة استرجع ثلاث مرات ،
فقيل له فى ذلك ، فقال : أخبرنى الشيخ الحافظ الصالح الحافظ المحدث
أبو ذر الخشنى وأنا أروى عليه كتاب الأحكام يوم توفي الامام أبو محمد
موسا المعلم وولى القضاء نظر الي مليا ثم قال لى : يا محمد ، انك
تلى أمر الصلاة بالناس فى جامع القرويين ، وذلك فى آخر عمرك ،
قلما دعيت للامامة تذكرت مقالة الشيخ وعلمت أن أجلى قد قرب ،

فاسترجعت ، فأقام الفقيه محمد المزدغى اماما وولده محمد (أبو القاسم) خطيبا الى أن توفي الامام محمد المذكور .

فولي الامامة بعده الشيخ الفقيه الصالح الزاهد الورع علي بن حمد ثم توفي الخطيب محمد (أبو القاسم) المزدغى المذكور ، فتولا مكانه الفقيه محمد بن زيادة الله المدني الى ان توفي ، وتوفي الامام علي بن حمد المذكور ، فقدم فقهاء المدينة وأشياخها الشيخ الفقيه الصالح المبارك ، قاريء الكتاب بالجامع المذكور أحمد بن أبي زرع اماما ، والشيخ الفقيه الصالح الورع الفاضل أبا القاسم بن مسونة خطيبا مدة من سبعين يوما، فوصل ظهير كريم من قبل أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق بتقديم الشيخ الفقيه الصالح المبرور محمد بن أيوب (أبي الصبر) اماما وخطيبا فلم يزل كذلك الى أن توفي رحمه الله فى سنة أربع وتسعين وستمئة .

فقدم أمير المسلمين يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم بعده للامامة الشيخ الفقيه المحدث الورع أحمد ابن الفقيه العالم المرحوم أبى عبد الله ابن راشد ، امام عصره فى علم الأصول والاعتقادات ، وقدم أيضا للخطبة الفقيه المحدث الصالح ، الفاضل المبارك يحيا (أبو الحسن) ابن الشيخ الفقيه الخطيب المرحوم محمد (أبو القاسم) المزدغى ، فبقي أبو العباس ابن راشد اماما بالجامع المذكور نحو ثلاثة أعوام ، ثم أخرج ، واستبد الفقيه يحيا (أبو الحسن) المزدغى بالامامة والخطبة الى أن كبر سنه وضعف عن الخطابة ، فقدم للخطابة ولده الفقيه الفاضل الصالح المبارك محمد (أبو الفضل) ، أبقا الله بركتهم بمنه وفضله ، انه كريم مجيب .

جامع الأندلس

وأما جامع الأندلس فلم يزل على مابنى عليه أولا ، لم يزد فيه أحد زيادة الى سنة ستمئة ، فأمر أمير المومنين محمد الناصر بينائه واصلاحه

وتجديد ماتهدم منه ، وأمر بفتح الباب الكبير الجوفى المدرج الذى
يصحنه ، وجعل بأسفله بيلة من رخام أحمر ، وأمر بعمل السقاية والميضة ،
وجلب الماء الى ذلك كله من خارج باب الحديد من أبواب المدينة المذكورة
وأما الخصة والبيلة التى بالصحن فأمر بعملها السيد يحيى نجل
الخلفاء (الموحدين) ، وأنفق فيها من ماله على يد صانعها أبى شامسة
الجباس ، فلم يزل الجامع على ذلك الى سنة خمس وتسعين وستمئة
فاعتل كثير منه ، فعرف خطيبه وامامه الشيخ الفقيه الصالح السورع
الفاضل المبارك محمد بن مسونة أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين
يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ورضي عنهم بذلك ، فنفذ أمره باصلاحه ،
فأصلح وجدد كثير منه من مال الأعباس ، ولم تزل الخصة والبيلة
والسقاية والميضة بماء العين المجلوب من خارج باب الحديد الذى أن
خرب ذلك فى سنة المجاعة ودرست أثاره ، فجلب اليها عوضا منه ماء
نهر مصمودة ، فلم يزل ماء النهر المذكور الى أن ولي أمير المسلمين
أبو ثابت بن الأمير عبد الله ابن أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين
يعقوب بن عبد الحق رحمهم الله ، فرد ماء العين المذكور الذى جلبه
الناصر الموحدى الى الجامع فدثر ، فجدد واتبع اثره ، فجلب حتى وصل
الى الجامع وجرا فى الخصة والسقاية والبيلة كما كان ، وكان المتولى
لبنائه والنظر فيه العريف أحمد الجيانى ، والانفاق فى ذلك من بيت
المال ، وذلك فى سنة سبع وسبعمئة .

ورجع الخبر الى أيام الأدارسة ، ولما توفي الأمير يحيى بن محمد
ابن الامام ادريس رضي الله عنه الذى بنى جامع القرويين فى أيامه ،
ولي بعده ولده يحيى بن يحيى بن محمد ابن ادريس ، فأساء السيرة ،
ودخل على جارية من بنات اليهود ، فى الحمام اسمها حنة وكانت من
أجمل نساء عصرها ، فراودها عن نفسها فاستغاثت ، فبادر اليه الناس
منكرين لفعله ، وتغير عليه أهل المدينة ، فبادر اليه عبد الرحمان بن أبى
سهل الجذامى ، فلما رأته زوجة يحيى الحسنى وهي عاتكة بنت علي بن
عمر بن ادريس رضي الله عنه أن زوجها يحيى بادر اليه العامة مع عبد

الرحمان بن أبي سهل ليقتلوه أمرته بالفرار ففر أمامهم من عدوة القرويين إلى عدوة الأندلس فمات بها من ليلته فقعة وندامة لما صنع بنفسه وما وقع فيه من العار والخجل والفضيحة ، فقام بأمر المدينة بعده عبد الرحمان بن أبي سهل فلما علمت عاتكة أن زوجها يحيا قد مات ورأت عبد الرحمان بن أبي سهل قد ثار بالمدينة كتبت إلى أبيها علي بن عمر بن إدريس رضي الله عنه تعلمه بصنيع زوجها يحيا وموته وثورة عبدالرحمان ابن أبي سهل بالمدينة بعده ، وكان والده علي بن عمر بن إدريس رضي الله عنه صاحب بلاد صنهاجة وغمارة فلما وصله الكتاب جمع جيوشه وحشمه وقصد إلى مدينة فاس فدخل عدوة القرويين على عبد الرحمان بن أبي سهل الجذامي الثائر بها فبايعه أهل الدينيتين القرويين والأندلس وخطب به على جميع منابر أعمال المغرب ، وانتقل الأمر من بنى محمد إلى بنى عمهم عمر ابن إدريس الحسنى

الخبر عن دولة الامير علي بن عمر بن ادريس

الحسنى بمدينة فاس وأعمال المغرب

هو الأمير علي بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن حسين ابن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم بويغ له بمدينة فاس وسائر أعمال المغرب بعد وفاة ابن عمه يحيى بن يحيى بن محمد إدريس الحسنى واستقام له الأمر إلى أن خرج عليه عبد الرزاق الفهرى الخارجى وكان من أهل وشقة من بلاد الأندلس ، قام بجبال بويبلان (٥٢) من أعمال فاس على مسافة يوم ونصف منها فاتبعه خلق كثير من البربر من مديونة وغيرهم فبنا قلعة منيعة بجبل سهل بجواز بلاد

(52) في الاصل جبال ويلان والصواب بويبلان الجبال الواقعة إلى الجنوب الشرقي من فاس حيث قرية هرمومو

مديونة وسماها وشقة باسم بلده ، وهي باقية فى تلك الناحية حتى الآن ، ثم قصد الى قرية صفرو فدخلها وباعه كافة البربر ، فرجع بهم الى مدينة فاس ، فخرج اليه الأمير علي بن عمر بن ادريس رضي الله فى عسكر عظيم فكانت بينهم حروب عظيمة ، كان الظفر فيها لعبد الرزاق الخارجى ، فهزم علي بن عمر وقتل خلق كثير من جنده ، وفر علي بنفسه الى بلاد أوربة ، ودخل عبد الرزاق مدينة فاس ، فملك عدوة الأندلس وخطب له بها ، وامتنع منه أهل عدوة القرويين ، وبعثوا الى يحيى بن القاسم بن ادريس رضي الله عنه المعروف بالمقدم (٥٣) ، فوصل اليهم فبايعوه وولوه على انفسهم ، وقاتل عبد الرزاق الخارجى حتى هزمه وأخرجه من عدوة الأندلس ، فدخلها وباعه أهلها وجميع من بها من الأندلسيين الذين نزلوا بها من الربضيين ، فاستعمل الأمير يحيى بن القاسم على عدوة الأندلس ثعلبة بن محارب بن عبد الله من أهل الربض من شذونة ، فلم يزل وليا عليها الى أن توفي ، فقدم الأمير يحيى مكانه ولده عبد الله المعروف بعبود ، ثم توفي ، فولي بعده ولده محارب بن عبود بن ثعلبة ، وهو من الأزد من ولد المهلب بن أبى صفرة .

الخبر عن دولة الامير يحيى بن القاسم بن ادريس

الحسنى المعروف بالمقدم

بويج له بمدينة فاس عند هروب ابن عمه علي بن عمر عنها ، وقاتل عبد الرزاق الخارجى حتى أخرجه من عدوة الأندلس ، واستعمل عليها عامله ثعلبة بن محارب ، وخرج الى قتال الصفرية ، فكانت لهم حروب عظيمة ووقائع كثيرة ، ولم يزل يحيى بن القاسم ملكا على فاس وأعمالها الى أن خرج لقتاله ربيع بن سليمان سنة اثنتين وتسعين ومئتين ، فقتل

رحمه الله فى السنة المذكورة ، وولى مكانه حفيد عمه يحيى بن ادريس
ابن عمر بن ادريس .

الخبر عن دولة الامير يحيى بن ادريس بن عمر

ابن ادريس بن ادريس الحسنى

قام يحيى هاذا بعد قتل ابن عمه المقدم يحيى بن القاسم بن ادريس ،
فبايعه أهل مدينتي فاس القرويين والأندلس وخطب له بهما ، وعاد الأمر
الى بنى عمر بن ادريس ، فملك الأمير يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس
جميع أعمال المغرب ، وخطب له على جميع منابره ، وكان يحيى هاذا أعلا
بنى ادريس قدرا وصيتا ، واطيبهم ذكرا ، وأقواهم سلطانا ، وأوسعهم
ملكا ، وأكثرهم عدلا ، وأغزهم كرما ، وكان فقيها حافظا للحديث ، ذا
فصاحة وبيان ولسان ، ومع ذلك كان بطلا شجاعا حازما ، ذا صلاح
ودين وورع ، لم يبلغ أحد من الادارسة مبلغه ، ولم يزل على مملكة
المغرب الى أن قدم اليه مصالة بن حبوس الكناسى قائد عبيد الله الشيعى
القائم بافريقية ، وذلك فى سنة خمس وثلاثمئة ، فخرج يحيى مدافعا
لمصالة المذكور ، فهزمه مصالة ، ودخل يحيى مدينة فاس مهزوما فتحصن
بها منه ، فحاصره مصالة مدة الى أن صالحه يحيى بمال ، وكتب بالبيعة
لعبيد الله الشيعى صاحب افريقية ، وارتحل مصالة راجعا الى القيروان .
وكان موسى بن أبى العافية صاحب تسول وبلاد تازة قد خدم القائد
مصالة وهاذا وتقرب اليه بالاحسان وقاتل معه فى جميع حروبه بالمغرب ،
فلما انصرف مصالة الى القيروان قدمه على المغرب ، واختصه من بين
سائر أمرائه ، فكان موسى بن أبى العافية كلما أراد الظهور بالمغرب
والاستبذاد فيه غمره يحيى بن ادريس الحسنى بشرفه وكرمه ودينه وعدله ،
وتقطع عليه كل ما يريد ، فكان على قلبه منه حمل ثقيل ، فلما قدم مصالة
المغرب فى كرتة الثانية ، وذلك فى سنة تسع وثلاثمئة ، سعا موسى بن

أبى العافية بيحيا بن ادريس عنده حتى اوغر صدره عليه ، فعزم مصالة على القبض عليه ، فلما قرب من مدينة فاس خرج اليه الأمير يحيا بن ادريس يسلم عليه فى قوم من وجوه عسكره ، فقبض عليهم مصالة وقيد يحيا بالحديد ، ودخل مصالة مدينة فاس ، ويحيا بن ادريس بين يديه مقيد على جمل ، فعذبه بأنواع من العذاب حتى أخرج اليه ماله ونخائره، فلما قبض مصالة الأموال أطلقه ونفاه الى مدينة أصيلة وقد ساءت حاله، وانفض جمعه ، فأقام بمدينة أصيلة مع بنى عمه مدة ، فأعطوه مسالا ووصلوه وعملوا له مايقوم به ، فلم يرتض بذلك ، فارتحل عنهم يريد أفريقيا فقبض عليه فى طريقه موسى بن أبى العافية الكناسى فسجنه سجنا طويلا بمدينة الكاى (٥٤) ثم أطلقه ، وكان أبوه ادريس بن عمر بن ادريس رضي الله عنه دعا عليه أن يميته الله جوعا فى أرض غريبة ، فخرج يحيا من سجن ابن أبى العافية الى أفريقيا وهو فى ذلة وضيق وفقر، فانه أقام فى سجن ابن أبى العافية نحو العشرين سنة ، فوصل المهديّة وهو على تلك الحال فوافق فتنة أبى يزيد مخلد بن كيداد الزناتى وحصاره للمهدية ، فمات بها جوعا فى غربة فى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمئة .

ولما قبض مصالة على يحيا بن ادريس وثقفه قدم على مدينة فاس ربحان الكناسى ورجع الى أفريقية ، فأقام ربحان الكناسى عاملا على مدينة فاس وأحوازها مدة من ثلاثة أعوام الى أن قام عليه بها الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسنى فأخرجه عنها .

(54) فى بعض النسخ الأكبر . والصواب الكى . قلعة منبعا يظن أنها كانت بناحية حاية حيث قبيلة حاية (لعاية) الحاملة

الخبر عن دولة الأمير الحسن بن محمد بن القاسم

ابن ادريس بن ادريس الحسنى المعروف بالحجام

هو الأمير الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم ، ويلقب بالحجام ، وعرف بذلك لأنه كانت بينه وبين عمه أحمد بن القاسم حرب شديدة حمل فيها الحسن على قارس من جند عمه قطعنه في المحاجم ثم فعل ذلك بثان وثالث ، كل ذلك لايطعنهم الا في موضع المحاجم فقال له عمه أحمد انما ابن أخي حجام فلزمه ذلك الاسم فعرف به وفي ذلك يقول بعضهم

وسميت حجاما ولست بحاجم ولكن لظعن في مكان المحاجم

دخل مدينة فاس خفية مع بعض رجاله فأقام بها وذلك في سنة عشر وثلاثمئة ، فبايعه أهلها وأجلا عنها عاملها ربحان الكناسي وبايعه أكثر قبائل البربر وملك مدينة لواتة (٥٥) وصفرو ومدينة مديونة ومدائن مكناسة ومدينة البصرة واستقام أمره بالمغرب وفي سنة احدا عشرة وثلاثمئة خرج الأمير الحسن المعروف بالحجام الى قتال موسى بن أبي العافية فالتقا معه بفحص الزاد (٥٦) على مقربة من وادي المطاحن فأوقع به الحجام وقعة عظيمة لم يقع في دولة الأدارسة مثلها ، قتل فيها من عسكر ابن أبي العافية ألفان وثلاثمئة رجل منهم ولده منهل (٥٧) بن موسى ومات من عسكر الحسن بن

(55) مدينة مغربية جساما باسم قبيلة لواتة التي أسستها وسكنتها تقع الى الشمال الشرقي من مدينة صفرو بينها وبين قرية بير ططم قرب مجرا نهر سبو وهي اليوم مجرد قرية صغيرة

(56) في بعض النسخ فحص الطواد وفي نسخ أخرى فحص أذاد ذكر ابن خلدون أن ماذا الفحص هو الذي سمي فيما بعد بوادي المطاحن وأنه يقع بين تازة وفاس

(57) في بعض النسخ سهل

محمد نحو من سبعمئة رجل ، فرجع المحسن الى مدينة فاس ، فترك عسكره بخارج المدينة ودخل وحده منفردا دون جيش ، فغدر به عامله بها حامد ابن حمدان الهمداني الأوربي وهو من قرا أفريقية ، دخل عليه ليلا فسى داره فقيده وحبسه عنده وغلقت أبواب المدينة فى وجه العسكر ، ثم أرسل الى موسى بن أبى العافية يخبره بصنعه ويأمره بالقدوم عليه ليتمكن من المدينة ، فسارع نحوه ، فأدخله عدوة القرويين ، ثم قاتل عدوة الأندلس حتى غلب عليها ، فلما ملك مدينتي فاس قال لحامد بن حمدان : مكنى من الحسن الحجام اقتله بولدى منهل ، فدافعه حامد بن حمدان وسوفه ، وكره المجاهرة فى سفك دماء أهل البيت ، فلما جن الليل سار حامد بن حمدان الى الحسن الحجام فأزال عنه قيده وأدلاه من سور المدينة دون حبل ، فسقط وانكسرت ساقه ، وسار الى عدوة الأندلس فمات بها مستخفيا لثلاثة أيام من تلك الليلة ، فأراد ابن أبى العافية قتل حامد بن حمدان الذي مكنه من البلد حين أطلق الحسن الحجام ، ففر حامد منه الى المهديّة ، فكانت دولة الحسن الحجام بفاس نحو العامين .

الخبر عن دولة موسى بن أبى العافية

بفاس وكثير من أعمال المغرب

هو الأمير موسى بن أبى العافية بن أبى باسل بن أبى الضحاک بن مجدول بن تامريس بن قارديس بن ونيف بن مكناس بن ورسطيف المكناسى أمير مكناسة كلها ، ملك مدينتي فاس فى سنة ثلاث عشرة وثلثمئة ، وملك بلاد تازة وتسول والكاي ومدينة طنجة والبصرة وكثيرا من أعمال المغرب ، ولما دخل فاس وباعه أهلها واستقام أمره ألح على حامد بن حمدان فى قتل الحسن الحجام ، فكره ذلك حامد ، وندم على ماكان منه من الغدر وجعل يسوفه الى أن أكثر عليه فى الطلب ، ففعل بالحسن ماذكرناه أولا ، واستولا ابن أبى العافية على جميع بلاد المغرب ،

وبايعة القبائل والأشياخ ، فأجلا جميع الأدارسة عن بلادهم وأخرجهم من ديارهم ، وملك مدينة أصيلة ومدينة شالة وغيرها من بلادهم ، وساروا بأجمعهم الى قلعة حجرالنسر (٥٨) مقهورين مغلوبين ، فانحصروا بها ، وهي حصن منيع بناه محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم بن ادريس رضي الله عنه ، طلع فى عنان السماء ، فنزل عليهم ابن أبى العافية واشتد عليهم الحصار ، وأراد استئصالهم وقطع دابرهم ، فعذله على ذلك رؤساء المغرب وأكابر أهل دولته ، وقالوا له : أتريد ان تقطع دابر أهل البيت من المغرب وتقتلهم أجمعين ، هذا شيء لانوافكك عليه ولا نتركك له ، فاستحيا لذلك وارتحل عنهم الى مدينة فاس وخلف عليهم قائده أبا الفتح التسولى فى الف فارس يمنعهم من التصرف ، وذلك فى سنة سبع عشرة وثلاثمئة ، فأقام موسى بن أبى العافية بمدينة فاس الى ان قدم المغرب حميد بن يصلين قائد عبيد الله الشيعى من المهديّة فى جيش عظيم ومعه حامد بن حمدان الهمداني ، وذلك فى سنة عشرين وثلاثمئة ، وسبب قدومه أن ابن أبى العافية لما ارتحل عن قلعة حجرالنسر سار الى مدينة فاس ، فأقام بها أياما وقتل عامله على عدوة الأندلس عبد الله بن ثعلبة بن محارب بن عبود ، وولا مكانه أخاد محمد ابن ثعلبة ، ثم عزله وولا مكانه طوال ابن أبى يزيد ، فلم يزل عاملا عليها الى ان خرجت فاس عن يد ابن أبى العافية ، واستعمل على عدوة القرويين ولده مدين ، وارتحل الى مدينة تلمسان فملكها وتغلب على أحوازها ، وكان ذلك بيد الحسن بن أبى العيش بن عيسا بن ادريس بن محمد بن سليمان الحسنى ، فأخرجه عن تلك البلاد بأسرها وملكها ، وذلك فى سنة تسع عشرة وثلاثمئة ، وهرب الحسن بن أبى العيش الى مدينة مليلة من نواحي ملوية فتمنع بها ، وزحف ابن أبى العافية بعد ملكه تلمسان الى مدينة نكور (٥٩) فملكها وجميع أحوازها ، وذلك فى

(58) بقبيلة سومانة من اقليم تطوان .

(59) مدينة مغربية قديمة كانت تقع قرب الوادى المسما باسمها غير بعيد عن الحسيمة ، ما زالت أطلالها موجودة الى اليوم بتلك الناحية .

شهر شعبان من سنة عشرين وثلاثمئة (غشت ٩٣٢ م) فلما ملك ابن أبي العافية مدينة تلمسان ونكور وفاس بايع عبد الرحمان الناصر لدين الله ملك الأندلس ، وقام بدعوته ، وخطب له على جميع منابر عمله ، فاتصل الخبر بعبيد الله الشيعي بالهدية ، فبعث اليه قائده حميد بن يصلين الكتامي في عشرة آلاف (٦٠) فارس ، فالتقا بموسا بن أبي العافية بفحص مسون (٦١) ، فكانت بينهم حروب عظيمة وسجال ، ثم ان حميد ابن يصلين بيته ليلة فضرب في عسكر موسا بن أبي العافية فانهمزم مرسا بن أبي العافية وأصحابه وقر الى عين اسحاق من بلاد تسول فتحصن بها ، وارتحل حميد بن يصلين الى مدينة فاس ، فلما قرب منها هرب مدين بن موسا ، فدخلها وولا عليها حامد بن حمدان الهمداني وانصرف الى أفريقية ، وتظاهر بنو ادريس الذين بجر النسر على أبي الفتح قائد ابن أبي العافية ، فهزموه ونهبوا عسكره ، وذلك حين بلغتهم هزيمة ابن أبي العافية وهروب مدين ابنه عن مدينة فاس وتملك حامد عليها في سنة احدا وعشرين وثلاثمئة ، وأقام حامد بن حمدان الهمداني عاملا على فاس الى أن ثار عليه أحمد بن أبي بكر بن عبدالرحمان بن أبي سهل ، فقتل حامدا وبعث برأسه وبولده الى موسا بن أبي العافية فبعث بهم موسا الى أمير المؤمنين الناصر لدين الله بقرطبة ، وأقام أحمد بن أبي بكر عاملا على فاس لموسا بن أبي العافية الى أن قدم ميسور الفتا فأدأ أبي القاسم الشيعي ، وذلك في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة ، الى المغرب على اثر والده عبد الله الفهري ؟ فحاصر ميسور مدينة فاس أياما الى أن خرج اليه أحمد بن أبي بكر مبايعا ، وأخرج له هدية عظيمة ومالا جسيما ، فقبض منه المال والهدية وثقفه في القيود وبعث به الى المهديّة ، فسد أهل مدينة فاس مدينتهم في وجه ميسور الفتا ولم يمكنوه من دخولها ، وقدموا على أنفسهم حسن بن قاسم اللواتي ، فحاصره ميسور مدة

(60) في بعض النسخ : عشرين ألف فارس .

(61) بين قرية كرسيف وبين قصة مسون الواقعة الى غربها في طريق تازة ، ويسما ماذا الفحص أيضا فحص جل .

من سبعة أشهر فلم يقدر عليهم بشيء ، فصالحهم ميسور على أن أعطوه ستة الاف دينار واقطاعا ولبودا وقربا للماء وأثانا ، وكتبوا بيعتهم لأبى القاسم الشيعى ، وكتبوا اسمه فى سكتهم ، وخطبوا له على منابرهم ، فقبل ميسور ذلك منهم ، وارتحل عنهم نحو موسى بن أبى العافية حتى لحق به ، فكانت بينهما حروب عظيمة ، ولي معظم تلك الحروب بنو ادريس ، قاتلوه حتى هرب الى الصحراء أمامهم ، وتملك الأدارسة أكثر ماكان بيد موسى ابن أبى العافية قائمين بدعوة أبى القاسم الشيعى ، فلم يزل ابن أبى العافية شريدا فى الصحراء وأطراف البلاد التي بقيت بيده ، وذلك من مدينة كرسيف الى مدينة نكور الى ان قتل ببعض بلاد ملوية ، وذلك فى سنة احدا وأربعين وثلاثمئة ، وقيل قتل فى سنة ثمان وعشرين وثلاثمئة قاله البرنسى .

فولي بعده ولده عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن أبى العافية الى أن توفي فى سنة ستين وثلاثمئة ، فولي عمله بعده ولده محمد ، وعليه انقرضت ايام بنى أبى العافية الكناسيين سنة ثلاث وستين وثلاثمئة . (م ٩٧٤)

وذكر بعض المؤرخين لأيامهم أنه لما توفي محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى بن أبى العافية ولي بعده القاسم بن محمد المحارب للمتونة ، فكانت بينه وبينهم حروب كثيرة الى أن غلب عليه يوسف بن تاشفين فقتله واستأصل ببلاده حتى قطع شأفة ذرية موسى بن أبى العافية من المغرب ، وكانت أيامهم فيه من سنة خمس وثلاثمئة الى سنة خمس وأربعين وأربعمئة ، فذلك مئة وأربعون سنة من أول دولة عبد الرحمان الناصر لدين الله الى قيام لمتونة .

وأما القائد ميسور فانه لما صالح أهل مدينة فاس وأخذ بيعتهم لأبى القاسم الشيعى صاحب أفريقية أقر حسن بن القاسم اللواتى على عمالتها ، فلم يزل عاملا عليها الى ان قدم أحمد بن أبى بكر من المهديّة مطلقا مكروما ، فتخلا له عما كان بيده ، وذلك فى سنة احدا وأربعين وثلاثمئة ، فكانت

ولاية حسن بن القاسم على مدينة فاس ثمان عشرة سنة من سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة الى سنة احدا وأربعين المذكورة .

قال ابن البان فى تاريخه المسما بجلاء الأذهان : لما فر موسى بن أبى العافية أمام ميسور القائد صارت الرياسة بالمغرب بعد قراره عنه لابني محمد بن القاسم بن ادريس الحسنى رضى الله عنه ، وكانا أخوين شقيقين : كنون وابراهيم ابني محمد بن القاسم بن ادريس فتقدم منهم للرياسة وللإمامة كنون .

الخبر عن دولة الامير القاسم بن محمد بن القاسم

ابن إدريس الحسنى الملقب بكنون

هو القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله ابن حسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهم ، قدمه بنو ادريس على جميعهم بعد قرار موسى بن أبى العافية عنهم ، فملك أكثر بلاد المغرب الامدينة فاس فانه لم يملكها ، وكان سكناه بقلعة حجز النسر فاقام على امارته الى أن توفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمئة ، فولى بعده ولده أبو العيش أحمد بن كنون .

الخبر عن دولة الأمير أبى العيش

أحمد بن القاسم تثنون الحسنى

هو الأمير أبو العيش أحمد بن القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضى الله عنهم ، وكان أبو العيش هاذا عالما فقيها دينا ورعا حافظا للسير عالما بتواريخ الملوك وأيام الناس وانساب قبائل العرب والبربر ، عاقلا حلما

شجاعا كريما ، كان يعرف فى بنى ادريس بأحمد الفاضل ، وكان مائلا الى بنى مروان متشيعا فيهم ، لما ولي بعد أبيه قطع الدعوة فى جميع بلاده على العبيدين ، وباع لعبد الرحمان الناصر لـدين الله صاحب الأندلس ، وخطب له على جميع منابر عمله ، فلم يقبل ذلك منه الناصر، وقال له : لا أقبل لك بيعة الا أن تمكننى من طنجة وسبتة ، فامتنع أبو العيش من ذلك ، فبعث اليه الناصر بالقطائع والجيوش لقتاله وضيق عليه فصالحه على ماطلب منه ، فأعطاه سبتة وطنجة ، وبقي أبو العيش واخوته وبنو عمه من الأدارسة بمدينة البصرة وأصيلة تحت بيعة الناصر وفى كنفه متمسكين بدعوته ، وجاز قواد الناصر وجيوشه من الأندلس انى العدو يقاتلون من خالفهم من البربر ويستألفونهم ويحملون الطائع على المخالف ، والناصر ممد لمن عجز منهم برجاله ، مقوى لمن ضعف بماله ، حتى ملك أكثر بلاد المغرب وبايعه أكثر القبائل من زناتة وغيرهم من البربر ، وخطب له على منابر من مدينة تاهرت الى مدينة طنجة ، ماعدا سجلماسة فانه قام بها فى ذلك الوقت منادر البربرى ، وباع أهل مدينة فاس الناصر فيمن بايعه من بلاد العدو ، فولا عليها محمد بن الخير بن محمد اليفرنى ثم الزناتى ، وكان من أبسط ملوك زناتة يدا ، وأعظمهم شأنا ، وأحسنهم الى ملوك بنى أمية انحياشا ، وأخلصهم طوية ، وذلك بولاية عثمان بن عفان رضى الله عنه لجدهم صولات ابن وزمار اليفرنى (٦٢) واسلامه على يده ، وتقديمه اياه على قومه من زناتة ، فصارت المحبة لبني أمية وراثه فى بنيه من بعده ، فأقام محمد بن الخير أميرا على مدينتي فاس نحو سنة ، ثم ارتحل عنها الى الأندلس برسم جهاد الروم ، واستخلف عليها ابن عمه أحمد بن أبى بكر بن أحمد بن عثمان بن سعيد الزناتى ، وهو الذى بنا الصومعة المباركة بجامع القرويين سنة أربع وأربعين وثلاثئة ، وفى سنة سبع

(62) فى الأصل لجدهم حرب بن حفص بن صولات بن وزمار ، والصواب أن الذى أسلم على يد عثمان هو صولات بن وزمار كما ذكر ذلك ابن خلدون وغيره ، وصولات هو جد الأمراء من بنو خزر أمراء تلمسان .

وأربعين وثلاثمئة ولا الناصر بمدينة طنجة وأحوازها يعلا بن محمد اليفرنى أمير بنى يفرن ، فزلبها فى قبائل يفرن ، فلمسا رأ أبو العيش غلبة الناصر على بلاد العدو كتب اليه الى قرطبة يستأذنه فى الجهاد ، فأذن له ، وأمر أن يينا له فى كل منزل ينزل فيه قصر من الجزيرة الخضراء الى الثغر ، وأن يجرا له فيه ألف دينار فى كل يوم ضيافة ، ومن الفرش والأثاث والطعام والشراب مايقوم بالقصر ، فلم يزل فى ذلك حتى وصل الى الثغر ، فكانت منازلها فى رحلته من الجزيرة ثلاثين منزلا ، ولما خرج أبو العيش الى الأندلس برسم الجهاد استخلف على عمله أخاه الحسن بن كنون ، فمات أبو العيش فى جهاد الروم سنة ثلاث وأربعين وثلاثمئة رحمه الله تعالا .

الخبر عن دولة الأمير الحسن بن كنون

هو الحسن بن كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسنى ، ولي بعد انصراف أخيه الى الغزو الذى مات فيه ، وهو الآخر ملوك الأارسة بالمغرب ، ولم يزل مبايعا للمرانيين متمسكا بدعوتهم الى أن اتصل الخبر بالشيعى صاحب أفريقية بغلبة الناصر الأموي على جميع بلاد العدو ، وأن جميع من فيها من قبائل زناتة والبربر رفضوا دعوتهم ودخلوا فى بيعة بنى أمية ، فعظم الأمر على معد بن اسماعيل ، فبعث قائده جوهر الرومى فى جيش عظيم يزيد على عشرين الف فارس من قبائل كتامة وصنهاجة وغيرهم ، وأمره أن يطأ بلاد المغرب وينزلها ويستنزل من بها من الثوار ويشد وطأته عليهم ، فخرج جوهر من القيروان يريد بلاد المغرب ، وذلك فى سنة سبع وأربعين وثلاثمئة ، فاتصل خبر قدومه ببعلا بن محمد اليفرنى أمير بنى يفرن وخليفة الناصر لدين الله على بلاد العدو ، فحشد بنى يفرن وجميع قبائل زناتة وتلقاه فى جيوش عظيمة على مقربة من مدينة تاهرت ، فالتحم الحرب بين

الغريتين فأخرج القائد جوهر الأموال وبذلها فى قواد كتامة ، فضمفوا؛ له قتل أمير زناتة يعلا بن محمد اليفرنى ، فلما اشتد القتال صممت عصابة من قواد كتامة وأنجدها وقصدوا الى يعلا بن محمد أمير بنى يفرن فقتلوه واحترزوا رأسه وأتوا به الى جوهر ، فأعطاهم أموالا جلييلة بشارة عليه ، وبعث برأسه الى مولاه معد بن اسماعيل ، فطيف به فى القيروان ، وهزم بنو يفرن وتفرق جمعهم بعد قتل أميرهم ، وبعد مدة الأُم ملكهم واجتمع فلهم على ولده يدو بن يعلا بن محمد اليفرنى ، وانصرف جوهر بعد قتل يعلا الى سجلماسة ، وكان قد قام بها محمد بن الفتح الخارجى المعروف بواسول بن ميمون بن مدرار الصقرى ، وادعا الخلافة وتسمأ بأمرير المؤمنين ، وتلقب بالشاكر لله ، وضرب بها السكة وكتب عليها اسمه ، وسكته معروف بالشاكرية ، وكانت فى غاية الطيب، وكان محمد بن الفتح غاية فى اظهار العدل واقامة السنة ، وكان مالكي المذهب ، فنزل عليه جوهر وحاصره بها وضيق عليه حتى دخلها عنوة بالسيف ، وقبض على الشاكر ، وتفرقت عنه جموعه ، وقتل رجاله وحماته من الصقرية ، وأوثقه فى الحديد ، وأتا به أسيرا بين يديه حتى نزل على مدينة فاس ، وذلك فى سنة تسع وأربعين وثلاثمئة ، فحاصرها وأدار بها القتال من كل ناحية مدة من ثلاثة عشر يوما حتى دخلها عنوة بالسيف ، فقتل بها خلقا كثيرا ، وقبض على أميرها أحمد بن أبى بكر الزناتى الذى ولاه الناصر الاموى عليها حين بايعه أهلها ، وقتل حماتها وأشياخها ، ونهب المدينة وسبا أهلها وهدم أسوارها ، وكان الحادث بها عظيما ، وكان دخول جوهر اياها ضحوة يوم الخميس الموفى عشرين لشهر رمضان المعظم سنة تسع وأربعين وثلاثمئة (١٣ نونبر ٩٦٠ م) ثم سار جوهر فى بلاد المغرب يقتل أولياء الروانيين ، ويفتح البلاد والمعاقل، وفرت أمامه القبائل من زناتة وغيرهم ، فأنفذ الأمر بالمغرب ثلاثين شهرا، ثم انصرف الى مولاه معد بن اسماعيل العبيدى بعد أن دوخ بلاد المغرب وأثخن فيها وقتل حماتها وقطع الدعوة بها للمروانيين وردھا للعبيديين ، فخطب لهم على جميع منابر المغرب ، فوصل القائد جوهر الى المهديّة ،

وحمل معه أحمد بن أبي بكر الزناتى أمير قاس وخمسة عشر رجلا من أشياخها ومحمد بن الفتح أمير سجلماسة أسارا بين يديه فى أقفاص من خشب على ظهور الجمال وعلى رؤوسهم قلانس من لبد مستطيلة منبثة بالقرون ، فطيف بهم فى أسواق القيروان ، ثم حملهم الى المهديّة فأتخلهم بين يديه ، ثم حبسهم بها حتى ماتوا فى سجنها ، وكان الأمير الحسن بن كنون قد بايع العبيديين فيمن بايعهم عند غلبة جوهر على المغرب ، فلما انصرف جوهر الى أفريقية فى الخـر تسع وأربعين وثلاثمئة نكث الحسن بن كنون بيعة العبيديين وعاد الى بيعة الروانين وتمسك بدعوة الناصر ودعوة ولده الحكم المستنصر من بعده خوفا منهم لامحبة فيهم لقرب بلاده منهم ، فلم يزل فى طاعتهم قائما بدعوتهم الى أن قدم بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى من أفريقية قاصدا الى المغرب لأخذ ثار أبيه ، فقتل زناتة واستأصلهم ، وملك المغرب بأسره ، وقطع أيضا منه دعوة الروانين وقتل أولياءهم ، وأخذ البيعة على جميع بلاد المغرب لعد بن اسماعيل كما فعل جوهر قبله ، فكان أول من سارع الى بيعته ونصره وقتل أولياء الروانين وقطع دعوتهم من بلاد المغرب الحسن ابن كنون صاحب مدينة البصرة وكشف وجهه فى ذلك وعمل فيه جهده ، فاتصل خبره بالحكم المستنصر فحقد عليه فى ذلك ، فلما انصرف بلكين ابن زيرى الى أفريقية بعث الحكم قائده محمد بن القاسم فى جيش كثيف الى قتال الحسن بن كنون ، فجاز اليه من الجزيرة الخضراء الى سبتة فى خلق عظيم وعدد كثير وقوة وعدة كاملة ، وذلك فى شهر ربيع الأول من سنة اثنين وستين وثلاثمئة (دجنبر ٩٧٢ م) فزحف الى قتاله الحسن ابن كنون فى قبائل البربر ، فالتقا الجمعان فى أحواز طنجة بموضع يعرف بفحص بنى مصرخ فكان بينهما حرب عظيم قتل فيها محمد ابن القاسم قائد الحكم المستنصر ، وقتل معه خلق كثير من أصحابه وفر الباقون فدخلوا سبتة فتحصنوا بها وكتبوا الى الحكم يستغيثون به ، فبعث اليهم قائد عسكري وصاحب حروبه غالبا مولاه ، وكان غالب على غاية الحزم والنجدة والشهامة والدهاء والأقدام ، فاعطاه الحكم أموالا

جليلة وعدة كثيرة وجيوشا وافرة وأمره بقتال العلويين واستنزالهم من معاقلهم ، وقال له عند وداعه : (ياغالب سر مسير من لا اذن له فى الرجوع ، الا حيا منصورا ، أو ميتا معذورا ، ولا تشح بالمال ، وأبسط يدك به يتبعك الناس) ، فخرج غالب بالعساكر والجيوش والعدد ، والأموال عن قرطبة فى أآخر شوال من سنة اثنتين وستين وثلاثمئة (غشت ٩٧٣ م) فاتصل خبير قدومه بالحسن بن كنون ، فخاف منه وأخلا مدينة البصرة ، وحمل منها حريمه وجميع أمواله ونخائره الى حصن حجر النسر القريب من سببة ، واتخذة معقلا يتحصن فيه لمنعته ، فجاز غالب البحر من الخضراء الى قصر مصمودة فتلقاه الحسن بن كنون هنالك بجيوشه فقاتله أياما ، وأخرج غالب الأموال فبعثها الى رؤساء البربر الذين مع الحسن بن كنون ووعدهم وأمنهم ، ففروا عن الحسن وأسلموه حتى لم يبق معه الا خاصته ورجاله ، فلما رأى ذلك سار الى حصن حجر النسر فتحصن به ، واتبعه غالب فحاصره به ونزل بجميع جيوشه عليه ، وقطع عنه الموارد ، وأمدته الحكم بالعرب الذين ببلاد الأندلس كافة ورجال الثغور ، فوصل المدد الى غالب فى غرة المحرم سنة ثلاث وستين وثلاثمئة (٢ أكتوبر ٩٧٣ م) فاشتد الحصار على الحسن بن كنون ، فطلب من غالب الأمان على نفسه وأهله وماله ورجاله وينزل اليه فيصير معه الى قرطبة فيكون بها ، فأجابه غالب الى ذلك وعاهده عليه ، فنزل الحسن بأهله وماله وأسلم الحصن الى غالب فملكه ، واستنزل جميع العلويين الذين بأرض العدو من معاقلهم ، وأخرجهم عن أوطانهم ، ولم يترك بالعدوة رئيسا منهم ، وسار الى مدينة فاس فملكها ، واستعمل عليها محمد بن علي بن قشوش فى عدوة القرويين ، وعبد الكريم بن ثعلبة فى عدوة الأندلس ، فلم تزل فى يد بنى أمية الى أن غلب عليها زيرى بن عطية الزناتسى المغراوى ، وانصرف غالب الى الأندلس ، فحمل معه الحسن بن كنون وجميع ملوك الادارسة، وقد وطأ جميع بلاد المغرب ، وفرق العمال فى جميع النواحي ، وقطع دعوة بنى عبيد من جميع أفاقه ، ورد الدعوة الى الأموية الحكيمة ،

فخرج بهم غالب من مدينة فاس في اخر شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمئة (٢٤ يونيو ٩٧٤ م) فوصل الى سبتة فركب البحر منها واستقر بالخضراء ، فكتب الى الحكم المستنصر بالله يعلمه بقدومه ويمن معه من العلويين ، فلما وصل كتابه الى الحكم أمر الناس بالخروج الى لقائهم ، وركب في جمع عظيم من وجوه اهل دولته ، فتلقاهم ، فكان يوم دخولهم قرطبة أول يوم من شهر محرم سنة أربع وستين وثلاثمئة (الاثنين ٢١ شتنبر ٩٧٤ م) فسلم الحسن بن كنون على الحكم ، فأقبل عليه وعفا عنه ، ووفاه له بعهده ، وأوسع له ولرجاله في العطاء ، وكانوا سبعمئة رجل أنجادا يعدلون سبعة الاف من غيرهم ، وأسكنه قرطبة ، فبقي الحسن ابن كنون بقرطبة الى سنة خمس وستين وثلاثمئة ، وكان له قطعة عنبر غريبة الشكل كبيرة الجرم ، ظفر بها في بعض سواحله من بلاد العدو ايام ملكه بها فسواها منشورة يتوسد بها ، فبلغ امير المومنين الحكم خبرها ، فسأله حملها اليه وضمها الى ذخائره على أن يرضيه عنها بحكمه ، فامتنع من ذلك وأبى أن يسلمها اليه ، فنكبه عليها وأخذ أمواله وسلبه من جميعها وأخذ القطعة ، فبقيت في خزائنه الى أن ظهر علي بن حمود الحسنى على ملك الأندلس ودخل قرطبة وسكن القصر وظفر ببني أمية ، فأصاب تلك العنبرة متاع ابن اعمه الحسن بن كنون قد عقبها الأيام حتى صارت الى ايدي العلوية اربابها ، ولما نكب الحسن بن كنون وأخذ أمواله أمر به وبالعلوية فأخرجهم من قرطبة وأجلهم الى الشرق فجوزوا من المرية الى تونس ليستريح من نفقاتهم ، وذلك في سنة خمس وستين وثلاثمئة ، فسار الحسن وبنو عمه الى مصر ، فنزلوا بها على نزار بن معد ، فأقبل عليهم نزار ويألف في اكرامهم ، ووعد الحسن النصره والأخذ بثأره ، فأقام عنده مدة طويلة الى أن دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمئة في أيام هشام المؤيد ، فكتب له نزار بن معد بعهده على المغرب ، وأمر عامله على أفريقية بلكين بن زيرى بن مناد أن يقويه بالجيوش ، فسار الحسن الى بلكين فأعطاه جيشا من ثلاثة الاف فارس ، فاقترح بهم بلاد المغرب ، فسارعت اليه قبائل البربر بالطاعة ، ففسر

فى اظهار دعوته ، فاتصل خبره بالمنصور بن أبى عامر حاجب هشام بنويد القائم بملكه ، فبعث اليه ابن أبى عامر الوزير أبا الحكم عمر بن عبد الله بن أبى عامر فى جيش كثيف وقلده أمر المغرب وسائر أعماله ، وأمره بحرب الحسن بن كنون ، فنفذ لوجهه وجاز البحر الى سبته ، وخرج الى حرب الحسن ، فأحاط به وحاصره أياما ، ثم جوز المنصور ابن أبى عامر ولده عبد الملك المظفر فى أثر الوزير أبى الحكم بجيوش حيلة ، فطلب الأمان على نفسه على أن يصير الى الأندلس كمثل حاله الأول ، فأعطاه الوزير أبو الحكم ماوثق به ، وكتب الى ابن أبى عامر المنصور بخبره ، فأمره بتعجيله الى قرطبة موكلا به من يحفظه ، فبعثه ، ووصل الخبر الى المنصور بقدومه وجوازه ، فلم يمض أمان ابن عمه وأنفذ اليه بقتله فى طريقه ، فقتل وقطع رأسه ودفن جسده ، وحمل للرأس الى المنصور ، ودخل فى جمادا الأول سنة خمس وسبعين وثلاثمئة كثيرة معدا له ، فلما رأى ذلك الحسن بن كنون سقط فى يده ولم يجد (شتنبر - أكتوبر ٩٨٥ م) فكانت دولة الحسن بن كنون الأول بالمغرب ست عشرة سنة ، من سنة تسع وأربعين الى سنة أربع وستين وثلاثمئة ، ومدة إقامته بدولته الثانية سنة واحدة وتسعة أشهر ، فركدت ربح العلوية بالمغرب وتفرق جمعهم ، وبقي منهم جماعة بقرطبة ، فكانوا فى ديوان السلطان فى جماعة المغاربة الى أن ملك علي بن حمود الأندلس فسموا ذكرهم ، ولما قتل الحسن بن كنون هبت ربح عاصفة فى الوقت ، فاحتلمت رداء الحسن فلم يوجد بعد ، وكان الحسن بن كنون على ما ذكره ابن الفياض فظا غليظا شديد الجراءة قاسي القلب قليل الشفقة ، كان اذا ظفر بأحد من أعدائه أو سارق أو قاطع طريق أمر به فطرخ من ذروة قلعته المسماة بحجر النسر ، ويهوى به الى الأرض مد البصر يدفع الرجل بخشبة تمد اليه فلا يصل الى الأرض الا وقد تقطع .

قال المؤلف للكتاب

فانقرضت أيام الأدارسة بالمغرب بموت الحسن بن كنون الآخر ملوكهم ، وكانت مدة ملكهم به من يوم بويج مولانا ادريس بن عبد الله

أبن حسن بمدينة ولى وذلك يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعين ومئة الى أن قتل الحسن بن كنون فى شهر جمادى الأولى سنة خمس وسبعين وثلاثمئة ، وذلك مئتا سنة اثنتان وثلاث سنين سوى شهرين وكان عملهم بالمغرب من السوس الأقصى الى مدينة وهران وقاعدة ملكهم مدينة فاس ثم البصرة ، وكانوا يكابدون مملكتين عظيمتين وغالبين كبيرين : دولة العبيديين بمصر وأفريقية ، ودولة بنى أمية بالأندلس ، وكانوا ينازعون الخلفاء الى درك الخلافة ويقعدهم ضعف سلطانهم وقلة مالهم ، وكان سلطانهم اذا اشتد وقوي الى مدينة تلمسان ، واذا اضطرب الحال عليهم وضعفوا لاجاوز سلطانهم البصرة وأصيلة وحجر النسر ، الى أن اعتراهم الاديبار والفرقة وانقضت أيامهم وانقطعت مدتهم ، والبقاء لله وحده ، لارب غيره ولا معبود سواه .

الخبر عن الاحداث التي كانت بالمغرب

في ايامهم إلى انقضائها

كان الرخاء بالمغرب متواليا من سنة ثمان ومئتين الى سنة سبع وأربعين ومئتين ، بيع القمح بمدينة فاس في اكثر سننى هاذه المدة ثلاث دراهم للوسق وأقل وأكثر .

وفى سنة اثنتين وثلاثين ومئتين قحط بلاد الأندلس حتى هلكت المواشى وأحرق الكرم والشجر وكثر الجراد وغلت الأسعار فى جميع الأندلس ، فكانوا يمتارون من بلاد العدو .

وفى سنة سبع وثلاثين ومئتين قام رجل مؤذن بناحية تلمسان يدعى النبوءة ، وتأول القرآن على غير وجهه وتأويله ، فاتبعه خلق كثير من الغوغاء ، وكان من بعض شرائعه أنه ينها عن قص الشعر وتقليم الأظفار ونذف الأبطين والاستحداد وأخذ الزينة ، ويقول : لاتبدل ولا تغيير لخلق الله ، فأمر أمير تلمسان بالقبض عليه فهرب وركب البحر من مرسا هنين الى بلاد الأندلس ، فشاع بها خبره وأمره ، فتبعه من سفهاء الناس أمة عظيمة ، فبعث اليه ملك الأندلس ، فاستتابه فلم يتب ، فقتله وصلبه وهو يقول عند قتله : أنقتلون رجلا أن يقول ربي الله !

وفى سنة ثمان وثلاثين ومئتين توفي الامام عبد الرحمان بن الحكم وفى سنة ثلاث وخمسين ومئتين كان ببلاد العدو والأندلس قحط كثير ، وغاضت المياه ولم يزل القحط يتوالا من سنة ثلاث وخمسين الى سنة خمس وستين .

وفى سنة أربع وخمسين ومئتين كسف القمر كله من اوائل الليل حتى أصبح ولم ينجل .

وفى سنة ستين ومئتين عم الغلاء والقحط جميع بلاد المغرب والأندلس وأفريقية ومصر وبلاد الحجاز كلها حتى رحل الناس عن مكة

الى الشام ، وبقيت خالية ليس بها الا نفر يسير وسدت انكعبة ، فبقيت كذلك مدة ، وكان فى بلاد الأندلس والغرب وباء عظيم مع غلاء المسعر وعدم الأقرات ، فمات فيها خلق كثير .

وفى سنة ست وستين ومئتين كانت بالسمااء حمرة عظيمة من أول الليل الى آخره ، ولم يعهد قبل ذلك مثلها ، وذلك فى ليلة السبت لتسع بقين من صفر من السنة المذكورة (١١ أكتوبر ٨٧٩ م) .

وفى سنة سبع وستين ومئتين فى يوم الخميس الثاني والعشرين من شوال (٢٢ ماي ٨٨١ م) منها كانت زلزلة عظيمة ماسمع الناس بمثلها قبلها تهدمت منها القصور ، وانحطت منها الصخور والجبال ، وهرب الناس من المدن الى البرية من شدة اضطراب الأرض وتساقط السقوف والحيطان والدور ، وقرت أنطبور عن أوكارها وفرانجها ، وماجت فى الهواء زمانا حتى سكنت الزلزلة ، وعمت هاذه الرجفة بلاد العدو من طنجة الى تلمسان وجميع بلاد الأندلس سهولها وجبالها من البحر الشامى الى أقصا المغرب ، الا أنها لم يمت فيها أحد لطفاً من الله تعالا بخلقه .

وفى سنة ثلاث وسبعين ومئتين توفي الامام محمد بن عبد الرحمان ابن الحكم ملك الأندلس وولي بعد المنذر .

وفى سنة ست وسبعين ومئتين طبقت الفتنة جميع بلاد الأندلس والمغرب وأفريقية .

وفى سنة خمس وثمانين ومئتين كانت المجاعة الشديدة التى عمت جميع بلاد الأندلس وبلاد العدو حتى أكل الناس بعضهم بعضا ، ثم أعقب ذلك وباء ومرض وموت كثير هلك فيه من الناس مالا يحصا ، فكان يدفن فى القبر الواحد أعداد من الناس لكثرة الموتا وقلة من يقوم بهم ، وكانوا يدفنون من غير غسل ولاصلاة .

وفى سنة تسع وثمانين ومئتين كان الكسوف العظيم للشمس ، كسفت الشمس كلها ، وذلك فى يوم الاربعاء التاسع والعشرين من شوال

من السنة المذكورة (الثلاثاء ٦ أكتوبر ٩٠٢ م) وذلك بعد صلاة العصر، فبدر أكثر الناس بالأذان فى المساجد للمغرب ، فغاب القرص كله وظهرت النجوم ، ثم انجلت بعد ذلك وعادت مضيئة قدر ثلث او نصف ساعة ، ثم غربت وأعاد الناس الأذان والاقامة والصلاة .

وفى سنة ست وتسعين ومئتين تغلب الشيعى على أفريقية وأخرج عنها بنى الأغلب وقطع ملكهم .

وفى سنة سبع وتسعين ومئتين قطع الشيعى دعوة بنى العباس من أفريقية وأظهر مذهبه وتسمأ بأمرير المومنين وتلقب بالمهدى ، وهو أول نقش دراهمه وتسمأ بأمرير المومنين فى أيامه .

وفى سنة ثلاث وثلاثمئة كانت بالأندلس والعدوة وأفريقية فتن كثيرة ومجاعة عظيمة شبهت بمجاعة عام ستين ومئتين ، بلغت فيها الحاجة مبلغا لاعهد للناس بمثله ، وصل مد القمح ثلاثة دنانير ، ووقع الموت فى الناس حتى عجزوا عن دفن موتاهم .

وفى سنة خمس وثلاثمئة أحرقت النار أسواق مدينة تاهرت قاعدة زناتة ، وأحرقت أسوار مدينة فاس ، وأحرقت أرباض مدينة بياسة من بلاد جوف الأندلس ، وأحرقت أسوار قرطبة ، وذلك فى شهر شوال من سنة خمس وثلاثمئة المذكورة ، (مارس - أبريل ٩١٨ م) ، فسميت سنة النار .

وفى سنة سبع وثلاثمئة كان بالمغرب وبالأندلس وأفريقية رخاء مفرط ووباء كثير وطاعون ، وفيها كانت الريح الشديدة السوداء التي قلعت الأشجار وهدمت الديار بمدينة فاس ، قتأب الناس وخافوا ولزموا المساجد، وارتدعوا عن كثير من الفواحش والفساد .

وفى سنة ثلاث عشرة وثلاثمئة ملك الأمير موسى بن أبى العافية مدينة فاس واستولا على جميع أعمال المغرب .

وفى سنة ثلاث عشرة وثلاثمئة ادعا النبوة رجل يسما حماميم فى جبال غمارة ودخل فى دينه خلق كثير من غمارة ، والديانة التي شرعها

لهم صلاتان بالنهار ، واحدة عند طلوع الشمس والآخرى عند غروبها ، ثلاث ركعات فى كل صلاة ، ويسجدون ويطون أيديهم تحت وجوههم ، وجعل لهم قرأنا يقرأونه بلسانهم بعد تهليل يهللون به وهو : (خلى من الذنوب يامن خلا النظر ينظر فى الدنيا ، خرجنى من الذنوب يامن أخرج يونس من بطن الحوت وموسا من البحر) • ثم يقول فى ركوعه أمنت بحاميم وبأبى يخلف صاحبه ، وأمنت بتاليت عمه حاميم ، ثم يسجد ، وكانت تاليت هاذه امرأة كاهنة ، وفرض عليهم صوم يوم الاثنين وصوم يوم الخميس الى الظهر ، وصوم يوم الجمعة وصوم عشرة أيام من شهر رمضان ويومين من شوال ، ومن أفطر فى يوم الخميس عمدا فكفارته أن يتصدق بثلاثة أثار ، ومن أفطر فى يوم الاثنين فكفارته ثوران ، وفرض عليهم الزكاة والعشر من كل شيء ، وأسقط عنهم الحج والوضوء والتطهر من الجنابة ، وأحل لهم أكل كل انثا خنزير ، وقال : انما حرم قرآن محمد الذكر ، وجعل الحوت لا يؤكل الا بذكاة ، وحرم عليهم أكل البيض وأكل رأس كل حيوان ، فبعث عليه الناصر ملك الأندلس ، فقبض عليه وقتل وصلب بقصر مصمودة ، وبعث برأسه الى قرطبة ، ورجع أتباعه الى الاسلام .

وفى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة دخل القائد ميسور الشيعى مدينة فاس ، فقتل بها ثلاثة آلاف رجل ، وفيها دخل أيضا وارزيغت (٦٣) ومدينة عوسجة من مدائن مكناسة دخلها بالسيف فقتل بهما مايزيد على سبعة آلاف رجل .

وفى سنة سبع وعشرين وثلاثمئة كانت سنة الغمام ، أقام الغمام بالمغرب خمسة أيام لايرا الناس فيها شمسا ولا يرا واحد من الأرض الا موضع قدمه ، فخاف الناس لذلك وأخرجوا الصدقات فتأبوا ، فكف الله عنهم ذلك الغمام •

وفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمئة ترفي موسى بن أبى العافية أمير
مكناسة كلها .

وفى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمئة دخل أبو يزيد مخلد بن كيداد
اليفرنى مدينة القيروان وغلب على جميع أفريقية .

وفى سنة تسع وأربعين وثلاثمئة دخل جوهر قائد الشيعة مدينة
فاس بالسيف وقتل خلقا كثيرا ، وحمل أشياخها أسارا الى أفريقية ، وفتح
سجلماسة وقطع دعوة بنى مدرار عنها ، وفيها ملك عبد الرحمان الناصر
مدينتي سبتة وطنجة من بلاد العدو وبناهما فاصلح أسوارهما ، وقيل بل
ملكهما فى سنة تسع عشرة وثلاثمئة .

وفى سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة ، نزل برد عظيم كبير الحجر ، زنة
الحجر رطل وأزيد ، قتل الطير والوحوش والبهائم وطوائف من الناس ،
وكسر الثمار والشجر ، وكان ذلك اثر قحط شديد وغلاء عام .

وفى سنة اثنتين وأربعين وثلاثمئة نزل أيضا برد عظيم لم يعهد مثله ،
قتل المواشي وأهلك الثمار ، واستسقا الناس فيه هاذه السنة واستصحوا ،
وجاءت السيول العظيمة بجميع المغرب ، وكان بها الرعود القاصفة
والبروق الشديدة ، ودام ذلك أياما كثيرة ، وفيها كانت الريح الشديدة
التي هدمت المباني .

وفى سنة أربع وأربعين وثلاثمئة كان الوباء العظيم بالمغرب والأندلس ،
هلك فيه أكثر الخلق ، وفيها ملك الناصر لدين الله مدينة تلمسان من
أرض العدو .

وفى سنة خمسين وثلاثمئة توفي عبد الرحمان الناصر لدين الله (٦٤)
وفى سنة خمس وخمسين وثلاثمئة كانت ريح شديدة قلعت الأشجار
وهدمت الديار وقتلت الرجال ، وفى ليلة الثلاثاء الثامن عشر من شهر
رجب الفرد منها (١٠ يوليوز ٩٦٦ م) ظهر فى البحر شهاب ثاقب مائل

كالعمود العظيم أضاء الليل لسطوع نوره وشبهت بليلة القدر ، وقارب ضوعها ضوءاً النهار ، وفى هذا الشهر كسفت الشمس والقمر ، كسف القمر ليلة أربع عشرة منه ، وطلعت الشمس مكسوفة فى اليوم الثامن والعشرين منه

• وفى سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة ملك الشيعى مصر .

• وفى سنة احدا وستين كان الجراد بالمغرب .

وفى سنة اثنتين وستين وثلاثمئة دخلت زناة المغرب وتملكوه ، وتعرف هذه السنة بسنة لقمان المغراوى ، وفيها توفي الشيخ الصالح الفقيه الفاضل أبو ميمونة دراس بن اسماعيل .

وفى سنة خمس وستين وثلاثمئة توفي معد بن اسماعيل الشيعى ملك مصر وأفريقية .

وفى سنة ست وستين وثلاثمئة توفي الحكم المستنصر ملك الأندلس، وولي ولده هشام المؤيد ، وهو ابن عشرة أعوام ، وفيها دخل يعلا بن يدو اليفرنى مدينة مكناسة الزيتون بالسيف .

وفى سنة ثمان وستين وثلاثمئة غلب يعلا بن يدو اليفرنى على مدينة لواتة .

وفى سنة تسع وتسعين وثلاثمئة دخل بلكين بن زيرى بن مناد المغرب ونزل على مدينتي فاس ، فقتل سلاطينهم محمد بن أبى علي بن قشوش صاحب القرويين ، وعبد الكريم بن ثعلبة صاحب عدوة الأندلس ، وسار الى سبنة ، ثم عاد الى أفريقية .

وفى سنة ثمان وستين وثلاثمئة ملك زيرى بن عطية على قبائل زناة وفى سنة خمس وسبعين وثلاثمئة زحف عسكلجة (٦٥) الى مدينة فاس من الأندلس فدخلها بالسيف وملكها ، وخطب بها لبنى أمية ، وبقي محمد بن عامر المكناسى عامل العبيديين بعودة القرويين الى سنة ست

وسبعين وثلاثمئة ، وهو عام أبى بياش ، فأتى أبو بياش واسمه يطوت بن بلكين المغراوى ، فدخل عدوة القرويين بالسيف فقبضها ، وقتل عاملها محمد بن عامر الكناسى ، وخطب بها أيضا لبنى أمية .
وفى سنة سبع وسبعين وثلاثمئة عم الجراد الكثير بلاد المغرب وقتك بها .

وفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمئة بلغ الفيض الذي فاضت فيه أودية المغرب الى غاية لم تعهد .

وفى سنة تسع وسبعين كانت الريح الشرقية بالمغرب ، دامت الى ستة أشهر فأعقبها الوباء العظيم والأمراض الكثيرة .

وفى سنة ثمانين وثلاثمئة كان الخلف والرخاء المفرط بالمغرب ، فكان الزرع لايجد من يشتريه لكثرتة ، وكان الحراثون يتركونه فى قدادينهم ولا يحصدونه لرخصه .

الخبر عن دولة زناتة المغراوين واليفرنيين

بالمغرب وقيام ملكهم

أول ملك منهم بالمغرب زيرى بن عطية بن عبد الله بن تبادل بن محمد بن خزر الزناتى المغراوى الخزرى ، ملك على زناتة فى سنة ثمان وستين وثلاثمئة ، فقام فى المغرب بدعوة هشام المؤيد وحاجبه المنصور ابن أبى عامر ، وذلك بعد انقطاع أيام الأدارسة وبنى أبى العافية المكناسيين منه ، فغلب زيرى على جميع بوادى المغرب وملك مدينة فاس ، دخلها قواده عسكلاجة وأبو بياش ، ثم أتا هو بعدهما فدخلها واستوطنها وصيرها دار ملكه ، وذلك فى سنة سبع وسبعين وثلاثمئة ، فلما ملك مدينة فاس استقام له أمر المغرب فعلا قدره وقوى سلطانه وارتفع شأنه ، وخالف أبو البهار ابن زيرى بن مناد الصنهاجى على ابن أخيه منصور بن بلكين أمير أفريقية

وظهير الدولة العبيدية ، وخلع دعوة العبيديين ومال الى دعوة الروانيين ، وغلب على مدينة تلمسان ومدينة تنس ومدينة وهران وشلف وشرشال وجبال ونشريس والمدينة وكثير من بلاد الزاب ، وخطب للمؤيد وحاجبه المنصور ابن أبى عامر ، وبعث بيعته لهم ، وذلك فى سنة سبع وسبعين وثلاثمئة ، فلما وصلت بيعته للمنصور ابن أبى عامر بعث اليه بعهد على ما بيده من البلاد وهدية وخلع وأربعين الف دينار ، فلما قبض المال والهدية أقام على بيعتهم نحو الشهرين ، ثم خلعهم وعاد الى العبيديين ، فبلغ ذلك المنصور فغاضه وكتب لزيرى بن عطية بعهد على جميع بلاد ابى البهار ، وأمره بقتاله عليها ، فسار زيرى بن عطية من مدينة فاس فى جيوش لاتحما من قبائل زناتة وغيرهم ، ففر أبو البهار بنفسه أمامه ولحق بابن أخيه منصور بن بلكين وترك البلاد ، فملك زيرى بن عطية مدينة تلمسان وسائر أعمال أبى البهار ، فانبسط سلطانه بالمغرب من السوس الأقصا الى الزاب ، وكتب بالفتح الى المنصور ابن أبى عامر ، وبعث له بهدية عظيمة فيها مئتا فرس من عناق الخيل وخمسون جملا مهربية سوابق ، وألف درقة من اللمطية وأحمال كثيرة من قسي الزارة (٦٦) وقطوط الزيد والزرافة وأصناف من الوحوش الصحراوية كاللمط وغيره ، وألف حمل من التمر الجيد فى جنسه ، وأحمال كثيرة من ثياب الصوف الرقيقة ، فسر بها المنصور وكافأه عليها ، وكتب له بتجديد عهده على المغرب ، وذلك فى سنة احدا وثمانين وثلاثمئة ، وأقام زيرى بن عطية بمدينة فاس ، وأسكن قبيله فى أنحائها وبالقرب منها فى قباطينهم الى سنة اثنتين وثمانين فاستدعاه المنصور أن يقدم عليه ، فاستخلف على المغرب ولده المعز ، وأمره بسكنا تلمسان ، واستخلف على عدوة الأندلس من مدينة فاس عبد الرحمان بن عبد الكريم بن ثعلبة ، وعلى عدوة القرويين علي بن محمد بن علي بن قشوش ، وولا قضاء المدينتين الفقيه الفاضل قاسم

66) ذكر ياقوت فى معجم البلدان أنها قرية باقليم طرابلس تصنع بها القسي الفاتقة ، وربما كانت هى قرية الزارات الواقعة قرب قابس بالقطر التوسى .

ابن عامر الأزدي وسار الى الاندلس وحمل بين يديه هدية عظيمة من جملتها طير فصيح يتكلم بالعربية والبربرية ! ودابة من دواب المسك ومهاة وحشية تشبه الفرس وحيوانات غريبة وأسدان عظيمان فى قفصين من حديد وتمر كثير فى غاية الفخر التمرة منه تشبه الخيارة من عظمها وحمل معه من قومه وعبيده ثلاثمئة فارس وثلاثمئة راجل فصنع له المنصور برونزا عظيما وانزله بقصر جعفر الحاجب ووسع له فى الجرايات والاكرام ولقبه باسم الوزير وأعطاه مالا جسيما وخلعا نفيسة وصرقه الى عمله وجدد له عمله على المغرب وعلى جميع ماغلب عليه منه فجاز البحر وحصل بمدينة طنجة فلما استقر بها ودخلها وضع يده على رأسه وإقال الآن علمت أنك لى واستقل ماوصله به المنصور واستقبح اسم الوزارة التى سماها بها ، ولقد خاطبه بها بعضهم، فنهاه عن ذلك ، وقال ويحك ، وزير ! لا والله إلا أمير ابن أمير ، وأعجبا لابن أبى عامر ومخرقته لأن تسمع بالمعيذى خير من أن تراه ولو كان بالاندلس رجل ماتركه على حاله وكان الأمير يدو بن يعلا اليفرنى انتهز الفرصة فى غيبة زيرى بن عطية بالاندلس ، فزحف الى مدينة فاس ، فدخل منها عدوة الاندلس بالسيف وملكها وذلك فى شهر ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين وثلاثمئة فلما جاز زيرى بن عطية الى طنجة اتصل به خبر يدو بن يعلا وغلبته على فاس فأسرع السير نحو فكانت بينهما حروب عظيمة وكان الأمير يدو بن يعلا اليفرنى مضاهيا لزيرى بن عطية فى الحسب والفضل والمال أمير بنى يفرن كلها ويقرن ومفراوة أخوان شقيقان أيضا يصلين بن سيرى بن زاكيا بن ورسيع بن جانا بن زناتا وكان يدو بن يعلا قد قام بأمر بنى يفرن بعد قتل أبيه يعلا بن محمد حين قتله جوهر بأمر الشيعى سنة سبع وأربعين وثلاثمئة فملك كثيرا من بوادى المغرب فكانت بينه وبين زيرى بن عطية حروب كثيرة ومنازعة على الامارة والرياسة كان الأمير يدو بن يعلا اذا غلب دخل مدينة فاس ، واذا هزم وغلب زيرى بن عطية أخرجه عنها وملكها وكانت الحرب بينهم سجالا فلما دخلها فى غيبة زيرى قتل بها خلقا كثيرا من

مغراوة فاتاه زيرى حتى نزل قريبا من المدينة ، فكانت بينهم حروب عظيمة هلك فيها خلق كثير من القبيلتين مغراوة وبنى يفرن الى أن هزمه زيرى ودخل عليه فاسا عنوة فقتله ومثله به ، وذلك فى سنة ثلاث وثمانين وثلاثمئة ، وبعث برأسه الى المنصور ابن أبى عامر بقرطبة ، وقوي أمر زيرى ابن عطية بالمغرب ، ولم يبق له منازع وهابته الملوك ، وبقي الأمر بينه وبين المنصور ، فبنا مدينة وجدة ، وشيد سورها وقصبتها وركب أبوابها ، وسكنها بأهله وحشمه ، ونقل اليها أمواله وذخائره ، وجعلها قاعدته ودار ملكه لكونها واسطة بلاده ، وكان اختطاط زيرى بن عطية لمدينة وجدة فى شهر جب الفرد سنة أربع وثمانين وثلاثمئة (غشت - شتنبر ٩٩٤ م) ولم يزل زيرى بن عطية فى علو سلطان ، وارتفاع شان ، الى سنة ست وثمانين وثلاثمئة ، ففسد ما بينه وبين المنصور واتصل بالمنصور أن زيرى يستنقصه ويعرض فى شأنه ويتكلم فيه بالقبيح فقطع عنه المنصور ما كان يجريه له فى كل سنة ، فعزم زيرى على خلافه وقتاله ، فقطع ذكره من الخطبة وترك الدعاء له ، واقتصر على ذكر هشام المؤيد خاصة ، فلما وصل المنصور ان زيرى خلع طاعته وطرد عماله من المغرب وأجلاهم الى سبتة ، واقتصر على الدعاء للمؤيد خاصة ، أنفذ اليه مولاه واضحا الفتافى جيش عظيم لمحاربتة ، فجاز واضح البحر واستقر بمدينة طنجة ، فاتاه بعض قبائل البربر من غمارة وصنهاجة وغيرهما ، فبايعوه على قتال زيرى بن عطية ومن معه من قبائل زناتة ، وأعطاهم الخلع والأموال ، وبعث اليه المنصور من كان معه بالأندلس من أجناد البربر ، فتكاملت جيوشه ، فخرج بهم واضح نحو زيرى بن عطية من طنجة ، فاتصل خبر قدومه بزيرى بن عطية ، فخرج اليه من مدينة فاس فى عساكر زناتة وغيرهم ، فالتقا الجمعان بوادي رداة (٦٧) فكانت بينهم حروب شديدة مدة من ثلاثة أشهر الى أن هزم واضح الفتا وقتل أكثر جيوشه ، وفر واضح الى طنجة فدخلها مهزوما ، وكتب الى المنصور يخبره بحالته

67) وأدب شهر قرب مشروح ابن القصيرى بدائرة سوق أربنا- الغرب من إقليم القنيطرة.

وهزيمته ويطلب منه ان يمدد بالخييل والأموال والرجال ، فخرج من قرطبة فوصل الجزيرة الخضراء ، فجوز ولده عبد الملك المظفر بجميع عسكر الأندلس وجيوشها وقوادها ، وبقي المنصور وحده ، وأمره بحرب زيرى ابن عطية ، فركب عبد الملك المظفر البحر من الجزيرة الخضراء السى سبته ، فبلغ زيرى جواز عبد الملك لحربه ، فخافه وأخذ فى الاستعداد لملاقاته ، وكتب الى جميع قبائل زناتة يستنصرهم ، فأتته الوفود من بلاد الزاب وبلاد تلمسان وملوية وسجلماسة وسائر بوادى زناتة ، فنهض بهم الى قتال عبد الملك المظفر ، وخرج عبد الملك من طنجة ومعه واضح الفتا فى جيوش لاتحصا ، فالتقا الجمعان بوادى منى ؟ من أحواز طنجة ، فكانت بينهم حروب لم يسمع قط بمثلها (استمرت) يوما كاملا من طلوع الشمس الى غروبها ، فأتاغلام أسود اسمه سلام كان زيرى قتل أخاه ، فوجد الفرصة فيه لأخذ ثأره منه ، فضربه بسكين فى لبتة يريد نحره ، فجرحه ثلاث جراحات ولم يقض عليه ، فسار الأسود الى عبد الملك المظفر فأعلمه بضره لزيرى ، فأمكنك عبد الملك الفرصة ، فشد بجميع جيشه على زناتة وهم فى حال دهشة من جرح أميرهم فهزّمهم ، واستمرت الهزيمة على زيرى وأصحابه وكثر القتل فيهم ، واتبعهم عبد الملك بالقتل والسبي ، وملك محلة زيرى بأسرها ، واحتوا على جميع ما فيها من المال والسلاح والابل والكراع والعدة ، فأخذ من ذلك ما لا يوصف ولا يحصى بعداد ، وسار زيرى حتى وصل لموضع يعرف بمضيق الحية بالقرب من مدائن مكناسة فأقام به واجتمع اليه الفل من قومه ، فعزم على الرجوع لمناهضة عبد الملك المظفر ، فاتصل خبره بالمظفر ، فانتخب من عسكره خمسة آلاف فارس وقدم عليهم واضحا الفتا ، فالتقا بهم وضرب على محلتهم وهم بمضيق الحية ليلا وهم فى غفلتهم أمنون ، وذلك فى نصف شهر رمضان المعظم سنة سبع وثمانين وثلاثمئة (الثلاثاء ٢١ شتنبر ٩٩٧ م) فأوقع بهم وقعة عظيمة وأسر من أشراف مغراوة نحو ألفي رجل ، فامتن عليهم عبد الملك المظفر وأركبهم ، فكانوا من جنده ، وفر زيرى الى مدينة فاس فى شردمة من أصحابه وبنى عمه ، فغلق أهلها الأبواب فى وجهه ،

فسألهم ان يخرجوا عياله وأولاده ، فأخرجوهم اليه ، وأعطوه الزاد والدواب ، فأخذهم وانصرف الى الصحراء هاريا أمام المظفر ، فنزل بلاد صنهاجة ، وسار المظفر الى المدينة فدخلها ، واستقبله أهلها مستبشرين به ، فأحسن لقاءهم ، وكان دخول المظفر الى مدينة فاس يوم السبت منسلخ شوال سنة سبع وثمانين المذكورة (الخميس ٤ نوفمبر ٩٩٧ م) ، وكتب الى أبيه بالفتح ، فقريء الكتاب على منبر جامع الزهراء بقرطبة وعلى منابر قواعد الأندلس كلها شرقا وغربا ، وأعتق المنصور ألفا وخمسمئة مملوك وثلاثمئة مملوكة شكرا لله تعالا ، وفرق أموالا كثيرة لأهل الفقير وذوى الحاجات ، وكتب الى ولده المظفر بعهدده على المغرب ، وأوصاه بحسن السيرة والعدل ، فقرأ كتابه على منبر جامع القرويين ، وذلك في يوم الجمعة أخر ذى القعدة (٤ دجنبر) من السنة المذكورة ، وانصرف واضح الى الأندلس ، واستوطن عبد الملك مدينة فاس ، وعدل فى أهلها عدلا لم يروه من أحد قبله ، فأقام بها ستة أشهر ، ثم صرفه والده عنها الى الأندلس ، وبعث اليها عوضا منه عيسا بن سعيد صاحب الشرطة ، فأقام واليا عليها الى شهر صفر من سنة تسع وثمانين وثلاثمئة فعزله المنصور عنها وعما كان ولاءه من بلاد العدو ، وولا على ذلك واضحا الفتا ، وانصرف عنها عيسا بن سعيد الى الأندلس ، وذلك فى سنة تسع وثمانين المذكورة ، ووصل زيرى بن عطية الى بلاد صنهاجة فنزل بها ، فوجدهم قد اختلفوا على ملكهم بادريس بن منصور بن بلكين بعد وفاة أبيه منصور ، فبعث زيرى الى قبائل زناتة قائما منهم خلق كثير من مغراوة وغيرهم ، فاغتنم زيرى تلك الفرصة وزحف بهم الى صنهاجة ، فأوغل فى بلادهم وهزم جيوشهم ، ودخل الى مدينة تاهرت وجملة من بلاد الزاب ، فملك ذلك مع تلمسان وشلف والمسيلة ، وأقام بها الدعوة المؤيدية ، وحاصر مدينة أشير قاعدة بلاد صنهاجة ، وبقي عليها يقاتلها بالعدو والرواح الى أن انقضت عليه جراحاته التى حرجه الأسود ، فمات فى سنة احدا وتسعين وثلاثمئة (١٠٠١ م) فولي بعده ولده المعز ، فبايعته قبائل زناتة وضبط أمرهم وقام بملك أبيه ، وصالح المظفر المنصور

ابن ابي عامر وقلده أمر المغرب ، فكانت مدة ملكه بالمغرب نحو
عشرين سنة .

الخبر عن دولة الامير المعز بن زيرى بن عطية

المغراوى بفاس وبلاد المغرب

هو المعز بن زيرى بن عطية المغراوى ، أمة حرة اسمها تكاتيون
بنت مناد بن تبادلت المغراوى .

ولي ملك المغرب بعد وفاة أبيه ، وبإيعه قبائل زناتة ، فضبط ملكه
وقام به أتم قيام ، وصالح المنصور ابن أبى عامر ، وقام بدعوته ورجع
الى طاعته ، ولم يزل كذلك الى أن توفي المنصور وولي ولده عبد الملك
المظفر ، فبإيعه أيضا ودعا له على منابره . فعزل المظفر واضحا عن
فاس وسائر بلاد المغرب وصرفه الى الأندلس ، وكتب الى المعز بن زيرى
ابن عطية بعهدده ، على مدينة فاس وسائر أعمال المغرب مدنه وبيواديه ،
وذلك فى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمئة ، وشرط له المعز أن يعطيه فى كل
سنة خيلا ودرقا ومالا معلوما يرصله الى قرطبة ، وأعطاه المعز مع ذلك
ولده معنصر رهينة ، فأقام معنصر بقرطبة الى أن قامت الفتنة
بالأندلس وانقضت الدولة العامرية ، والبقاء لله وحده ، ولامعبود سواد ،
فانصرف معنصر الى أبيه المعز (٦٨) ولم تزل بلاد المغرب أيام المعز فى
غاية الهدنة والعافية والرخاء والأمن الى أن توفي فى جمادى الأولى سنة
اثننتين وعشرين وأربعمئة (أبريل - ماي ١٠٣١ م) فكانت أيامه بالمغرب
ثلاثا وثلاثين سنة ، وولي بعده ولد عمه حمامة بن المعز بن عطية الزناتى
المغراوى ، وقال بعض المؤرخين ولي بعده ولده حمامة بن المعز بن زيرى ،

(68) سياى للمؤلف ما يخالف هذا ، انظر حوادث سنة تسع وثلاثمئة فى فصل
(الأحداث التى كانت فى أيام زناتة) الآتى .

ابن عطية وليس بصحيح ، وانما ذلك غلط ووهم منهم اذا اتفقت أساميها وأسامى أباؤها ، وانما الوالى بعده ابن عمه حمامة بن المعز ابن عطية المذكور ، وقيل انه لم يكن للمعز بن زيرى ولد الا معنصر خاصة

الخبر عن دولة الأمير حمامة بن المعز بن عطية

الزناتى المغراوى

هو حمامة بن المعز بن عطية بن عبد الله بن تبادلت بن محمد بن خزر الزناتى المغراوى الخزرى ، ملك المغرب بعد وفاة ابن عمه المعز بن زيرى بن عطية المذكور ، فقام بأمر زناتة واستوطن مدينة فاس ، فقسام عليه بمدينة سلا الأمير تميم بن زيرى (٦٩) بن يعلا بن محمد بن صالح اليفرنى وزحف اليه الى مدينة فاس فى قبائل بنى يفرن ، فخرج اليه حمامة بن المعز من مدينة فاس فى قبائل مغراوة ، فالتقا الجمعان ، فكان بينهم قتال عظيم مات فيه خلق كثير من مغراوة ، وانهزم حمامة بن المعز أمام تميم اليفرنى وفر الى مدينة وجدة من أحواز تلمسان ، ودخل الأمير تميم الى مدينة فاس .

الخبر عن دولة الأمير تميم اليفرنى بمدينة فاس وأعمالها

وهي الدولة الاولا له بها

وهو الأمير ابو الكمال تميم بن زيرى بن يعلا الزناتى ثم اليفرنى أمير بنى يفرن كلها فى وقته ، ملك مدينة فاس بعد هروب حمامة عنها

109 فى الأصل تميم بن تميم بن زيرى ، وتعل الصواب تميم بن أبى تميم . والى الله المشتكى من هذه الكنا والالتقاء .

ويهزيمته ، وذلك فى شهر جمادا الأخرة سنة أربع وعشرين وأربعمئة (ماي ١٠٣٣ م) فأوقع فيها باليهود ، فقتل منهم خلقا كثيرا يزيد على الستة الألاف يهودي ، وأخذ أموالهم وسبا نساءهم ، وكان تميم اليفرنى رجلا مصمما فى دينه الغالب عليه الجهل ، وكان مولعا بجهاد برغواطة ، كان يغزوهم فى كل سنة مرتين فيقتل منهم ويسبى ، فلم يزل على ذلك الى أن مات فى سنة ثمان وأربعين وأربعمئة ، فلما كانت سنة اثنتين وستين وأربعمئة وقتل ولده فى حرب لمتونة أتوا به ليدفونه الى جانب قبر أبيه تميم ، فسمعوا من قبره تكبيرا عظيما وتشهدا ، فنبشوا قبره فوجدوه لم يتغير منه شيء ، فرأاه بعض قرابته فى النوم تلك الليلة وقال له : ماذلك التسبيح والتكبير والتشهد الذي سمعنا من قبرك ؟ قال ملائكة وكلهم الله تعالا بقبري يكبرون ويهللون ويسبحون ويكون أجر ذلك لى فلا يقطع لى عمل الى يوم القيامة ، قال له : وبسم نلت ذلك وبلغت من الله تعالا هاهذه المنزلة حتى أكرمك هاهذه الكرامة ؟ قال بجهادي فى الكفرة برغواطة وفعلى فيهم فى كل سنة ، فأقام الأمير تميم بمدينة فاس مدة من سبعة أعوام ، ووصل حمامة بن المعز الى وجدة فأقام بها سنة وقد تفرقت عنه جيوشه وتمزقت جموعه ، فلما رأى ذلك خرج من مدينة وجدة الى مدينة تنس ، وكتب الى قبائل مغراوة ، فاجتمعوا اليه بها ، وأقام حركة وزحف بجيوش مغراوة الى مدينة فاس فملكها ، وفر عنها تميم اليفرنى الى مدينة شالة ، وذلك فى دولته الثانية فى ذي الحجة سنة تسع وعشرين وأربعمئة ، وأقام حمامة بن المعز على ملك مدينة فاس وكثير من أعمال المغرب ومدنه الى أن توفي فى سنة أربعين وأربعمئة فكانت أيامه بالمغرب ثمان عشرة سنة ، غلب فيها تميم اليفرنى بمدينة فاس نحو خمسة أعوام أو سبعة على اختلاف فى الروايات ، وولي بعد حمامة ولده دوناس .

الخبر عن دولة الأمير دوناس بن حمامة

هو دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المفاوي ، ولي بمدينة فاس وأحوازها وجميع ماكان بيد أبيه من أعمال المغرب ومدنه ، وكانت أيامه أيام دعة وهدنة ورخاء كثير ، وفي أيامه عظمت فاس وعمرت وكثرت أرباضها وقصدها الناس والتجار من جميع النواحي والبلاد ، فأدار دوناس السور على الأرباض ، وبنا المساجد والحمامات والفنادق ، فصارت حاضرة المغرب ، ولم يشغل دوناس من يوم ولي الى أن توفي الا بالبناء والتشييد ، وتوفي دوناس بمدينة فاس فى شهر شوال من سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة (نوبر ١٠٦٠ م) ، فولى بعده ولداه الفتوح وعجيسة ، فكان الفتوح على عدوة الأندلس ، وعجيسة على عدوة القرويين ، وكانت أيام دوناس بن حمامة اثنتين وعشرين سنة تنقص قليلا

الخبر عن دولة الأخوين الأميرين الفتوح وعجيسة

ابني الأمير دوناس بن حمامة

لما توفي دوناس ولي بعده الفتوح وهو الأكبر ، فاستوطن عدوة الأندلس من مدينة فاس ، وولا أخاه عجيسة على عدوة القرويين ، وكان أصغر منه سنا الا أنه كان شهما ، فقام عليه بعدوة القرويين ، فكان بينهما الحرب على الدوام ، وبنا الفتوح بعدوة الأندلس قسبة منيعة بالموضع المعروف بالكذان ، وبنا أيضا أخوه عجيسة قسبة مثلها برأس عقبة الصعتر من عدوة القرويين ، وكثرت العداوة ، فكانا لايزالان يقتتلان ليلا ونهارا ، فكثرت الخوف فى أيامهما بالمغرب وغلت الأسعار واشتدت المجاعة وعظم الهرج وقويت الفتن فى جميع نواحي المغرب ، وظهرت لتونة على أطراف البلاد فملكوها ، والحرب بين الأخوين عجيسة

والفتوح على الدوام والاستمرار ، ليس لأهل المدينة شغل الا القتال أثناء الليل وأطراف النهار الى أن ظفر الفتوح بأخيه عجيسة فقتله .

والفتوح بن دوناس هو الذى بنا باب الفتوح من مدينة فاس بسورها القبلى وبه عرفت الآن ، وأخوه عجيسة هو الذى بنا باب عجيسة من أبواب عدوة القرويين برأس عقبة الصعتر من ناحية الجوف وسماها باسمه ، فلما ظفر الفتوح بأخيه عجيسة وقتله أمر الناس بتغيير اسم الباب الذى بناه أخوه وترك اضافته اليه ، فأسقط الناس العين من عجيسة وأدخلوا عوضا منها الألف واللام ، فقالوا الجيسة ، فبقي ذلك الى الآن ، وكانت مدة اقامة الفتوح يحارب أخاه عجيسة ثلاثين متواليه الى أن دخل عليه عدوة القرويين ليلا بالغدر فقتله وملك العدوتين ، ولم يزل الفتوح على ملك مدينة فاس الى أن أتاه لتونة ، فنزلوا عليه وضيقوا عليه بالحصار والغارات ، فتخلا عنها ووليها ابن عمه معنصر بن حماد ابن معنصر بن المعز بن زيرى بن عطية ، وذلك فى سنة سبع وخمسين وأربعمئة ، وكانت أيام الفتوح خمسة أعوام وسبعة أشهر ، وكلها فى شدة وخوف ومجاعة وحرب وغلاء مفرط ، أعاننا الله واياكم منه .

الخبر عن دولة الأمير معنصر بن حماد بن معنصر

ابن المعز بن زيرى بن عطية المفاوى بمدينة فاس

لما تخلا الفتوح بن دوناس عن ملك مدينة فاس ولي ابن عم أبيه معنصر بن حماد بن معنصر بن المعز بن زيرى بن عطية ، فبايعته قبائل مفاوة الذين بها ، وذلك فى شهر رمضان المعظم من سنة سبع وخمسين وأربعمئة (غشت ١٠٦٥ م) وكان معنصر ذا حزم ورأى وتدبير واقدام وشجاعة ونجدة ، فبقي أميرا على مدينتي فاس يحارب لتونة الى أن اشتد عليه الأمر وعظمت الحروب فى بعض الوقائع ففقد ، فلا يدري

ما فعل الله به وذلك فى سنة ستين وأربعمئة (٧٠) ودخل اللمتونيون مدينة فاس مع أميرهم يوسف بن تاشفين الصنهاجى بعد فقد معنصر بن حماد بخمسة أيام ، وهى الدخلة الثانية (٧١) لهم بهادخلوها صلحا بالأمان فأقام الأمير يوسف بن تاشفين أياما ، ثم ارتحل عنها الى جبل غمارة وترك بها عامله فى مئة فارس من لتونة ، فأتا تميم بن معنصر فى جمع عظيم من زناتة ، فدخلها على من بقى من لتونة وقتلهم ومثل بهم بالحرق والصلب ، وأقام بها ملكها وضبطها ، ولم يزل يقاتل بها الى أن اشتد عليه الحصار فدخلها عليه الأمير يوسف بن تاشفين عنوة بالسيف بعد حروب كثيرة ، وهى الدخلة الثالثة (٧٢) الكبرا قتل بها من مغراوة وبنى يفرن فى جوامعها وأزقتها مايزيد على العشرين ألف رجل ، وذلك فى سنة اثنتين وستين وأربعمئة ، فكانت أيامه بها نحو سنتين ، وكانت أيام مغراوة وبنى يفرن بالمغرب نحو مئة سنة ، وذلك من سنة اثنتين وستين وثلاثمئة الى سنة اثنتين وستين وأربعمئة وفى أيامهم تمدنت فاس وعظم شأنها ، وبنيت الأسوار على أرباضها . وحصنت أبوابها . وزيد فى جامعها القرويين والأندلس ، زيادة كثيرة ، واتسع الناس فى أيامهم فى البناء ، فكبرت المدينة وكثرت الخيرات بها ، واتصل الأمن والرخاء بطول أيامهم الى أن ظهر المرابطون بالمغرب وقد ضعفت أحوال مغراوة ونقص ملكهم وجاروا على رعيقتهم فأخذوا أموالهم وسفكوا دماءهم وتعرضوا لحرهم ، فانقطعت عنهم الموارد وكثر الخوف فى البلاد ، وغلت الأسعار ، وتبدل الرخاء بالشدة ، والأمن بالخوف ، والعدل بالجور ، وتوالا منهم ظلم وعدوان على رعيقتهم ، وغلاء مفرط لم يسمع بمثله ، وفتنة شديدة ، فاتصل الجوع والغلاء ، وعمدت الأقوات فى مدينة فاس وأعمالها أيام الفتوح بن دونيس وأيام ابن عمه معنصر

(70) دخل المرابطون فاس الدخلة الأولى سنة 455 هـ .

(71) فى الأصل الدخلة الأولى .

(72) فى الأصل الدخلة الثانية .

وأيام ولده تميم بن معنصر الى أن بلغ الدقيق بمدينة فاس وغيرها من البلاد المغربية القريبة منها أوقية بدرهم ، وعمدت الأقوات فيها بالكلية ، فكان رؤساء مغراوة وبنى يفرن يدخلون على الناس فى ديارهم فيأخذون مايجدون فيها من الطعام ويتعرضون لنسائهم وصبيانهم ، ويأخذون أموال التجار ، فلا يقدر أحد ان يصددهم عن ذلك ولايتجراً أن يكلمهم فيه، ومن لم يوافقهم فى شيء من ذلك أو صددهم عنه قتلوه ، وكان سفهاؤهم وعبيدهم يصعدون على جبل العرض (٧٣) فينظرون الى الدير التي بالمدينة ، فأبى دار رأوا فيها دخانا قصدوا اليها فدخلوها وأخذوا ما يجدون بها من الطعام ، فلما فعلوا ذلك سلبهم الله ملكهم ، وغير نعمته لديهم ، فان الله لا يغير نعمة قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، فسلط الله عليهم المرابطين ، فأزالوا ملكهم وشتتوا جمعهم وقتلوهم وأخرجوهم عن بلاد المغرب بأسره ، وفى أيام جورهم اشتد الجوع بالمغرب ، فاتخذ أهل فاس المطامير فى بيوتهم وديارهم للخزن والطحن والطبخ ليلا يسمعوها دوي الرحا ، وفيها أيضا اتخذوا غرفا لا أدراج لها ، اذا كان عشي النهار طلع الرجل فيها بسلم هو وعياله وأولاده ، ثم رفع السلم معه ليلا يدخل عليه فجأة .

الخبر عن الأحداث التي كانت بالمغرب

فى أيام زناتة من مغراوة وبنى يفرن

وذلك من سنة 380 إلى سنة 462

فى سنة احدا وثمانين وثلاثمئة كان قحط شديد ببلاد المغرب والأندلس وأفريقية ، جفت من أجله المياه جفوا كثيرا ، وجاء هأذه السنة بوادى سجلماسة سيل عظيم لم يعهد مثله ولم ير بتلك الأرض كلها فى

تلك السنة مطر ، فعجب الناس من ذلك .
وفيها كانت المجاعة الشديدة بأفريقية والأندلس والمغرب ، ودامت
المجاعة ثلاث سنين ، من سنة تسع وسبعين الى سنة احدا وثمانين .
وفيها ظهر نجم فى السماء ، وذلك فى ليلة الخميس الثالث والعشرين
من شهر رجب من العام المذكور (٥ أكتوبر ٩٩١ م) ، كان هذا النجم فى
رأى العين كالصومعة العظيمة ، طلع من جهة المشرق وتهاقت جريا من
بين المغرب والجوف ، وتطايير منه شرر عظيم فزع الناس منه ودعوا الله
تعالا فى صرف مكروهه عنهم ، وكسف بالشمس فى آخر هذا الشهر ،
قاله ابن الفياض فى كتاب القيس ، وقال ابن مزين : كان ذلك فى سنة
ثمانين وثلاثمئة .

وفى الآخر احدا وثمانين اغاث الله تعالا الأمة وتداركهم بالرحمة
ومطر الناس مطرا عاما ، وأكلت الأرض وحطت الأسعار ، وحيى الناس
وانتعشت البيهائم والدواب .

وفيها اتا الجراد الكثير فوق النهاية ، عم جميع بلاد الأندلس فسرح
بها ، وكان جلّه وأكثره بقرطبة حتى كثر به الأذا وعظم به البلاء ، فأبرز
المنصور الأموال للناس وأمرهم بجمعه وعقره ، وجعل جمعه وظيفة كل
أحد بقدر طاقته ، وأفرد له سوقا لبيعه من جانب السوق ، وتمادا أمر
هذا الجراد ثلاث سنين من سنة احدا وثمانين وثلاثمئة الى آخر سنة
ثلاث وثمانين .

وفى سنة احدا وثمانين المذكورة نبذ يدو بن يعلا طاعة المنصور ابن
ابى عامر .

وفيها ولي (عبد الرحمان) ابن ثعلبة عدوة الأندلس من فاس ، وولي
(علي) ابن قشوش عدوة القرويين .

وفيها ولي الفقيه عامر بن القاسم قضاء المدينتين : الأندلس
والقرويين .

وفى سنة اثنتين وثمانين دخل يدو بن يعلا اليفرنى عدوة الأندلس
من فاس بالسيف .

وفيهما جاء السيل الطائل بقرطبة فأذهب أسواقها ، وعلا
على الزهراء

وفيهما كانت الريح الشديدة بالغرب وهدمت الديار وأفسدت الثمار
وفيهما قطع المنصور ابن أبى عامر من الكتب خاتم المؤيد ، واقتصر
على خاتمه فسمي المؤيد من تلك السنة .

• وفيها كان الكسوف الذي أذهب القرص كله .

وفى سنة أربع وثمانين وأربعمئة ولد الفقيه الظاهرى أبو محمد
علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب مولي زيد بن أبى سفيان ، وله
تأليف جمّة فى أنواع العلوم ، وتوفى سنة ست وخمسين وأربعمئة .

• وفيها توفي الفقيه الجليل موسى بن يحيى الصديقي .

وفى سنة خمس وثمانين كانت الرياح الهائلة التي هدمت المباني
بمدينة تلمسان وأحوازها واقتلعت الأشجار العظام ونظر الناس إلى
البهائم تمر بين السماء والأرض ، نعوذ بالله من سخطه .

وفى سنة احدا وتسعين وثلاثمئة توفي الأمير زيرى بن عطية وولي
بعده ولده المعز .

وفى سنة اثنتين وتسعين وثلاثمئة توفي المنصور بن أبى عامر ملك
الأندلس فى شهر رمضان منها وهو بالثغر قافلا من غزوة له ، فدفن فى
مدينة سالم ولحد فى الغبار الذى كان يعلوه فى غزواته ، فانه كان اذا
خرج الى غزوة تنفض أثوابه فى عشي كل يوم على أنطاع من جلد ،
ويضم مايقع منها من الغبار ، فاجتمع له من ذلك كثير ، فلما مات لحد
فيه وكان سنه يوم توفي خمسا وستين سنة .

وفى سنة تسع وتسعين وثلاثمئة توفي ولده عبد الملك الوالى بعده
مسموما ، وولي بعده أخوه عبد الرحمان ، فبعث إليه المعز بن زيرى بن

عطية بهدية عظيمة ، فيها مئة وخمسون فرسا ، وكان ولده معنصر مرتين
عنده بقرطبة ، فأحضر العاجب عبد الرحمان ابن المنصور معنصر بن
المعز حين وصلته الهدية ، فخلع عليه وعلى الرسل الذين قدموا عليه
بالحهدية وبعثه الى أبيه مكرما (٧٤) فجمع المعز كل فرس كان عنده وبعث به
الى قرطبة وكان مبلغها تسعمئة فرس ، ولم تصل من المغرب الى
الأندلس هدية أعظم منها •

وفى سنة احدا وأربعين وثلاثمئة توفي الفقيه القاضى العدل الورع
الصالح عبد الله بن محمد ابن محسود الهوارى (٧٥) بمدينة فاس وولي
القضاء مكانه بها الفقيه العالم القاضى العدل محمد بن أبى شعيب ،
فبقي على قضاء مدينة فاس ستا وعشرين سنة الى أن قتل هو وبنوه ،
قتلهم الأمير دوناس بن حمامة المغراوي ، وكان القاضى ابن محسود من
قضاة العدل وأئمة الفضل زاهدا فى الدنيا مقبلا على الله تعالى على قدم
التجريد ، لما مات لم يترك غير سجادة مصلاه وقعب يتوضأ فيه ومصحفه
الذي كان يقرأ فيه رحمه الله تعالى •

وفى سنة ثلاث وأربعمئة غلب الأمير المعز بن زيرى بن عطية على
مدينة سجلماسة •

وفى سنة ست وأربعمئة طلع الكوكب الوقاد فى السماء ، وكان
عظيم الجرم كثير الضياء ، يطلع فى الأفق الشرقى ، قال بعض المنجمين
ان ذلك النجم يعرف بالضيء من ذوات الأذئاب ، وهو نجم هائل المنظر
مفرط الضياء شديد الاضطراب والحركة ، له ذوائب أربع محددة
الاطراف ، وهو أحد النيرات الاثني عشر التي نكرها الأوائل ، ورصدها
علمائهم فى المدة الطويلة ، وزعموا أنه لا يظهر منها كوكب الا لقضية
يحدثها فى العالم ، والله أعلم بغيبه ، وكان ابتداء ظهوره فى أول
شعبان من سنة ست وأربعمئة المذكورة ، طلع أول ظهوره قبل وقت المغرب

(74) هاذا مخالف لما تقدم .

(75) انظر ترجمته فى التشوف ع 17 و سلوة الأنفاس 3 : 160 و جلوة الاقتباس ص 235 .

ثم تقهقر الى أن طلع فى الليل ، وأقام مدة من ستة أشهر ثم غاب ، وكان
بهاذه السنة رياح كثيرة وبروق خاطفة وعود قاصفة دون مطر .

وفى سنة سبع وأربعمئة انقرضت الدولة الأموية بالأندلس ، وقامت
بها الدولة الحمودية ، وكان مبلغ مدتهم بها مئتي سنة وستين سنة وثلاثة
وأربعين يوما .

وفيهما كان بالمغرب والأندلس وأفريقية قحط شديد ومسغبة عامة
ووباء كثير .

وفى سنة احدا عشرة وأربعمئة اشتد القحط ببلاد المغرب كلها من
تيهرت الى سجلماسة ، وكثر الفناء فى الناس .

وفيهما ظهر الثوار على بلاد الأندلس ، وبدت بها ملوك الطوائف ،
واستبد كل واحد منهم بجهة .

وفى سنة ثلاث عشرة وأربعمئة توفي الفقيه عبد الرحيم ابن العجوز
بفاس (٧٦) .

وفى سنة خمس عشرة كانت الزلزلة العظيمة ببلاد الأندلس التي
هدمت الجبال واضطربت بها الأرض وهدمت الديار من شدتها .

وفى سنة اثنتين وعشرين وأربعمئة توفي الأمير المعز بن زيري بن
عطية بفاس ووليها حماسة ابن عمه .

وفى سنة ثلاثين وأربعمئة توفي الفقيه أبو عمران الفاسى رحمه
الله فى مدينة القيروان .

وفى سنة احدا وثلاثين وأربعمئة توفي القاضى اسماعيل بن عباد
القائم باشبيلية .

وفى سنة ثمان وأربعين وأربعمئة دخل الامير أبو بكر بن عمر

(76) فى الأصل وفى سنة سبع عشرة وأربعمئة ، انظر ترجمة عبد الرحيم ابن العجوز فى
شجرة النور الزكية I : 115 وانظر بيونات فاس الكبرى ص 41 - 68 .

• الممتوني المغرب

وفى سنة احدا وخمسين وأربعمئة قتل الفقيه عبد الله بن ياسين
الجزولى مهدى لمتونة ، قتله مجوس برغواطة ، فمات شهيدا •
وفى سنة اثنتين وخمسين دخل المهدي بن كلاتو بن توالى مدائن
مكناسة •

الخبر عن ظهور الدولة المرابطية اللمتونية

وقيامها بالمغرب والقبلة وبلاد الأندلس

وذكر ملوكهم ومدة أيامهم إلى انقضائها وذهابها

نكر محمد بن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني صاحب كتاب
الاكليل فى الدولة الحميرية أن لمتونة فخذ من صنهاجة ، وصنهاجة فخذ
من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير ، وأن الملك أفرقيش بن أبرهة ذى
المنار بن الحرث الرائش بن شداد بن اللطاط بن عمرو بن الصوار بن
عبد شمس بن وائل بن حمير لما ملك حمير خرج غازيا نحو بلاد المغرب ،
وأرض أفريقية ، فلما توغل بالمغرب بنا مدينة أفريقية ، وهي مشتقة من
اسمه ، وخلف بها من قبائل حمير وزعمائها صنهاجة ليردوا البربر على
شاكلتهم ويأخذوا خراجهم ويديروا أمرهم •

وروا أبو عبيدة عن ابن الكلبي أن أفرقيش لما نقل البربر عن الشام
ومصر الى المغرب وبنا مدينة أفريقية وأنزل العرب منازلهم من المغرب
ترك فيه قبيلتين من دهاته ، وهما صنهاجة وكتامة ، فهما فى الزبير
الى اليوم •

وقال الزبير بن بكار أن صنهاج أبا صنهاجة ابن حمير بن سبأ
ولد حمير بن سبأ لصلبه •

وقال أبو فارس بن عبد العزيز المزورى الشاعري رحمه الله فى

ارجوزته فى التاريخ المسماة بنظم السلوك فى الأنبياء والخلفاء والملوك (٧٧) مرابطون أصلهم من حمير قد بعدت أنسابهم عن مضر كانوا ملوكا فى الزمان الأول وأمرهم وحالهم لم يجهل وقد رأيت فى كتاب النسب قولا به أعجز أهل الأدب بان صنهاج سليل حمير وهو ابنه لصلبه لا العنصر اكرم به من نسب صريخ فقله لا تخف من التصريح عدلهم وفضلهم مشهور ومجدهم وسعدهم مذكور قد خلفوا من بعدهم حسن الثنا فى غريتنا وبلغوا فيه المنا وقيل صنهاجة فخذ من هواره ، وهواره فخذ من حمير يمانيون من ولد الصوار بن وائل من حمير ، وانما سموا هواره لأن أباهم المشهور لما جال فى البلاد ووقع بالمغرب بقبلة القيروان من بلاد أفريقية قال : لقد تهورت فى البلاد ، فسموا هواره بذلك والله أعلم .

وتنقسم صنهاجة على سبعين قبيلة ، منهم لتونة ، وكدالة ، ومسوفة ولطة ، ومسراتة ، وتكلاتة ، ومنداسة ، وبنى وارث ، وبنى مسفير ، وبنى دخير ، وبنى زياد ، وبنى موسا ، وبنى لماس ، وبنى فشتال ، وفى كل قبيلة بطون وأخاذ وقبائل أكثر من أن تحصى ، وهاذه القبائل كلها صحراوية ، حوز بلادهم فى القبلة مسيرة سبعة أشهر طولا ومسيرة أربعة أشهر عرضا ، من نول لطة الى قبلة القيروان من بلاد أفريقية ، وهي ما بين بلاد البربر وبلاد السودان ، ومنهم قوم لا يعرفون حرثا ولا زرعا ولا ثمارا ، وانما أموالهم الأنعام ، وعيشهم اللحم واللبن ، يقيم أحدهم عمره لا يأكل خبزا الا ان يمر ببلادهم التجار فيتحفونهم بالخبز والدقيق ، وكثيرهم على السنة والجماعة يجاهدون السودان .

وكان أول ملك منهم بالصحراء يتلوتان بن تلاكاكين الصنهاجى اللمتونى ، ملك بلاد الصحراء بأسرها ، ودان له بها أزيد من عشرين

ملكا من ملوك السودان ، كلهم يؤدون له الجزية ، وكان عمله مسيرة ثلاثة أشهر فى مثلها ، كلها عامرة ، وكان يركب فى مئة ألف نجيب ، وكان فى أيام الامام عبد الرحمان القائم بالأندلس ، ودامت أيامه وطال عمره نحو من ثمانين سنة الى أن توفي فى سنة اثنتين وعشرين ومئتين فكانت أيامه خمسا وستين سنة ، فولى بعده حفيده الأثير بن فطر بن يتلوتان المذكور ، فقام بأمر صنهاجة الى أن توفي سنة سبع وثمانين ومئتين ، فكانت أيامه خمسا وستين سنة ، فولى بعده ولده تميم بن الأثير ، فأقام ملكا على قبائل صنهاجة الى سنة ست وثلاثمئة ، فقامت عليه أشياخ قبائل صنهاجة ، فقتلوه وافترق أمرهم ، فلم يجتمعوا على أحد بعده ، فاختلفت كلمتهم ، وتفرقت أهواؤهم مدة من مئة وعشرين سنة ، الى أن قام فيهم الأمير أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشتا اللمتونى ، فاجتمعوا عليه وقدموه على أنفسهم ، وكان من أهل الدين والفضل والصلاح والحج والجهاد ، فأقام أميرا على صنهاجة مدة من ثلاثة أعوام الى أن استشهد فى غزاة له بموضع يقال له بغارة ، وهم قبائل من السودان يسكنون بمقربة من مدينة تاتكلاتين غربا منها ، كانوا على دين اليهودية ، ومدينة تاتكلاتين يسكنها قبيلة من صنهاجة يعرفون ببني وارث ، وهم قوم صالحون على السنة والجماعة ، وأسلموا على يد عقبة بن نافع الفهري أيام فتحه للمغرب ، وهم يجاهدون السودان الذين هم على غير الاسلام ، فلما توفي الأمير أبو عبد الله بن تيفاوت اللمتونى ولي أمر صنهاجة بعده صهره يحيى بن ابراهيم الكدالى .

الخبر عن دولة الأمير يحيى بن إبراهيم الكدالى

وقيامه بأمر صنهجة

ولي الأمير يحيى بن إبراهيم الكدالى بعد وفاة محمد بن قارشتا اللمتونى ، وكدالة ولتونة اخوة يجتمعون فى أب واحد ، وهم يسكنون الآخر بلاد الاسلام ، ويحاربون السودان ، ويلبهم من جهة المغرب البحر المحيط ، فأقام الأمير يحيى بن إبراهيم على رئاسة صنهجة وحروبهم مع أعدائهم الى سنة سبع وعشرين وأربعمئة ، فاستخلف ولده إبراهيم بن يحيى على رئاسة صنهجة وحروبهم مع أعدائهم ، وارتحل الى المشرق برىم حج بيت الله الحرام ، وزيارة قبر نبيه عليه السلام ، فوصل وقضا حجه وزيارته وقصد الى بلاده ، فمر فى طريقه بمدينة القيروان فلقى بها الفقيه الصالح أبا عمران موسى بن الحاج الفاسى ، كان قد رحل من مدينة فاس فاستوطن القيروان يأخذ عن أبى الحسن القابسى ، ثم رحل الى بغداد ، فحضر بها مجلس الفقيه القاضى أبى بكر بن الطيب ، فأخذ عنه علما كثيرا ، ثم عاد الى القيروان ، فلم يزل بها الى أن توفي رحمه الله لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان المعظم سنة ثلاثين وأربعمئة فلما وصل يحيى بن إبراهيم الكدالى الى القيروان ألفا بها إيا عمران الفاسى يدرس العلم ، فجلس اليه وسمع منه ، فأراه أبو عمران محبا فى الخير فأعجبه حاله ، فسأله عن اسمه وبلده ونسبه فأخبره بذلك وأعلمه بسعة بلاده وما فيها من الخلق ، فقال له وما ينتحلون من المذاهب ؟ فقال له انهم قوم غلب عليهم الجهل وليس لهم كثير علم ، فاخبره الفقيه وسأله عن واجبات دينه ، فلم يجده يعرف منها شيئا ، ولا يحفظ من الكتاب والسنة حرفا ، الا أنه حريص على التعلم ، صحيح النية والعقيدة واليقين، جاهل بما يصلح دينه ، فقال له ما يمنعك من التعلم للعلم ؟ فقال له ياسيدي ان أهل بلادي قوم عمهم الجهل ، وليس فيهم من يقرأ القرآن ، وهم مع ذلك يحبون الخير ويرغبون فيه ويسارعون اليه لو وجدوا من يقرئهم

القرآن ويدرس لهم العلم ويفقههم في دينهم ، ويدعوهم الى العمل بالكتاب والسنة ويعلمهم شرائع الاسلام ، ويبين لهم سنن النبي عليه السلام ، فلو بغيت الثواب من الله تعالا بتعليمهم الخير لبعثت معي الى بلادنا بعض طلبتك وتلاميذك يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين ، فينتفعون به ويسمعون له ويطيعون فيكون لك في ذلك الأجر العظيم والثواب الجسيم عند الله ، اذ تكون سببا لهدايتهم ، فندب الشيخ الفقيه أبو عمران تلاميذه الى ذلك فامتنعوا وأشفقوا من دخول الصحراء ، ولم يجبه منهم أحد ممن يرضاه الشيخ ، فلما يئس منهم قال : انى أعرف ببلاد نفيس من أرض المصامدة فقيها حاذقا تقيا ورعا لقينى هنا وأخذ عنى علما كثيرا وعرفت ذلك منه ، واسمه واجاج بن زلو اللمطى من أهل السوس الأقصى ، وهو الآن يتعبد ويدرس العلم ويدعو الناس الى الخير فى رباط هنالك ، وله تلاميذ جمة يقرءون عليه العلم ، اكتب له كتابا لينظر فى تلاميذه من يبعثه معك فسر اليه ، فعنده تجد ماتريد ، فكتب اليه الفقيه أبو عمران كتابا فيه : سلام عليكم ورحمة الله ، أما بعد اذا وصلت حامل كتابى هذا وهو يحيى بن ابراهيم الكدالى فابعث معه الى بلاده من طلبتك من تثق بدينه وورعه وكثرة علمه وسياسته ليعلمهم القرآن وشرائع الاسلام ويفقههم فى دينهم وله ولك فى ذلك الثواب والأجر العظيم ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ، والسلام ، فسار يحيى بن ابراهيم الكدالى بكتاب أبى عمران حتى وصل الى الفقيه واجاج بن زلو اللمطى بمدينة نفيس ، فسلم عليه ودفع اليه الكتاب ، وذلك فى شهر رجب الفرد فى سنة ثلاثين وأربعمئة فقرا الفقيه واجاج بن زلو الكتاب ، وجمع تلامذته فقراه عليهم ، وندبهم لما أمره به الشيخ أبو عمران الفاسى ، فانتدب لذلك رجل منهم جزولسى النسب يعرف بعبد الله بن ياسين الجزولى ، وكان من حذاق الطلبة الأذكياء النبهاء النبلاء من أهل الدين والفضل والتقا والورع والفقه والأدب والسياسة ، مشاركا فى العلوم ، فخرج مع يحيى بن ابراهيم حتى وصل بلاد كدالة ، فالتقا قبائل كدالة وملتونة بالسرور وفرحوا به غاية ، وبالغوا فى اكرامه وبره .

الخبر عن دخول الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولى

صنهاجة وقيامه بها مع لمتونة والمرابطين من قبائل صنهاجة

هو الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولى المجاهد المرابط الورع الزاهد الصوام القوام ، مهدي المرابطين .

لما وصل بلاد كدالة مع ابراهيم بن يحيى الكدالى فرح به قبائل لمتونة وأكرموه وعظموه لما ذكر لهم يحيى عنه من العلم والفضل ، وكان يحيى قد أنزله معه ، فوجد عنده تسع نسوة ، فسأله عنهن ، فقال : هن زوجاتي ، فقال له الفقيه : هاذا شيء لايجوز فى دين الاسلام ، وانما يجوز لك أربع ، ففارق خمسا ، فأجابته بالسمع والطاعة وفارقهن ، ثم قال له ان جميع الرؤساء من كدالة ولتونة على مثل حالى ، فأنذرهم وعرفهم حكم الله ، فخرج الفقيه عبد الله بن ياسين ويحيى معه وجمع الرؤساء فقال لهم : بلغنى أنكم تتزوجون بما شئتم من النساء ، حتى ان الشخص منكم يجمع بين العشرة ، وليس هاذا من السنة ، وانما السنة والاسلام أن يجمع الرجل بين أربع نسوة حرائر ، وله سعة فيما شاء من ملك اليمين ، ثم جعل يعلمهم الدين ويبين لهم شرائع السنة ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، فلما رأوه قد شدد عليهم فى ترك ما هم عليه من المنكرات تيرأوا منه وهجروه ونافروه وثقل ذلك عليهم ، ومع ذلك فانه وجد أكثرهم لا يصلون ولا يزكون وليس عندهم من الاسلام الا الشهادة ، وقد غلب عليهم الجهل ، فلما رأى عبد الله بن ياسين أعراضهم واتباعهم أهواءهم أراد الرحيل عنهم الى بلاد السودان الذين دخلوا فى الاسلام اذ كان الاسلام بها قد ظهر ، فلم يتركه يحيى بن ابراهيم الكدالى ، وقال له انى لاتركك تنصرف ، وانما أتيت بك لأنتفع بعلمك فى خاصة نفسي ودينى ، وما علي فيمن ضل من قومي ، ولكن ياسيدي هل لك فى رأي أشير به عليك ان كنت تريد الأخرة ، قال وما هو ؟ قال : ان هاهنا فى بلادنا جزيرة فى البحر اذا انحسر البحر دخلنا اليها على أقدامنا ، واذا امتلأ دخلناها فى

الزوارق ، وفيها الحلال المحض الذي لا شك فيه من أشجار البرية وصيد البر وأصناف الطير والوحش والحوث ، فندخل اليها فنعيش فيها بالحلال ونعبد الله تعالا حتي نموت ، فقال ، فقال له عبد الله بن ياسين هاذا أحسن ، فهل بنا ندخلها على اسم الله ، فدخلاها ودخل معها سبعة نفر من كدالة ، فابتنوا بها رابطة ، وأقام بها مع أصحابه يعيدون الله تعالا مدة من ثلاثة أشهر ، فتسامع الناس بأخبارهم ، وأنهم يطلبون الجنة والنجاة من النار ، فكثر الوارد عليهم والتوابون فأخذ عبد الله بن ياسين يقرئهم القرآن ويستميلهم الى الآخرة ويرغبهم فى ثواب الله تعالا ويحذرهم اليم عذابه حتى تمكن حبه منهم فى قلوبهم ، فلم تمر عليهم أيام حتى اجتمع له من تلاميذه نحو الف رجل من اشراف صنهجة ، فسماهم المرابطين للزومهم رابطة ، وأخذ هو يعلمهم الكتاب والسنة والوضوء والصلاة والزكاة وما فرض الله عليهم من ذلك ، فلما تفقهوا فى ذلك وكثروا قام فيهم خطيبا ، فوعظهم وشوقهم الى الجنة ، وخوفهم من النار ، وأمرهم بتقوا الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأخبرهم بما فى ذلك من ثواب الله تعالا وعظيم الأجر ، ثم دعاهم الى جهاد من خالفهم من قبائل صنهجة ، وقال لهم : يامعشر المرابطين انكم جمع كثير ، وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم ، وقد أصلحكم الله تعالا وهداكم الى صراطه المستقيم ، فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا فى سبيل الله حق جهاده ، فقالوا ايها الشيخ المبارك : مرنا بما شئت تجدينا سامعين مطيعين ، ولو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا ، فقال لهم اخرجوا على بركة الله ، وأنذروا قومكم ، وخوفوهم عقاب الله ، وأبلغوهم حجة ، فان تابوا ورجعوا الى الحق واقبلوا عما هم عليه فخلوا سبيلهم ، وان أبوا من ذلك وتمادوا فى غيهم ولجوا فى طغيانهم استعنا بالله تعالا عليهم ، وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا ، وهو خير الحاكمين فسار كل رجل منهم الى قومه وعشيرته ، فوعظهم وأنذرهم ودعاهم الى الاقلاع عما هم بسبيله ، فلم يكن منهم من يقبل ولا يرجع ، فخرج اليهم عبد الله بن ياسين . فجمع اشراف القبائل ورؤساءهم

وقرأ عليهم حجة الله ودعاهم الى التوبة وخوفهم عقاب الله ، فأقام يحذرهم سبعة أيام وهم فى كل ذلك لا يلتفتون الى قوله ولا يزدادون الا فسادا ، فلما يئس منهم قال لأصحابه : قد أبلغنا الحجة وأنذرنا ، وقد وجب علينا الان جهادهم ، فاغزوهم على بركة الله تعالا ، فبدأ أولا بقبيلة كدالة ، فغزاهم فى ثلاثة آلاف رجل من المرابطين ، فانهزموا بين يديه ، فقتل منهم خلقا كثيرا وأسلم الباقرن اسلاما جديدا وحسنت حالهم ، وأدوا ما يلزمهم من جميع ما فرض الله عليهم وذلك فى شهر صفر سنة أربع وثلاثين وأربعمئة ، ثم سار الى قبائل لتونة فنزل بهم وقابلهم حتى ظهر عليهم وأذعنوا الى الطاعة وتابوا ، وباعوه على اقامة الكتاب والسنة ، ثم سار الى قبائل مسوفة فغزاهم حتى اذعنوا وباعوه على ما بايعته قبائل لتونة وكدالة ، فلما رأى ذلك قبائل صنهاجة ولتونة سارعوا الى التوبة والى مبايعته وأقروا له بالسمع والطاعة ، فكان كى من أقبل اليه تائباً منهم طهره بأن يضربه مئة سوط ثم يعلمه القرآن وشرائع الاسلام ويأمره بالصلاة والزكاة واخراج العشر ، وجعل لذلك بيت مال يجمعه فيه ، وأخذ يركب منه الجيوش ويشترى السلاح ويغزو القبائل حتى ملك جميع بلاد الصحراء واستولا على قبائلها ، وجمع أسلاب المقتولين فى ذلك الغزو وجعلها فيئا للمرابطين ، وبعث بمال عظيم مما اجتمع عنده من الزكاة والأعشار والأخماس الى طلبة بلاد المصامدة وقضاتها ، واشتهر أمرهم فى جميع بلاد الصحراء وبلاد القبلة وبلاد المصامدة وسائر بلاد المغرب ، وأنه قام رجل بكدالة يدعو الى الله والى طريق مستقيم ويحكم بما أنزل الله ، وأنه متواضع زاهد فى الدنيا ، واشتهر ذلك ببلاد السودان ، وتوفي يحيى بن ابراهيم الكدالى ، فأراد عبد الله بن ياسين أن يقدم غيره فى موضعه ليقوم بحروبهم ، وكان اكثر قبائل صنهاجة طاعة لله تعالا ودينا وصيلا لتونة ، فكان عبد الله بن ياسين يكرمهم ويشرفهم ويقدمهم على قبائل صنهاجة ، وذلك لما أراد الله من ظهور أمرهم وتملكهم على المغرب والأندلس ، فجمع عبد الله بن ياسين رؤساء القبائل من صنهاجة ، فقدم عليهم يحيى بن عمر

اللمتوني وأمره على سائرهم ، وعبد الله بن ياسين هو الأمير على الحقيقة ، لأنه هو الذي يأمر وينها ويعطى ويأخذ ، فكان الأمير يتولا النظر فى أمر حروبهم ، وعبد الله بن ياسين ينظر فى ديانتهم وأحكامهم ويأخذ زكاتهم وأعشارهم .

الخبر عن دولة الأمير يحيى بن عمر بن تكلاكين الصنهاجى اللمتونى

لما قدّم عبد الله بن ياسين يحيى بن عمر اللمتونى المرابط وكان من أهل الدين المتين والفضل والورع والزهد فى الدنيا والصلاح ، أمره بالجهاد ، وكان يحيى شديد الانقياد لعبد الله بن ياسين ، كثير الطاعة له فيما يأمره به وينهاه عنه ، فمن حسن طاعته له أنه قال له يوما وجب عليك أدب ، قال له فيم ياسيدي ؟ قال له لا أعرفك به حتى أخذه منك ، فكشف له عن بشرته ، فضربه عشرين سوطا ، ثم قال له انما ضربتك لأنك باشرت القتال واصطليت الحرب بنفسك ، وذلك خطأ منك ، فان الأمير لا يقاتل ، وانما يقف ويحرض الناس ويقوى نفوسهم ، فان حياة الأمير حياة عسكره ، وموته فناء جيوشه ، فاستولا الأمير يحيى على جميع بلاد الصحراء ، وغزا بلاد السودان ففتح كثيرا منها ، فلما كان فى سنة سبع وأربعين وأربعمئة اجتمع فقهاء سجلماسة وفقهاء درعة وصلحائهم فكتبوا الى الفقيه عبد الله بن ياسين والى الأمير يحيى بن عمر وأشياخ المرابطين كتابا يرغبون منهم الوصول لبلادهم ليطهروها مما هي فيه من المنكرات وشدة العسف والجور ، وعرفوهم بما هم فيه بها أهل العلم والدين وسائر المسلمين من النذل والصغار والجور مع أميرهم مسعود بن وانودين الزناتى المغراوي ، فلما وصل الكتاب لعبد الله بن ياسين جمع رؤساء المرابطين وقرأ عليهم الكتاب وشاورهم فى الأمر ، فقالوا له أيها الشيخ الفقيه هاذا مما يلزمنا ويلزمك ، فسر بنا على بركة

الله تعالا ، فأمرهم بالجهاز ، وخرج بهم فى الموفى عشرين لُصفر سنة سبع وأربعين وأربعمئة (الأحد ٢١ ماي ١٠٥٥ م) فى جيش عظيم من المرابطين ، فسار حتى وصل بلاد درعة فوجد بها عامل أمير سجلماسة ، فأخرجه عنها ، ووجد بها خمسين ألف ناقة كانت بها فى مراعيها لصاحب سجلماسة مسعود المغراوى ، فعلم الأمير مسعود بذلك ، فجمع جيوشه وخرج نحوهم ، فالتقا الجمعان فكانت بينهم حروب عظيمة منح الله تعالا المرابطين فيها النصر على مغراوة ، فقتل مسعود بن وانودين المغراوى وأكثر جيوشه وفر الباقون ، فأخذ عبد الله بن ياسين أموالهم ودوابهم وأسلحتهم مع الابل التي أخذ فى درعة ، فأخرج منه خمس جميعه ففرقه فى فقهاء سجلماسة ودرعة وصلحائهما ، وقسم الباقي على المرابطين ، وارتحل من فورهِ حتى دخل مدينة سجلماسة فقتل من وجد بها من مغراوة ، وأقام بها حتى هدنها وأصلح أحوالها ، وغير ما وجد بها من المنكرات ، وقطع الزامير ، وأحرق الديار التي كانت تباع بها الخمر ، وأزال المكوس ، وأسقط المغارم المخزنية ، وترك ما أوجب الكتاب والسنة تركه ، وقدم عليها عاملا من لتونة وانصرف الى الصحراء ، وتوفي الأمير يحيى بن عمر فى جهاد كان ببلاد السودان ، فقدم الفقيه عبد الله ابن ياسين فى مكانه أخاه أبا بكر بن عمر اللمتونى ، وذلك فى شهر المحرم سنة ثمان وأربعين وأربعمئة (مارس - ابريل ١٠٥٦ م) .

الخبر عن دولة الأمير أبى بكر بن عمر اللمتونى المرابط

لما توفي يحيى بن عمر قدم عبد الله بن ياسين عوضا منه أخاه أبا بكر بن عمر وقلده أمر الحرب ، فندب المرابطين الى غزو بلاد المصامدة وبلاد السوس ، فخرج اليها فى جيوش عظيمة وذلك فى شهر ربيع الثانى من سنة ثمان وأربعين وأربعمئة ، وكان الأمير ابو بكر رجلا صالحا متورعا ، فجعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتونى ، ثم

سار حتى وصل الى بلاد السوس ، فغزا بلاد جزولة ، وفتح مدينة ماسة ومدينة رودانة وجميع بلاد السوس ، وكان يرودانة قوم من السرواغض يقال لهم البجلية منسوبين الى عبد الله البجلى اليرافضى ، كان قدم الى السوس حين قدم عبید الله الشيعى الى أفريقية ، فأشاع هنالك مذهبه فورثه بعده جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن لايرون الحق الا مافى أيديهم ، فقاتلهم الأمير ابوبكر بن عمر وعبد الله بن ياسين حتى فتح مدينتهم عنوة ، وقتل بها من الروافض خلق كثير ، فرجع من بقي منهم الى السنة وأخذ أموال من قتل منهم فجعلها فيئا للمرابطين ، وأظهر الله المرابطين وأعلا كلمتهم ، ففتحوا معاقل بلاد السوس ، وأطاعتهم جميع قبائلها ، فأخرج عبد الله بن ياسين عماله على نواحيها ، وأمرهم باقامة العدل واطهار السنة فيها وألزمهم اعطاء الزكاة والعشر ، وأسقط ما سوى ذلك من المغارم الحديثة ، وارتحل الى بلاد المصامبة ففتح جبل درن ، وفتح أيضا بلاد رودة ؟ وفتح مدينة شيشاوة بالسيف ، ثم فتح بلاد فيس وسائر بلاد كدمية ، وأتاه قبائل رجراجة وحاحة فبايعوه ، وارتحل لى مدينة أغمات وبها يومئذ أميرها لقوط بن يوسف بن علي المغراوي ، فنزل عليها وضيق عليه الحصار وقاتله أشد القتال ، فلما رأى لقوط مالا ضيقة له به أسلمها له وفر عنها ليلا هو وجميع حشمه الى ناحية تادلة ، فنزل فى حما بنى يفرن أربابها ، ودخل المرابطون مدينة أغمات ، وذلك فى سنة تسع وأربعين وأربعمئة ، فأقام عبد الله بن ياسين بمدينة أغمات نحو الشهرين حتى استراح المرابطون ، ثم خرج بهم الى غزوة تادلة ففتحها وقتل من وجد بها من بنى يفرن ملوكها وظفر بلقوط المغراوي فقتله ، ثم سار الى بلاد تامسنا ففتحها ، فأخبر أن بساحلها قبائل براغواطة فى عدد عظيم وأنهم مجوس كفار .

الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين مجوس برغواطة

وذكر مذهبهم السخيف وديانتهم الخسيصة

لما وصل عبد الله بن ياسين الى بلاد تامسنا أخبر أن بساحلها قبائل برغواطة في أمم لاتحصا ، وأنهم مجوس أهل ضلال وكفر ، وأخبر بديانتهم الخسيصة التي تمسكوا بها ، وقيل له : ان برغواطة قبائل كثيرة ، وليس لهم أب واحد وأم واحدة ، وانما هم أخلاط من قبائل شتا من البربر اجتمعوا الى صالح بن طريف القائم بتامسنا حين ادعا النبوة في أيام هشام بن عبد الملك بن مروان ، وكان أصله لعنه الله من برباط حصن من عمل شذونة من بلاد الاندلس ، فكان يقال لمن تبعه ودخل في ديانته برباطي ، فعريته العرب وقالوا برغاطي ، فسموا برغواطة ، وكان صالح ابن طريف الذي ادعا فيهم النبوة ، رجلا خبيثا يهودي الأصل ، من ولد شمعون بن يعقوب عليه السلام ، نشأ برباط من بلاد الأندلس ، ثم رحل الى المشرق ، فقرأ على عبيد الله المعتزلي القدرى ، واشتغل بالسحر ، فجمع منه فنونا كثيرة ، وقدم المغرب فنزل بلاد تامسنا ، فوجد بها قبائل من البربر جهالا ، فأظهر لهم الاسلام والزهد والورع ، وأخذ يعقولهم واستمالهم بسحره ولسانه ، وأراهم من نيرجه (٧٨) وتمويهاته ، فاستغواهم بذلك وأقرروا بفضلهم واعترفوا برلايته ، فقدموه على أنفسهم ، وصدروا عن رأيه في جميع أمورهم ، ووقفوا عند أمره ونهيه ، فادعا النبوة وتسموا بصالح المؤمنين ، وقال لهم : انا صالح المؤمنين الذي ذكره الله في كتابه العزيز الذي أنزله على محمد عليه السلام ، وشرع لهم الديانات التي أخذوها عنه ، وذلك سنة خمس وعشرين ومئة ، وكان الضلال الذي شرع لهم أنهم يقرون بنبوته ، وأنهم يصومون شهر رجب ، ويأكلون شهر رمضان ، وفرض عليهم عشر صلوات : خمس بالليل

وخمس بالنهار ، وأن الأضحية واجبة على كل من تبعه فى الحادى والعشرين من الحرم ، وشرع لهم فى الوضوء غسل السرة والخاصرتين ، وصلاتهم ايماء لاسجود فيها ، ويسجدون فى أآخر ركعة خمس سجادات ، ويقولون عند الطعام والشراب باسم ياكش وزعم أن تفسيره باسم الله ، وأمرهم أن يخرجوا العشر من جميع الثمار ، وأباح لهم أن يتزوج الرجل من النساء ماشاء ، ولايتزوج من بنات عمه ، ويطلقون ويراجعون ألف مرة فى اليوم فلا تحرم المرأة بشيء من ذلك ، وأمرهم بقتل السارق حيث وجد ، وزعم أنه لايطهره من ذنبه الا السيف ، وأمرهم بالدية من البقر ، وحرم عليهم رأس كل حيوان ، والدجاجة مكروه أكلها ، وقدمتهم فى الأوقات الديكة ، وحرم عليهم ذبحها وأكلها ، ومن ذبح ديكا وأكله أعتق رقبة ، وأمرهم أن يلحسوا بصاق ولاتهم تبركا به ، فكان يبصق فى أكفهم فيلحسونه تبركا ويحملونه الى مرضاهم يستشفون به ، ووضع لهم قرأنا يقرأونه فى صلاتهم ويتلونه فى مساجدهم ، وزعم أنه نزل عليه ، وأنه وحى من الله تعالا اليه ، ومن شك فى شيء من ذلك منهم فهو كافر ، والقرآن الذي شرع لهم ثمانون سورة سماها لهم بأسماء النبيئين وغيرهم منها سورة آدم ، وسورة نوح ، وسورة أيوب ، وسورة يونس ، وسورة موسى ، وسورة هارون ، وسورة الأسباط ، وسورة فرعون ، وسورة بنى اسرائيل ، وسورة الديك ، وسورة الحجل ، وسورة الجراد ، وسورة الجمل ، وسورة هاروت وماروت ، وسورة ابليس ، وسورة الحشر ، وسورة غرائب الدنيا ، وفيها العلم العظيم عندهم ، وأمرهم أن لاغسل عليهم من الجنابة الا من الحرام ، وقد ذكرنا اخبار برغواطة وملوكهم مستوفاة فى كتابنا الكبير السما (بأزهار البستان فى أخبار الزمان ، وذكر الموجود ، مما وقع فى الوجود) .

قال المؤلف عفا الله عنه :

فلما سمع عبد الله بن ياسين بحال برغواطة وماهم عليه من الضلالة راا أن الواجب تقديم جهادهم على غيرهم ، فسار الى غزوهم فى جيوش

المرابطين ، والأمير على برغواطة يومئذ أبو حفص عبد الله بن أبي بن أبي عبيد محمد بن مقلد بن اليسع بن صالح بن طريف البرغواطي المتنبي ، فكانت بينه وبين عبد الله بن ياسين حروب عظيمة وملاحم شديدة ، مات فيها من الفريقين خلق كثير ، واستشهد فيها عبد الله بن ياسين الجزولي مهدي المرابطين ورئيسهم ، فلما ثقل بالجراح فى الحرب وحمل الى عسكره ، وبه رمق جمع أشياخ المرابطين ورؤسأهـم فقال : يامعشر المرابطين انكم فى بلاد أعدائكم ، انى ميت فى يومى هذا لامحالة ، فاياكم ان تجبنوا وتفشلوا فتذهب ربحكم ، وكونو ألفة وأعوانا على الحق واخوانا فى ذات الله تعالا ، واياكم والمخالفة والتحاسد على طلب الرياسة ، فان الله يؤتى ملكه من يشاء ، ويستخلف فى أرضه من احب من عباده ، ولقد ذهبت عنكم ، فانظروا من تقدمونه منكم يقوم بأمركم ويقود جيوشكم ويغزو عدوكم ويقسم بينكم فيأكم ويأخذ زكائكم وأعشاركم ، فانفق رأيهم على تقديم أمر الحرب لأبى بكر بن عمير اللمتونى ، فقدمه عبد الله بن ياسين عليهم باتفاق من جميع أشياخ صنهاجة وأجماع منهم على ذلك ، وتوفي عبد الله بن ياسين فى عشي يومه ذلك ، وذلك يوم الأحد الرابع والعشرين لجمادى الأولى سنة احدا وخمسين وأربعمئة (٨ يوليو ١٠٥٩ م) ودفن بموضع يعرف بكريفلة بتامسنا (٧٩) وبني على قبره مسجد ، وكان عبد الله بن ياسين شديد الورع فى المطعم والمشرب ، فكان طول اقامته فيهم لا يأكل شيئا من لحمانهم ولا يشرب من ألبانهم ، فان أموالهم كانت غير طيبة لشدة جهلهم ، فكان يتصيد ويتعيش من لحوم الصيد ، وكان مع ذلك كثير الإنكاح يتزوج فى كل شهر عددا من النساء ويطلقهن ، ولا يسمع بامرأة جميلة الا خطبها ، ولا يجاوز فى مهرها أربعة مثاقيل ، وكان يأخذ الثلث من الأموال المختلطة ، ويرأ أن ذلك يحلل باقيها ، وذلك شذوذ من الفعل ، ومما يذكر من فضله وصلاحه وبركاته

(79) ما زال ضريح عبد الله بن ياسين معروفاً مزاراً بكريفلة من أرض قبيلة زعير بحوز الرباط .

التي شاهدها الناس أن المرابطين خرجوا معه فى غزواته الى السودان فنقد الماء حتى أشرفوا على التلف ، فقام عبد الله بن ياسين فتيمم وصلا ركعتين ، فدعا الله تعالا وأمن المرابطون على دعائه ، فلما فرغ من الدعاء قال لهم احفروا تحت مصلاي هاذا ، فحفروا فوجدوا الماء تحت مقدار شبر من الأرض فشربوا منه وسقوا دوابهم وملأوا أوعيتهم بماء عذب بارد ، ومن بركاته أنه نزل منزلا به بركة كثيرة الضفادع لايقدر واحد أن يستقر حولها لكثرة نقيقتها وصياحها ، فوقف عبد الله بن ياسين حذاءها فسكنت ولم يسمع لها نقيق ، فلما تباعد عنها عادت الى صياحها ، ولم يزل صائما من يوم دخل بلادهم الى أن توفي رحمه الله تعالا ، ومن حسن سياسته فيهم أنه أقام فيهم السنة والجماعة فى المدة القليلة ، وحكم عليهم أنه من فاتته الصلاة فى الجماعة ضرب عشرين سوطا ومن فاتته ركعة منها ضرب خمسة أسواط .

الخبر عن دولة الأمير أبى بكر بن عمر الصنهاجى اللمتونى

هو الأمير أبو بكر بن عمر بن تلاكاكين بن رتاناظق اللمتونى الحمدي ، أمه حرة كدالية اسمها صافية ، لما قدمه عبد الله ابن ياسين بايعته قبائل المرابطين من صنهاجة وغيرهم ، فتمت له البيعة ، وكان أول ما فعله أن أخذ فى دفن عبد الله بن ياسين ، فلما فرغ من دفنه عبأ جيوشه وقصد الى قتال برغواطة مصمما فى حربه متوكلا على الله تعالا فسى جميع أمره ، فاستأصل برغواطة حتى فروا بين يديه وهو فى أثرهم يقتل ويسبى حتى أثنخ فيهم ودفرت برغواطة فى الصحراء وأذعنوا له بالطاعة وأسلموا اسلاما جديدا ، ولم يبق لديانتهم الخسيصة أثر الى اليوم ، وجمع أموالهم وغنائمهم وقسمها بين المرابطين ، ورجع الى مدينة أغمات فاقام بها الى شهر صفر سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة ، فخرج بجيوشه الى بلاد المغرب فى أمم لاتجصا من صنهاجة وجزولة والمصامدة،

ففتح بلاد فازاز وجبالها وسائر بلاد زناتة ، وفتح بلاد مكناسة ، وارتحل الى مدينة لواتة فحاصرها حتى دخلها بالسيف وقتل بها خلقا كثيرا من بنى يفرن ، وكان دخوله اياها وتخريبه لها فى آخر يوم من شهر ربيع الاخر سنة اثنتين وخمسين وأربعمئة ، (الجمعة ٢ يونيو ١٠٦٠ م) فلم تعمر بعدها الى اليوم ، فلما فرغ من فتح لواتة ارتحل الى مدينة أغمات ، وكان قد تزوج بها امرأة اسمها زينب بنت اسحاق الهوارى رجل من التجار ، وأصله من القيروان ، وكانت امرأة حازمة لبيبة ذات رأي وعقل وجزالة ومعرفة بالأمور ، حتى كان يقال لها الساحرة ، فأقام الامير أبوبكر معها بأغمات مدة من ثلاثة أشهر الى ان قدم عليه رسول من بلاد القبلة فأخبره باختلال الصحراء ، وكان الأمير أبوبكر رجلا صالحا كثير الورع ، فلم يستحل قتال المسلمين وسفك دمائهم ، فعزم على السير الى الصحراء ليصلح أحوالها ويقم بها ليجاهد الكفار من السودان ، فلما عزم على الخروج الى الصحراء طلق زوجته زينب وقال لها عند فراقه لها : يا زينب انك ذات حسن وجمال فائق ، واني سائر الى الصحراء برسم الجهاد لعلى أرزق الشهادة والفوز بالأجر الوافر ، وأنت امرأة لطيفة لا طاقة لك على بلاد الصحراء ، وانى مطلقك ، فان تمت عدتك فتزوجى ابن عمى يوسف بن تاشفين ، فهو خليفتى على بلاد المغرب ، فطلقها ثم ارتحل عن أغمات وأخذ على بلاد تادلة حتى خرج الى سجلماسة ، فدخلها وأقام بها أياما حتى أصلح أحوالها ، فلما أراد السفر منها دعا ابن عمه يوسف بن تاشفين فعقد له على المغرب وقوض اليه أمره ، وأمره بالرجوع الى قتال من به من مغراوة وبنى يفرن وقبائل البربر وزناتة ، واتفق على تقديمه أشياخ المرابطين لما يعلمون من دينه وفضله وشجاعته وحزمه ونجدته وعدله وورعه وسداد رأيه ويمن نقيبته ، فرجع يوسف بن تاشفين الى المغرب بنصف جيش المرابطين ، وارتحل الأمير أبوبكر بن عمر بالنصف الثانى الى الصحراء ، وذلك فى شهر ذي القعدة من سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة (نونبر - دجنبر ١٠٦١ م) ، فتزوج يوسف بن تاشفين زينب المذكورة ، فكانت القائمة بملكه والمدبرة لأمره والفاطحة

بسياستها أكثر بلاد المغرب الى أن توفيت فى سنة أربع وستين وأربعمئة، وسار الأمير أبوبكر الى الصحراء فهدنها وسكن أحوالها ، وجمع جيوشا كثيرة وخرج الى غزو بلاد السودان فجاهدهم حتى فتح من بلادهم مسيرة ثلاثة أشهر ، وغلب أيضا يوسف بن تاشفين على أكثر بلاد المغرب واستوثق أمره به ، فلما سمع الأمير أبوبكر بضخامة ملك يوسف ابن تاشفين ومافتح الله عليه من بلاد المغرب أقبل اليه من الصحراء ليعزله ويولي غيره ، فأحس يوسف بن تاشفين بذلك فشاور زوجته فى ذلك الأمر ، فقالت له : ان ابن عمك رجل متورع فى سفك الدماء ، فإذا لقيته فقصر عما كان يعهده منك من الأدب والتواضع ، وأظهر له غلظة حتى كأنك مساو له ومقاومه ولاطفه مع ذلك بالأموال والهدية والخلع والثياب والطعام والظرف ، واستكثر من ذلك ، فإنه ببلاد الصحراء ، وكل شيء عندهم من هنا مستطرف ، فلما قرب الأمير أبوبكر بن عمر من عمل يوسف خرج اليه ، فالتقاه فى الطريق ، فسلم عليه وهو راكب سلاما مختصرا ولم ينزل له ، فنظر الأمير أبوبكر كثرة جيوشه ، فقال له يا يوسف ماتصنع بهاذه الجيوش كلها ؟ قال أستعين بها على من خالفنى ، فارتاب أبوبكر من سلامه عليه راكبا ومن جوابه ، ونظر الى ألف يعير موقورة قد أقبلت ، فقال ماهاذه الابل موقورة ؟ قال أيها الأمير جئتك بكل مامعى من مال وثياب وشيء من الأدام والطعام لتستعين به على الصحراء ، فازداد تعرفا من حاله ، وعلم أنه لايتخلا له عن الأمر ، فقال له يا ابن عمى انزل نوصيك ، فنزل يوسف ونزل الأمير أبوبكر ، ففرش لهما فرش فقعدا عليه فقال يا يوسف انى وليتك هذا الأمر وانى مسؤول عنه ، فأتق الله فى المسلمين واعتقنى واعتق نفسك ، ولاتضيع من أمور رعيتك شيئا فانك مسؤول عنهم ، والله تعالا يصلحك ويمدك ويوفقك للعمل الصالح والعدل فى رعيتك ، وهو خليفتى عليك وعليهم ، ثم ودعه وانصرف الى الصحراء ، فأقام بها مدة يجاهد الكفرة من السودان الى أن استشهد رحمه الله فى بعض غزواته ، رمي بسهم مسموم فمات رحمه الله ، وذلك فى شهر شعبان الحرام سنة ثمانين وأربعمئة . (نونبر

١٠٨٧ م) بعد ان استنقام له أمر بلاد الصحراء الى جبل الذهب من بلاد السودان وخلص الأمر ليوسف بن تاشفين من بعده .

الخبر عن دولة الأمير يوسف بن تاشفين اللمتوني

أمير المسلمين وسيرته وغزواته

هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن زرقوت ابن رتانطق بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتملى بن تليت الحميري الصنهاجي من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير .
أمه حرة لمتونية بنت عم أبيه ، اسمها فاطمة بنت سير بن يحيى بن وجاج بن رتانطق المذكور .

صفته : أسمر اللون نقيه ، معتدل القامة ، نحيف الجسم ، خفيف العارضين ، رقيق الصوت أكحل العينين ، أقنا الأنف ، له وفرة تبالغ شحمة أذنيه ، مقرون الحاجبين ، جعد الشعر ، وكان رحمه الله بطلا نجدا شجاعا حازما مهابا ضابطا للملكه ، متفقد الموالى من رعيته ، حافظا لبلاده وثغوره ، مواظبا على الجهاد ، مؤيدا منصورا ، جوادا كريما سخيا زاهدا فى الدنيا ، لباسه الصوف ، لم يلبس قط غيره ، وأكله الشعير ولحوم الابل وألبانها ، مقتصرأ على ذلك ، لم ينتقل عنه مدة عمره الى أن توفي رحمه الله تعالا على مأمحه الله من سعة الملك فى الدنيا وخوله منها ، فانه خطب له بالأندلس والمغرب على ألف منبر وتسعمئة منبر ، وكان ملكه من مدينة افراغه أول بلاد الافرنج قاصية شرق بلاد الأندلس الى آخر عمل شنترين والاشبونة على البحر المحيط من بلاد غرب الأندلس ، وذلك مسيرة ثلاثة وثلاثين يوما طولاً ، وفسى العرض مايقرب من ذلك ، وملك بالمغرب من بلاد العدو من جزائر بنى مزغنة الى طنجة الى آخر السوس الأقصا الى جبل الذهب من بلاد

السودان ، ولم يوجد فى بلد من بلاده ولا فى عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكيس ولا معونة ولا خراج فى حاضرة ولا بادية الا ما أمر الله تعالاه وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والأعشار وجزية أهل الذمة وأخماس غنائم المشركين ، وجبا فى ذلك من المال على وجهه ما لم يجبه أحد قبله ، فيقال انهم وجدوا فى بيت المال بعد وفاته ثلاثة عشر ألف ربع من الورق وخمسة آلاف وأربعين ربعا من دنانير الذهب المطبوعة ، ورد أحكام البلاد الى القضاء ، وأسقط مادون الأحكام الشرعية وكان يسير فى أعماله فيتفقد أحوال رعيته فى كل سنة ، وكان محبا فى الفقهاء والعلماء والصلحاء مقربا لهم صادرا عن رأيهم مكرما لهم ، أجرا عليهم الأرزاق من بيت المال طول أيامه ، وكان مع ذلك حسن الأخلاق متواضعا كثير الحياء جامعا لخصال الفضل ، وكان كما قال الفقيه الكاتب أبو محمد بن حامد فيه وفى بنيه :

ملك له شرف العلا من حمير وان اتموا صنهجة فهم هم
لما حووا أحواز كل فضيلة غلب الحياء عليهم فتلثموا

مولده فى سنة أربعمئة ببلاد الصحراء ، ووفاته فى سنة خمسمة ، فكان جميع عمره مئة سنة ، أيامه منها بالمغرب منذ استخلفه أبوبكر بن عمر الى أن توفي رحمه الله سبع وأربعون سنة وذلك من سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة الى سنة خمسمة .

كنيته : أبو يعقوب ، وكان يدعى بالأمير ، فلما فتح الأندلس وصنع غزاة الزلاقة وأذل الله تعالاه بها ملوك الروم بايعه فى ذلك اليوم ملوك الأندلس وأمراؤها الذين شهدوا معه تلك الغزاة ، وكانوا ثلاثة عشر ملكا ، وسلموا عليه بأمير المسلمين ، وهو أول من تسما بأمير المسلمين من ملوك المغرب ، وخرجت كتبه مصدرة عنه بذلك الى بلاد العدو وبلاد الأندلس فى ذلك اليوم ، فقرئت على المنابر يخبرهم فيها بغزاة الزلاقة ومأمنح الله تعالاه فيها من النصر والظفر والفتح العظيم ، وضرب السكة من يومئذ وجدها ، ونقش فى ديناره (لا اله الا الله

محمد رسول الله) وتحت ذلك (أمير المسلمين يوسف بن تاشفين) وكتب فى الدائرة (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين) ، وكتب فى الصفحة الأخرى (الأمير عبد الله العباسى) وفى الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكه .

بنوه : علي الخليفة بعده ، وتميم ، وأبوبكر ، والمعز ، وابراهيم ، وكوته ، ورقية .

لما قدمه أبوبكر بن عمر على المغرب وفوض اليه أمره وذلك فى سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة انصرف عنه من مدينة سجلماسة ، فوصل الى وادى ملوية فميز جيوشه فوجدهم أربعين الفا من المرابطين ، فاختر منهم أربعة من القواد ، وهم محمد بن تميم الجدالى ، وعمر بن سليمان السيفى ومدرك التلكاتى ، وسير بن أبى بكر اللمتونى ، وعقد لكل واحد منهم على خمسة آلاف من قبيلته ، وقدمهم بين يديه الى قبائل من المغرب من مغراوة وبنى يفرن وغيرهم من قبائل البربر القائمين به ، وسار هو فى أثرهم ، فغزا قبائل المغرب قبيلة بعد قبيلة ، وبلدا بعد بلد ، فقوم يفرون بين يديه ، وقوم يقاتلونه ، وقوم يدخلون فى طاعته ، حتى أتخن فى بلاد المغرب وسار حتى دخل مدينة أغمات ، فتزوج زينب التى فارقها ابن عمه أبوبكر بن عمر ، فكانت عنوان سعده .

ودخلت سنة أربع وخمسين وأربعمئة ، فيها تقوا أمر يوسف بن تاشفين بالمغرب وكبر صيته وفيها اشترا موضع تأسيس مدينة مراكش ممن كان يملكه من المصامدة ، فسكن الموضع بخيام الشعر ، وبنا فيه مسجدا للصلاة وقصبة صغيرة لاختران أمواله وسلاحه ، ولم يبن على ذلك سورا ، وكان رحمه الله لما شرع فى بناء المسجد يحترم ويعمل فى الطين والبناء بيده مع الخدمة تواضعا منه وتورعا غفر الله له ونفعه بقصده ، والذي بناه يوسف من ذلك هو الموضع المعروف الآن بسور الحجر من مدينة مراكش جوقا من جامع الكتبيين منها ، ولم يكن بها ماء ، فحفر الناس بها أبارا فخرج لهم الماء على قرب ، فاستوطنها

الناس ، ولم تزل كذلك لاسور لها ، فلما ولي بعده ولده علي بنا سورها في ثمانية أشهر ، وذلك في سنة ست وعشرين وخمسة ، ثم احتفل في بنائها ومصانعها أمير المسلمين يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المومن بن علي الكومي الموحدى أيام ملكه بالمغرب ، ولم تزل مدينة مراكش دار مملكة المرابطين ثم الموحدى من بعدهم من يوم أسست الى انقراض الدولة الموحدية ، فانتقل الملك منها الى مدينة فاس .

وفي سنة أربع وخمسين المذكورة جند يوسف الأجناد ، واستكثر القواد ، وفتح كثيرا من البلاد ، واتخذ كثيرا من الطبول والبندود ، وأخرج العمال وكتب العهود ، وجعل في جيشه الأغزاز (٨٠) والرماة ، كل ذلك ارهايا لقبائل المغرب ، فكمل له من الجيش في تلك السنة أزيد من مئة ألف فارس من قبائل صنهاجة وجزولة والمصامدة وزناتة والأغزاز والرماة ، فخرج بهم من حضرة مراكش قاصدا مدينة فاس ، فتلقاه قبائلها من زواغة ولماية ولواتة وصدينة وسدراتة ومغيلة وبهلولة ومدبونة وغيرهم في خلق عظيم وعدد كثير ، فقاتلوه ، فكانت بينه وبينهم حروب عظيمة انهزموا فيها بين يديه ، وانحصروا له بمدينة صدينة (٨١) فدخل عليهم بالسيف ، فهدم أسوارها وخربها وقتل بها ما يزيد على أربعة آلاف رجل ، وارتحل الى مدينة فاس ، فنازلها بعد أن فتح جميع أحوازها ، وذلك في آخر سنة أربع وخمسين وأربعمئة ، فأقام عليها أياما ، فظفر بعاملها بكار بن ابراهيم فقتله وارتحل عنها الى مدينة صفرو ، فدخلها من يومه عنوة بالسيف وقتل أربابها أولاد مسعود المغراوي المالكين لها والقائمين بأمرها ، ثم رجع الى فاس فحاصرها حتى فتحها ، وهو الفتح الاول ، وذلك سنة خمس وخمسين وأربعمئة ، فأقام بها أياما ، ثم استخلف عليها

(80) جنس من الترك ، كانوا يعملون في جيوش الدول الموحدية والمرينية والزيرية .

(81) كانت مدينة صدينة - على ما يبدو - واقعة الى الشمال من فاس قرب مجرا نهر سبو حيث مساكن قبيلة شراكة الحالية . ولا يزال بطن من بطون هاذه القبيلة يسما صدينة الى الآن ، وبحوز تطوان قرية تسما صدينة أيضا ، وهي في الأصل قبيلة من شعب ضريسة من البربر البتر ، اشتهرت بقيامها مع قبيلة مغيلة بنصرة ادريس بن عبد الله الكامل عند دخوله المغرب سنة 170 هـ وتأسيسه الدولة الادريسية .

عاملا من لمزونة وخرج الى بلاد غمارة ، فلما بعد يوسف عن فاس وتوغل فى بلاد غمارة خالفه ابيها تميم بن معنصر فدخلها وقتل عامل يوسف الذى كان بها ، وفى هاذه السنة بسايح المهدي بن يوسف الجزنائسى صاحب مكناسة يوسف بن تاشفين ودخل فى طاعة الرابطين ، فأقصره يوسف على عمله وأمره أن يخرج بين يديه بعسكره لقتال بلاد المغرب وقبائلها ، فتجهز المهدي وخرج فى جيشه من مدينة عوسجة يريد يوسف ابن تاشفين ، فسمع بذلك تميم بن معنصر المغراوى القائم بمدينة فاس ، فخاف على نفسه منه ان يتقوا عليه بالمرابطين ، فعاجله وخرج اليه من فاس فى أنجاد مغراوة وقبائل زناتة فلحق به فى بعض الطريق ، فكان بينهما قتال شديد ، قتل فيه المهدي بن يوسف واقترب جمعه ، وبعث تميم بن معنصر برأسه الى صاحب سبتة وهو سكوت البرغواطى (٨٢) فلما قتل المهدي بن يوسف بعث أهل مدينة مكناسة الى يوسف بن تاشفين فأخبروه بموت أميرهم وأعطوه البلاد فملكها يوسف ، وتوالت عساكر المرابطين على تميم بن معنصر المغراوى صاحب فاس بالغارات ، فلما رأى الأمر قد اشتد عليه وطالت عليه الفتنة وانقطعت عنه المواد والموارد وعمدت الأقوات بفاس جمع جيشا عظيما من مغراوة وبنى يفرن وخرج الى المرابطين ، فكانت الهزيمة عليه ، وقتل تميم بن معنصر وقتل معه خلق كثير من حشمه ، فتقدم مكانه بفاس القاسم بن محمد بن عبدالرحمان ابن ابراهيم بن موسا بن أبى العافية الزناتى المكناسى ، فجمع قبائل

(82) ويكتب أيضاً سكوت ، أصله من قبيلة برغواطة الزناتية ومنازلها بين طنجة وأصيلة ، أسر في حرب غمارة وبرغواطة . وانتهى أمره الى أن صار عبداً لشيخ من غمارة ثم صار لعل بن حمود الإدريسي وبفضل قومه وصل الى الخلافة فولاه على طنجة وستة وأطاعته غمارة ، وبعد سقوط دولة الحموديين ظل سكوت يحكم طنجة وستة مناوئاً للمعتضد ابن عباد ومهدداً له . ولما قامت دولة المرابطين ووصل يوسف بن تاشفين الى شمال المغرب كاد سكوت ينضم اليه ، ولكن ابنه ضياء الدولة ثناه عن ذلك ، فلما فرغ يوسف من أمر غمارة توجه الى طنجة واستولوا عليها من يد سكوت الذى قتل فى الحرب مع القائد صالح ابن عمران ، ثم أرسل يوسف ابن المعز فاستولوا على سبتة من يد ابنه ضياء الدولة وقتله وانتظمت قبائل تلك الناحية كلها فى سلك الدولة اللتونية المرابطية .

زناتة وخرج بهم الى لقاء جيش المرابطين ، فالتقا معهم بوادى صيفير ، فكانت بينهما حروب شديدة انهزم فيها المرابطون وقتل جماعة من فرسانهم ، فاتصل خبر هزيمتهم بيوسف بن تاشفين وهو ببلاد فازاز محاصرا لقلعة مهدى ، فارتحل عنها وترك عليها جيشا من المرابطين محاصرا لها ، فأقاموا عليها تسعة أعوام فدخلوها صلحا ، فى سنة خمس وستين وأربعمئة ، ولما رحل يوسف عن القلعة وذلك فى سنة ست وخمسين سار الى بنى مراسن ، وأميرهم يومئذ يعلا بن يوسف ، فغزاهم وقتل منهم خلقا كثيرا وفتح بلادهم ، وسار الى بلاد فندلاوة فغزاهما وفتح جميع تلك الجهات وسار منها الى بلاد ورغة وفتحها ، وذلك فى سنة ثمان وخمسين .

وفى سنة ستين وأربعمئة فتح يوسف جميع بلاد غمارة ، وجبالها من الريف الى طنجة وفيها فتح فاس الفتح الثانى (٨٢) .

وفى سنة اثنتين وستين أقبل الى مدينة فاس فنزل عليها بجميع جيوشه وشدد عليها فى الحصار حتى دخلها عنوة بالسيف ، فقتل بها من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة ، وقبائل زناتة خلقا كثيرا حتى امتلأت أسواق المدينة وشوارعها بالقتلا ، وقتل منهم بجامع القرويين وجامع الأندلس ماييزيد على ثلاثة آلاف رجل ، وفر من بقي منهم الى أحواز تلمسان وهو الفتح الثالث ، وكان دخول يوسف اياها يوم الخميس ثانى جمادا الأخرى سنة اثنتين وستين وأربعمئة (١٨ مارس ١٠٧٠ م) فلما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس حصنها وثقفها وأمر بهدم الأسوار التي كانت بها فاصلة بين المدينتين : عدوة القرويين وعدوة الأندلس وهدمها مصرا واحدا ، وأمر ببنيان المساجد فى أحوازها وأزقتها وشوارعها ، وأي زقاق لم يجد فيه مسجدا عاقب أهله وأجيرهم على بناء مسجد فيه ، وبنا الحمامات والفنادق والأرحاء ، وأصلح أسواقها وهذب بناءها وأقام بها الى شهر صفر سنة ثلاث وستين وأربعمئة فخرج

منها الى بلاد ملوية ففتح حصون وطاط .

— وفى سنة أربع وستين وأربعمئة وجه يوسف الى أمراء الغرب وأشياخ القبائل من زناتة والمصامدة وغمارة وسائر قبائل البربر فقدموا عليه وبايعوه ، فكسا جميعهم ووصلهم بالأموال ، ثم خرج معهم ليطوف على جميع أعمال المغرب ويتفقد أحوال الرعية وينظر الى سير ولاتهم وعمالهم فيه ، فصلح على يديه بذلك كثير من أمور الناس .

وفى سنة خمس وستين غزا يوسف بن تاشفين مدينة الدمنة من بلاد طنجة فدخلها عنوة وفتح جبل علودان (٨٤) .

وفى سنة سبع وستين فتح جبال غياثة وبنى مكود وبنى رهينة وقتل منهم خلقا كثيرا .

وفيهما فرق عماله على المغرب ، فولا سيرى بن أبى بكر مدائن مكناسة وبلاد مكلاتة وبلاد فازاز ، وولا عمر بن سليمان مدينة فاس وأحوازها ، وولا داوود بن عائشة سجلماسة ودرعة ، وولا ولده تميما مدينتي أغمات ومراكش وبلاد السوس وسائر بلاد المصامدة وبلاد تادلة وبلاد تامسنا .

وفيهما بعث المعتمد ابن عباد صاحب اشبيلية الى يوسف بن تاشفين يستدعيه للجواز برسم الجهاد ونصر البلاد ، فقال له لايمكنني ذلك الا أن أتملك سبتة وطنجة ، فراجعه ابن عباد يشير عليه ان يسير اليها فى عساكره فى البر فينازلها ويبعث ابن عباد قطائع فيجتاز لها فى البحر حتى يملكها ، فأخذ يوسف فى محاولة ذلك .

وفى سنة سبعين وأربعمئة نظر يوسف فى حرب سبتة وطنجة ، فبعث لها قائده صالح بن عمران فى اثنى عشر ألف فارس من المرابطين وعشرين ألفا من سائر قبائل المغرب من زناتة وغيرهم ، فلما قربوا من أحواز طنجة خرج اليهم الحاجب سكوت البرغواطي بجموعه ، وهو شيخ كبير سنه ست وثمانون سنة ، فقال والله لايسمع أهل طنجة طبول اللمتونيين وأنا

حي أبدا ، فالتقا الجمعان بأحواز وادى منى من أحواز طنجة ، فالتحم القتال بينهم فقتل سكوت وهزم جيشه ، وسار المرابطون الى طنجة فدخلوها ، وبقي بسببة الحاجب ضياء الدولة يحييا بن سكوت فكتب القائد صالح بن عمران بالفتح الى يوسف .

وفى سنة اثنتين وسبعين وأربعمئة بعث يوسف بن تاشفين قائده مزدلى لغزو مدينة تلمسان ، فسار اليها فى عشرين الفا من المرابطين ، فهتكها ودخلها ، وظفر بولد أميرها معلا بن يعلا المغراوى فقتله ، ثم رجع الى يوسف فألفاه بمدينة مراكش .

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ، فيها بدل يوسف بن تاشفين السكة فى جميع عمله وكتب عليها اسمه ، وفيها فتح مدينة جرسيف ومدينة مليلية وجميع بلاد الريف ، وفتح مدينة نكور وخربها ، فلم تعمر بعد .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين ، فيها طلع يوسف بن تاشفين الى مدينة وجدة ففتحها وفتح مدينة تنس ومدينة وهران وجبال وانشريس وأعمال شلف بأجمعها الى الجزائر ، ورجع الى مراكش فدخلها فى شهر ربيع الاخر سنة خمس وسبعين وأربعمئة ، فورد عليه بها كتاب المتمد ابن عباد يعلمه بحال الأندلس ، وما أُل إليه أمرها من تغلب العدو على أكثر ثغورها وبلادها ، وسأله نصرها واعانتها ، فأجابه يوسف : اذا فتح الله لى سببة وصلت بكم قبذلت فى جهاد العدو المجهود .

وفى هاذه السنة تحرك ألفونسو السادس لعنه الله فى جيوش لاتحصا من الروم ومن الافرنج والبشكنس والجلاعة وغيرهم ، فشق بلاد الأندلس شقا يقف على كل مدينة منها ثلاثة أيام فيفسد ويخرب ويقتل ويسبى ويرتحل الى غيرها ، ونزل على اشبيلية ، فأقام عنيا ثلاثة أيام ، فأفسد أحوازها وهتكها ، وخرب بالشرف قرا كثيرة ، وكذلك فعل بشذونة وأحوازها ، ثم سار حتى وصل الى جزيرة طريف ، فأدخل قوائم فرسه فى البحر وقال : (هاذا أخر بلاد الأندلس قد وطئته) ثم رجع الى مدينة سرقسطة ، فنزل عليها وحاصرها وحلف ان لايرتحل عنها حتى

يدخلها أو يحول الموت بينه وبين ما يريد ، وأراد أن يقدمها بالفتح على غيرها من بلاد الأندلس ، فنزل إليه أميرها المستعين ابن هود بمال عظيم بذله له فلم يقبله منه ، وقال : المال والبلاد لى ، وبعث إلى كل قاعدة من قواعد الأندلس جيشا للتضييق عليهم والحصار ، فملك مدينة طليطلة وذلك فى سنة سبع وسبعين وأربعمئة (٨٥) فلما رأى ذلك أمراء الأندلس ورؤسائها اتفق رأيهم على جواز يوسف بن تاشفين ، فكتبوا إليه بجمعهم يستنصرونه ويستصرخون به لينفي العدو عن مخرج بلادهم ، ويكزنون معه يدا واحدة فى جهاد العدو ، فلما تواترت الكتب على يوسف بالاستصراخ لنصرة المسلمين ونفي العدو عن مخرج بلادهم بعث ولده المعز إلى سبته فى جيش عظيم ، فنزل عليها وحاصرها حتى فتحها ، وذلك فى شهر ربيع الاول من سنة سبع وسبعين وأربعمئة (يوليو ١٠٨٤ م) وكتب إليه بالفتح ، فوصله الكتاب وهو بمدينة فاس ينظر فى أمر الجهاد ويستنفر له قبائل المغرب ، ففرح لفتح سبته وخرج من حينه نحوها ليحوز منها إلى الأندلس ، فلما رأى المعتمد ابن عباد أن الفونسو السادس قد ملك طليطلة وأحوازها وشدد على سرقسطة وسمع أن يوسف فتح سبته ركب البحر وسار إلى العدو لاستجلاب يوسف بن تاشفين ، فلقىه مقبلا لبلاد طنجة بموضع يعرف ببطة على ثلاث مراحل من سبته ، فأخبره بحال الأندلس وماهى عليه من شدة الخوف والضعف والاضطراب ومايلقاه المسلمون بها من القتل والأسر والحصار من الفونسو السادس وجنوده ، وأنه قد عزم على دخول سرقسطة ، فقال له الأمير يوسف رحمه الله : ارجع إلى بلدك وخذ فى أمرك فانى قادم عليك فى أترك ان شاء الله تعالى ، فرجع ابن عباد إلى الأندلس ، ودخل يوسف سبته فهدنها وأصلح أحوالها وسفنها ، ولحقت به العساكر والجنود ، وقدمت عليه الوفود ، وأتاد من بلاد الصحراء والقبلة والزاب القبائل والحشود ، فشرع فى تجويز الجيوش إلى الأندلس ، فحوز منها مالا يحصى كثرة ، فلما كمل

جواز الجيش واستوفت عساكر المجاهدين بساجل الخضراء جاز هو في أثرهم في جيش عظيم من قبائل المرابطين وأنجاهم وصلحائهم فلما ركب السفينة واستقر على ظهرها رفع يديه ودعا الله تعالا وقال في دعائه (اللهم ان كنت تعلم ان في جوازي هذا خيرا وصالحا للمسلمين فسهل علي جواز هذا البحر وان كان غير ذلك فصعبه علي حتى لا أجوزه) فسهل الله عليه الجواز في أسرع ما يكون فكان جوازه في يوم الخميس عند الزوال في منتصف ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمئة (٢٠ يونيو ١٠٨٦ م) ، ونزل بالجزيرة الخضراء فصلا بها صلاة الظهر من يومه ذلك فتلقاه بها المعتمد في جميع أمراء الأندلس ورؤسائها فاتصل بالفونسو السادس خير جوازه فارتحل عن سرقسطة قاصدا للقاء أمير المسلمين يوسف رحمه الله

الخبر عن جواز الأمير يوسف بن تاشفين

إلى الأندلس برسم الجهاد وذكر غزاة الزلاقة

قال المؤلف للكتاب

لما جوز أمير المسلمين يوسف جيوش المسلمين للجهاد وقدمها بين يديه فاستقروا بساحل الجزيرة الخضراء جاز هو في أثرهم فالتقاه ملوك الأندلس مستبشرين بقدومه واتصل خير قدومه بالفونسو السادس وهو محاصر سرقسطة فسقط في يديه وانحلت عزائمه ، فانزعج عن سرقسطة وبعث الى ابن رذمير والى البرهانس (٨٦) وكان ابن رذمير على

86: ابن رذمير هو الملك الفونسو الأول بملك أراكون ، ولكن الاستاذ عبد الله عنان في حاشية من حواشيه على كتاب (تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين) ص 80 يذكر أنه هو سانشو راميريز ملك أراكون وصاحب بنبلونة ، وقد يكون الاسماء لتسا واحد الأول كان قبل الملك والثاني بعده

أما البرهانس فهو القائد القشتالي النصراني البار فانيث ابن أخي السيد الفنيطور كان من أكبر قواد الفونسو السادس

مدينة طرطوشة محاصراً لها ، والبرهانس على بلنسية ، فاتياها بجيوشهما فلحقوا به ، وبعث الى بلاد قشتالة وجليقة وبنبلونة (٨٧) فاتاه من تلك البلاد من حشود الروم أمم لانتحصا ، فلما اجتمعت لالفونسو السادس جيوش الكفر واستوفت لديه حشودهم ووفودهم ارتحل الى لقاء الأمير يوسف بن تاشفين وجيوش المسلمين ، وارتحل يوسف من الجزيرة الخضراء قاصدا نحوه ، وقدم بين يديه قائده أبا سليمان داوود بن عائشة فى عشرة آلاف فارس من المرابطين ، وتقدم أيضا المعتمد ابن عباد أمام ابن عائشة مع أمراء الأندلس وجيوشهم ، منهم ابن صمادح صاحب ألمرية ، وابن جيبوس صاحب غرناطة ، وابن مسلمة صاحب الثغر الأعلى ، وابن ذى النون ، وابن الأخطس ، وابن باديس ، فأمرهم يوسف رحمه الله أن يكونوا مع المعتمد ابن عباد ، فتكون محلة الأندلس محلة واحدة ، ومحلة المرابطين أخرا ، فتقدم بهم ابن عباد ، فكانوا اذا قام ابن عباد ورساء الأندلس من موضع الى غيره نزله الأمير يوسف بن تاشفين بمحلته ، فلم يزالوا على ذلك حتى نزلوا بمدينة طرطوشة فأقاموا بها ثلاثة أيام ، وكتب منها الأمير يوسف بن تاشفين كتابا الى الفونسو السادس يدعوه فيه الى الجزية أو الاسلام أو الحرب ، فلما وصل كتابه الى الفونسو أدركته الأنفة وداخله الكبر ، وقال للرسول : قل للأمير لاتتعب نفسك ، أنا أصل اليك ، فارتحل يوسف رحمه الله وارتحل الفونسو السادس حتى نزل بالقرب من مدينة بطليوس ، ونزل الأمير يوسف بموضع يعرف بالزلاقة (٨٨) من أحواز بطليوس ، وتقدم المعتمد وأمراء الأندلس فنزلوا بجهة أخرا بينهما ربوة حاجزة ترهيبا للعدو وتخويفا له ، وبين الفريقين وعسكر الروم نهر بطليوس حاجز يشرب منه هؤلاء وهؤلاء فأقاموا ثلاثة أيام والرسول تختلف بينهم الى أن اتفق رأيهم أن تكون

(87) فى الأصل بيونة .

(88) ويسمى أيضاً السهلة ، مكان يبعد بضعة أميال عن بطليوس يسميه النصارا

سكر الياس .

الملاقاة بينهم يوم الاثنين الرابع عشر من شهر رجب سنة تسع وسبعين واربعمئة (٢٦ أكتوبر ١٠٨٦ م) فلما وقع الاتفاق بينهما على ذلك بعث المعتمد الى الأمير يوسف بن تاشفين يعلمه أن يكون على أهبة واستعداد للحرب ، وان العدو صاحب مكر وخديعة فى الحرب ، فلما كان الليل من يوم الخميس العاشر لرجب المذكور عبأ ابن عباد كتائبه وصف جيوشه واستعد للقتال ، وجعل على عسكر العدو عيوناً على خيل سبق يأتونه بأخبارهم وما يرونه من حركاتهم ، فلم يزل كذلك الى الفجر من يوم الجمعة ، فبينما ابن عباد فى آخر ركعة من صلاة الصبح وكان قد غلس بالصلاة اذ أقبلت الخيل التي كانت طليعة على العدو مسرعة اليه ، فأخبروه أن العدو قد زحف نحو المسلمين فى أمم كالجراد المنتشر ، فأرسل فى الحين بالخبر الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فوجدوه على أهبة للحرب قد عبأ كتائبه طول ليلته ، لم ينم احد فى محلته تلك الليلة ، فأرسل قائده المظفر داوود بن عائشة فى جيش عظيم من المتونة ووجه المرابطين وأقبالهم ليكونوا طليعة له ، وكان داوود بن عائشة لانظير له فى العزم والحزم والنجدة ، وكان عدو الله ألفونسو السادس قد قسم عساكره على فرقتين ، فتوجه هو وفرقة نحو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فوقع فى الجيش الذي كان مع القائد داوود بن عائشة، فاقتلوا قتالاً عظيماً ، وصبر المرابطون صبراً جميلاً ، وداسهم اللعين بكثرة جنوده حتى كاد يستأصلهم ، وكانت بينهم مضاربة ثقلت فيها السيوف وتكسرت الرماح ، وسارت الفرقة الثانية من عسكر اللعين مع البرهانس وابن رذمير نحو ملحّة ابن عباد ، فداسوها ، واستمرت الهزيمة على رؤساء الأندلس الى جهة بطليوس ، ولم يثبت منهم غير ابن عباد وجيشه ، فانهم ثبتوا فى ناحية يقاتلون لم ينهزموا ، وقاتلوا قتالاً شديداً ، وصبروا صبر الكرام ، لحرب اللثام ، فاتصل الخبر بيوسف ان الهزيمة قد استمرت على عسكر أمراء الأندلس ، وان المعتمد وداوود ابن عائشة صابران يقاتلان لم ينهزما ، فبعث قائده سيرى بن أبى بكر فى قبائل المغرب وزناقة والمصامدة وغمارة وسائر قبائل البربر الذين

كانوا في محلته اعانة لداوود بن عائشة وابن عباد ، وسار هو في جيش لتونة وقبائل المرابطين من صنهاجة قاصدا الى محلة الفونسو السادس حتى ضرب فيها والفونسو مشغول بقتال داوود بن عائشة فأضرمها نارا وأحرقها ، وقتل من كان بها من الأبطال والرجال والفرسان الذين تركهم الفونسو بها يحرسونها ويحمونها ، وفر الباقيون منهزمين نحو الفونسو فأقبلت عليه خيله من محلته فارين وأمير المسلمين يوسف في أثرهم بساقته وطبوله وبنوده ، وجيوش المرابطين بين يديه يحكمون في الكفرة سيوفهم ويروونها من دمائهم ، فقال الفونسو السادس ماهاذا ؟ فأخبر الخبر بحرق محلته ونهبها وقتل حماتها وسبي حريمها ، فرد وجهه الى قتاله وصمم أمير المسلمين نحوه ، فانتشبت الحروب بينهما ، فكانت بينهما حروب عظيمة لم يسمع قط بمثلها ، وكان أمير المسلمين على فرس أنثا يمر بين صفوف المسلمين يحرضهم ويقوي نفوسهم على الجهاد والصبر ، ويقول : يامعشر المسلمين اصبروا لجهاد أعدائكم أعداء الله الكافرين ، فمن رزق منكم الشهادة فله الجنة ، ومن سلم فقد فاز بالأجر العظيم والغنيمة ، فقاتل المسلمون قتال من يطلب الشهادة ويرغب في الموت ، وكان المعتمد رحمه الله وأصحابه الذين ثبتوا معه قد يسوا من الحياة ولا علم لهم بالحال ، اذ نظروا الى الروم منهزمين ، وعلى أعقابهم ناكسين ، فظنوا أنهم الذين هزمهم ، فقال لأصحابه ، شدوا على أعداء الله تعالا فشدوا عليهم ، وحمل القائد سيرى بن أبي بكر بمن معه من قبائل المغرب وزناتة والمصامدة وغمارة ، فاستمرت الهزيمة على الروم ، وتراجعت الطائفة المنهزمة من المسلمين نحو بطليوس لما أخبروا أن أمير المسلمين يوسف قد ظفر ، وتدارك الناس بعضهم ببعض ، طائفة بعد طائفة ، وفوجا بعد فوج ، واشتد القتال على الفونسو السادس حتى أيقن بالفناء ، ولم يزل القتال يشتد عليه الى غروب الشمس ، فلما رآ الفونسو اللعين أن الليل قد أقبل وأكثر جنوده قد قتل ، ورأ صبر المرابطين وصدق نيتهم في جهادهم علم أنه لاطاقة له بقتالهم ، ففر مهزوما على وجهه في نحو الخمسمئة فارس على غير طريق ، وركبهم المرابطون

بالسيف يقتلونهم فى كل فج وسهل ، ويلتقطونهم التقاط الحمام للحب
انقليل ، انى أن حال الليل بظلمته بينهم ، وبات المسلمون تلك الليلة على
خيولهم يقتلون ويأسرون ويغنمون ويشكرون الله تعالا على ما منحهم
حتى أصبح ، فصلوا صلاة الصبح فى وسط المقتلة ، وكانت هذه الهزيمة
العظيمة على أعداء الكفرة من أعظم الوقائع ، قتل فيها ملوك الشرك
وأنصاره ، وحماته وشجعانه ، ولم ينج من جميعهم الا ألفونسو السادس
اللعين مثقلا بالجراح فى شردمة قليلة نحو الخمسمئة فارس مثنخين
بالجراح ، فمات منهم أربعمئة فارس ، ودخل طليطلة فى مئة فارس من
حماته ورجاله ، وكانت هذه الغزوة الباركة يوم الجمعة الحادى عشر من
رجب الفرد عام تسعة وسبعين وأربعمئة (٢٣ أكتوبر ١٠٨٦ م) واستشهد
فيها من المسلمين نحو الثلاثة آلاف رجل ممن سبقت لهم من الله
الحسنا وختم لهم بالشهادة ، وأمر أمير المسلمين يوسف برؤوس القتلا
من الروم أن تقطع فقطعت وجصعت بين يديه أمثال الجبال ، فبعث منها الى
اشبيلية عشرة آلاف رأس والى قرطبة عشرة آلاف ، والى بلنسية كذلك ،
والى سرقسطة ومرسية مثلها ، وبعث الى بلاد العدو بأربعين ألف
رأس ، فقسمت على مدن العدو ليراها الناس فيشكرون الله تعالا على
سامنحهم من النصر والخير ، وكان عدد الروم فيما نقل مئة وثمانين الف
فارس ومئتي ألف رجل فقتلوا أجمعين ، ولم ينج منهم الا ألفونسو فى مئة
فارس ، وفيها أذل الله الشرك ببلاد الإندلس فلم تقم لهم قائمة نحو
الستين سنة .

وفى هذا اليوم تسما يوسف بن تاشفين بأمر المسلمين ولم يكن
يدعا بها قبل ذلك ، وأظهر الله تعالا الاسلام وأعز أهله ، وكتب أمير
المسلمين بالفتح الى بلاد العدو ، والى تميم صاحب المهديّة ، فعملت
المفرحات فى جميع بلاد أفريقية وبلاد المغرب والأندلس ، واجتمعت كلمة
الاسلام ، وأخرج الناس الصدقات ، واعتقوا الرقاب شكرا لله تعالا على
صنعه الجميل وفضله .

ومن فصول الكتاب الذي كذب به أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى بلاد العدو -

(أما بعد حمد الله تعالا المتكفل بنصر أهل دينه الذي ارتضاه ،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل رسله وأكرم خلقه وأسراه ، فان
العدى الطاغية لعنه الله لما قربنا من حماه وتوافقنا بازائه ، لقناه الدعوة
وخيرناه بين الاسلام والجزية والحرب فاخترت الحرب ، فوقع الاتفاق بيننا
وبينه على الملاقاة فى يوم الاثنين الرابع عشر لرجب ، وقال الجمعة عيد
المسلمين ، والسبت عيد اليهود ، وفى عسكرنا منهم خلق كثير ، والأحد
عيدنا نحن فتفرقنا على ذلك ، وأضمر اللعين خلاف ماشرطناه ، وعلمنا
أنهم أهل خدع ونقض عهدود ، فأخذنا أهبة الحرب لهم ، وجعلنا عليهم
العيون ليرفعوا الينا أحوالهم ، فأتتنا الأنباء فى سحر يوم الجمعة
الحادى عشر من رجب المذكور بأن العدو قد قصد بجيوشه نحو المسلمين،
يرا أنه قد اغتزم فرصته فى ذلك الحين ، فاندتبت اليه أبطال المسلمين
وفرسان المجاهدين ، فتحشته قبل أن يتعشاها وتغذته قبل ان يتغذاها ،
وانقضت جيوش المسلمين على جيوشهم انقضاض العقاب على عقيرته ،
وثبت عليهم وثوب الأسد على فريسته ، وقصدنا برايتنا السعيدة
المنصورة ، فى سائر المشاهد المشهورة ، فى جيوش لمتونة نحو الفئش ،
فلما أبصر النصارا رايتنا المشتهرة ، ونظروا الى مراكبنا المنتظمة
المظفرة ، وغشيتهم بروق الصفاح ، وأظلتهم سحائب الرماح ، وزلزلت
حوافر خيولهم رعود الطبول بذلك الفياح ، التحم النصارا بطاغيتهم
ألفئش ، وحملوا على المسلمين حملة منكرة ، فتلقاهم المرابطون بنية صادقة
خالصة ، وهمم عالية ، فعصفت ريح الحرب ، وكفت ديم السيوف والرماح
بالطعن والضرب ، وطاحت المهج ، وأقبل سيل الدماء فى هوج ، ونزل من
سماء الله على أوليائه النصر العزيز والفرج ، وولا ألفئش مطعوننا فى
احدا ركبتيه ، طعنة أفقدته احدا ساقيه ، فى خمسمئة فارس مسن مئة
وثمانين ألف فارس ، ومئتي ألف راجل ، قادهم الله الى المصارع والحتف

العاجل ، وتخلص لعنه الله الى جبل هنالك ، ونظر النهب والنيران فى محلته من كل جانب ، وهو من أعلا الجبل ينظرها شزرا ، لم يجد عنها صبيرا ، ولا يستطيع عنها دفاعا ولا لها نصرا ، فأخذ يدعو بالشبور والويل ، ويرجو النجاة فى ظلام الليل ، وأمير المسلمين بحمد الله قد ثبت فى وسط مراكزه المظفرة ، تحت ظلال بنوده المنتشرة ، منصور الجهاد مرفوح الأعداء ، يشكر الله تعالا على ما منحه من نيل السؤل والمراد ، وقد سرج الغارات فى محلاتهم تهدم بناءها وتستلم ذخائرها وأسبابها وتريه رأي العين دمارها ونهاياها ، والفنش ينظر اليها نظر المغشي عليه ، ويعض غيظا وأسفا على انامل كفيه ، وحين تمت الهزيمة وتناجع الفرار، عاد رؤساء الأندلس المهزومون نحو بطليوس والغار ، وتراجعوا حذرا من العار ، ولم يثبت منهم غير زعيم الرؤساء والقواد ، أبو القاسم المعتمد ابن عباد ، قاتا الى أمير المسلمين وهو مهيب الجناح ، مريض عفاء وجراح ، فهناه بالفتح الجميل ، والصنع الجليل ، وتسلسل الفنش تحت الظلام ، قارا لا يهدأ ولا ينظم ، ومات من الخمسة فارس الذين كانوا معه بالطريق أربعمئة ، فلم يدخل طليطلة الا فى مئة فارس ، والحمد لله على ذلك كثيرا ، وكانت هاهه النعمة العظيمة ، والمنة الجسيمة ، يوم الجمعة الحادي عشر لرجب سنة تسع وسبعين وأربعمئة موافق الثالث والعشرين لشهر أكتوبر العجمي) .

وفي ذلك يقول ابن اللبانة :

يوم العروية كان ذاك الموقف وأنا شهدت فإين من يستوصف ؟

وقال أبو جهور :

لم تعلم الروم اذ جاءت مصممة يوم العروية أن اليوم للعرب

ولم يكن لرؤساء الأندلس الذين شهدوا الزلافة فى هاهذا اليوم أمر يشكر ، فيقيد عنهم ويؤثر ، الا ابن عبيد وطائفة من جيشه ، فإينه ثبت وأيلا بلاء حسنا ، وجرح ست جراحات ، وفى ذلك يقول يخاطب بعض ولده :

أبا هاشم هشمتهنى الشفار فله صبرى نُذالك الأوار

نكرت شخصك مسايدها فلم يذنى نكره للفرار

واتصل بأمر المسلمين يوسف فى ذلك اليوم وفاة ولده أبى بكر ، وكان تركه مريضا بسببة ، فاغتم لذلك وانصرف راجعا الى العدو بسبب وفاة ولده ، ولولا ذلك لم يرجع ، فجاز الى العدو ودخل حضرة مراكش فأقام بها الى سنة ثمانين وأربعمئة ، فخرج فى شهر ربيع الآخر منها يتلطف على بلاد المغرب ، ويتفقد أحوال الرعية وينظر فى أمور المسلمين ، ويسأل عن سير عماله فى البلاد وقضاته .

وفى سنة احدا وثمانين وأربعمئة جاز أمير المسلمين الى الأندلس الجواز الثانى برسم الجهاد ، وسبب جوازه أن ألفونسو السادس لعنه الله لما هزم وجرح وقتلت جيوشه عمد الى حصن لبيط الموالى لعمل ابن عباد ، فشحنه بالخيول والرجال والرماة ، وأمرهم أن يدخلوا من حصن لبيط المذكور فيغيرون فى أطراف بلاد ابن عباد دون سائر بلاد الأندلس ، اذ كان السبب فى جواز أمير المسلمين يوسف فكانوا يدخلون منه خيلا ورجالا فيقتلون ويأسرون فى كل يوم ، جعلوا ذلك وظيفة عليهم فساء ابن عباد ذلك وضاق ذرعا : فلما رأوا تماديهم على ذلك عبر البحر الى العدو الى لقاء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، فلقيه بالمعمورة من ملقا وادى سبى ، فشكا اليه حصن لبيط ، وشدة ضرره على المسلمين ، واستغاث به فى ذلك ، فوعده بالجواز والوصول اليه ، فسار المعتمد وسار يوسف فى اثره ، فركب البحر من قصر المجاز الى الجزيرة الخضراء فتلقاه ابن عباد بها بألف دابة تحمل الميرة والضيافة فلما نزل يوسف بالخضراء كتب منها الى أمراء الأندلس يدعوهم الى الجهاد ، وقال لهم : الموعد بيننا حصن لبيط . ثم تحرك يوسف من الجزيرة الخضراء ، وذلك فى شهر ربيع الأول من سنة احدا وثمانين وأربعمئة (يونيو ١٠٨٨ م) فنزل على حصن لبيط ، فلم يأت من كتبه اليه من أمراء الأندلس غير ابن عبد العزيز صاحب مرسية والمعتمد ابن عباد ،

فنزلا معه الحصن وشرعوا فى قتاله والتضييق عليه ، وشن يوسف الغارات على بلاد الروم فى كل يوم فدام الحصار على لبيط أربعة أشهر ، لايفتر عنه القتال ليلا ولا نهارا الى ان دخل فصل الشتاء ووقع بين ابن عبد العزيز أمير مرسية وبين ابن عباد أمير اشبيلية نزاع وشنأان فشكا المعتمد الى أمير المسلمين يوسف ابن عبد العزيز فدعا يوسف قائده سيرى بن أبى بكر وأمره بالقبض على ابن عبد العزيز وثقافه ، فقبض عليه وثقفه فى الحديد وأسلمه الى المعتمد ، فاختلفت المحلة بسبب ذلك ، وفر جيش ابن عبد العزيز وقواده عنها وقطعوا الميرة عن المحلة ، فوقع بها الغلاء فلما رأوا ذلك ألفونسو السادس حشد وقصد الى حماية حصن لبيط فى أمم لاتحسا ، فلما قرب ألفونسو من لبيط انحرف له يوسف عن الحصن الى ناحية لورقة ، ثم الى المرية ، ثم جاز الى العدو / وقد تغير على أمراء الأندلس لكونه لم يأتهم منهم أحد الى نزول حصن لبيط الذي كتب لهم به ولما رحل يوسف عن لبيط وجاز الى العدو أقبل ألفونسو السادس حتى نزل على لبيط فأخلاه وأخرج من كان فيه من بقايا النصارا المنفلتين من مخالب الموت ، وارتحل الى طليطلة ، فأخذ ابن عباد الحصن بعد خلائه وفناء جميع من كان به بالقتل والجوع ، وكان فيه لما نزله يوسف من النصارا نحو اثني عشر ألف مقاتل دون العيال والذرية ، فني جميعهم بالقتل والجوع ، ولم يبق فيه غير مئة من الرجال ، وهم الذين أخرجهم ألفونسو حين أخلاه .

وأقام يوسف ببلاد العدو الى سنة ثلاث وثمانين وجاز الى الأندلس برسم الجهاد وهو الجواز الثالث ، فسار حتى نزل طليطلة وحاصرها وألفونسو بها ، وهتكها وقطع ثمارها وخرب أحوازها وقتل وسبا ، ولم يأتهم أحد من أمراء الأندلس ، ولم يعرج عليه فغاضه ذلك ، فلما رجع من غزو طليطلة سار الى غرناطة فنزلها ، لأن صاحبها عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس كان قد صالح ألفونسو السادس وظاهره على يوسف وبعث اليه بالمال ، واشتغل بتحسين بلده ، ولذلك قال بعض أدباء عصره :

دعوة يبني فسوف يدري كأنه دودة الحرير
دينى على نفسه سفاها

فلما وصل يوسف الى غرناطة تحصن منه صاحبها عبد الله بن بلكين وأغلق الأبواب فى وجهه ، فحاصره أمير المسلمين مدة من شهرين ، فلما رآه تمادا بالحصار عليه بعث اليه يطلب الأمان فأمنه بعد اسلام البلاد ، فملك يوسف غرناطة وأحوازها وجميع ماكان بيد عبد الله بن بلكين من الأعمال والبلاد ، وبعث بعبد الله بن بلكين صاحب غرناطة وأخيه تميم صاحب مالقة الى مراکش مع حريمهما وأولادهما ، فأقاما بها وأجرا عليهما الانفاق الى أن ماتا بها ، فلما خلع يوسف بنى بلكين ابن باديس عن غرناطة ومالقة وملك بلادهم خاف منه ابن عباد وأنقبض عنه ، فمشا بينهما الوشاة بالنمائم ، فتغير عليه يوسف ، وجاز الى العدو فى شهر رمضان المعظم من سنة ثلاث وثمانين المذكورة ، وقصد الى مراکش ، وقدم على الأندلس قائده سيرى بن أبى بكر اللمتونسي ، وفوض اليه جميع الأمور كلها ، ولم يأمره فى ابن عباد بشيء ، فسار سيرى بن أبى بكر نحو أشبيلية وهو يظن أن ابن عباد اذا سمع به خرج اليه وتلقاه عن بعد بالضيافة ، فلم يفعل وتحصن منه ولم يضيفه ولم يلتفت اليه ، فراسله سيرى بن أبى بكر فى أن يسلم اليه البلاد ويدخل فى طاعته ، فامتنع المعتمد من ذلك ، فأخذ سيرى فى حصاره وقتاله ، وبعث قائده بطلى الى جيان ، فحاصرها حتى دخلها صلحا ، وملكها المرابطون ، وكذب سيرى بالفتح الى يوسف وأمر القائد بطلى أن يرتحل عن جيان ويسير الى قرطبة ، فسار اليها وبها يومئذ المأمون بن المعتمد ، فنزل عليه بطلى بعساكر المرابطين حتى فتحها وفتح حصونها ، ومعاقلها ، وكان فتح المرابطين لقرطبة يوم الاربعاء الثالث من صفر سنة أربع وثمانين وأربعمئة (٢٦ مارس ١٠٩١ م) ، ثم فتح بياسة وأبذة وحصن البلاط والمدور والصخيرة وشقورة ، ولم ينقض شهر صفر المذكور حتى لم يبق لابن عباد بلد الا وقد ملكه المرابطون ماعدا قرمونة واشبيلية ، فأقام القائد بطلى بن اسماعيل بقرطبة حتى سكنها ورم ثغورها ، وبعث

الى قلعة رباح قاصية بلاد المسلمين قائدا من لتونة فى ألف فارس من المرابطين ليضبطها ويسد ثغورها ، وارتحل سيرى بن أبى بكر الى قرمونة فقاتلها حتى دخلها عنوة ، وذلك يوم السبت عند الزوال السابع عشر من شهر ربيع الأول من سنة أربع وثمانين المذكورة (١٠ ماي ١٠٩١ م) فاشتد الأمر على ابن عياد و طال عليه الحصار فبعث الى ألفونسو السادس أخزاه الله يستغيث به ويستصرخه على لتونة ويعدده بإعطاء البلاد ، وبذل الطارف والتلاد ، ان كشف عنه ماهو فيه من الحصار ، فبعث اليه ألفونسو قائده القومس فى جيش من عشرين ألف فارس وأربعين ألف راجل ، فلما علم سيرى بقدوم الروم اليه انتخب من جيشه عشرة آلاف فارس من أهل النجدة والشجاعة وقدم عليهم ابراهيم ابن اسحاق اللمتونى وبعثهم للقاء الروم ، فالتقا الجمعان بالقرب من حصن المدور ، فكانت بينهم حروب شديدة مات فيها خلق كثير من المرابطين ، ومنحهم الله تعالا النصر فهزموا الروم وقتلوهم ، ولم يفلت منهم الا القليل ، ثم لم يزل سيرى بن أبى بكر وقواده من لتونة بالحصار والتصييق على أشبيلية حتى دخلها على المعتمد ، فأمنه فى نفسه وأهله وولده ، وبعث بهم الى أمير المسلمين ، فكانوا عنده بأغمات الى أن أتاهم الموت ، وكان دخول سيرى بن أبى بكر أشبيلية وتملك المرابطين لها يوم الأحد الثانى والعشرين لرجب من سنة أربع وثمانين المذكورة (٧ شتنبر ١٠٩٧ م) .

وفى شعبان من هاذه السنة ملك المرابطون مدينة نبرة وفى شهر شوال منها دخل القائد يوسف بن داوود بن عائشة مدينة مرسية وأعمالها ، وكتب بالفتح الى أمير المسلمين يوسف ، وكان القائد يوسف بن داوود بن عائشة عادلا فى أحكامه صالحا ورعا لاتأخذه فى الله لومة لائم ، فأحبه الناس ، وفيها رحل القائد محمد بن عائشة بجيش المرابطين فنزل المرية ، فهرب عنها صاحبها معز الدولة بن صمادح فى البحر الى أفريقية بأمواله وعباله وأسلم له البلد ، فملكها المرابطون ، وكتب محمد بن عائشة بالفتح الى أمير المسلمين يوسف ، فملك يوسف مملكة خمسة أمراء من أمراء

الأندلس فى سنة ونصف ، وهم : ابن عباد ، وابن حبوس وابن الأخرص ،
وابن عبد العزيز ، وعبد الله بن بكر صاحب جيان وأبلة وأستجة .
وفى سنة خمس وثمانين أمر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قائده
ابن عائشة أن يسير الى دانية ، فسار إليها وملكها وملك شاطبة ، وكان
صاحبها ابن منقذ ، ففر عنها ودخلها المرابطون ، ثم سار قائده ابن
عائشة الى مدينة شقورة فملكها ، وسار الى بلنسية وكان بها القادر بن
ذى النون ، والحاكم فيها جمع من النصارا يجوبون خراجها ، ففر عنها
ودخلها القائد ابن عائشة وكتب بالفتح الى أمير المسلمين .

وفى سنة ست وثمانين وأربعمئة فتح المرابطون مدينة افراغ من
بلاد شرق الأندلس ، ولم يزل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يبعث
جيوشه وقواده إليها يرسم الجهاد للروم وخلق أمرائها المتغلبين عليها
حتى ملك جميع بلاد الأندلس واستوثق له أمرها .

وفى سنة ست وتسعين وأربعمئة أخذ أمير المسلمين البيعة لولده
علي بقرطبة فبايعه جميع أمراء لتونة وأشياخ البلاد وفقهاؤها ، وذلك
فى شهر ذى الحجة منها ، وكان علي غائبا بسببة وبها نشأ .

وفى سنة ثمان وتسعين مرض أمير المسلمين يوسف وابتدأته العلة
التي مات منها وهو بمدينة مراكش ، فلم يزل مرضه يشتد وحاله يضعف
الى أن توفي رحمه الله فى مستهل شهر محرم سنة خمسئة (الأحد ٢
شتمبر ١١٠٦ م) وقد بلغ عمره مئة سنة ، فكانت مدة ملكه من يوم دخل
مدينة فاس سنة اثنتين وستين وأربعمئة ، الى أن توفي ثمانيا وثلاثين
سنة ، ومن حين قدمه أبوبكر بن عمر سبعا وأربعين سنة ، والبقاء لله
وحده .

الخبر عن دولة أمير المسلمين علي بن يوسف

ابن تاشفين بالمغرب وبلاد الأندلس

هو الأمير علي بن يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت ابن وارثقين بن منصور بن مصالة بن أمية بن وارتملى بن تمليت الصنهاجي اللمتوني .

كنيته : أبو الحسن .

أمه أم ولد رومية اسمها قمر ، وتكنا أم الحسن .

مولده : بسبئة سنة سبع وسبعين وأربعمئة .

صفته : أبيض اللون ، مشرب بحمرة ، تام القد ، أسيل الوجه أفلج

أقنا خفيف العارضين أكحل العينين سبط الشعر .

بنوه : تاشفين المولا بعده ، وأبوبكر ، وسيرى .

كاتبه : أبو محمد بن أسباط .

بويح له يوم مات أبوه بمراكش بعهد أبيه له ، وتسما بأمرير المسلمين ، وذلك في غرة محرم سنة خمسمئة ، وسنه يوم بويح ثلاث وعشرون سنة ، وملك جميع بلاد المغرب من مدينة بجاية الى بلاد السوس الأقصا ، وملك جميع بلاد القبلة من سجلماسة الى جبل الذهب من بلاد السودان ، وملك بلاد الأندلس شرقا وغربا ، وملك الجزائر الشرقية وميورقة ويابسة ، وخطب له على ألفي منبر ونيف وثلاثمئة منبر ، وملك من البلاد ما لم يملكه والده ، لأنه وجد البلاد هادئة ، والأموال وافدة ، والملك قد توطأ ، والأمور قد استقامت .

ولما ولي رحمه الله أقام العدل ، وضبط الثغور ، ووالا الجهاد ، وسرح السنجون ، وفرق الأموال ، ورد أحكام البلاد الى القضاة ، وسلك طريق أبيه في جميع أموره ، واهتدا بهديه ، وعزل عن قرطبة الأمير أبا

عبد الله ابن الحاج ، وولا مكانه القائد محمد بن أبى زلفى ، فغزا طليطلة وأوقع بالنصارا فقتلهم قتلا ذريعا بباب القنطرة أخذهم على غرة .

وقيل لما توفي والده يوسف رحمه الله سجاه بثوبه وخرج وبه فى يد أخيه تميم الى المرابطين فنعاها لهم ، فوضع تميم يده فى يد علي فبايعه ثم قال للمرابطين : قوموا فبايعوا أمير المسلمين ، فبايعه جميع من حضر من لتونة وسائر قبائل صنهاجة والفقهاء وأشياخ القبائل فتمت له البيعة بمراكش ، فكتب الى جميع بلاد المغرب والأندلس وبلاد القبلة يعلمهم بموت أبيه واستخلافه من بعده ويأمرهم بالبيعة ، فأنته البيعة من جميع البلاد ، وأقبلت نحوه الوفود للتعزية والتهنئة الا مدينة فاس ، فان ابن أخيه يحيى بن أبى بكر ابن أمير المسلمين يوسف كان أميرا عليها من قبل جده يوسف ، فلما وصله الخبر بموت جده وولاية عمه عظم ذلك عليه وانف من بيعة عمه وخالف عليه وامتنع من البيعة ، ووافق على ذلك جماعة من لتونة ، فخرج اليه أمير المسلمين علي من مراكش حتى قرب من مدينة فاس ، فخاف يحيى ابن أخيه على نفسه وعلم انه لا طاقة له بحربه ، ففر عن مدينة فاس وأسلمها لعمه ، فدخلها أمير المسلمين علي بن يوسف ، واستقام له الملك ، وكان دخوله مدينة فاس وفرار الأمير يحيى بن أبى بكر عنها يوم الاربعاء ثامن ربيع الآخر سنة خمس مئة (٧ دجنبر ١١٠٦ م) .

وقيل أن أمير المسلمين علي بن يوسف لما قرب من مدينة فاس نزل مدينة مغيلة (٨٩) من أحواز فاس ، ثم كتب الى ابن أخيه كتابا يعاتبه فيه على فعله ويدعوه للدخول فى طاعته كما دخل الناس ، وكتب الى

(89) مغيلة : مدينة مغربية مسماة باسم القبيلة التي كانت تسكنها ، تقع بين فاس ومكناس عن يمين الذهاب من الأولا الى الثانية بطن المهايا من قبيلة عرب سايس ، كان الطريق القديم يمر بها قبل تمبيد الطريق الجديد فى أول هذا القرن ، خربها الجند الروم الذين كانوا فى جيش الخليفة السعيد الموحدي ، فهبطت الى مستوى قرية لا تزال قائمة العين والذات الى اليوم ، ينتسب اليها جماعة من الأعلام ، أنظر عنها بيوتات فاس الكبرى وأخبار المهدي بن تومرت ص 25 وانظر عنها قصة لطيفة فى المغرب لابن دحية ص 124 .

أشياخ البلد كتابا يدعوهم فيه الى بيعته ويهددهم ويوعدهم ، فلما وصل الكتاب الى يحيى وقراه جمع أهل البلد واستشارهم فى الحصار والمقاتلة فلم يوافقوه على ذلك ، فلما يئس منهم خرج فارا الى مزدلى العامل على تلمسان ، فلقيه مزدلى بوادى ملوية (٩٠) وهو مقبل بالبيعة لأمير المسلمين علي بن يوسف والسلام عليه ، فأعلمه بما كان من شأته ، فضمن له مزدلى من عمه العفو والصفح ، فرجع معه يحيى حتى وصل الى مدينة فاس ، فدخل مزدلى الى أمير المسلمين علي ، ونزل يحيى مختفيا بحومة وادى شدرود فلما دخل مزدلى وباع أمير المسلمين وسلم عليه ورأى منه قبولا واکراما عظيما أعلمه بخبر يحيى وبما ضمن له من العفو فأجابته الى ذلك وعفا عنه وأمنه ، وأتاه يحيى فبايعه ، وخيره أمير المسلمين اما ان يكون سكناه بجزيرة ميورقة واما ان ينصرف عنه الى بلاد الصحراء ، فانصرف اليها ، ثم سار منها الى الحجاز ، فحج بيت الله الحرام ورجع الى عمه ، فاستأذنه ان يكون من حماته ويكون سكناه بحضرة مراكش ، فأذن له فى ذلك فسكنها ، فاتهمه عمه بالقيام عليه فثقفه وبعث به الى الجزيرة الخضراء ، فبقي بها الى ان مات .

وفى سنة احدا وخمسمئة عزل الأمير علي أخاه تميم بن يوسف عن بلاد المغرب وولا مكانه القائد أبا عبد الله بن الحاج ، فأقام واليا على مدينة فاس وسائر أعمال المغرب ستة أشهر ، ثم عزله وولاه مدينة بلنسية من بلاد شرق الأندلس ، ومنها دخل سرقسطة سنة اثنتين وخمسمئة وفى سنة اثنتين وخمسمئة كانت وقعة اقليج على النصارا ، وكان أمير جيش المسلمين تميم بن يوسف بن تاشفين ، وكان واليا على غرناطة

(90) نهر كبير ينبع من ملتقا جبل الأطلس المتوسط والأطلس الكبير ثم تجرى مياهه فى اتجاه شمالى شرقى حتى تصب فى البحر المتوسط بين السعيدية ومليلية بعد ما تقطع فى حريها مسافة 480 كلم من المنبع الى المصب ، تبلغ كمية فيضه خلال فصل المطر 200 م 3 فى الثانية ولكنها تنخفض بالتدرج حتى لا تتجاوز 20 م 3 فى فصل الصيف ، وقد بنى بأسفل النهر المذكور قرب مصبه سدان أحدهما بمشروع القليلة والثانى بمشروع حمادى ، وتستغل سدخات السدين المذكورين من المياه فى توليد الكهرباء وسقى سهول بركان الواقعة فى شرقه وسهول صبرة الواقعة فى غربه .

فخرج منها غازيا الى بلاد الروم ، فنزل حصن اقليج وبسه جمع عظيم من الروم ، فحاصره حتى دخل عليهم فتحصن النصارى فى القسبة ، فبلغ خبرهم الى الفونسو السادس ، فاستعد للخروج الى اغاثة بلده ، فأشارت عليه زوجته ان يوجه ولده عوضا منه فيكون مقابلا لتميم ، لان تميما ابن ملك المسلمين ، وسانشو ابن ملك الروم ، فسمع منها فبعث ولده سانشو فى جيوش كثيرة من زعماء الروم وأنجدهم ، وساروا حتى قربوا من اقليج ، فأخبر تميم بقدمه ، فأراد ان يقلع عن الحصن ولا يلقاهم ، فأشار عليه عبد الله بن محمد بن فاطمة ، ومحمد بن عائشة ، وغيرهما من قواد لمتونة بالمقام ولا يرحل ، وشجعوه وهونوا عليه أمرهم وقالوا لسه لاتخف فانما قدموا فى ثلاثة الاف فارس وبيننا وبينهم مسافة ، فاطاعهم فى ذلك ، فلم يكن الا عشي يومهم ذلك حتى أتتهم جيوش الروم فى الوف كثيرة ، فأراد تميم الفرار وأحجم عن قتالهم ، فلم يجد سبيلا للفرار ولا للروغ مخلصا ، وصمم قواد لمتونة الى لقاء العدو ومناجرته ، فالتقوا فكانت بينهم حروب عظيمة لم يسمع مثلها ، فهزم الله تعالى العدو ونصر المسلمين ، وقتل ولد الفونسو السادس وقتل معه من الروم ثلاثة وعشرون ألفا ونيف ، ودخل المسلمون اقليج بالسيف ، واستشهد فيها جماعة من المسلمين رحمهم الله ، واتصل الخبر بالفونسو ، فاغتم لقتل ولده ودخول بلده وهلاك عسكره ، فمرض بالفقعة ومات لعشرين يوما من الكائنة (٩١) وكتب تميم بالفتح الى أخيه أمير المسلمين علي بن يوسف .

وفيهما سار محمد بن الحاج من بلنسية الى سرقسطة ، فدخلها وأخرج عنها بنى هود وملكها ، وكتب بالفتح الى أمير المسلمين علي ، ولم يزل بها الى أن خرج غازيا الى برشليون ، فاستشهد بها ، وذلك فى سنة ثمان وخمسمئة ، وكان رحمه الله طول أيام ولايته ببلنسية وسرقسطة قد ضيق بالنصارى تضيقا عظيما بالغارات على يلادهم ، فخرج فى غزاة له فأخذ على الطريق البرية ، فغنم وسبا وكان معه

جماعة من قواد لتونة ، فبعث بالمغنم على الطريق الكبير ، وأخذ هو على البرية لقربه من بلاد المسلمين ، ومرا أكثر الناس مع المغنم ، وكان طريق البرية الذي أخذه محمد بن الحاج لايسلك الا على طريق واحد لصعوبته وشدة وعره ، فلما توسط الأمير محمد ابن الحاج وأخذته الأوعار والمضايق وجد النصارا قد كمنوا له فى جهة من تلك الجهات ، فقاتلهم قتالا شديدا ، قتال من أيقن بالموت واغتتم الشهادة ، اذ لم يجد منفذا يخلص منه ، فاستشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من المتطوعة ، وتخلص منهم القائد محمد بن عائشة فى نفر بالحيلة الى بلاد المسلمين ، فاتصل خبر وفاته بأمير المسلمين علي ، فأسف عليه وولا مكانه أبابكر ابن ابراهيم بن تافلوت ، وكان عاملا على مرسية ، فاجتمع اليه من كان بها من الجند الى جند سرقسطة ، وسار بها الى برشلونة ، فنزلها وأقام عليها عشرين يوما حتى هتكها وقطع ثمارها وخرّب أنحاءها وقراها ، فأتاه ردمير فى جيوش كثيرة من حشود لبيط وبرشلونة وبلاد أربونة فكانت بينهم حروب عظيمة مات فيها خلق كثير من الروم واستشهد فيها من المسلمين نحو السبعمئة رجل .

وفى سنة ثلاث وخمسمة جاز الأمير علي بن يوسف الى الأندلس برسم الجهاد ، فجاز من سببة فى الخامس عشر من المحرم من السنة المذكورة (السبت ١٤ غشت ١١٠٩ م) فى جيوش عظيمة تزيد على مئة ألف فارس ، فوصل الى قرطبة فأقام بها شهرا ، ثم خرج منها غازيا الى مدينة طلايوت ، ففتحها عنوة بالسيف ، وفتح من أحواز طليطلة سبعمائة وعشرين حصنا ، وفتح مجريط ووادي الحجارة ، ووصل الى طليطلة فحاصرها شهرا وقطع ثمارها وبلغ فيها من النكاية كثيرا ، ثم قفل منها الى قرطبة بعد ان دوخها .

وفى سنة أربع وخمسمة فتح الأمير سيرى بن أبى بكر مدينة شريش وبطليوس وبرتقال ويابرة والأشبونة وجميع بلاد الغرب ، وذلك فى شهر ذي القعدة منها ، وكتب بالفتح الى أمير المسلمين علي بن يوسف

وفى سنة سبع وخمسمئة توفي الأمير سييري بن أبى بكر باشبيلية ودفن بها ، وولي أشبيلية بعده عوضا منه محمد بن فاطمة ، فلم يسزل عليها الى أن توفي فى سنة عشر وخمسمئة .

وفى سنة سبع المذكورة غزا الأمير مزدلى طليطلة وانحاءها فدوخها ، وفتح حصن ارهينة عنوة ، وقتل كل من كان به من الرجال وسبا النساء والذرية ، فاتصل الخبر ، بالبرهانس ملك الروم فأقبل لنصرتهم واستنقاذهم ، فسمع به مزدلى فقصده للقاءه ، ففر أمامه ليلا ورجع مزدلى الى قرطبة ظافرا غانما ، فأمر بحمل الميرة الى أريونة وتحصينها ، ورتب بها الرجال والرماة والفرسان ، وأعلم الأمير مزدلى ان ابن الزند غرسييس صاحب وادي الحجارة قد حاصر مدينة سالم ، فقصده اليه مزدلى ، فاتصل الخبر بابن الزند غرسييس فولا هاربا وأقطع عنها حصاره ولم يكذب ، وترك جميع أسبابه وأثقاله ومضاربه ، فاحتوا مزدلى على ذلك كله .

وفى سنة ثمان وخمسمئة توفي الأمير مزدلى رحمه الله غازيا ببلاد الروم ، وكتب بموته الى أمير المسلمين علي بن يوسف ، فولا مكانه محمد ابن مزدلى ، فأقام واليا عليها ثلاثة أشهر وتوفي شهيدا فى غزاة له .
وفى سنة تسع وخمسمئة ملك أمير المسلمين علي بن يوسف الجزائر البحرية من شرق الأندلس .

وفى سنة احدا عشرة وخمسمئة ولي عبد الله بن مزدلى بلنسية وسرقسطة ، فسار اليها من غرناطة ، فوجد ابن ردمير اللعين قد أذاق أهلها شرا ، وكانت بينهما حروب عظيمة حتى هزمه واخرجه عن البلاد، وأقام عبد الله بن مزدلى على سرقسطة عاملا كاملا ، فتوفي ، فبقيت سرقسطة دون أمير ، فأتاها الفونسو الأول ملك أراكون فنزلها ، وأتسا الفنش (٩٢) أيضا فى أمم لاتحصا من الروم فنازل لاردة من بلاد الجوف،

(92) فى الاصل (فأتاها ابن ردمير فنزلها وأتا الفنش أيضا) مما يوهم أن هناك فنشين : ابن ردمير الذى هو الفنش الأول المحارب ملك أراكون ، و芬ش الآخر ، والحقيقة أنه لم يكن هناك

فاتصل الخبر بأمير المسلمين علي بن يوسف ، فكتب الى أمراء غرب الأندلس بالمسير الى ناحية تميم ، وكان واليا على شرق الأندلس ، ليسيروا معه لاستنقاذ سرقسطة ولاردة ، فقدم على تميم عبد الله بن مزدلي (٩٣) وأبو يحيى بن تاشفين صاحب قرطبة بعساكرهما ، فخرج تميم بن يوسف بن تاشفين من بلنسية مع أمراء لمتونة ، فقصد نحو لاردة ، وكان بينه وبين الفونسو الراكوني قتال عظيم أقلمه عن لاردة خاسرا بعد ان بذل جهده فى حصارها وقتالها ، وفقد عليها من جيوشه مايزيد على العشرة الألف فارس ، ورجع تميم الى بلنسية ، فلما رأى الفونسو الأول الراكوني ذلك بعث الى طوائف الأفرنج يستنصر بهم على سرقسطة فأتوا فى أمم كالنمل والجراد ، فنزلوا معه بها وشرعوا فى قتالها ، وصنعوا أبراجا من خشب تجري على بكرات وقربوها منها ، ونصبوا فيها الرعادات ، ونصبوا عليها عشرين منجنيقا ، ووقع طمعهم فيها ، فاستمر الحصار عليها حتى فنيت الأقوات وفني أكثر الناس جوعا ، فراسلوا الفونسو الاول على أن يرفع عنهم القتال الى أجل ، فان لم يأتهم من ينصرهم أدخلوا البلاد وأسلموها له ، فعاهدهم على ذلك ، فتم الأجل ودفعوا اليه المدينة ، وخرجوا عنها الى مرسية وبلنسية ، وذلك فى سنة اثنتي عشرة وخمسمئة ، وبعد دخولها وتملك النصارا اياها: وصل من العدو جيش من عشرة آلاف فارس بعثه أمير المسلمين علي لاستنقاذها ، فوجدوها قد فرغ منها وملكها ونفذ حكم الله فيها .

وفى سنة ثلاث عشرة وخمسمئة تغلب العدو الفونسو الاول ملك أراكون على بلاد شرق الأندلس واستولا على أكثرها ، وملك قلعة أيوب التي ليس فى بلاد المشرق أمنع منها ، وألح بالغارات على بلاد الجوف ، فاتصلت هاهه الأخبار بأمير المسلمين علي بن يوسف ، فجاز السى

الافندس واحد هو ابن رذمير الذي أثبتنا فى المتن اسمه الحقيقى اصلاحاً وتحقيقاَ ورفعاً لكل التباس. 93) يلاحظ التناقض فى هاهه الرواية ، فقد تقدم لابن أبى زرع أن عبد الله بن مزدلي توفى بعد أن حاصر سرقسطة عاماً ، وهاهو يعيده مرة أخرى الى الحياة .

الاندلس برسم الجهاد واصلاح احوال بلادها وضبط ثغورها ، وهو جوازہ الثاني ، فجاز معه خلق كثير من المرابطين والمتطوعة من العرب وزناتة والمصامدة وسائر قبائل البربر ، فوصل بجيوشه الى قرطبة فنزل بخارجها ، واتاه بها وفد الاندلس للسلام عليه ، فسألهم عن احوال بلادهم وثغورهم بلدا بلدا ، فعرفوه بما كان عندهم من ذلك ، وعزل ابن رشد عن قضاء قرطبة لأجل اشتكائه ابن رشد عليه ، لأنه اشتغل بتأليف البيان والتحصيل ، وولا مكانه أبا القاسم بن حمدين ، ثم ارتحل الى بلاد شننمرية فنزل عليها حتى فتحها عنوة ، وسار فيها غازيا يقتل في بلاد الغرب ويسبى ويقطع الثمار ، ويخرب القرا والديار ، حتى دوخها ، وفر أمامه الروم ، وتحصنوا بالمعاقل المنيعه .

وفى سنة خمس عشرة وخمسمئة جاز أمير المسلمين الى العدو ، وولا أخاه تميما جميع بلاد الاندلس ، فلم يزل عليها الى سنة عشرين ، فتوفي تميم وولي مكانه الأمير تاشفين بن علي ، فجاز الى الاندلس في جيش من خمسة آلاف فارس ، وبعث الى أجناد البلاد فاتوا ، فخرج بهم غازيا الى طليطنة ، فدخل حصنا من حصونها بالسيف ، وهتك أحوازها .

وفى سنة عشرين المذكورة هزم الأمير تاشفين النصارى بفحص الصباب وقتلهم قتلا ذريعا ، وفتح ثلاثين حصنا من حصون بلاد الغرب ، وكتب بالفتح الى أبيه .

وفى سنة ثمان وعشرين غزا الأمير تاشفين بن علي قنطرة محمود فدخلها بالسيف .

وفى سنة ثلاثين وخمسة هزم الأمير تاشفين جموع الروم بفحص عطية وأفنا منهم خلقا كثيرا .

وفى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمئة جاز الأمير تاشفين من الاندلس الى العدو بعد ان غزا مدينة اشكونية وحمل من سببها الى العدو ستة آلاف سبية وفتحها عنوة ، فوصل الى مراکش فتلقاها والده علي أمير المسلمين في زي عظيم وفرح به .

وفى سنة ثلاث وثلاثين وخمسمئة أخذ أمير المسلمين البيعة لولده
تاشفين .
وفى سنة سبع وثلاثين توفي أمير المسلمين علي بن يوسف، بن
تاشفين وولي بعده ولده تاشفين ولي عهده .

الخبر عن دولة أمير المسلمين تاشفين بن علي ابن يوسف بن تاشفين اللمتوني رحمه الله

هو أمير المسلمين تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الصنهاجي
اللمتوني .

كنيته : أبو المعز ، وقيل أبو عمرو ، وأمه أم ولد رومية اسمها
ضوء الصباح .

ولي بعد وفاة أبيه وبعهده اليه في حياته ، وذلك في الثامن من
رجب الفرد من سنة سبع وثلاثين وخمسمئة (الأربعاء ٢٧ يناير ١١٤٣ م)
في معظم أيام الفتنة ، وقد قام الموحدون وظهر أمرهم وانتشر سلطانهم
وملكوا كثيرا من بلاد العدو ، فكانت بينهم وبين عبد المومن بن علي
حروب عظيمة ووقائع كثيرة .

ولما خرج عبد المومن بن علي من تينمل يريد فتح المغرب خرج
تاشفين من مراکش ، واستخلف عليها ولده ابراهيم ، فكان يتبع عبد
عبد المومن حيثما توجه من البلاد يباكره بالحرب ، الى ان سار الى
مدينة تلمسان ، وأتا عبد المومن فنزل عليه بها ، فخرج تاشفين الى قتائه
فنزل عبد المومن بجيوشه بالصخرتين من ظاهر تلمسان مقابل الجبل ،
ونزل تاشفين بجيوش صنهاجة بالبسيط الذي يلي الصفصيف (٩٤)

(94) واد صغير يقع شرقي تلمسان ينزل من جبل الصخرتين ويصب في نهر يسر ، عليه
قرية عصرية تسمى باسمه ، يعرف في كتب الجغرافية القديمة بنهر تنطسيف .

فزحف المرابطون لقتال الموحيدين ، فنهاهم تاشفين فلم ينتهوا ، وتعلقوا بالجبل لقتالهم ، فهبط عليهم الموحدون فهزموهم هزيمة عظيمة شنيعة ، وفر تاشفين الى مدينة وهران ، فنزل بظاھرھا ، وترك تلمسان للأمير محمد المعروف بالسيورى يضبطھا ، فترك علیھا عبد المؤمن یحیا بن یومر بجیش الموحدین محاصرا لها ، وانصرف الى وهران فى طلب تاشفين بن علي ، فنزل علیھ بوهران ، فلما اشتد الحصار على تاشفين بن علي خرج ليلا ليضرب فى محلة الموحدین ، فتكاثرت علیھ الخيل والرجال ، ففر أمامهم ، وكان بجبل عال مشرف على البحر ، فظن أن الأرض متصلة ، فهوا من شاهق عال بازاء وهران ، وذلك فى ليلة مظلمة ممطرة ، وهى ليلة السابع والعشرين من رمضان المعظم من سنة تسع وثلاثين وخمسمئة (الجمعة ٢٢ مارس ١١٤٥ م) فوجد من الغد بازاء البحر ميتا ، فاحتز رأسه وحمل الى تينمل ، فعلق بها على شجرة ، وذلك بعد ملازمته الحرب فى البيداء مع الموحدین لايأوى الى وطن من يوم ولي الى ان مات رحمه الله ، وكانت دولته سنتين اثنتين وشهرا ونصف شهر ، ولله عاقبة الأمور ، لارب غيره ، ولا معبود سواه ، والبقاء لله تعالا .

الخبر عن سيرهم والأحداث التى كانت فى أيامهم

رحمهم الله تعالا بمنه وكرمه

(وذلك من سنة اثنتين وستين وأربعمئة إلى سنة أربعين وخمسمئة)

كانت لتونة قوما غلبت عليهم البداوة ، وكانوا مع ذلك أهل دين متين ، وقام لهم بالمغرب والأندلس ملك عظيم ، فعدلوا فى أحكامهم ، وواظبوا على الجهاد .

وقال ابن جنون : كانت لتونة أهل ديانة ونية صادقة خالصة وصحة مذهب ، ملكوا بالأندلس من بلاد الأفرنج الى البحر الغربى فى المحيط ،

ومن مدينة بجاية من بلاد العدو الى جبل الذهب من بلاد السودان ، لم يجر فى عملهم طول أيامهم رسم مكس ولا معونة ولا خراج فى بادية ولا فى حاضرة ، وخطب لهم على أزيد من ألفي منبر ، وكانت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن ، تناها القمح فى أيامهم الى أن بيع أربعة أوسق بنصف مثقال ، والثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال ، والقطنى لاتباع ولا تشترا ، كان ذلك مصطحبا بطول أيامهم ، ولم يكن فى عمل من بلادهم خراج ولا معونة ولا تقسيط ولا وظيف من الوظائف الخزنية حاشا الزكاة والعشر ، وكثرت الخيرات فى دولتهم وعمرت البلاد ووقعت الغبطة ، ولم يكن فى أيامهم نفاق ولا قطاع ولا من يقوم عليهم ، وأحبهم الناس الى أن خرج عليهم مهدي الموحدى فى سنة خمس عشرة وخمسة .

وأما الاحداث التي كانت فى أيامهم :

ففى سنة اثنتين وستين وأربعمئة فتحوا مدينة فاس واستوثق لهم ملك المغرب .

وفيهما فتحوا بلاد فازان .

وفى سنة ثلاث وستين تملكوا حصون وطاظ من بلاد ملوية .

وفى سنة أربع وستين توفي المعتضد ابن عباد القاضى محمد ابن عباد صاحب أشبيلية ، ووليها بعده ولده محمد المعتمد ابن عباد .

وفى سنة خمس وستين قاتل يوسف بن تاشفين صدراته وأهل صفرو

وفى شهر ذى الحجة من سنة سبع وستين ظهر النجم المعكف

بالمغرب .

وفى سنة سبعين دخل يوسف بن تاشفين مدينة تادراوت التي بمقرية

ملوية بالسيف وقتل أميرها القاسم بن محمد بن أبى العافية وأباد جميع

جيوشه ولم يبق منهم باقية .

وفيه ملك يوسف بن تاشفين طنجة وتوفي صاحبها سكوت البرغواطي
وفى سنة احدا وسبعين وأربعمئة كسفت الشمس يوم الاثنين عند
الزوال فى اليوم الثامن والعشرين وهو كسوف الشمس العظيم الذي لم
يعهد قبله مثله ، وفى هاذة السنة ملك الفنش مدينة قورية وأخرج منها
المسلمين .

وفى سنة اثنتين وسبعين وأربعمئة بعث الأمير يوسف قائده مزدلي
فى عشرين ألفا من المرابطين ففتح مدينة تلمسان .

وفى ربيع الآخر منها كانت الزلزلة العظيمة التي لم ير الناس
بالمغرب مثلها ، هدت البنيان ومات فيها خلق كثير تحت الردم ، ووقعت
الصوامع والمنارات ، ولم تزل الزلزلة تتعاقب وتكرر فى كل يوم وليلة من
أول يوم من ربيع الآخر الى الآخر يوم من جمادا الاخرة من السنة
المذكورة .

وفى شهر ذي القعدة منها ثار أهل طليطلة على ملكهم القادر ابن
ذى النون وقتلوا أكثر رجاله ووزرائه ، فخرج القادر فارا بنفسه وعياله
الى حصن كنانة

وفى سنة أربع وسبعين فتح يوسف مدينة وجدة وتنس ووهران
وجبال ونشريس وأعمال شلف الى الجزائر .

وفيهما توفي صاحب السوق وأحكامه بقرطبة ، وهو الفقيه الحافظ
أبو طالب مكي رحمه الله .

ولد الفقيه القاضى محمد بن أصبغ المعروف بابن مناصف صاحب
الأرجوزة .

وفى جمادا الأولا منها توفي المقدم أحمد المقندر صاحب سرقسطة
وولي مكانه ولده يوسف المؤمن .

وفى سنة سبع وسبعين فتح الأمير يوسف مدينة سبته ، وفيها
استولا ألفونسو السادس على طليطلة .

- وفى ربيع الأول من سنة تسع وسبعين جاز أمير المسلمين يوسف
الى الأندلس برسم الجهاد ، فكانت غزوة الزلاقة •
- وفى سنة احدا وثمانين جاز الأمير يوسف الى الأندلس جـوازه
الثانى برسم الجهاد •
- وفى سنة ثلاث وثمانين جاز جوازه الثالث ، وفيها خلع بنى بلكين
واستولا على ماكان بأيديهم ووجههم الى مراكش •
- وفى سنة أربع وثمانين استولا المرابطون على مايبدا المعتمد ابن
عباد من البلاد ، واعتقل وأرسل الى أغمات ، وفيها ملك القائد محمد ابن
عائشة ألمرية وفر صاحبها ابن صمادح فى البحر الى أفريقية •
- وفى سنة خمس وثمانين ملك المرابطون دانبة وشاطبة وفر صاحبهما
ابن منقذ ، وفى هاذه السنة ملك المرابطون بلنسية وفر صاحبها القادر
ابن ذي النون •
- وفى سنة ست وثمانين فتحت مدينة افراغ من شرق الأندلس •
- وفى سنة تسعين تمحض ملك الأندلس ليوسف بن تاشفين واستوثق
لسه أمره •
- وفىها توفي أبو الحسن عبد الرحمان بن محمد بن يونس بن افلج
النحوى بأشبيلية ، وكان عالما فاضلا ، وله تأليف •
- وفى سنة ست وتسعين أخذ الامير يوسف البيعة لولده علي بقرطبة
وفى سنة سبع وتسعين توفي الفقيه الحافظ محمد ابن الطلاع ،
وله تأليف •
- وفىها توفي الفقيه المشاور أبو المطرف عبد الرحمان بن قاسم
الشعبى المالقى ، وكان فقيها ذاكرا للمسائل ، وشور ببلده فى الأحكام
وفىها توفي الفقيه الحافظ محمد بن قرج ، له تأليف •
- وفى سنة ثمان وتسعين ابتدأت علة أمير المسلمين يوسف التي
مات منها •

وفى مهل محرم فاتح سنة خمسمئة (الأحد ٢ شتنبر ١١٠٦ م) توفى أمير المسلمين يوسف رحمه الله وعمره مئة سنة ، وبويع لولده علي بمراكش .

وفيهما غزا القائد أبو عبد الله بن زلفى طليطلة وأوقع بالنصارا بباب القنطرة ، وفى ربيع الآخر منها دخل أمير المسلمين علي مدينة فاس وقد فر عنها ابن أخيه المخالف عليه .

وفى سنة احدا وخمسمئة توفى الشيخ الصالح العالم الواعظ ابر الحسن عبد الرحمان ابن خلف الكنانى القرطبى المعروف بالزيتونى .

وفيهما توفى الولي الكامل العارف الواصل أبو جبل (٩٥) رضي الله عنه وذكر صاحب التشوف بأن أبا جبل توفى فى سنة ثلاث وخمسمئة ، ودفن بظاهر الرابطة التي بخارج باب أصليتين من أبواب فاس ، وكان أبوجبل نفع الله به من كبار الفضلاء ، لقي بمصر أبا الفضل عبد الله ابن حسن الجوهري ، وكان جزارا أسود اللون مليح الوجه نقي القلب أحد المخلصين الخائفين من الله تعالا ، ويقال انه رأى الخضر عليه السلام بعد أربعين سنة من اقباله على الله تعالا ومجاهدته ، فبشره ان الله قد اثبته فى الأبدال ، وكان كثير السياحة فى الأرض ، وهو القائل :

سافر لتكسب فى الأسفار فائدة فرب فائدة تلتا مع السفر
ولا تقم بمكان لاتصيب به شيئا ولوكنت بين الظل والزهر
فان موسا كلیم الله أعوزه علم تكسبه فى صحبة الخضر

وفيهما (٩٦) كانت وقعة اقليج على النصارا وفتح الحصن ، وقتل سانشو ولد الفنش فى الوقعة ، ومات أبوه بعده لعشرين يوما من الوقعة

(95) يعلا الفاسى المكنى بأبى جبل ، انظر ترجمته فى التشوف ع IO وجذوة الاقتباس ص 351 وسلوة الأنفاس 3 : 162 .

(96) فى الأصل (وفى سنة اثنتين وخمسمئة) وهو خطأ والصواب أن وقعة اقليج ابتدأت فى فجر يوم الجمعة 16 شوال عام 501 هـ (29 مايو سنة 1108 م) انظر عن وقعة اقليج مجلة تطوان ع 2 ص 115 سنة 1957 .

- فقرة (٩٧) .

وفى سنة سبع وخمسمئة توفي العالم الصالح عبد الرحمان بن محمد المعروف بابن الطوج من أصحاب الامام ابى عمر بن عبد البر ، وكانت له جنازة لم ير مثلها .

وفى سنة أربع عشرة وخمسمئة ظهر المهدي الموحدى بالمغرب ، واجتمع فى طريقه من الشرق بعبد المومن بن علي .

وفى سنة تسع عشرة ضعفت الدولة اللمتونية وظهر فيها الخلل ، واشتغلوا بحرب المهدي والموحدين القائمين عليهم بجبل درن (٩٨) ، وعجزوا عن نصره بلاد الأندلس ، وضعفت أحوالهم ، واشتغلوا بانفسهم عنها ، وقوي أمر الموحدين ، وملكوا بلادا كثيرة من بلاد المغرب حتى ضاقت الأرض على المرابطين .

وفى سنة احدا وعشرين وخمسمئة فى التاسع عشر من شهر ربيع الأول منها توفي الفقيه القاضى أبو الوليد الباجي باشبيلية وهو معزول عن القضاء .

وفى سنة تسع وثلاثين ثار القاضى ابن حمدين بقرطبة على المرابطين وقتلهم مع العامة ، والبقاء لله وحده .

(97) بل بعد ذلك بنحو سنة يوم 30 يونيو سنة 1109 م .

(98) كان اسم درن بفتح أوله وثانيه يطلق فى العصر الوسيط على جبال الأطلس ولاسيما جبال المصامدة الواقعة خلف مدينة مراكش ، وفى هذه الجبال قال المعتمد بن عباد أمير اشبيلية عند ما كان سجيناً بأغمات :

هذى جبال درن حفت بكل درن
ياليتنى لم أرها وليتها لم ترنى

الخبر عن الدولة الموحدية المومنية

وقيامها على يد محمد بن تومرت المُسمَّأ بالمهدى

قال المؤلف عفا الله عنه :

أما المهدي القائم بدولة عبد المومن بالمغرب الأقصى فهو على ما ذكره المؤرخون لدولتهم : محمد بن عبد الله المعروف بتومرت ابن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر ابن يحيى بن عطاء بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وقيل هو دعي في هذا النسب الشريف ذكره ابن مطروح القيسي في تاريخه وقال : هو رجل من هرغة من قبائل المصامدة يعرف بمحمد بن تومرت الهرغى وقيل هو من كنفيسة والله أعلم بذلك كله .

كان في أول أمره وابتداء حاله رجلا فقيرا مشتغلا بطلب العلم وتحصيله ، وكان له ناموس عظيم ، فارتحل الى المشرق في طلب العلم ، فرأى مشايخ وسمع منهم وأخذ عنهم علما كثيرا ، وحفظ كثيرا من حديث النبي صلا الله عليه وسلم ، ونبغ في علم الأصول والاعتقادات ، وكان في جملة من لقي من العلماء الذين أخذ عنهم العلم الشيخ الامام الأوحى أبو حامد الغزالي رضي الله عنه ورحمه ، لازمه لاقتباس العلم منه ثلاث سنين ، فكان أبو حامد اذا دخل عليه المهدي يتأمله ويختبر أحواله الظاهرة والباطنة ، فاذا خرج عنه يقول لجلسائه : لا بد لهذا البربري من دولة ، أما أنه يثور بالمغرب الأقصى ويظهر أمره ويعلو سلطانه ويتسع ملكه فان ذلك ظاهر عليه في صفاته ، وبائن عليه في شمائه ، وردت بذلك الأخبار ، ودلت عليه العلامات والأثار ، فنقل اليه الخبر بعض الأصحاب وأخبره أن ذلك عند الشيخ في كتاب ، فلم يزل يجتهد في خدمة الشيخ ويتقرب اليه ، حتى أطلعه على العلم الذي كان عنده فيه ، فلما تحققت عنده الحال استخار الله تعالا وعزم على الترحال .

قال المؤلف عفا الله عنه :

أقبل محمد المهدي المذكور من المشرق يؤم بلاد المغرب متوكلا على الله عازما على اقامة شرائع الله تعالا وسنة نبيه عليه السلام ، وكانت رحلته عن بلاد المشرق في أول يوم من ربيع الأول المبارك من عام عشرة وخمسة (الجمعة ١٤ يوليو ١١١٦ م) فكان حيثما حل من مدن أفريقية وبلاد المغرب يدرس العلم ، ويظهر التقشف والورع والزهد في الدنيا ، ويأمر بالمعروف وينها عن المنكر حتى وصل لبلاد بجاية ، فنزل منها بقرية تعرف بملالة من أحواز بجاية ، فلقبه بها (٩٩) عبد المومن بن علي ، فاتضاف الى خدمته وقرأ عليه وأخذ عنه العلم ، وعلم بمراده وماقصد اليه من طلب الخلافة ، فوافق على حاله وتبعه في أمره ، وبايعه على مؤازرته في الشدة والرخاء ، والعسر واليسر ، والأمن والخوف ، وقدم معه الى المغرب الأقصى ، وكان المهدي أوحده عصره في علم الكلام وعلوم الاعتقاد ، حافظا للحديث والفقه ، له لسان وفصاحة ، فأخذ يشيع عند الناس أنه الامام المهدي المنتظر ، المخبر به القائم في آخر الزمان الذي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، وأخذ يستنقص المرابطين ملوك المغرب ويطعن فيهم ، وينسبهم الى الكفر والتجسيم ، ويدعو الى خلع طاعتهم ، ويمشي في الأسواق ويأمر بالمعروف وينها عن المنكر ، ويكسر المزامير وألة اللهو ، ويريق الخمر حيثما وجده ، يفعل ذلك في أي بلد حل فيه وأي موضع نزل به الى أن وصل مدينة فاس ، فنزل بها بمسجد طريانة (١٠٠) فأقام بها يدرس العلم الى سنة أربع عشرة وخمسة ، فارتحل الى مدينة مراكش دار مملكة المرابطين ، لعلمه أنه لا يظهر أمره الا منها ، فسار الى أن وصلها وبها أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، فدخل المدينة بزى الزهاد ، وقصد مسجدا يأوي اليه

(99) في الأصل (حتى وصل لبلاد تلمسان فنزل منها بقرية تعرف تاجرة من أحواز تلمسان فلقبه بها عبد المومن بن علي) وذلك غلط من ابن أبي زرع ، فلقاء عبد المومن للمهدي كان بقرية ملالة (تاملت) من ظاهر بجاية أثناء سفر عبد المومن صحبة عمه الى المشرق للحج وطلب العلم .
(100) هو المسجد الواقع بمدخل درب ابن سالم من الطالعة الكبرى بفاس .

ومعه عبد الرحمن بن علي في خدمته مشيعا لامامته ، فكان يمشى فسي أسواق المدينة وشوارعها يأمر بالمعروف وينها عن المنكر ، ويريق الخصر ويكسر آلات الطرب من غير إذن أمير المسلمين ولا مؤامرة من أحد من القضاة والوزراء ، فاتصل خبره بأمر المسلمين علي بن يوسف ، فأمر باحضاره ، فلما مثل بين يديه نظر الى تقشفه ورثائه حاله ، فاستحقره وهان عليه أمره ، وقال له : ماهاذا الذي بلغنا عنك ؟ قال : ومايلغك أيها الأمير ؟ انما أنا رجل فقير طالب الاخرة ولست بطالب دنيا ولا حاجة لى بها ، غير أنى الأمر بالمعروف وأنها عن المنكر ، وأنت أولا من يفعل ذلك ، فانك المسؤول عنه ، وقد وجب عليك احياء السنة وامامة البدعة ، وقد ظهرت بملكك المنكرات وفشت البدع ، وقد أمرك الله بتغييرها وحياء السنة بها ، ان لك القدرة على ذلك ، وأنت المأخوذ به والمسؤول عنه وقد عاب الله تعالا قوما تركوا النهي عن المنكر فقال تعالا : (كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ماكانوا يفعلون) ، فلما سمع ذلك أمير المسلمين علي بن يوسف من مقالته هابه وأطرق برأسه الى الأرض مليا يفكر فى أمره ومقالته وينظر فى حاله ، ثم رفع رأسه الى وزرائه ، فأمرهم باحضار الفقهاء الى مناظرته واختباره ، فحضر فقهاء مراكش وطلبتها وأشياخ لتونة والمرابطين حتى امتلأ المجلس وغص بالناس ، فعرفهم أمير المسلمين بأمر المهدي ومقالته ، وقال لهم انما بعثت لكم لتختبروا أمره ، فان كان عالما اتبعناه ، وان كان جاهلا أدبناد ، فأكثروا الكلام ، وأخذوا فى الملام ، وكان المهدي عالما بالجدال ، فقال لهم : قدموا من تقوم به حجكم ، وتأدبوا بأدب أهل العلم ، وسلموا عند شروط المناظرة ، وتركوا اللجاج ، وقدموا أحدكم ممن تتقون بمعرفته وتقدمه ، وكان جل من حضر ذلك المجلس من الفقهاء أصحاب حديث وفروع ، وليس فيهم من له معرفة بالأصول والجدل ، فكان أول ماسألهم عنه ان قال للذي تقدم للكلام : أيها الفقيه أنت لسان الجماعة المتقدم للكلام ، فأخبرنى هل تنحصر طرق العلم أم لاتنحصر ؟ فأجابه : هي تنحصر فى الكتاب والسنة والمعانى التى بنيت عليهما ، فقال له المهدي : انما سألتك عن طرق العلم

هل تنحصر ام لا ، فلم تذكر الا واحدة منها ، ومن شرط الجواب أن يكون مطابقا للسؤال ، فلم يفهم مقالته وعجز عن الجواب ، ثم سأله عن أصول الحق والباطل ماهي ؟ فعاد الى جوابه الأول ، فلما رأوا عجزه وعجز أصحابه عن فهم السؤال وقصوا الخطاب ولم تكن لهم معرفة بالجواب شرع لهم فى تبين أصول الحق والباطل فقال لهم : أما أصول الحق والباطل فهي أربعة : العلم والجهل والشك والظن ، فالعلم أصل للهدا ، والشك والجهل والظن أصل للضلال ، ثم أخذ فى تبين طرق العلم ، فبهروهم بطريق أنوار العلم ، وغلقت دونهم أبواب الفهم ، وعجزوا عن جوابه ، ولم يفهموا له معنا خطابه ، فلما رأوا باهر علمه واصابة معرفته أخذتهم فضيحة العجز ، وركنوا الى ظلمة الجحد والانكار ، فلبسوا عليه وقالوا أمير المسلمين علي بن يوسف : هاذا رجل خارجي مسعور أحقق صاحب جدل ولسان يضل جهال الناس ، وان بقي بالمدينة يفسد عقائد أهلها وينشر ذلك عند الناس حتى يرسخ ذلك فى قلوب أكثر العامة ، فأمره أمير المسلمين علي بالخروج من المدينة ، فخرج منها فبنا خيمة بالجبانة بين القبور بقرب المدينة وقعد بها ، فكان يأتيه بعض الطلبة فيقرأون عليه ويأخذون عنه حتى كثر عليه الجمع واجتمع عليه أتباعه وتلاميذه وتكاثر عليه الناس ، وامتألت قلوبهم له محبة ومهابة وتعظيما ، فأعلم الخاصة منهم بالذى قصده وبما يريده ، وأخذ يطعن على المرابطين ويقول : هم كفرة مجسمون ، وغزوهم واجب على كل من يعلم أن الله تعالا واحد فى ملكه أوجب من غزو الروم والمجوس ، وتابعه على ذلك مايزيد على الف وخمسمئة ، فرفع خبره الى المسلمين علي بن يوسف ، وعرف أنه يطعن فى دولته ويكفرهم ، وأنه قد كثر أتباعه على مذهبه ، فبعث اليه فقال له : أيها الرجل اتق الله فى نفسك ، ألم أنك عن عقد الجموع والأحزاب وأمرتك بالخروج عن المدينة ، فقال : قد امتثلت أمرك وخرجت عن المدينة الى الجبانة ، فبنيت خيمة بين الموتى واشتغلت بطلب الأخرة ، فلا تسمع لأقوال المضلين ، فأغلظ له أمير المسلمين بالقول وتوعده بالنكال وهم بالقبض عليه ، فعصمه الله منه ، ليقتضى

الله أمرا كان مفعولا ، فأمره بالانصراف ، فانصرف يريد خيمته ، فبينما هو فى بعض الطريق اذ أغروا به أمير المسلمين وشرحوا له جلية حاله وما يدعوا الناس اليه من امامته وبيعته ، فبدأ له فى أمره وعزم على قتله ، وبعث من يأتيه برأسه ، فسمع بذلك بعض تلامذته فأتاه مسرعا حتى وقف بالقرب من خيمته ونادا بأعلا صوته : (ياموسا ان الملائمات يأترون بك ليقتلوك فأخرج انى لك من الناصحين) ، وكرر النداء ثلاث مرات ثم سكت ، ففطن المهدي لندائه ، فخرج فى الحين مسرعا مختفيا حتى بلغ تينمل ، وذلك فى شهر شوال من سنة أربع عشرة وخمسمئة (يناير ١١٢١ م) ، فنزل هناك ، ولحقه أصحابه العشرة ، وهم : عبد المؤمن بن علي ، وعبد الله البشير ، وعمر (أبو حفص) بن يحيى أينتى ، وعمر بن علي أصنناك ، وسلميان بن مخلوف ، وإبراهيم بن اسماعيل الهزرجي ، وعبد الواحد الحضري ، وموسا بن تمارى ، وأبو عثمان ابن يلف ، وأبو يحيى بن يجيت ، فهؤلاء أصحاب المهدي العشرة السابقون الى دعوته المصدقون بامامته المنقادون لامارته ، المسارعون الى بيعته فأقاموا معه بتنمل الى شهر رمضان المعظم من سنة خمس عشرة وخمسمئة ، فكثرت أتباعه وعظم صيته فى جبل درن ، واجتمع عليه خلق عظيم ، فلما رأوا ذلك أظهر دعوته ، ودعا الناس الى بيعته ، فكان أول من بايعه أصحابه العشرة المذكورون ، وكانت بيعتهم له بعد صلاة الظهر من يوم الجمعة الخامس عشر من شهر رمضان عام خمس عشرة وخمسمئة (٢٧ نونبر ١١٢١ م) فلما كان من الغد وهو يوم السبت السادس عشر من رمضان المذكور خرج الى المسجد يتنمل مع أصحابه العشرة متقلدين سيوفهم ، فصعد المنبر وخطب الناس ، وأعلمهم أنه الامام المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا وأظهر دعوته الى بيعته ، فبايعه كافة أهل تينمل ومن جاورهم بها من الناس ، وبقي بعد ذلك يستجلب القبائل ، وفرق من يثق بسياسته ممن تلاميذه فى البلاد القاصية والدانية يدعون الى بيعته ويتثبتون عند الناس امامته ، ويزرعون فى قلوبهم محبته مما يذكرون له من الفضائل والكرامات

ويصفونه به من الزهد فى الدنيا واطهار الحق ، فقصد الناس اليه من كل جهة ومكان يبائعونه ويتبركون برؤيته ، فيأخذ عليهم البيعة ويعلمهم أنه المهدي المنتظر حتى علا أمره ، وقوي سلطانه ، وسما كل من دخل فى طاعته وباعه وتابعه على طريقته بالموحدين وعلمهم التوحيد باللسان البربري ، وجعل لهم فيه الأعشار والأحزاب والسور ، وقال لهم : من لا يحفظ هذا التوحيد فليس بمؤمن ، وإنما هو كافر لا تجوز امامته ، ولا توكل ذبيحته ، فصار هذا التوحيد عند المصامدة كالقرآن العزيز ، لأنه وجدهم قوما جهلة لا يعرفون شيئاً من أمور الدنيا ولا من أمور الدين ، فاستهواهم بكيده ، وغلبهم بعذوبة لفظه ولسانه ومكره ، حتى كانوا لا يدكرون غيره ، ولا يمتثلون أمراً إلا أمره ، يستغيثون به فى شدائدهم ، ويتبركون بذكره على موائدهم ، ويقولون هذا الامام المعلوم والمهدي المعصوم على منابرهم ، فدخل الناس فى طاعته أفواجا ، واتخذوا سنته شريعة ومنهاجا ، فرتب العشرة والخمسين ، وتمكن فى الملك أى تمكين ، وسما العشرة من أصحابه السابقين الأولين ، وجعل الخمسين للسراي والمشورة ، وعقد لنفسه الامامة والنظر للمسلمين ، فلم تنزل تقبل اليه الجموع والقبائل ، وتقد عليه الوفود ، ويخطب له فى المحافل ، حتى كمل له من انصاره من الموحدين وأصناف قبائل المصامدة ما يزيد على العشرين ألف رجل ، فقام فيهم خطيبا ، وندبهم الى جهاد المرابطين ، فانتدب اليه الناس وباعوه على الموت بين يديه ، فانتخب منهم جيشا من عشرة الاف رجل من أجناد الموحدين ، وقدم عليهم عبد الله البشير وعقد لهم راية بيضاء ، ودعا لهم وودعهم ، فخرجوا قاصدين مدينة أغمات ، فاتصل خبرهم بأمير المسلمين علي بن يوسف ، فبعث لقتالهم جيشا من الحشم والأجناد وقدم عليهم الأحوال الكلثوم ، وكان له النظر على لتونة فهزم جيش علي بن يوسف ، وقتل الأحوال ، واستمرت الهزيمة على لتونة واتبعهم الموحدون بالسيف حتى أدخلوهم مدينة مراكش ، فأقاموا عليها محاصرين أياماً ، ثم ارتحلوا عنها الى الجبل لما تكاثرت عليهم جيوش لتونة ، وذلك فى سادس شعبان المكرم من سنة ست عشرة وخمسة (١٠)

اكتوبر ١١٢٢ م) فانتشر أمر المهدي بجميع بلاد المغرب والأندلس ، وقسم الغنائم التي غنموا من عسكر لمتونة على الموحدين وتلا عليهم : (وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه) الآية .

الخبر عن غزواته وحروبه مع لمتونة

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما هزم الموحدون جيوش أمير المسلمين علي بن يوسف عظم أمر المهدي وقوي سلطانه ، وركب أكثر جيشه على خيل المرابطين التي غنموها من عساكرهم ، فنهض الى قتال المارقين ، وقتال أهل الزيغ المبطلين ، فجمع قبائل الموحدين وعبأ الجيوش وقصد نحو مراكش ، فسار حتى نزل بجبل كليز قريبا من المدينة ، فأقام به ثلاثة أعوام يباكر جيوش لمتونة بالقتال ويرأوهم في كل يوم من سنة ست عشرة الى سنة تسع عشرة ، فلما طال مقامه هنالك ارتحل الى وادي نفيس وسار مع مسير الوادي ، فانقاد اليه أكثر تلك الجهات والنواحي من السهول والجبال ، وبايعته قبائل كدميوة ، ثم غزا بلاد رجراجة ، فأخذهم بالدعوة الى معرفة الله تعالا وتعليم شرائع الاسلام ، فسار في بلاد المصامدة ، وكل من أنف منهم عن دعوته غزاه الموحدون ففتح بلادا كثيرة ، ودخل في طاعته عالم كثير من قبائل المصامدة ، ورجع الى تينمل فأقام بها شهرين حتى استراح الناس ، ثم غزا مدينة أغمات وبلاد هرزجة ، فخرج اليها من تينمل في ثلاثين ألفا من الموحدين ، فاجتمع أهل أغمات وقبائل هرزجة وخلق كثير من الحشم وملتونة وغيرهم واستعدوا لقتال المهدي ، فسالتقا الجمعان ، فكان بينهما قتال شديد فنصر عليهم المهديون فهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وقسم المهدي الأنفال على الموحدين ، ثم غزا قبائل جبل درن فسار فيه يقتل من عصا ويؤمن من اتبعه وانقاد اليه ، ففتح جميع قلاع جبل درن وحصونه وأوديته ، وأطاعه جميع من فيه من قبائل هنتاتة

وجنفيسة وهرغة وغيرهم ، ثم رجع الى تينمل فأقام بها مدة حتى استراح الناس ، فميز الموحدين وأمرهم بالخروج الى قتال مراكش وجهاد من بها من المرابطين ، وقدم عليهم عبد المومن بن علي ومحمدا البشير ، وجعل امام الصلاة عبد المومن بن علي ، فارتحلت عساكره من تينمل قاصدين مراكش ، فلما وصلوا الى أعماط تلقاهم بها الأمير أبو بكر بن علي بن يوسف اللمتونى فى جيوش عظيمة من لتونة وقبائل صنهاجة والحشم وغيرهم ، فكانت بينهم حروب عظيمة ثمانية أيام ، ثم منح الله تعالا الموحدين النصر ، فهزم الأمير أبو بكر بن علي ولتونة ، وتبعهم عبد المومن بن علي بجيوش الموحدين يقتلونهم فى كل فج ، واتصلت المهزيمة الى أن أدخلوهم مدينة مراكش وسدوا الأبواب فى وجوههم ، فحاصروهم بها ثلاثة أيام ، ثم ارتحلوا عنها الى تينمل ، وذلك فى شهر رجب الفرد عام أربعة وعشرين وخمسمئة (يونو - يوليوز ١١٣٠ م) فلما رجع الموحدين الى تينمل خرج المهدي الى لقائهم فسلم عليهم ورحب بهم وعرفهم بما يكون له من النصر والفتح وما يملكونه من البلاد ومدة ملكهم ، وأعلمهم أنه يموت فى تلك السنة ، فبكوا لذلك وأسفوا ، ثم بدأه مرضه الذي مات منه ، فأقام مريضا أياما ، وقدم عبد المومن بن علي للصلاة فى أيام مرضه ولم يزل مرضه يشتد الى ان توفي فى يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان المعظم سنة أربع وعشرين وخمسمئة (٢٠ غشت ١١٣١ م) .

الخبر عن وفاته رحمه الله

ذكر بعض المؤرخين لآيامهم ان المهدي الموحدى رأى فى منامه قبيل وفاته بيسير كان رجلا وقف بباب بيته فأنشده هذا البيت :

كانى بهذا البيت قد باد أهله وقد درست أعلامه ومنازله

فأجاب به المهدي :

كذلك أمور الناس يبلا جديدها
فأجابه الرجل :
تزود من الدنيا فانك راحل
فأجابه المهدي :
واكل فتا حقا ستبلا محاسنه
وانك مسؤول فما أنت قائله ؟
وذاك مقال ليس تحصا فضائله
اقول بأن الله حق شهادته
وقد أرف الأمر الذي أنت نازله
فأجابه المهدي :
سأفعل ما قد قلته وأعاجله
متى ذاك خبرنى هديت فأنسى
فأجابه الرجل :
الى منتها شهر فما أنت كامله
نبيت ثلاثا بعد عشرين ليلة
فلم يلبث بعدها الا ثمانية وعشرين ليلة ومات رحمه الله .

وقيل أنه لما ثقل عليه المرض وأيقن بالموت دعا عبد المومن بن علي فأوصاه بما أحب وأوصاه بأخوانه خيرا ، وأعطاه كتاب الجفر الذى صار اليه من قبل الامام أبى حامد الغزالي رضي الله عنه ، وأمره أن يخفي أمر موته أياما اذا مات حتى تجتمع كلمة الموحدين ، وأمره بما يكفنه فيه من الثياب ، وان يتولا غسله ويدفنه بيده ويتقدم للصلاة عليه ويدفنه بجامع تينمل ، فبكا عبد المومن لفراقه بكاء شديدا ، وتوفي فى يوم الخميس الخامس والعشرين من رمضان البعظم سنة أربع وعشرين وخمسمئة ، قاله البرنسى ، وقيل توفي يوم الأربعاء الثالث عشر من شهر رمضان المذكور ، وقاله ابن الخشاب فى تفسيره ، وقال غيره كان قيام المهدي واطهار دعوته فى يوم السبت غرة شهر المحرم مفتح عام خمسة عشر وخمسمئة ، وتوفي يوم الأربعاء الثالث عشر من رمضان سنة أربع وعشرين المذكورة ، فكانت دولته على هذا تسع سنين وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما ، أولها يوم السبت مفتح خمسة عشر ، وأخرها يوم

الأربعاء المذكور ، والصحيح فى بيعته ووفاته ما ذكره ابن صاحب الصلاة فى كتاب المن بالامامة ، وأبو علي ابن رشيق المويسى فى كتاب ميزان العمل أنه ببيع يوم السبت غرة محرم مفتتح عام ست عشرة وخمسمئة ، وتوفي يوم الأربعاء الثالث عشر لشهر رمضان سنة أربع وعشرين وخمسمئة ، وقال بعض المؤرخين أنه نقل ذلك من خط أمير المسلمين يوسف بن عبد المومن ، وأنه قيده بين يدي أبيه عبد المومن وبأمره واملائه فكانت أيامه على هاذه الرواية ثلاثة الاف يوم وخمسة وثمانين يوما ، يجب لها من السنين ثمانية أعوام وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوما ، أولها يوم السبت يوم بيعته ، والآخرها يوم الأربعاء الذي توفي فيه .

الخبر عن صفته وسيرته ونبذ من أحواله

كان محمد المسما بالمهدي القائم بدولة الموحدين حسن القدر ، أسمر اللون ، رقيق البشرة ، أفلج ، أقنا ، غائر العينين ، خفيف العارضين ، له شامة سوداء فى خده الأيمن ، ذا سياسة ودهاء ومكر وناموس عظيم ، وكان مع ذلك عالما فقيها ، راويا لحديث النبي صلا الله عليه وسلم حافظا له ، عارفا بالأصول ، عالما فى علم الاعتقاد والجدل ، فصيح اللسان ، مقداما على الأمور العظام ، سفاكا للدماء ، غير متورع فيها ولا متوقف عنها ، يهون عليه سفك دم عالم من الناس فى هوا نفسه وبلوغ غرضه ، وكان مع ذلك متيقظا فى أحواله ، ضابطا لما ولي من سلطانه ، شرع وأسرع ، ومهد الملك لغيره بالخدع ، ووجد قوما قد غلب عليهم الجهل وتمكن منهم فغلب عليهم ، وتحيل على جهال المصامدة حتى بايعوه ، وعلمهم توحيداً بلغتهم ، فانه كان رجلا منهم ، والتوحيد بأيديهم الى الآن ، وأعلمهم أنه الامام المهدي القائم على كمال الخمسمئة سنة ، ونسب المرابطين الى التجسيم والكفر ، وأباح لهم جهادهم وسببى نساءهم وذرائعهم وأموالهم وقال لهم : انهم تسموا بأمراء المسلمين ، وانما

يعرفون بالملتزمين ، وأخبرهم أنهم هم القوم الذين وصفهم النبي صلا الله عليه وسلم بقوله : صنفان لا يدخلان الجنة ، الأول هم قوم يخرجون فى آخر الزمان لهم سياط كأذناب البقر ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت ، وكل ما وصف رسول الله صلا الله عليه وسلم فى أمراء آخر الزمان نسبه اليهم ، فاستهوا بذلك قلوب الرعاع الجهال .

ومن تحيله وتهاونه بسفك الدماء أنه أخذ قوما من أتباعه ودفنهم أحياء وجعل لكل واحد منهم متنفسا فى قبره وقال لهم : اذا سئلتم فقولوا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا من مضاعفات الثواب على جهاد لتونة وعلو الدرجات التي نلنا بالشهادة فجدوا فى جهاد عدوكم ، فان مادعاكم اليه الامام المهدي صاحبكم حق ، وقال لهم : اذا قلت ذلك أخرجتكم وكانت لكم من المنزلة عندي أعلاها وأسفاها ، وعاهدهم على ذلك ، والسبب فى ذلك أن جيش الموحدين لما التقا بعسكر المرابطين واشتدت الحروب بينهم قتل من الموحدين خلق كثير ، فعظم ذلك على قبائلهم وعشائهم ، ففعل ذلك ليهون عليهم ما أصابهم من القتل والجراحات ، فأتا الى موضع المقتلة ليلا مع أصحابه ، فدفنهم بين القتلا ورد عليهم التراب ثم رجع الى محلته وقد ذهب أكثر الليل ، فقال لأشياخ الموحدين : يامعشر الموحدين أنتم حزب الله وأنصار دينه وأعوان الحق ، فجدوا فى قتال عدوكم فانكم على منهاج الحق ، وأنتم على بصيرة من أمركم ، وان كنتم ترتابون فيما أقوله لكم فانهبوا الى موضع المعركة واسألوا من قتل اليوم من اخوانكم يخبروكم بفضل جهادكم وعظيم ثوابكم عليه فى الآخرة ، فأتا بهم الى المقتلة ثم نادا برفع صوته : يامعشر الشهداء ، خبرونا مالقيتم من الله عز وجل ، فقالوا وجدنا عند الله تعالا مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فلما سمعوا الجواب رجعوا الى قومهم وقبائلهم فقالوا : قد سمعنا ما أجاب به اخواننا الذين استشهدوا منا وما شاهدوا من فضل الله تعالا وجزيل ثوابه ، فافتتن بذلك كافة الناس ، فأتا فأغلق على أصحابه الذين دفنهم المنافس التي كانت تركت لهم ، فماتوا من

ساعتهم غما ، فعل ذلك بهم ليلا يخرجوا فيسروا الى خاصتهم مافعله بهم ومن حيلته وسياسته أنه لم يقدر على طائفة المصامدة أن يتعلموا أم القرآن لشدة عجمتهم ، فعدد كلمات أم القرآن ، وسما بكل كلمة منها رجلا ، ثم أقعدهم صفا واحدا فقال للأول منهم : اسمك الحمد لله ، والثاني رب ، والثالث العالمين ، هاكذا حتى تمت كلمات السورة ، ثم قال لهم : لايقبل الله لكم صلاة حتى تجمعوا هذه الأسماء كلها على نسقها فى كل ركعة من الصلاة ، فسهل عليهم الأمر وحفظوا أم القرآن ذكره صاحب المغرب فى ملوك المغرب .

الخبر عن الخليفة أمير المؤمنين عبد المومن بن علي الكوئى الزناتى

هو أبو محمد عبد المومن بن علي بن يعلا بن مروان بن نصر بن عامر بن الأمير بن موسا بن عون الله بن يحييا بن ورزايع بن صطفور ابن نفور بن مطماط بن هود بن مادغيس بن بر بن قيس بن عيلان بن نزار بن معد بن عدنان ، هاكذا أثبت نسبه جماعة من المؤرخين لدولته، وأصله منقول من خط حفيده عبد الواحد على ماذكروه ، والله تعالا أعلم، فهو زناتى الأصل ، وكان والده علي فخارا يعمل النوافخ (١٠١) وكان عبد المومن قد تطلب من صغره ولزم المساجد لدرس القرآن ، فمر به المهدي حين أقبل الى المغرب ، فضمه اليه لما أراده الله تعالا من أمره ، والذي ثبت من خبره انه رجل زناتى الأصل من كومية هنين من موضع يعرف بتاجرة (١٠٢) على ثلاثة أميال من مرسا هنين (١٠٣) ، وزعم

101) نافخ : المجرم فى العامية المغربية .

102) تاجرة : قرية على ساحل البحر بتراب قبيلة بنى عابد من حوز ندرومة ، ما زالت تعرف بهذا الاسم الى الآن .

103) قرية شهيرة تقع بجبال ترامة على ساحل البحر المتوسط بين مصب نهر تافنا ومرسا الغزوات ، كانت فى العصر الوسيط مرسا تلمسان وناحيتها بها آثار موحدية ومرينية .

بنو عبد المومن أن المهدي استخلفه بعده ، لما توفي المهدي بويع عبد المومن بيعة خاصة ، بايعة العشرة أصحاب المهدي وأخفوا موته ، واجتمعوا على بيعة عبد المومن لاختصاص المهدي له وثنائه عليه وقوله فيه :

تجمعت فيك أشياء خصت بها فكلنا بك مسرور ومغتبط
السن ضاحكة والكف مانحة والصدر متسع والوجه منبسط

الى ماكان من تقديمه له للصلاة وما يعرفونه من فضله وعلمه ودينه وعزمه وبسالته وشجاعته وحسن سياسته ورجاحة عقله .

وقيل لما مات المهدي تشوَّف كل واحد من العشرة الى الخلافة بعده ، وكانوا من قبائل شتا ، وأحبت كل قبيلة من قبائل الموحدين أن يكون الخليفة منها وأن لايلي عليها أحد من غيرها ، فذنافسوا فى ذلك وتحاسدوا فاجتمع العشرة والخمسون وتأامروا بينهم وخافوا النفاق وأن نفسد كلمتهم وينفرق جمعهم ، فاتفقوا على خلافة عبد المومن لكونه غريبا بينهم ليس منهم مع ماكانوا يرون من ميل المهدي اليه وثباته عليه ، فبايعوه .

وذكر ابن صاحب الصلاة فى كتاب (المن بالامامة) أن المهدي الموحدي لما توفي أخفي موته ولم يعلم به أحد الا عبد المومن وأصحابه العشرة ، فبقي موته مكتوما ثلاث سنين ، وهم يدبرون الأمر ، وذلك بسياسة ظاهرة من عبد المومن فى ذلك الوقت ، فانه لما توفي المهدي عمد عبد المومن الى شبل أسد وطائر قرباهما ودربهما فيما أراد ، فأنس الأسد به ، فكان الأسد اذا رآه ربحض بين يديه وبصمص له ، وعلم الطير النطق باللسان العربي ، فكان يقول : النصر والتمكين للخليفة عبد المومن أمير المسلمين ! فلما كمل ذلك من مراده أمر أشياخ الموحدين وقبائلهم أن يحضروا مجلسه ، فأمر فضربت له قبة كبيرة بخارج تينمل ، وفرش له فى وسطها وجعل الطير على عمود القبة ، وأمر سائس الأسد أن يأتي به اذا غص المجلس بالناس فيطلقه بينهم ، فلما اجتمعوا قام عبد المومن خطيبا ، فحمد الله وأثنا عليه وصلا على النبي صلا الله

عليه وسلم وترضا عن الصحابة والامام المهدي ، وترحم عليه ، وأعلمهم بموته ، ونعاه لهم وعزاهم فيه ، فكثرت البكاء منهم وارتفع الضجيج ، فقال لهم : ان الامام قد سار الى ما عند الله ووجد خيرا مما ترك ، فكونوا في أنفسكم ، وانظروا فيمن تولونه أموركم وتجتمع عليه كلمتكم بعده ، ولا تفرقوا ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، ويختل أمركم ويفرق جمعكم ، ويتمكن منكم عدوكم ، فبينما أسيخا الموحدين في تلك الحال واذا بسائس الأسد قد أطلقه ومعلم الطير قد صفر له ، فقال الطير عند ذلك بلسان فصيح ، النصر والفتح والتمكين لسيدنا الخليفة عبد المومن أمير المسلمين ! وأما الأسد فانه لما أطلقه سائسه ورأى الناس زار وضرب بذنبه وكثر عن أنيابه ، ففر الناس منه يمينا وشمالا ، وبقي عبد المومن بمكانه قاعدا لم يتحرك ، فلما بصر به الأسد بصيص بين يديه ، فجز عبد المومن يده عليه وسكنه ، فلما رأى الموحدون فعل الأسد وسمعوا كلام الطير اتفقوا على تقديم عبد المومن وقالوا : ما على هذا من مزيد ، وليس أحد أولا بخلافة الامام المهدي من عبد المومن الذي ظهرت له هذه الكرامات يدعوه له الطائر ، ويصيص بين يديه الأسد ، ويستخلفه الامام للصلاة وهي أصل الاسلام ، فنقدمه نحن للخلافة ، ونقتدي بذلك في فعل الصحابة مع النبي صلا الله عليه وسلم والصدر الأول من هذه الامة في تقديم أبي بكر رضي الله عنه لسابقته وفضله وعلمه ، ولكون النبي صلا الله عليه وسلم قدمه للصلاة في مرضه ، وكان فيهم من هو أقرب له نسبا منه ، فبايعوه وتمت له البيعة ، ويقال أنه لما بصص الاسد بين يديه جز يمينه المباركة عليه وأمره بالرجوع ، فرجع مطيعا لأمره ، ولو قدر على الكلام لناطق بثنائه وشكره ، فظهر في ذلك المقام ماشاع في الأفاق ، وخذل في بطون الأوراق ، وأثبت له من عجائب الاتفاق ، وفي ذلك يقول الحسن ابن الأشيري (١٠٤) :

(94) الحسن بن عبد الله بن الأشيري من أهل تلمسان كان كاتباً لتأشيفين بن علي المرابط ثم لعبد المومن بن علي الموحّد . توفي عام 569 هـ (3 - 1174 م) انظر عنه اعلام المغرب العربي تأليف عبد الوهاب ابن منصور .

انس الشبل ابتهاجا بالأسد
ودعا الطائر بالنصر لكم
أنطق الخالق مخلوقاته
أنك الفائم بالأمر له
ورأاً شبهه أليه فقصد
فقضا حاكم لما وفد
بالشهادات فكل قد شهد
بعد ما طال على الناس الأمد

وكانت بيعة عبد المومن يوم الخميس الرابع عشر لشهر رمضان المعظم من سنة أربع وعشرين وخمسمئة (٢١ غشت ١١٣٠ م) وهي البيعة الخاصة ، بايعه العشرة أصحاب المهدي ، وبويع بيعته العامة يوم الجمعة الموافق عشرين لربيع الأول من سنة ست وعشرين وخمسمئة (٩ يبرابر ١١٣٢ م) بعد وفاة المهدي بسنتين بجامع تينمل بعد صلاة الجمعة من اليوم المذكور .

وأول من بايعه العشرة أصحاب المهدي ، ثم الخمسون من أشياخ الموحدين ، ثم كافة الموحدين ، لم يتخلف عن بيعته أحد منهم ، وكانت بيعتهم له فى طالع سعيد سعدوا بها وانقطعت بها دعوة لتونة ، فأغناهم بالقتل والجلاء وفتح المغرب بأسره ، ثم فتح بلاد أفريقية الى برقة ، وفتح بلاد الأندلس بأسرها ، وخطب له على منابر هاهه الأقاليم كلها ، ولما تمت له البيعة واستوثق أمر الموحدين أخذ فى الحركة الى جهاد أعدائه وقتال أهل الزيغ والعناد عن طاعته وافتتاح البلاد ، فكان أول غزوة غزاها فى خلافته غزوة تادلة خرج لها من تينمل يوم الخميس الرابع والعشرين لربيع الأول من سنة ست وعشرين وخمسمئة (١٣ يبرابر ١١٣٢ م) فى ثلاثين ألفا من الموحدين حتى وصل تادلة فغنمها وسبا أهلها وانصرف ، ثم غزا بعدها بلاد درعة ففتحها ، ثم غزا بلاد تينغز (١٠٥) ففتحها ، ثم غزا بلاد فازاز وبلاد غياثة ، ثم خرج الى غزوته الطويلة وذلك فى شهر صفر من سنة أربع وثلاثين (أكتوبر ١١٣٩ م) فلم يزل فيها يفتح البلاد ويمهدا ويغزو القبائل الى سنة احدا وأربعين وخمسمئة (٦ - ١١٤٧ م) وكان الذي فتحه فى هاهه الغزاة بلاد تازة وجبال

غياثة ، واستمرت الحروب بين عبد المومن والمرابطين من يوم بويج الى أن توفي علي بن يوسف بن تاشفين وولي بعده ولده تاشفين ، فاستمرت الحال بينهما فى الحرب الى أن مات تاشفين بن علي بعد أن قنام عبد المومن بكرنطة عامين اثنين وتاشفين بن علي بازائه يباكره فى الحرب ويرواحه ، ثم ارتحل عبد المومن الى جبل غمارة ، فارتحل تاشفين قسى أثره ، فنزل بوادي تهليط بازاء عين القديح وذلك فى فصل الشتاء . فأقام بذلك المنزل شهرين حتى أحرق أهل محلته أوتاد أخبيتهم ورماعهم . وهدموا بيوتهم وأخبيتهم ، ثم ارتحل عبد المومن الى جهة تلمسان ، فارتحل تاشفين يطوي المراحل حتى دخل تلمسان قبله فضبطها وحصنها ، وأتا عبد المومن بجنوده الموحدين فنزلوا عليها بين الصخرتين ، فلم يزل الحرب بينهما الى أن ارتحل عبد المومن الى وهران وترك جيشا من الموحدين يحاصرون تلمسان ، فخرج تاشفين من تلمسان فى خاصة قومه واستخلف عليها بعض المرابطين وصار لحماية وهران ، فوقعت به رمكته من شاهق مشرف على البحر بالليل فمات ، ففتح عبد المومن وهران وتلمسان ، وذلك فى السابع والعشرين من شهر رمضان من سنة تسع وثلاثين وخمسمئة (الجمعة ٢٢ مارس ١١٤٥ م) قاله صاحب (المن بالامامة)

قال ابن مطروح القيسى : لما بويج عبد المومن بتينمل ارتحل بجيوش الموحدين نحو مراکش ، وذلك فى شهر شوال سنة ست وعشرين المذكورة فقاتلها أياما ، ثم ارتحل الى تادلة ففتحها ، ثم سار الى درعة ففتحها ، ثم ارتحل الى مدينة سلا ففتحها وتلقاه أهلها طائعين سامعين ، فدخلها يوم السبت الرابع والعشرين لذي الحجة سنة ست وعشرين المذكورة وخطب له بها .

وفى سنة سبع وعشرين فتح بلاد تازة .

وفى سنة ثمان وعشرين تسما بأمير المومنين .

وفى سنة تسع وعشرين أمر ببناء رباط تازة ، وأقام يحارب تاشفين

بن علي من سنة ثلاثين الى سنة سبع وثلاثين الى أن حاصره بتلمسان ،

فلما أن ضاق به الحصار وخرج منها الى وهران سار عبد المومن فى أثره فحاصره بوهران ، وترك جيشا من الموحدين يحاصر تلمسان ، فلما اشتد الأمر على تاشفين خرج فى جمع من جنوده من وهران بالليل ليضرب فى محلة عبد المومن ، وكانت ليلة مظلمة ، فتردا به فرسه من شاهق الجبل ، فأصبح ميتا بساحل البحر ، فقطع رأسه وحمل الى عبد المومن ، فأمر به فحمل الى تينمل ، فصلب بها على شجرة صفصاف عالية ودخل عبد المومن وهران ، عنوة ، وذلك فى شهر محرم من سنة أربعين وخمسة ، وفى شهر صفر التالى له دخل تلمسان وملكها الموحدون ، وفر عنها لتونة الى اكدير (١٠٦) فحاصروا بها الى سنة أربع وأربعين ، فدخله الموحدون عنوة عليهم .

وقال البرنسي : فتح تلمسان سنة تسع وثلاثين .

ولما فتح مدينة تلمسان بعث الى الأندلس جيشا من عشرة آلاف فارس من أجناد الموحدين ، فنزل بساحل الجزيرة الخضراء ، فكان أول مدينة فتحوها من الأندلس مدينة شريش ، فتحوها صلحا ، كان بها قائدها أبو الغمر ، من بنى غانية فى ثلاثة آلاف فارس من المرابطين ، فخرج بمن معه ، فتلقا الموحدين وبايعهم لعبد المومن ودخل فى طاعته ، فكان الموحدون يسمونهم السابقين الأولين ، وحررت أملاكهم ، فلم تزل أملاكهم محررة الى انقضاء أيامهم ، فليس فى أملاكهم رباعة ، وجميع بلاد الأندلس مربعة ، وكان ملوك الموحدين اذا قدم عليهم وفود الأندلس للسلام فى كل سنة أول من ينادا من أهل البلاد أهل شريش ، فيقال لهم : أين السابقون أهل شريش يدخلون للسلام ، فاذا سلموا وقضيت حاجاتهم انصرفوا ، فحينئذ يدخل غيرهم ، وكان فتح شريش فى أول يوم من شهر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وخمسة (الجمعة ٢٥ مايو ١١٤٥ م) .

٢٥٦) الأحياء السفلا من تلمسان القديمة ، بها مسجد الامام ادريس الذى لاتزال صومعته ماثلة الى اليوم للعيان ، أما الأحياء العليا من تلمسان فقد سماها المرابطون الذين أسسوها (تكرارات) ومعناها المعسكر والمحلة باللهجة الصنهاجية .

وقال ابن فرحون : دخل الموحدون الأندلس فى شهر ذي الحجة سنة تسع وثلاثين وخمسمئة ، فنزلوا بجزيرة طريف ، وكان الأمير عليهم الشيخ موسى بن سعيد ، فدخل طريفا طوعا من أهلها ، ثم أرسل اليه أهل الجزيرة الخضراء فدخلها عليهم يوم النحر ، وهرب عنها المرابطون الى اشبيلية .

وفى سنة أربعين وخمسمئة فتح عبد المومن مدينة فاس بعد الحصار الشديد ، وقطع عنها النهر الداخلى اليها بالألواح والخشب والبناء حتى انحصر الماء فوقها فى الوطا ، فوصل الى مركزه ، ثم خرقة فهبط الماء عليهم دفعة واحدة ، فهدم سورها وهدم من دورها ما يزيد على ألفي دار ، وهلك به خلق كثير ، وكاد الماء أن يأتي على أكثرها ، فدخل عبد المومن مدينة فاس وأمن أهلها الا من بها من المرابطين ، فانهم لايمضوا لهم أمان وقتلهم قتلة كفر ، وأمر بالسور فهدم فيه ثلمات كثيرة ومسافات ، وقال : أنا لانتحاج الى سور ، وانما الأسوار سيوفنا وعدلنا فلم تزل مدينة فاس لا سور لها ، حتى بناه حفيده المنصور ، فمات وقد شرع فى بنائه ، فتممه ولده الناصر فى سنة ستمئة .

وفى هاذه السنة (٥٤٠ هـ) فتحت مدينة اشبيلية ، وملكها الموحدون وخطب بها لعبد المومن بن علي ، وفيها فتحت مدينة مالقة ، وفيها أمر أمير المومنين عبد المومن ببناء أسوار تاجرة من تلمسان وبنا جامعها وحصن المدينة وأعلى سورها ، وفيها فتحت دكالة .

ثم دخلت سنة احدا وأربعين ، فى نصف شهر محرم ، دخل عبد المومن مدينة أغمات صلحا دون قتال ، وفى أخر ربيع منها دخل الموحدون مدينة طنجة وفر عنها المرابطون ، وفى الثامن عشر من شوال منها وهو يوم السبت فتح عبد المومن مدينة مراكش بعد حروب عظيمة وهزائم كثيرة على المرابطين ، وقبض على أميرها اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فقتله عبد المومن ، وفى هاذا الشهر وفدت جميع قبائل المصامدة بأسرها ، واستوثق أمر المغرب لعبد المومن بن علي ، ولم يبق له منازع .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وخمسة ، فيها خرج على أمير المؤمنين عبد المومن بن علي الماسى وتسمأ بالهادي ، واسمه محمد بن هود بن عبد الله ، وكان قصارا بمدينة سلا ، وكان أبوه دلالا يبيع الكنايبش ، فخرج على عبد المومن بعد ان حضر معه فتح مراکش وبايعه ، فغلب على بلاد تامسنا واكثر بلاد المصامدة ، فبايعه جميع القبائل حتى لم يبق تحت عبد المومن الا مراکش ، فبعث اليه عبد المومن الشيخ أبسا حفص فى جيش عظيم من الموحدين ، فارتحل عن مراکش فى أول يوم من ذي القعدة عام اثنتين وأربعين المذكورة (٢٣ مارس ١١٤٨ م) وخرج معه عبد المومن مشيعا حتى وصل تانسيفت ، ثم ودعهم ودعا لهم وانصرفوا ، فالتقوا بالماسى الخارج ببلاد تامسنا ، فكانت بينهم حروب عظيمة قتل فيها الماسى ، قتله الشيخ أبو حفص بيده ، وهزم عسكره ، وذلك فى شهر ذي الحجة عام اثنتين وأربعين المذكورة ، فسمأ الموحدون الشيخ أباحفص سيف الله ، تشبيها بخالد بن الوليد رضى الله عنه .

وفى هذه السنة وفد أهل أشبيلية على أمير المؤمنين عبد المومن بن علي ، فرجده مشغولا بقتال الماسى ، فأقاموا عنده بمراكش نحو سنة ونصف لم يروه حتى لقوه بالمصلا فى يوم عيد الأضحا ، وفيهم القاضي أبوبكر بن العربى ، فسلموا سلام جماعة ، ثم بعد ذلك دخلوا عليه ، فسلموا وقبلت بيعتهم ، وسأل عبد المومن القاضي أبابكر بن العربى عن المهدي هل كان لقيه عند الامام أبى حامد الغزالى أم لا ؟ فقال له : مالمقيته ، ولكن سمعت به ، فقال له : وما كان أبو حامد يقول فيه ؟ قال ، كان يقول : ان هذا البربري لايد سيظهر ، ثم صرف الوفود الى أشبيلية وكتب لهم منشورا بتحريير أملاكهم ، فانصرفوا عنه فى جمادا الأخرة سنة ثلاث وأربعين (أكتوبر - نونبر ١١٤٨ م) .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسة ، فيها ارتحل عبد المومن الى سجنماسة فدخلها وأمن أهلها ، ثم رجع الى مراکش فأقام بها أياما ، وخرج الى غزو برغواطة فكانت بينه وبينهم حروب عظيمة هزم فيها عبد المومن ، ثم كانت الكرة عليهم ، فأجال فيهم السيف ، ولم يبق منهم الا من

لم يبلغ الحلم ، وفى خلال هذه الايام قام أهل سبته على الموحدين بعد أن بايعوهم ومكنوهم من المدينة ، وكان قيامهم عليهم برأى قاضيهم عياض ابن موسا ، فقتلوا من بها من الموحدين وعمالهم وأحرقوهم بالنار ، وركب عياض البحر الى ابن غانية بالبيعة ، وطلب منه واليا ، فأرسل معه الصحراوي فدخلها وأقام بها أياما ، فلما سمع برغواطة بخروج عبد المومن اليهم كتبوا الى الصحراوي والى سبته يستنصرون به ، فأتاهم ، فبايعوه واجتمعوا عليه وقاتلوا عبد المومن وهزموه ، ثم كانت الكرة عليهم وهزمهم وقتلهم وسباهم ، فهرب الصحراوي وراسل عبد المومن يطلب منه الأمان ، فأمنه وأتاه وبايعه وحسنت طاعته ، فلما رأى ذلك أهل سبته سقط فى أيديهم وندموا على صنعهم وكتبوا بيعتهم الى عبد المومن ، وأتا بها أشياخ المدينة وطلبتها تائبين ، فعفا عنهم وعن القاضى عياض ، وأمره بسكنا مراكش ، وأمر بهدم سور سبته فهدم .

وفيهما فتحت مدينة مكناسة بعد حصار سبعة أعوام ، فدخلها عنوة بالسيف ، وذلك يوم الأربعاء الثالث لجمادا الأول من سنة ثلاث وأربعين المذكورة ، وخربت وقتل أكثر رجالها وخمست أموالهم وبقيت تاجرارت المدينة الى الان .

وفيهما فتحت مدينة قرطبة وملكها الموحدون ، وأعطاهما وأئبها يحيى ابن علي بن غانية ، وخرج منها الى غرناطة ليحكم عاملها اللامتونى فى تمكينها للموحدين ، ان كان هو قد مكنه من قرطبة وقرمونه ، فتوفى بغرناطة ، وذلك يوم الجمعة الرابع والعشرين من شعبان سنة ثلاث وأربعين المذكورة ، ودفن فى القصبية بازاء قبر باديس بن حبوس .

وفى هذه السنة ملك عبد المومن مدينة جيان وخطب له بها .
ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمئة ، فيها ملك الموحدون مدينة مليانية .

وفيهما قام رجل بتامسنا يعرف بأبى مزكيدة (١٠٧) فبايعه برغواطة

وقبائل كثيرة من البربر ، وبقي مدة يحارب الموحدين الى أن ظفر به ، فقتل وحمل رأسه الى مراكش ، وقتل معه خلق كثير من البربر .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ، فيها تحرك أمير المومنين عبد المومن الى مدينة سلا فوصل اليها ، وأجرأ اليها ماء عين غبولة حتى وصل الى المدينة من رباط الفتح ، وأذن للوفود من أهل الأندلس فى الوصول الى سلا ، فوصلوا فى نحو الخمسمئة فارس من الخطباء والفقهاء والقضاة والأشياخ والقواد ، فتلقاهم الوزير أبو ابراهيم ، والوزير أبو حفص ، والفقير الوزير الكاتب أحمد بن عطية (١٠٨) وأشياخ الموحدين على نحو الميلىن من المدينة وأنزلوهم خير نزول ، وأضافوهم خير ضيافة ، ثم دخلوا على عبد المومن بن علي فسلموا عليه بعد ثلاثة أيام من وصولهم ، وكان دخولهم عليه فى أول يوم من شهر محرم عام ستة وأربعين وخمسمئة ، (الجمعة ٢٠ ابريل ١١٥١ م) فأشار الفقيه أحمد بن عطية لأهل قرطبة بالتقدم ، فنقدم قاضيهم أبو القاسم بن الحاج ، فتكلم على دهش ، ووصف حال قرطبة فقال : يا أمير المسلمين ان الفنش دمره الله قد أضعفها ، فتلافاه أبوبكر ابن الجد بخطبة بليغة ، فاستحسنها عبد المومن ، ووصل الجميع كلا على قدره ، وقضا حاجاتهم ، وأوصلهم بما أرادوا وأمرهم بالانصراف الى بلادهم ، فانصرفوا .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ، فيها تحرك أمير المومنين عبد المومن الى المشرق برسم غزو بجاية ، واستخلف على مراكش ابا حفص بن يحيى ، فسار حتى وصل مدينة سلا ، فأقام بها شهرين ، ثم تحرك منها قاصدا مدينة سبنة مظهرا أنه يريد الجواز الى الأندلس ، فلما وصل الى سبنة استدعا طلبة اشبيلية وقرطبة وفقهاء الأندلس وقوادها ، فوصلوا اليه فأوصاهم بما أراد ووعدهم وأخذ فى الحركة ، فلما وصل الى قصر

(108) أحمد ابن عطية القضاى المكنى بأبى جعفر ، كاتب موحدى شهير ، انظر عنه الإحاطة

عبد الكريم (١٠٩) ميز جيوشه وفرق فيهم الأمزال ، وأمرهم بتجديد الأزواد ، وأخذ على غير طريق ، وجعل مدينة فاس عن يمينه ، وانصل مسيرد حتى خرج الى وادى ملوية ، ثم سار الى مدينة تلمسان ، فأنصم بها يوما واحدا ، ثم خرج منها ووالا السير قاصدا الى بجاية حتى وصل مدينة الجزائر ، فدخلها صلحا وأمن أهلها ، وخرج عاملها فارا الى بجاية ، ولم يشعر ابن حماد صاحب بجاية بقدم عبد المومن اليه حتى وصله عامله على الجزائر مخرجا عنها ، فأخبره بقدم عبد المومن اليه وتملكه الجزائر والمدينة ، فسقط فى يديه ، فسار عبد المومن حتى نزل بجاية ، ففتح له بابها أبو محمد ميمون بن علي المعروف بابن حمدون ، فدخلها (١١٠) وفر عنها يحيى بن العزيز ابن حماد فى البحر الى مدينة بوية ، ومنها الى قسطنطينة ، وذلك فى شهر ذي القعدة من سنة سبع وأربعين وخمسمئة (ببرابر ١١٥٣ م) .

وفى سنة ست وأربعين المذكورة جاز الشيخ أبو حفص الى الأندلس بعثه عبد المومن فى جيش عظيم من الموحدين ، ومعه السيد عثمان ابن أمير المومنين برسم غزو الروم واستنقاذ ألمرية من أيديهم ، فاذهم كانوا قد غلبوا عليها ، فساروا حتى نزلوا ألمرية ، فحاصروها وضيقوا عليها غاية ، وبنا السيد عثمان على محلته سورا حياطة لها ، فاستغاث الأنصارا الذين بالمرية بالفش ، فبعث اليهم السليطيين (١١١) وابن مردنيش لاغاثتهم فى جيش عظيم كثيف ، فلم يمكنهم اغاثتهم ، ولم يتوصلوا الى محلة عثمان ، لكونه حصن عليها سورا عظيما منيعا ، فلما عجز السليطيين الرومى وابن مردنيش عن اغاثتهم ألقعا واقتربا ولم يجتمعا بعد فحصر السليطيين على أبدة وبياسة وكان قدملكهما فأخلاههما من النصارا ونزم

(109) قصر عبد الكريم هو مدينة القصر الكبير الحالية ، وعرف قديما بقصر كنانة أيضا .

(110) انظر رسالة عبد المومن عن فتح بجاية فى مجموع رسائل موحديّة . الرسالة

السابعة ص 20 .

(111) السليطن لقب يلقب به المؤرخون المسلمون التونسيّ السابع المعروف بالحارب

المتوفى فى 21 غشت 1157 (13 رجب عام 552 هـ) ومرة أخرى يجعل ابن أبى زرع من الفش فنشيين .

السيد عثمان على حصار ألمرية حتى فتحها وأنزل منها النصارا صلحا بالامان على يد الوزير الكاتب أحمد بن عطية (١١٢) .

ثم دخلت سنة سبع وأربعين ، فيها دخل عبد المومن بجاية ، وفيها حاصر الموحدون يحيى بن العزيز ابن حماد بقسطنطينة حتى نزل على الامان وباع عبد المومن ودخل فى طاعة الموحدين ، وانتقل الى مراكش بخاصته فأعطاه عبد المومن بها مالا وأنزله منزلة رفيعة ، وأقام عبد المومن ببجاية شهرين حتى هدنها وفتح أحوازها وأقطارها وقدم فيها طلبه الموحدين ورجع الى مراكش .

وفى سنة ثمان وأربعين وخمسمئة رجع عبد المومن من فتح بجاية الى مراكش وبعث ليصليتين (١١٣) قريب المهدي ، فأتى به مكبولا من سبته ، فأمر بقتله وصلبه بباب مدينة مراكش ، وارتحل عبد المومن بعد قتل يصليتين الى تينسل لزيارة قبر المهدي ، ففرق فى أهلها أموالا عظيمة ، وأمر ببناء مسجد لها وتوسيعه ، ثم ارتحل منها الى سلا فأقام بها بقية سنة ثمان وأربعين .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين ، فيها ولا عبد المومن ولده محمدا العهد بعده ، وأمر بذكره فى الخطبة بعده ، وكتب بذلك الى جميع عمله ، وفيها ولا بنيه البلاد ، فولا السيد عمر تلمسان وأحوازها ، وأصحابه أبا محمد عبد الحق ، ومن الكتاب الفقيه عبد الملك ابن عياش ، وكان يكتب بعد ذلك للخليفتين ، وولا السيد عثمان سبته وطنجة ، وأصحابه عبد الله بن سليمان وسعيد بن ميمون الصنهاجي ، ومن الكتاب الفقيه أبا الحكم هرمس ، ثم أبا بكر ابن الطفيل ، ثم أبا بكر بن حبيش الباجي ، وولا السيد عبد الله بجاية وأعمالها ، وأصحابه أبا سعيد يخلف بن الحسن

112 يجب التنبيه الى أن ابن أبي زرع يجعل فتح ألمرية واسترجاعها من يد النصارا فى عام 546 هـ والحقيقة أن ألمرية استردت فى أواخر سنة 552 هـ (1157 م) بعد تملك غرناطة الذى حدث سنة 551 كما سيأتى للمؤلف .

113 ويعرف أيضاً بـصلاسن ، كان من زعماء قبيلة هرغة ومن أهل دار المهدي . ينظر عن مقتله أخبار المهدي بن تومرت ص 74 و75 .

وولا السيد يوسف أشبيلية وشلب وأحوازمها ، وولا الشيخ أبا زيد بن يكيث قرطبة وأعمالها ، فلما ولا عبد المومن أولاده البلاد وجعل عهده لوكده محمد وقتل يصلين قريب المهدي خرج عليه عبد العزيز وعيسا أخسوا المهدي وكانا بفاس ، فخرجا عنها الى مراكش على طريق المعدن ، فاتصل خبر خروجهما من فاس بعبد المومن ، فخرج هو من سلا متلافيا مسدينة مراكش بعد ان قدم اليها وزيره أحمد بن عطية ، فوجدهما قد دخلا مدينة مراكش وقتلا عاملها عمر بن تغراكين ، فلما وصل عبد المومن لمراكش لم يقدم شيئا قبل قتلها وصلبها .

وفى هاذه السنة دخل الموحدون لبله بعد الحصار الشديد ، بعث اليها أمير المومنين عبد المومن قائده يحيى بن يومر ، فحاصرها حتى دخلها عنوة ، فأخرج أهلها الى خارج المدينة وصفهم صفوفا ، ثم أمر بقتلهم جميعا وقتل جماعة من فقهائهم ، منهم الفقيه أبو الحكم بن بطال المحدث ، والفقيه الصالح الفاضل أبو عامر ابن الجد ، والذي وقع عليه الاتفاق من الناس أنه عد من قتلا لبله فى ذلك الموضع ثمانية الألف رجل ، وفى أحوازمها أربعة الألف (١١٤) ثم بيعت نساؤهم وأبناؤهم جميعا وسلبهم أموالهم وأمتعتهم ، فعل ذلك برأيه دون اذن عبد المومن ، فرفع الخبر الى عبد المومن فأنكر عليه استبداده بذلك وسوء فعله ، وبعث اليه من مراكش من يقبض عليه مكبولا الى الحضرة ، فوصل لمراكش يرم عيد الفطر ، فسجن بمراكش مدة ثم سرحه وعفا عنه ! ولم يصرف على أهل لبله شيئا من جميع ما أخذ لهم .

ثم دخلت سنة خمسين وخمسة ، فيها أمر أمير المومنين عبد المومن باصلاح المساجد وبنائها فى جميع بلاده وتغيير المنكر وتحريم كتب الفروع ورد الناس الى قراءة الحديث ، وكتب بذلك الى جميع طلبة المغرب والعدوة .

(II4) هاذه المجزرة لا يماثلها فى الهول والفظاعة الا التمييز الشهير ، الاول الذى قام به محمد بن تومرت ، والثانى الذى قام به عبد المومن ، وذلك من أكبر الأخطاء والخطايا التى يواخذ بها الموحدون - وعند الله يجتمع الخصوم .

ثم دخلت سنة احدى وخمسين وخمسمئة ، فيها ملك الموحدون مدينة
غرناطة ، وخطب بها لعبد المومن بن علي ، وبعث أهلها بيعتهم اليه
فقبلها ، وبعث اليهم عامله فنكثوا البيعة وقتلوا العامل ، وقام بها ابن
مردنيش وابن همشك والبار ريدريكيز (الأقرع النصراني) .

ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين ، وفيها أمر أمير المومنين بغزو
غرناطة فسار اليها ولداه يوسف وعثمان بعساكر كثيرة ، فقاتلوا حتى
فتحوها عنوة ، وقتل البار ريدريكيز (الأقرع النصراني) ومن كان معه
من النصارا ، وفر ابراهيم ابن همشك وابن مردنيش عنها ، قاله ابن
مطروح ، وقال ابن صاحب الصلاة : كان فتح غرناطة وقتل الأقرع
النصراني عام سبعة وخمسين والله أعلم بذلك .

وفيها نكب أمير المومنين وزيره أحمد بن عطية وسجنه مدة ، ثم
قتله فى شوال منها واستوزر مكانه عبد السلام بن محمد الكومى ، وكان
والد عبد المومن تزوج أم عبد السلام هاذا ، فولدت له ابنة تزوجها
أبو حفص ثم طلقها ، فاستوزره عبد المومن حين قتل أحمد بن عطية ،
واستكتب فى الرسائل والأوامر عبد الملك ابن عياش القرطبي ، ولما حبس
ابن عطية كتب الى أمير المومنين عبد المومن يستعطفه ويطلب عفوه بهاذه
الرسالة .

يا ابن العزاء لفرط الهم والحزن
ورحمة منكم أنجا من السفن
وعطفة منكم أوقا من الجنن
بمن أجارته رحماكم من المحن
بخصره لم يخف بطشا من الزمن
والطرف ينهض بعد الرخص فى سنن
من دون من بها كلا ولا ثمن
كلتا الحياتين من نفس ومن بدن
لم يألفوا النوح فى فرع ولا فن
والكل لولاك لم يوجد ولم يكن

عظفا علي أمير المومنين فقد
قد أغرقتنا ذنوب كلها لجسج
وصادفتنا سهام البين عن غرض
هيهات للخطب أن تسطو حوادثه
من جاء عندكم يسعا على ثقة
فالثوب يطهر بعد الغسل من درن
أنتم بذلتهم حياة الخلق كلهم
ونحن من بعض من أحييت مكارمكم
وصيبة كفراخ الورق من صغر
قد اوجدتهم آياد منك سالفة

تالله لو أحاطت بي كل خطيئة ، ولم تنفك نفسى عن الخيرات بطيئة ، حتى سخرت بمن فى الوجود ، وأنفت لآدم من السجود ، وقلت ان الله لم يوح ، فى الفلك الى نوح ، وأبرمت لحطب نار الخيل حبلا ، وهربت لقدار (١١٥) ثمود نبلا ، وحطت عن يونس شجرة اليقطين ، وأوقدت مع هامان على الطين ، وقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها ، واغترت على العذراء البتول فقذفتها ، وكتبت صحيفة القطيعة بدار الندوة ، وظهرت الأحزاب بالقصوا من العدو ، وأبغضت كل قرشى ، وأحببت لأجل وحشى كل حبشى ، وقلت بأن بيعة السقيفة ، لاتوجب امامة خليفة، وشحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبة ، واعتقلت من حصار الدار وقتل أشمطها بشعبة ، وقلت تقاتلوا رغبة فى الأبيض والأصفر ، وسفكوا الدماء على الثريد الأعفر ، وغادرت الوجه من الهامة خضيبا ، وناولت من قرع سن الحسين قضيبا ، ثم كنت بحفرة المعصوم لائذا ، وبقبر المهدي رضي الله عنه عائذا ، لقد ان لقاتلى أن تسمع ، وان تغفر لى هذه الخطيئات أجمع ، مع أنى مقترف ، وبالذنب معترف :

فغفوا أمير المؤمنين فمن لنا بسر قلوب هدهما الخفقان

والسلام على المقام الكريم ورحمة الله وبركاته .

ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين ، فيها كانت حركة المهدي وفتحها وتخليصها من أيدي الروم الذين كانوا ملكوها (١١٦) وفيها فتحت جميع بلاد أفريقية ، وكانت المهدي قبل أن يملكها الروم بيد الحسن بن علي بن يحيى ابن تميم بن المعز بن باديس أراثة من أبيه وأجداده ، فنزل عليه بها العدو الرومى صاحب صقلية وشدد عليه الحصار حتى دخلها عنوة ، وذلك فى عام ثلاث وأربعين وخمسمئة ، فهرب الحسن بن علي المذكور الى الجزائر واستوطنها ، فلما وصل عبد المومن الى الجزائر بجيوش

(١١٥) عاقر ناقة نمود .

(١١٦) استولا أمير البحر جرجى الأنطاكى - لحساب روجار الثانى ملك صقلية - على المهدي يوم 2 صفر عام 543 هـ (الثلاثاء 22 يونيو سنة 1148 م) ، وكان عدد سفن أسطوله 250 سفينة .

الموحدين وجد فيها الحسن بن علي المذكور ، فخرج اليه وبإيعه وصاهره عبد المومن ، وحمله الى مراكش ، فأقام معه الى سنة ثلاث وخمسين المذكورة ، فخرج عبد المومن الى المشرق برسم غزو المهديّة ، فوصل اليها ونازلها برا وبحرا وشرع فى قتالها حتى نزعها من أيدي الروم ، وذلك فى سنة خمس وخمسين وخمسمئة ، قاله البرنسي .

وقال ابن جنون : تحرك أمير المومنين عبد المومن الى غزو المهديّة من حضرة مراكش ، وذلك فى العشر الأول من شهر شوال عام ثلاثة وخمسين المذكور (أكتوبر - نونبر ١١٥٨ م) واستخلف على مراكش أبا حفص بن يحيى ، وترك معه ولده السيد علي ، واستعمل على مدينة فاس وأعمالها يوسف بن سليمان ، واستخلف على اشبيلية وقرطبة وجميع بلاد غرب الأندلس ولده السيد يوسف ، وعلى غرناطة ولده عثمان ، وسار هو فى أمم لاتحصى وجيوش لاتعد من الموحدين وقبائل العرب وقبائل زناتة والأغزاز والرماتة متوجها الى المشرق ، ففتحه الله عليه ، فسار فى أرض الزاب وبلاد أفريقية يفتح البلاد والمعازل ، ويؤمن من استأمن ويقتل من عصا حتى وصل الى مدينة تونس فحاصرها ثلاثة أيام ، وارتحل عنها وترك عليها جيشا من الموحدين ، وسار الى القيروان ففتحها ، وفتح سوسة وصفاقس وارتحل الى المهديّة فنزل على من بها من الروم برا وبحرا ، ونصب عليها المجانيق والرعادات فى البر والبحر ولم يرفع عنها القتال ليلا ولا نهارا ، وجعل قتالها نوبا على قبائل الموحدين حتى فتحها وقتل بها خلقا كثيرا من النصارا .

ثم دخلت سنة أربع وخمسين ، فى شهر جمادا الأول منها فتحت تونس وخطب بها لأمير المومنين عبد المومن ، ويعدها بيسير كان فتح المهديّة بعد حصارها سبعة أشهر ، وفيها فتح عبد المومن جميع بلاد أفريقية كلها ودخل أهلها فى طاعته من برقة الى تلمسان ولم يبق له بها منازع ، ففرق فيها عماله وقضاته ، وسكنها وأمنها وضبط ثغورها وأصلح أقطارها .

وفى هاذه السنة أمر عبد المومن بتكسير بلاد أفريقية والمغرب ،

وكسرها من بلاد أفريقية من برقة الى بلاد نول من السوس الأقصى بالفراسخ والأميال طولا وعرضا ، فأسقط من التكسير الثلث فى الجبال والشعراء والأنهار والسباخ والطرقات والحزون ، ومابقى قسط عليه الخراج وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق ، فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب .

وقيل كان تملك عبد المومن بن علي المهدي وفتحها يوم عاشوراء من سنة خمس وخمسين (٢١ يناير ١١٦٠ م) .

وفى سنة خمس وخمسين وخمسمئة أمر أمير المومنين ببناء جبل الفتح وتحصينه ، فبنى وشيد حصنه ، وكان ابتداء البناء به فى تاسع ربيع الأول من سنة خمس وخمسين المذكورة (١٩ مارس ١١٦٠ م) وكمل بناؤه فى ذي القعدة منها .

وفى هاذه السنة تحرك أمير المومنين من أفريقية الى المغرب يريد طنجة برسم الجواز الى الأندلس ، فسار حتى وصل الى مقربة من وهران فطلبه عرب أفريقية فى الوداع بالرجوع الى حللم فأسعفهم بذلك ، ونقل منهم الى المغرب ألفا من كل قبيلة بعيالاتهم وابنائهم ، وهم عرب جشم ، وبنا فى رجعت هاذه مدينة البطحاء (١١٧) وسبب بنائه اياها أنه لما طالت بالموحدين الإقامة بالشرق والتغرب عن أولادهم وأوطانهم عزمت طائفة منهم على قتل عبد المومن والفتك به فى خبائه اذا نام ، وتوافقوا على ذلك ، فأتا شيخ (١١٨) ممن علم الأمر الى عبد المومن فأخبره الخبر وقال له : دعنى أبت الليلة فى موضعك وأنم فى فراشك ، فان فعلوا ما اتفقوا عليه كنت فديتك بنفسى فى حق السلمين ، وأجرى فى ذلك على الله ، وان كانت السلامة فمن الله تعالا ويكون أجرى على قدر نيّتي ، فبات على فراشه فاستشهد ، فلما أصبح وصلا عبد المومن

(117) تقع قرب وادى شلف بالمغرب الأوسط .

(118) هو اسماعيل بن يسلاان الهزرجى تلميذ محمد بن تومرت وأحد أصحابه العشرة .

ينظر عنه المقتبس من كتاب الأنساب ص 31 .

الصبح افتتحه ، فوجده مقتولا ، فأخذه وحمله بين يديه على ناقته ، لايقودها أحد ، فسارت الناقة نمر يمينا وشمالا حتى بركت وحدها ، فأمر عبد المومن بالشيخ فأنزل عنها وأخذ بزمامها وأزيلت عن مبركها ، وحفر قبره فيه ودفن وبنيت عليه قبة ، وبنا بازاء القبة جامعا ، ثم أمر ببناء المدينة حول المسجد ، وترك بالمدينة عشرة من كل قبيلة من قبائل المغرب ، فقبر الشيخ هناك معظم عند أهل تلك البلاد يزار الى اليوم ، وعند دخول أمير المومنين الى مدينة تلمسان من هاذه الحركة قبض على عبد السلام ابن محمد الكومي وزيره وحبسه ، سمه فى قدرة (١١٩) لجن فمات من ليلته (١٢٠) وخرج عبد المومن من تلمسان الى المغرب فسار حتى وصل الى طنجة ، وذلك فى ذي الحجة سنة خمس وخمسين (دجنبر ١١٦٠ م) وفيها (١٢١) جاز الخليفة أمير المومنين عبد المومن بن علي من طنجة الى الأندلس ، فنزل بجبل الفتح ، فأقام به شهرين واستشرف على أحوال بلاد الأندلس ، وأتاه قوادها واشياخها للسلام ، فأمر بغزو بلاد غرب الأندلس ، فخرج اليها الشيخ عبد الله بن أبى حفص من قرطبة فى جيش كثيف من الموحدين ، ففتح حصن اطرانكش ، من أحواز بطليوس وقتل جميع من كان به من النصارا وأتا الفنش من طليطة لاغائنه فوجده قد فتح ، فقصد الموحدون لقتاله ، فهزمه الله ، وقتل من عسكره ستة آلاف رجل ، وساق المسلمون السبي الى قرطبة واشبيلية .

وفى سنة ست وخمسين ملك الموحدون بطليوس وباجة ويابورة وحصن القصر ، قولاً عليها عبد المومن ، محمد بن علي ابن الحاج ، ورجع عبد المومن الى مراکش .

ودخلت سنة سبع وخمسين وخمسمئة ، وفيها أمر أمير المومنين

(119) وقيل سمه فى ثردة .

(120) انظر عن مقتل عبد السلام الكومي المن بالامامة ص 173 .

(121) فى الأصل (ثم دخلت سنة ست وخمسين ، فيها جاز) الخ والحقيقة أن جواز عبد

المومن بن علي الى الأندلس كان فى شهر ذى القعدة من عام 555 هـ كما عند ابن صاحب الصلاة فى

المن بالامامة ص 147 .

عبد المومن بإنشاء الأساطيل فى جميع سواحل بلاده ، وعزم على غزو بلاد الروم فى البر والبحر ، فأنشأ منها أربعمئة قطعة ، منها فى حلق المعمورة (١٢٢) ، ومرساها مئة وعشرون قطعة ، ومنها فى طنجة وسبتة وبادس (١٢٣) ومراسى الريف مئة قطعة ، ومنها ببلاد أفريقية ووهران ومرسا هنين مئة قطعة ، ومنها ببلاد الأندلس ثمانون قطعة ، ونظر فى استجلاب الخيل للجهاد ، والاستكثار من أنواع السلاح والعدد ، وأمر بضرب السهام فى جميع عمله ، فكان يضرب له كل يوم منها عشرة تناطير ، فجمع من ذلك مالا يحصا ، وفى خلال ذلك ورد على أمير المومنين قبيلة كومية فى جيش عظيم من أربعين ألف فارس ، والسبب فى قدومهم أنه لما همت طائفة من الموحدين بقتله وقتلوا الشيخ الذى بات بمكانه وتحقق ذلك منهم جاء بهم لأخذ ثأره منهم بحيلة ، لكونه غريبا بين قبائلهم ليس له عشيرة يستند إليها ولا قبيلة يثق بها ويعتمد عليها ، فبعث فى خفية الى أشياخ قبيلة كومية قبيلته ، وأمرهم بالقدوم عليه ، وأن يركب كل من بلغ الحلم ويأتونه فى أحسن زى وأكمل عدة وهياة ، وبعث اليهم بالأموال والكسا ، فاجتمع منهم أربعون ألفا ، فأقبلوا الى أمير المومنين بمراكش برسم الخدمة بين يديه ولشد ظهره بهم ، فتشوش المغرب بقدومهم وتقول الناس الأقاويل ، فسار الجيش حتى وصل وادي أم الربيع ، فسمع الموحدون باقبالهم ، فارتاعوا منهم ، وعرفوا أمير المومنين عبد المومن بخبرهم ، فأمر الشيخ أبا حفص أن يخرج اليهم فى جماعة من الموحدين وأشياخهم ليتعرفوا خبرهم ، فسار حتى تلقاهم بوادي أم الربيع فقال لهم : أسلم أنتم أم حرب ؟ فقالوا بل نحن سلم ، نحن قبيل أمير المومنين عبد المومن بن علي ، نحن كومية الزناتيون ، قصدنا زيارته والتسليم عليه ، فرجع أبو حفص وأصحابه فعرف أمير المومنين

[٢٢] تعرف اليوم بالمهدية ، عند مصب نهر سبو ، ولكن الغابة المجاورة لها ما زالت تسما غابة المعمورة .

[٢٣] مدينة ساحلية بشاطي. البحر المتوسط تقع غربى مدينة الحسيمة فى تراب قبيلة بقوية ، خربت ولم يبق منها الا بعض أطلال ، أمامها جزيرة صغيرة تسما باسمها تحتلها اسبانيا .

بخبرهم ، فأمر عبد المومن جميع الموحدين أن يخرجوا الى لقائهم ، فاحتفلوا لذلك ، وكان بمراكش يوم دخولهم عيد من الأعياد ، فرتبهم عبد المومن فى الطبقة الثانية ، وجعلهم من قبيلة تينمل فى ثانى درجة ، وقربهم من نفسه وجعلهم بطانته ، يركبون فى ظهره ويقفون على رأسه ويمشون بين يديه اذا خرج .

وفى سنة ثمان وخمسين وخمسة خرج أمير المومنين من مراكش الى الأندلس برسم الجهاد ، وكان خروجه يوم الخميس الخامس من ربيع الأول من السنة المذكورة (٢١ يبرابر ١١٦٣ م) ، فوصل الى رباط الفتح ، فكتب الى جميع بلاد المغرب والقبلة وأفريقية والسوس وجميع القبائل يستنفرهم الى الجهاد ، فأجابه خلق كثير ، فاجتمع له من عساكر الموحدين والمرتقة من قبائل المغرب وقبائل زناتة أزيد من ثلاثمئة الف فارس ، ومن جيوش المطوعة ثمانون الف فارس ومئة الف راجل ، فضاقت بهم الأرض وانتشرت المحلات والعساكر فى أرض سلا من عين غبولة الى عين خميس واستدارت راجعة الى حلق المعمورة ، فلما استوفت لديه الحشود ، وتكاملت لديه الجنود والوفود ، ابتدأه المرض الذي توفي منه ، فتمادا مرضه واشتد ألمه ، فلما خاف أن يفجأه الموت أمر باسقاط ولده محمد من الخطبة وعزله عن العهد لما ظهر له من العجز عن القيام بالخلافة ، وذلك يوم الجمعة الثانى من جمادا الآخرة من العام المذكور ، وكتب بذلك الى جميع طاعته وبلاده ، فتمادا مرضه ، واشتد ألمه ووجعه ، الى ان توفي يوم الثلاثاء عند الفجر عاشر جمادا الآخرة (١٦ ماي ١١٦٣ م) المذكورة فسبحان الحي الدائم الذي لا يموت ولا يفنا دوامه ولا يبديد ملكه ، وسنه يوم توفي ثلاث وستون سنة ، قاله ابن الخشاب ، وقيل أربع وستون سنة ذكره ابن صاحب الصلاة فى كتاب (المن بالإمامة) ، وحمل الى تينميل ، ودفن بها الى جنب قبر الامام المهدي ، فكانت أيام ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وخمسة أشهر وثلاثة عشر يوما قاله غير واحد من المؤرخين لدولتهم .

وخلف عبد المومن من البنين جماعة ، وهم : يوسف الخليفة من بعده ، وشقيقه عمر ، ومحمد المخلوع من العهد ، وعبد الله صاحب

بجاية ، وعثمان صاحب غرناطة ، والحسن ، والحسين ، وسليمان ،
ويحيا ، واسماعيل ، وابراهيم ، وعلي ، ويعقوب ، وعبد الرحمان ،
وداود ، وعيسا ، وأحمد ، ومن البنات عائشة ، وصفية .

ومن أولاده النجباء الأدياء السيد أبو عمران ، كان استخلفه أخوه
يوسف على مراکش ، فاعتل وغاب ثلاثة أيام لم يره أحد ، فكتب اليه
القاضى حجاج بن يوسف :

يغيب البدر يوما ثم يبدو وأنت تغيب عن عيني ثلاثا
لئن بلغت ثلاث لم أراكم فلست بمدرک يوم الثلاثاء
فأجابه السيد أبو عمران بديهة :

أتتنا منكم درر فحلت عجالى أوجبت منا انبعاثا
ولولا العذر من سبب قوي لسرنا نحوكم حتما حثا
ولكنى أسير بحال ود اليكم مصبعا يوم الثلاثاء

الخبر عن صفة أمير المومنين عبد المومن بن علي

وسيرته وفضله رحمه الله

كانت ولاية عبد المومن حسنة ، وسيرته جيدة ، لم يكن فى ملوك
الموحدين مثله أحسن عطية ولا فروسية ولا دينا ولا اكثر علما منه .
وأما صفته : فكان أبيض اللون مشربا بحمرة ، أكحل العينين ،
أجعد ، تام القد ، له وفرة تبلغ شحمة أذنيه ، أزج الحاجبين ، قويم
الأنف ، عريضه ، مستدير اللحية ، فصيح اللسان نبيها ، عالما بالجدل ،
فقيها فى علم الأصول ، حافظا لحديث النبي صلا الله عليه وسلم ، متقن
الرواية ، مشاركاً فى كثير من العلوم الدينية والدنيوية ، اماما فى النحو
واللغة والأدب والقراءات ، ذاكرة للتاريخ وأيام الناس ، حسن السيرة :
نافذ الرأي ، ذا حزم وسياسة وشجاعة واقدام فى الحرب وفى مهمات

الامور ، سرى الهمة ، ميمون النقيية ، منصورا مؤيدا ، لم يقصد قط بلدا
الافتحه ، ولا قاتل جيشا الا هزمه ، وكان مع ذلك سخيا كريم الأخلاق .
محباً فى أهل العلم والأدب ، مقرباً لهم ، مشوقاً لوفادتهم ، منفقاً
لبضاعتهم ، وله شعر رائع حسن ، قيل انه خرج يوماً مع وزيره أحمد
ابن عطية متنزها الى بعض بساتين له بمراكش ، فمر فى طريقه بشارع
من شوارع المدينة ، فاذا بطاق فى دار عليه شبك خشب قد قابله منه
وجه جارية كأنه الشمس الضاحية قد بادرت الطاق تنظر اليه ، فنظر
اليها عبد المومن ، فأعجبه حسنها ، وحلت من قلبه كل المحل ، فقال
ارتجالاً :

قدت فؤادي من الشبك اذ نظرت

فقال ابن عطية :

حوراء ترنو الى العشاق بالقل

فقال عبد المومن :

كانما لحظها فى قلب عاشقها

فقال ابن عطية :

سيف المؤيد عبد المومن بن عني

فطرب عبد المومن واستحسن اجازة وزيره ، فخلع عليه وأمر له
بمال جزيل .

قال ابن جنون :

كان عبد المومن ذا سياسة وهمة سنوية ، على أنه لم يكن من بيت ملك
ولم ينشأ فى نعيم ، فمن همته أنه لم يخلد الى الراحة ، ولا ركن الى
اللذات ، فتح المغرب بأسره ، ثم توجه الى المشرق ، ففتح أفريقية كلها
الى برقة ، وفتح الأندلس ، وجمع الجبارين ، واسترجع من أيدي الروم
المهدية من بلاد أفريقية والمرية وأبذة وبياسة وبطليوس من بلاد الأندلس
كتابه : أحمد ابن عطية ، وأخوه عطية ابن عطية ، وعبد الملك ابن

عياش ، وميمون الهواري ، وعبد الله بن جبل •
وزراؤه : أحمد بن عطية ، ثم عبد السلام بن محمد الكومي ثم ولده
السيد عمر ، ثم ادريس بن جامع يقعد بين يدي السيد عمر •
قضاة : مرسا بن سهل من أهل تينمل ، ثم حجاج بن يوسف ،
ثم الاستاذ عبد الله بن ميمون القرطبي ، وهو القائل فى شاب من أهل
أغمات يعرف بأبى القاسم بن تسميت :

أبا قاسم والهوا جنة وها أنا من مسها لم أفق
نبوات جاحم نار الضلوع كما خضت بحر دموع الحدق
أكنت الخليل أكنت الكليم أمنت الحريق أمنت الغرق

الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف

ابن أمير المؤمنين عبد المومن بن علي

هو أمير المؤمنين أبو يعقوب ، يوسف ، بن الخليفة أمير المؤمنين
عبد المومن بن علي الزناتى الكومى •
أمه : حرة اسمها عائشة بنت الفقيه القاضي موسى التينملى •
مولده : يوم الخميس الثالث من شهر رجب من سنة ثلاث وثلاثين
وخمسة (٦ مارس ١١٣٩ م) •

صفته : كان أبيض اللون تشوبه حمرة ، حسن القد التام ، أشعر
للحية ، أجعد الشعر ، أفلج ، أقنا ، أعسر أيسر (١٢٤) يعمل بيديه
جميعا ، عاقلا صالحا ورعا فاضلا ، متوقفا فى سفك الدماء ، حلما ،
حسن السياسة والتدبير ، مصيب الرأي ، محبا فى الجهاد ، لما ولي أخذ
بنهج أبيه وسلك سبيله واهتدا بهديه ، وسار بسيرته واقتدا بأفعاله ،

وجمع الأموال الكثيرة ، وهو أول ملك من ملوك الموحدين جاز الى الجهاد فغزا بنفسه ، وواظب عليه ، واقتنا الذخائر ، واستكثر من الجيوش والجنود ، ومهد البلاد ، وأطاعه من بالعدوتين من العباد ، وضخم ملكه ، فكان ملكه من سويقة ابن مكتود قاصية بلاد أفريقية الى أقصا بلاد نول من أرض السوس الاقصا الى آخر بلاد القبلة ، وملك بالأندلس من مدينة تطيلة ، قاصية بلاد شرق الأندلس الى مدينة شنترين من بلاد غرب الأندلس ، يجبا اليه خراج ذلك كله دون مكس ولا جور ، فكثرت الأموال في أيامه وتمهدت البلاد ، وتأمنت الطرقات ، وضبطت الثغور ، وصلح أمر الناس في البادية والحاضرة ، وذلك لحسن سيرته الجميلة ، وعدله الشامل لرعيته ، وتفقدته لأحوال بلاده القريبة والبعيدة ومباشرة أمور مملكته بنفسه حتى لا يغيب عنه منها شيء ، ولا يدخله فتور عن النظر في أموره ولا يكلها الى غيره .

أولاده : ثمانية عشر ذكرا ، أولهم : يعقوب الخليفة بعده المتعب بالمنصور ، واسحاق شقيقه ، ويحيا شقيقهما ، وابراهيم ، وموسا شقيقه ، وادريس شقيقهما ، وعبد العزيز شقيقهم ، وأبو بكر ، وعبد الله شقيقه ، وأحمد شقيقهما ، ويحيا شقيقهم ، ومحمد ، وعمر وعبد الرحمان ، وعبد الواحد الخلوغ ، وعبد الحق ، واسحاق ، وطلحة .

حاجبه : الضابط لأمره والقائم بملكه أخوه السيد عمر .

وزيره : ادريس بن جامع ، ثم الوزير أبو بكر يقعد بين يدي ولده يعقوب .

قضاته : الفقيه القاضي حجاج بن يوسف ، والفقيه عيسا بن عمران ، ثم الفقيه القاضي أبو العباس بن مضا القرطبي .

كتابه : عبد الملك ابن عياش القرطبي النشأة اليبابوري الأصل ، وكان رحمه الله من أهل الحديث والرواية والكتب البار ، له عقل ورأي شديد ، ومن كتابه أيضا الفقيه الكاتب البارع أبو الفضل بن طاهر ، من أهل مدينة بجاية ، وهو المعروف بمحشرة ، وكان رحمه الله من أهل العلم

والفضل والدين والتقا والنبيل فى الكتابة والبلاغة فى الترسيل ، ثم كتب
لولده المنصور ثم لحفيده الناصر .

أطبائؤه : الوزير الطبيب أبوبكر بن الطفيل من أهل وادي آش ، من
أهل الحذق بصناعة الطب والنظر فى الجراحات ، توفي رحمه الله سنة
احدا وثمانين وخمسمئة ، ومنهم الوزير عبد الملك بن قاسم القرطبي ،
من أهل التبريز فى صناعة الطب ، توفي سنة خمس وسبعين وخمسمئة .
ومنهم الفقيه الأجل أبو الوليد ابن رشد ، استدعاه أمير المومنين الى
سكنا مراكش سنة ثمان وسبعين برسم الطب ، ثم ولاه القضاء بقرطبة ،
وهو ابن رشد الحفيد ، ومنهم الوزير أبوبكر بن زهر كان يتكرر على
الحضرة ، فيقيم بها ويرجع الى الأندلس ، ثم انتقل الى مراكش بجملته
وأهله وذلك فى سنة ثمان وسبعين وخمسمئة ، فأقام بها الى أن كانت
غزوة شنترين فحضرها ، ثم اختص بالمنصور ، وكان من أهل المعرفة
بالطب والحفظ للغة والأدب والمجالسة والمحاضرة ، مشاركا فى الفقه
والحديث والتفسير ، ذكر عنه ابن الجدى أنه كان يحفظ كتاب البخاري
بأسانيده ، وكان من أهل السخاء والحمية ، شاعرا مجيدا ، له اشعار
بديعة فى الزهد ، ومن شعره يتشوق الى ولد له صغير :

ولي واحد مثل فرخ القطة صغير تخلفت قلبى لديه
نأت منه دارى فأوحشنى لئذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقنى وتشوقته فيبكي على وأبكى عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا فمنه السى ومنى اليه

توفي رحمه الله بمدينة مراكش فى الحادى والعشرين لئذى الحجة
من سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، وقد بلغ من السن أربعا وتسعين سنة
ومن الفقهاء الذين كانوا يجالسونه ويسامرونه الفقيه الحافظ
أبوبكر ابن الجدى ، ومنهم الفقيه القاضي أبو عبد الله ابن الصقر ، ولي
القضاء باشبيلية ، ثم نقله أمير المومنين يوسف الى حضرته ، فولاه
الخزائن وبيوت الأموال ، وكان من أهل الأدب ، ومن شعره :

لله اخوان تنانأت دارهم
يهدى لنا طيب الثناء ودادهم
حفظوا الوداد على النوا أوخانوا
كالند يهدى الطيب وهو دخان
وهو القائل أيضا :

أرض العدو بظاهر متصنع
كم من فتا القا بوجه باسم
ان كنت مضطرا الى استرضائه
وجوارحي تنقض من بغضائه
فكان الأمير يوسف يجالسهم ويحدثهم ويستظرف ملهم رحمه الله

الخبر عن بيعته وأيامه رحمه الله

بويع يوسف بعد وفاة أبيه ، وذلك فى غدوة يوم الجمعة (١٢٥) الحادي عشر لجمادا الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمئة (٢٩ ماي ١١٦٣ م) ، وتوفي شهيدا فى غزاة شنترين من بلاد غرب الأندلس يوم السبت الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ثمانين وخمسمئة (٢٩ يوليوز ١١٨٤ م) وهو ابن سبع وأربعين سنة ، فكانت أيامه فى الملك احدا وعشرين سنة وأشهرا وإياما ، وقيل أنه بويع يوم الثلاثاء العاشر لجمادا الآخرة المذكور بعد وفاة أبيه بليلة ، قيد ذلك بعض ولده ، وقيل لما مات عبد المومن كتم موته لأجل غيبة ولده الخليفة بعده ببلاد الأندلس ، فلم يشهر موته حتى قدم يوسف من أشبيلية ، ذكر ذلك ابن الخشاب ، وأهل بيته أحق بالتقليد فى ذلك ، وذكر القاضى يوسف بن عمر المؤرخ لدولتهم ان يوسف بويع بيعة الجماعة ، وانفقت الأمة على بيعته يسوم الجمعة ثامن ربيع الأول سنة ستين وخمسمئة ، وذلك بعد وفاة والده بسنتين ، لأنه لما بويع بعد وفاة والده توقف عن بيعته قوم من أشياخ الموحدين ، وامتنع من بيعته أخواه السيد عبد الله صاحب بجاية والسيد

محمد صاحب قرطبة ، فكف عنهما ولم يطلبهما بالبيعة وتسمأ بالأمير ، ولم يتسم بأمر المومنين حتى اجتمع عليه الناس .

وذكر ابن مطروح فى تاريخه أنه لما مات عبد المومن كان ولده يوسف باشبيلية ، فأخفى موته ووجه الى يوسف فوصل من أشبيلية الى سلا فى أقرب وقت ، فبويع ، ولم يتخلف عن بيعته أحد الا ناس قلائل لم يلتفت اليهم ، فكان أول شيء فعله فى ولايته حين تمت بيعته أنه سرح الناس المجتمعين للجهاد الى بلادهم وقبائلهم ، وكتب الى جميع البلاد بتسريح السجون وتفريق الصدقات فى جميع عمله ، وتسمأ بأمر المومنين ، وارتحل الى مراكش ، فدخلها وأقام بها وكتب الى جميع طاعته من الموحدين يطلبهم بالبيعة فآذته البيعة من جميع بلاد أفريقية والمغرب وبلاد الأندلس ماخلا قرطبة وبجاية ، فان ولاتهما وهما أخواه توقفا فى ذلك ، فانتشر أمره فى أقطار البلاد ، ودان له من بالعدوتين من العباد ، وفرق الأموال فى قبائل الموحدين وأعطى كل الأجناد .

وفى سنة تسع وخمسين وخمسمئة قدم عليه أخواه السيد عبد الله صاحب بجاية والسيد محمد صاحب قرطبة تائبين طائعين مبايعين ، وقدم عليه بهما أشياخ حاضرتيها وفقهاؤهما ، فوصلهم أمير المومنين يوسف وأحسن اليهم بالمال والخلع .

وفى هاذه السنة ثار مرزوغ الغماري الصنهاجي من صنهاجة مفتاح وضرب السكة وكتب فيها (مرزوغ الغريب ، نصر الله قريب) ، فتابعه خلق كثير من غمارة وصنهاجة وأوربة (١٢٦) فافسد تلك الناحية ودخل

(126) أوربة بفتح الهمزة والواو وسكون الراء وفتح الباء قبيلة بربرية كبيرة من شعب البرانس ، كانت تستعمل فى القديم على بطون وعمائر كثيرة مثل ديقوسة وريوية ولجاية ومزاية ونفاسة ونيجة ، وقد كبرت هذه البطون فيما بعد حتى أصبحت فى عداد القبائل ، كان شيخ هذه القبيلة عند دخول الاسلام أرض المغرب يسمى سكرديد بن زوغى ، ولى عليهم 73 سنة ، وأدرك الفتح الاسلامى ومات سنة 71 هـ وبقيت زعامة البربر فى أوربة حتى دخل الامام ادريس أرض المغرب فتنازل له شيخها اسحاق بن محمد بن عبد الحميد عنها فصارت أوربة فى عداد قبائل دولته ، لا تمتاز عن غيرها الا بالسبق الى تأييد دعوته ومقاتلة عدوه ، وقد حلت الفروع فى الوقت الراهن محل الأصل ، اذ لم يبق يحمل اسم أوربة الاصل الا بطن صغير منها مندمج

مدينة بنى تاودة (١٢٧) وقتل فيها خلقا كثيرا وسبها ، فبعث اليه أمير المومنين يوسف جيشا من الموحدين ، فقتل وحمل رأسه الى مراكش .
وفى سنة ستين كانت وقعة الجلاب (١٢٨) بالأندلس بين السيد أبى سعيد بن عبد المومن وجيوش الروم مع ابن مردنيش ، وكان الروم ثلاثة عشر الفا ، فهزم ابن مردنيش وقتل من كان معه من الروم بأجمعهم ، وكتب بالفتح الى أخيه يوسف .

وفى سنة احدا وستين ولا أمير المومنين يوسف أخاه السيد يحيى بجاية ، وأمره بتفقد أحوال بلاد أفريقية ورفع مظالمها وقطع الطغاة بها .
وفيه خالف سبع (١٢٩) بن منغقاد وثار بجبل تيزران (١٣٠) من من بلاد غمارة .

وفى سنة ثلاث وستين اجتمعت الأمة على طاعته وتسمأ بأمير المومنين ، وذلك فى شهر جمادا الآخرة منها
وفى سنة أربع وستين وقد عليه أهل البلاد من أفريقية والمغرب والأندلس القضاة والخطباء والفقهاء والشعراء والأشياخ والأعيان برسم السلام والمطالعة بأحوال بلادهم فوصلت الوفود الى مراكش ، فسلموا عليه ، ووصل الجميع كلا على قدره ، وأوصاهم بما أراد ، وكتب لهم الأوامر بحاجاتهم وشؤونهم ، وانصرفوا شاكرين .

فى قبائل البرانس شمالى تازة ، وهو معدود من القبائل ، وينطق به مرعباً بحذف همزته (وربة) ، والقبيلة التى تحمل هاذا الاسم تشتمل على أربعة بطون : أولاد عبو ، وأولاد عيسى ، وأولاد رحمون ، والريبيين (تيربيين) والبطن الأخير ينقسم الى عمارتين : الريميين الفوقانيين ، والريبيين النحتانيين . والى قبيلة وربة تنسب حوبة الوردية بفاس .

(١27) الاسم القديم لقرية فاس البالي الواقعة ببطن البوار من قبيلة فشتالة (قيادة قلعة سلاس - إقليم فاس) .

(١28) فحص يعبد عن مرسية بضعة أميال ، والمعركة المشار اليها حدثت يوم الجمعة ٢5 أكتوبر سنة ١١64 الموافق 7 ذى الحجة عام 560 هـ .

(١29) سماه ابن أبى زرع فى الأصل يوسف وذلك غلط منه ، وجعل ثورته عام 56١ مع أن نعمها كان فى العام التالى ، فلعل عام 56١ هو العام الذى ابتدأت فيه الثورة ، والعام الذى يليه هو الذى قمعت فيه . ينظر عن هاذه الثورة كتاب **المن بالامامة** ص 307 .

(١30) أعلا جبل بقبيلة غمارة ، يقع بين شفشاون والحسيمة عن شمال الذاهب من الأولى الى الثانية .

وفى سنة خمس وستين وخمسة بعث الأمير يوسف أخاه السيد
عمر الى بلاد الأندلس برسم الجهاد ، فجاز البحر من قصر الجواز الى
طريف فى جيش من عشرين الفا من الموحدين والمتطوعة ، فغزا طليطنة .
وفى سنة ست وستين وخمسة أمر أمير المومنين يوسف ببناء
قنطرة تانسيفت ، وشرع فى بنائها يوم الأحد ثالث شهر صفر من العام
المذكور .

وفىها جاز أمير المومنين يوسف الى الأندلس لينظر فى ضبط ثغورها
واصلاح أحوالها ولم شعثها ، فوصل الى أشبيلية ، فأقام بها سنة كاملة ،
وأثاد بها قواد بلاد الأندلس ورؤساؤها وقضاتها وفقهاؤها برسم السلام
عليه والتعريف بأحوالهم ، ثم خرج بعد السنة الى الغزو ، فغزا مدينة
طليطلة ، وفتح حصونا كثيرة من أحوازها ، وقتل خلقا كثيرا من الروم ،
وغنم وسبا ، وانصرف الى أشبيلية مؤيدا منصورا .

وفى سنة سبع وستين وخمسة شرع أمير المومنين يوسف فى بناء
الجامع المكرم بأشبيلية ، وكان أول خطيب خطب به الفقيه عبد الرحمان
ابن غافر اللبلى ، وذلك فى ذي الحجة حين فرغ من بنائه .

وفى هاذه السنة عقد أمير المومنين يوسف انجسر على وادى
أشبيلية بالقوارب ، وابتنا قصبتهما الداخلة والخارجة ، وبنا الزلايق
للسور ، وبنا سور باب جهور ، وبنا الرصيفين المدرجين بصفتي الوادى ،
وجلب الماء من قلعة جابر حتى أدخله أشبيلية ، وأفق فى ذاك أمرا لا
لاتحسا ، ثم قفل الى مراكش ، وذلك فى شهر شعبان المكرم من سنة
احدا وسبعين وخمسة ، فكان جملة مقامه بالأندلس أربعة أعوام وعشرة
أشهر وأياما .

وفى سنة سبع وستين المذكورة مات محمد بن سعد ابن مردنيش
صاحب بلاد شرق الأندلس ، فتحرك أمير المومنين نحو بلاده ففتحها
بأجمعها ، ودان له جميع بلاد شرق الأندلس ورجع الى أشبيلية .

وفى سنة ثمان وستين أغزا أمير المومنين يوسف ولده السيد

أبإبكر بلاد الروم ، فسار حتى بلغ طليطلة ، فقتل وسبأ وأحرق القرأ
فخرج اليه زعيم الروم شانشو خيمينو المعروف بأبى برذعة ، عرف بذات
لأنه كان يركب برذعة من الحرير منسوجة بالذهب مكللة بأصناف الجواهر
فكان بينهما قتال عظيم قتل فيه شانشو أبو برذعة وجميع جيشه ، ولم
يفلت منهم أحد ، فكان عدد من قتل فى هاذه الغزاة من الروم ستة
وثلاثين الفا .

وفى سنة تسع وستين غزا أمير المومنين مدينة كركونة من بلاد شرق
الأندلس ، فأوغل فى تلك الناحية يقتل ويسبى ويخرب البلاد بالحررق
والهدم وقطع الثمار ونسف الأثار ، ثم قفل الى أشبيلية .

وفى سنة سبعين وخمسة تزوج أمير المومنين يوسف صفية بنت محمد
ابن سعد ابن مردنيش ، وصنع لها مهرجانا عظيما يقصر اللسان عن وصفه ،
وفى سنة احدا وسبعين جاز أمير المومنين الى العدو ، فدخل مدينة
مراكش فى شهر شعبان منها ، فأقام بها الى سنة أربع وسبعين ، فاتصل
به أن ابن الرند (١٢١) قام بقفصة من بلاد أفريقية ، فاضطربت لأجل
ذالك أفريقية ، فتحرك أمير المومنين اليها فى سنة خمس وسبعين ، فسهل
الى أفريقية ونزل على مدينة قفصة وضيق عليها بالقتال والحصار حتى
فتحها وظفر بابن الرند الثائر بها فقتله ، وذالك فى سنة ست وسبعين ،
وعاد الى مراكش فدخلها فى سنة سبع وسبعين .

وفى هاذه السنة وفد على أمير المومنين بمراكش أبو سرحان
مسعود بن سلطان الرياحي فى جيش عظيم من وجود رياح برسم الخدمة
وفى سنة ثمان وسبعين خرج أمير المومنين من مراكش لينيان حصن
زكندر (١٢٢) بناه على المعدن الذي ظهر هنالك .

ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسة ، فيها جاز أمير المومنين

(131) على بن عبد العزيز المعروف بالطويل من أعقاب بنى الرند أمراء قفصة .

(132) زكندر : قرية صغيرة بقيادة سكاوة (إيسكاون) من إقليم ورزازات كانت مدينة
مزدهرة فى القديم مبنية على معدن للفضة ، ولا يزال بها غار للتعدين مستعملا الى اليوم .

الجواز الثاني برسم الجهاد ، فخرج من حضرة مراكش فى يوم السبت الخامس والعشرين من شوال من سنة تسع وسبعين المذكورة (١١ يراير ١١٨٤ م) ، وكان خروجه على باب دكالة برسم أفريقية ، فلما وصل الى سلا أتاه محمد بن أبى اسحاق من أفريقية ، فأعلمه بهدوئها وسكونها ، فصرف الحركة الى الأندلس ، فتحرك من سلا ضحوة يوم الخميس الموفى ثلاثين لذى القعدة (١٥ مارس) من السنة المذكورة ، فنزل بظاهر اليند ، ثم أقلع عن ظاهر سلا يوم الجمعة التالى له ، فوصل الى مدينة مكناسة يوم الاربعاء السادس لذي الحجة ، فعيد بها عيد الأضحا بخارجها ، ثم ارتحل الى مدينة فاس ، فأقام بها بقية الشهر .

ثم دخلت سنة ثمانين وخمسة ، فى اليوم الرابع (١٧ أبريل) منها خرج أمير المومنين من مدينة فاس ، فسار حتى وصل سبنة ، فأقام بها بقية شهر محرم ، وأمر الناس بالجواز فجازت قبائل العرب أولا ثم قبائل زناتة (١٣٣) ثم قبائل المصامدة ، ثم غمارة (١٣٤) وصنهاجة وأوربة وأصناف البربر ، ثم جازت جيوش الموحدين والأغزاز ، والرماة ، فلما

(١٣٣) جبل كبير من البربر البتر ، من ولد أجانا أو زانا بن يحيى بن خريس ، كانت مواطنهم الأصلية بصحراء المغرب ما بين غدامس ووادى الساورة ، ثم طلعت قبائل منهم الى الشمال فغمروا سهول المغرب الأوسط وجباله حتى سعى بهم (وطن زناتة) وتسربت منهم قبائل وبطون فى شرق المغرب الأقصى فغمروه الى جبال تازة .

كانت لزنانة اليد الطولا والزعامة بين قبائل المغرب ، وتسمنوا الملك والامارة فيه غير ما مرة ، منهم بنو مدرار ملوك سجلماسة ، وبنو مرين ملوك فاس ، وبنو عبد الواد ملوك تلمسان ، وملوك مغراوة وبنى يفرن .

زنانة قبائل كثيرة عديدة مستقرة بمختلف جهات البلاد المغربية ، بعضها يحمل أسماء يتميز بها وبعضها يحتفظ باسمه الاصل مثل زناتة القبيلة المجاورة لمدينة فضالة (المحمدية) بالمغرب الاقصى ، وزنانة المستقرة بالسهول الواقع امام تلمسان قرب نهر تافنا .

(١٣٤) غمارة : من شعب مصمودة من البربر البرانس ، سموا باسم والدهم غمار بن مصمود

وتزعم العامة أنهم عرب غمروا فى الجبال فسموا غمارة .

وهم فى الواقع شعب متميز ، كانت مواطنه الأصلية على سيف البحر المتوسط من حد بلاد الريف الى المحيط الأطلسى ، ثم تمتد على السهول الغربية حتى تصل الى تامسنا حيث مواطن برغواطة فى القديم ، وقد انحسرت هذه المواطن فصارت لا تتعدا الجبل المعروف بغمارة الواقع بشمال المغرب الاقصى شمال مدينة شفشاون ويسكنه من قبائل غمارة : بنى زجل ، وبنى زيات ، وبنى سلمان ، وبنى بوزرة ، وبنى منصور ، وبنى جرير ، وبنى سميج ، وبنى خالد ، وبنى رزين .

كامل الناس بالجواز جاز هو فى أثرهم فى العبيد والدائرة ، وكان جوازه فى يوم الخميس الخامس لصفى (١٧ ماى) من العام المذكور ، فنزل بمرسا جبل الفتى ، ثم ارتحل منه الى الجزيرة الخضراء ، فسلك منها الى جبل الصوف الى قلعة خولان الى اركش الى شريش الى زبريشة الى اشبيلية ، فلما كان فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر صفى نزل فى وادى برتقال ، فخرج اليه السيد أبى اسحاق ولده وفقهاء اشبيلية وأشياخها للسلام عليه ، فبعث اليهم بأمرهم بالوقوف بأخر المنية حتى يصل اليهم فلما صلا الظهر ركب وراز اليهم ، فلما قرب منهم نزلوا عن دوابهم ، فوقف اليهم حتى سلموا عن آخرهم وركبوا ، ثم تحرك الى غزو مدينة شنترين من بلاد غرب الأندلس ، فوصلها فى السابع من ربيع الأول من سنة ثمانين المذكورة ، فنزل بها وأدار عليها الجيوش والعساكر وشد عليها بالقتال وضيق عليها بالحصار ، وبالغ فى ذلك جهده ، فأقام محاصرا لها مضيقا عليها الى ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين من ربيع الأول المذكور (٣ يوليوز ١١٨٤ م) فانتقل من موضع نزوله بجوف شنترين الى غريبها ، فأنكر المسلمون ذلك ولم يعلموا له سببا ، فلم نا جن الليل وصلا العشاء الأخيرة بعث الى ولده السيد أبى اسحاق والى اشبيلية ، فأمره بالرحيل من غد تلك الليلة الى غزو مدينة لشبونة وشن الغارات على انحاءها وان يسير اليها بجيوش الأندلس خاصة ويكون رحيله نهارا ، فأساء الفهم وظن أنه أمره بالرحيل فى جوف الليل ، وصرخ الشيطان فى محلات المسلمين أن أمير المؤمنين قد عزم على الرحيل فى هذه الليلة فتحدث الناس بذلك وتأهبوا له ، فرحل من الناس طائفة بالليل ، فلما كان قرب الفجر ، أقلع السيد أبى اسحاق وأقلع من كان يليه وتابى الناس بالرحيل ، فارتحلوا وأمير المؤمنين مقيم بمكانه لاعلم عنده بذلك ، فلما اصبح وصلا الصبح وأضاء النهار لم يجد حوله أحدا من أهل محله الا اليسير من خاصته وحشمه الذين يرحلون لرحيله وينزلون لنزوله وقواد الأندلس لأنهم كانوا يمشون أمام ساقته وخلف محله من أجل من يتخلف منها من الضعفاء ، فلما طلعت الشمس وتطلع النصارا

المحصورون من سور المدينة على المحلة وقد أقلعت وارتحلت ولم يبق حول المدينة غير أمير المومنين وعبيده وحشمه وأهل دأثرته وتحققوا ذلك من جواسيسهم فتحروا أبواب المدينة وأخرج جميع من فيها خرجة منكرة وهم ينادون الراي ! الراي ! أي اقصدوا السلطان ، فضربوا فى محلة العبيد الى ان وصلوا أخبية أمير المومنين فمزقوها واقتحموا عليه فيها ، فقاتلهم بسيفه حتى قتل من رجاله ستة رجال ، وطعنوه طعنات نافذات ، وقتل ثلاث من جواريه كن قد انصبين عليه حتى طعن ووقع بالأرض ، فتصايح الناس والفرسان والعبيد والأجناد والموحدون وقواد الأندلس وتراجع المسلمون ، فقاتلوهم عليه حتى أقلعوهم عن الخياء بالسيف ، واشتد القتال بينهم وتواقفوا ساعة فى قتال شديد ، ثم انهزم أعداء الله ومنج الله عز وجل المسلمين أكتافهم ! فركبهم بالسيف حتى ادخلوهم المدينة عنوة ، وقتل منهم خلق كثير يزيدون على العشرة الألف ، واستشهد من المسلمين جماعة ، فركب أمير المومنين والأمر قد فات فيه ، وارتحل الناس ولايدرون الى أين ، ثم اهدتوا بالطبول فساروا الى اشبيلية ، فاشتدت به الألامه وطعناته فمات بالطريق ، قاله ابن مطروح ، وكانت وفاته يوم السبت الثامن عشر من ربيع الآخر من سنة ثمانين وخمسئة (٢٩ يوليوز ١١٨٤ م) بقرب الجزيرة الخضراء قاصدا للجواز الى العدو ، فحمل الى تينمل فدفن بها الى جانب قبر أبيه ، وقيل انه لم يمت حتى وصل مراكش ودفن بتينمل ، وكان ولده يعقوب الخليفة بعده هو الذي يدخل على أبيه ويخرج وتتصرف الأمور على يديه من يرم طعن والده الى أن مات ، وكانت دولته اثنتين وعشرين سنة وشهرا واحدا وستة أيام ، وكنتم موته حتى وصل مدينة سلا ، فأشهره ، والبقاء لله وحده الذي له الأمر من قبل ومن بعد ، لارب غيره .

الخبر عن دولة أمير المؤمنين يعقوب

ابن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المومن بن علي رحمه الله

- هو أمير المؤمنين ، عبد الله ، يعقوب بن عبد المومن بن علي
- لقبه المنصور بفضل الله
- أمه أم ولد كان أهداها سيد راي ابن وزير لأبيه يوسف
- مولده بقصر جده ، عبد المومن بمدينة مراکش سنة خمس وخمسين وخمسة
- كنيته : أبو يوسف
- نقش خاتمه : على الله توكلت
- صفته : كان آدم ، معتدل القد ، أكحل الشعر ، واسع الأكتاف ، أقنا الأنف ، عاري العنقفة ، مدور الوجه ، أفلج ، أعين ، له وفرة تنهد على جبينه ، جوادا ، شجاعا ، كريما ، شهما ، عالما بالحديث والفقه واللغة مشاركا في كثير من العلوم النافعة للدين والدنيا ، محبا في العلماء ، معظما لهم صادرا عن رأيهم ، كثير الصدقة ، محبا في الجهاد مواظبا عليه ، يشهد جوائز الفقهاء والصلحاء ويزورهم ويتبرك بهم
- أولاده الذكور : أربعة ، ولي الخلافة بعده منهم ثلاثة ، محمد الناصر ، وعبد الله العادل ، وادريس المامون
- وزراءه : وزراء أبيه
- أطباؤه : كذلك أطباء أبيه
- قضاته : أبو العباس ابن مضا القرطبي ، ثم موسى بن عيسا بن عمران
- أيامه في الملك : بويح رحمه الله يوم الأحد التاسع عشر لربيع الآخر من سنة ثمانين وخمسة (٣٠ يوليو ١١٨٤ م) في بيعة الخاصة ،

وتأخرت بيعة العامة بسبب كتم الوفاة المتقدم ذكره الى يوم السبت الثاني من جمادا الأول من السنة بعينها ببيع البيعة العامة ، وتوفي رحمه الله يوم الخميس الثاني والعشرين لربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسة ، وقيل ليلة الجمعة فى آخر الليل بمدينة مراكش ، وحمل الى تينمل فدفن بها ، وسنه يوم توفي أربعون سنة ، فكانت أيام دولته خمسة آلاف يوم ومئتي يوم واثنين وتسعين يوما ، يجب لها من السنين أربع عشرة سنة وأحد عشر شهرا واربعة أيام .

ولما تمت له البيعة وأطاعته الأمة كان أول شيء فعله أنه أخرج مئة ألف دينار ذهباً من بيت المال ففرقها فى الضعفاء من بيوتات بلاد المغرب وكتب الى جميع بلاده فى تسريح السجون ورد المظالم التي فعلها العمال فى أيام أبيه ، وأكرم الفقهاء وراعا الصلحاء والفضلاء وأجرا على أكثرهم الانفاق من بيت المال ، وأوصا ولاته وعماله بالرجوع الى أحكام القضاة ، ونفقد أحوال بلاده ورعيته ، وضبط الثغور وشحنها بالخيل والرجال ، وفرق فى الموحدين وسائر الاجناد أموالا كثيرة .

وكان ذا رأي وعزم ودين وسياسة ، وهو أول من كتب العلامة بيده من الموحدين ، (الحمد لله وحده) ، فجرا عملهم على ذلك ، وهو واسطة عقدهم الذي ضخم الدولة وشرفها ، وكانت أيامه أيام دعة وأمن ورخاء ورفاهية وبنية حسنة ، صنع الله عز وجل فى أيامه الأمن بالمشرق والمغرب والأندلس ، فكانت الطعينة تخرج من بلاد نول لمطة (١٣٥) حتى تصل برقة وحدها لاترا من يعارضها ولا من يكلمها ، صنع عام الأراك المشهور ، وحصن البلاد ، وضبط الثغور ، وبنا المساجد والمدارس فى بلاد أفريقية والمغرب والأندلس ، وبنا المارستان للمرضى والمجانين وأجرا المرتبات على الفقهاء والطلبة على قدر مراتبهم وطبقاتهم ، وأجرا الانفاق

135) بلاد نول باللام أو نون بالنون كما هو النطق اليوم من منتهى أرض سوس من اقليم اكدير ، وبها يمر وادى نون المسمى باسمها ، وهو ينبع من الجبال الواقعة خلف قرية الايدالة (تايدالت) ويصب فى المحيط الأطلسى .

على أهل المارستان والجذما والعميان فى جميع عمله ، وبنا الصواعق والقناطر والجباب للماء ، واتخذ عليها المنارات ، وبنا المنازل من سوس الاقصا الى سويقة بني مكتود ، فكانت أيامه زينة للدهر وشرفاً لأهل الاسلام ، ولم يزالوا فيها أعزة ظاهرين على العدو قاهرين له .

وفى سنة اثنتين وثمانين وخمسمئة قتل المنصور أخويه زكرياء وعمر ، وقتل عمه سليمان ، وفيها خالفت مدينة قفصة من بلاد أفريقية فخرج اليها المنصور من حضرة مراكش فى ثالث شهر شوال من سنة اثنتين وثمانين المذكورة (الأربعاء ١٧ دجنبر ١١٨٦ م) فوصل اليها وحاصرها حتى فتحها فى سنة ثلاث وثمانين ، فلما فتح قفصة خرج الى غزو عرب أفريقية فهزمهم واستباح حلهم وأموالهم ، وبعد ذلك أتود طائعين فنقلهم الى المغرب ، ورجع الى مراكش فدخلها فى شهر رجب سنة أربع وثمانين وخمسمئة .

وفى سنة خمس وثمانين شرع المنصور فى ادخال ساقية مراكش . وفيها تحرك الى الأندلس برسم غزو بلاد غربيها ، وهي أول غزو له للروم ، فجاز اليها من قصر المجاز (١٣٦) الى الجزيرة الخضراء ، وذلك يوم الخميس الثالث من ربيع الأول من سنة خمس وثمانين المذكورة، فارتحل عن الجزيرة الخضراء حتى نزل شنترين وشن الغارات على مدينة الاشبونة وأنحائها ، فقطع الثمار وقتل وسبأ وأضرم النيران فى القرا وحرق الزرع وبالغ فى النكاية ، وانصرف الى العدو بثلاثة عشر ألف سبية من النساء والذرية ، فوصل مدينة فاس فى آخر رجب من السنة المذكورة ، فأقام بها أياما ، فتواترت له الأخبار أن الميورقى (١٣٧) قد

136) قصر المجاز هو قرية القصر الصغير الواقعة على مضيق جبل طارق بين مدينتي سبتة وطنجة بتراب قبيلة أنجرة من إقليم تطوان . سمي كذلك لجواز جيوش المغرب منه الى الأندلس أيام الحكم الاسلامى ، ويسمى أيضاً قصر مصودة ، وهو غير قصر كنامة التسنمتا أيضاً قصر عبد الكريم (القصر الكبير الحالى) .

137) يحيى بن اسحاق بن محمد ابن غانية المسوفى البيورقى ، وهو الذى خلف اخاه عليا المعروف بالميورقى المتوفى فى السنة قبلها (584 هـ) .

ظهر فى أفريقيا مع قراقوش (١٣٨) غلام بنى أيوب ملوك مصر والشام ،
فارتحل اليها من مدينة فاس فى الثامن من شعبان من السنة بعينها ،
فدخل مدينة تونس فى أول شهر ذي قعدة من السنة المذكورة ، فوجد
أفريقية ساكنة وقد فر عنها الميورقى الى الصحراء حين سمع بقدومه .

وفى سنة ست وثمانين دخل النصارا مدينة شلب ومدينة باجة
ويابورة من بلاد غرب الأندلس ، وذلك لما علموا أن المنصور قد بعد عنهم
واشتغل بأفريقية ، فاغتنموا الفرصة فاتصل الخبر بالمنصور ، فاستعظم
ذلك وغازله ، وكتب الى قواد الأندلس يوبخهم ويأمرهم بغزو بلاد الغرب
ويعلمهم أنه قادم عليهم فى اثر كتابه ، فاجتمع قواد الأندلس الى محمد
ابن يوسف والى قرطبة ، فخرج بهم فى جيش عظيم من الموحدين والعرب
والاندلس حتى نزل شلب فحاصرها وشد عليها القتال حتى فتحها وفتح
قصر أبى دانس ومدينة باجة ويابورة ورجع الى قرطبة ، فدخلها بخمسة
عشر ألف سبية وثلاثة آلاف أسير من الروم ، وادخلهم فى القطائن (١٣٩)
بين يديه ، جعل خمسين علجا فى كل قطينة ، وذلك فى شوال سنة سبع
وثمانين وخمسمئة .

وفى هذا الشهر رجع المنصور من أفريقية فدخل مدينة تلمسان ،
فأقام بها الى الآخر سنة سبع المذكورة .

وفى أول يوم من المحرم من سنة ثمان وثمانين وخمسمئة وهو عام
أكرواوا (١٤٠) خرج المنصور من تلمسان الى مدينة فاس وهو مريض ، فكان
يركب فى أكرواوا فدخل فاسا وأقام بها مريضا سبعة أشهر حتى استراح

138) هو قراقوش الأرمى مملوك تقي الدين ، دخل مع طائفة كبيرة من الغز والنرك الى
المغرب واستولوا على طرابلس ودعا للسلطان صلاح الدين الأيوبي وابن أخيه تقي الدين عمر بن
شاهنشاه ، وأخباره وأخبار رفيقه القائد ابراهيم بن قراكين المعظمى الداخل معه الى المغرب طويلة
تنظر فى محلها من كتب التاريخ .

139) جمع قطينة قيد أو غل تغل به الأيدى والأرجل ، وملزمة تزيير بها الأخشاب المفراة ،
وما زالت الكلمة - بمعنيها - مستعملة فى المغرب الى الآن .

140) المحفة ، المحمل بالبربرية .

أرجوزته فى التاريخ المسماة بنظم السلوك فى الأنبياء والخلفاء والملوك (٧٧).
مرابطون أصلهم من حمير قد بعدت أنسابهم عن مضر
كانوا ملوكا فى الزمان الأول وأمرهم وحالهم لم يجهل
وقد رأيت فى كتاب النسب قولا به أعجز أهل الأدب
بان صنهـاج سليل حمير وهو ابنه لصليه لا العنصر
أكرم به من نسب صريـح فقله لا تخف من التصريح
عدلهم وفضلهم مشهور ومجدهم وسعدهم مذكور
قد خلفوا من بعدهم حسن الثنا فى غربنا وبلغوا فيه المنا
وقيل صنهـاج فخذ من هـوارة وهـوارة فخذ من حمير يمانيون من
ولد الصوار بن وائل بن حمير وإنما سموا هـوارة لأن أباهم المشهور لما
جال فى البلاد ووقع بالمغرب بقبلة القيروان من بلاد أفريقية قال لقد
تهورت فى البلاد فسموا هـوارة بذلك والله أعلم
وتنقسم صنهـاجة على سبعين قبيلة ، منهم لمتونة ، وكدالة ومسوفة
ولمطة ومسراتة وتكلاتة ومنداسة وبنى وارث وبنى مسفير
وبنى دخير وبنى زياد وبنى موسى وبنى لماس ، وبنى فشتال ، وفى
كل قبيلة بطون وأفخاذ وقبائل أكثر من أن تحصى وهذه القبائل كلها
صحراوية حوز بلادهم فى القبلة مسيرة سبعة أشهر طولا ومسيرة
أربعة أشهر عرضا من نول لمطة الى قبلة القيروان من بلاد أفريقية
وهي ما بين بلاد البربر وبلاد السودان ومنهم قوم لا يعرفون حرثا ولا
زرعا ولا ثمارا وإنما أموالهم الأنعام وعيشهم اللحم واللبن يقيم
أحدهم عمره لا يأكل خبزا إلا أن يمر ببلادهم التجار فيتحفظونهم بالخبز
والدقيق وكثيرهم على السنة والجماعة يجاهدون السودان
وكان أول ملك منهم بالصحراء يتلوتان بن تلاككين الصنهاجى
اللمتوى ، ملك بلاد الصحراء بأسرها ، ودان له بها يزيد من عشرين

ملكا من ملوك السودان ، كلهم يؤدون له الجزية ، وكان عمله مسيرة
ثلاثة أشهر فى مثلها ، كلها عامرة ، وكان يركب فى مئة ألف نجيب ،
وكان فى أيام الامام عبد الرحمان القائم بالأندلس ، ودامت أيامه وطال
عمره نحواً من ثمانين سنة الى أن توفي فى سنة اثنتين وعشرين ومئتين
فكانت أيامه خمسا وستين سنة ، فولى بعده حفيده الأثير بن فطر بن
يتلوتان المذكور ، فقام بأمر صنهاجة الى أن توفي سنة سبع وثمانين
ومئتين ، فكانت أيامه خمسا وستين سنة ، فولى بعده ولده تميم بن
الأثير ، فأقام ملكا على قبائل صنهاجة الى سنة ست وثلاثمئة ، فقامت
عليه أشياخ قبائل صنهاجة ، فقتلوه وأفترق أمرهم ، فلم يجتمعوا على
أحد بعده ، فاختلفت كلمتهم ، وتفرقت أهواؤهم مدة من مئة وعشرين
سنة ، الى أن قام فيهم الأمير أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف
بتارشتا اللمتونى ، فاجتمعوا عليه وقدموه على أنفسهم ، وكان من أهل
الدين والفضل والصلاح والحج والجهاد ، فأقام أميراً على صنهاجة مدة
من ثلاثة أعوام الى أن استشهد فى غزاة له بموضع يقال له بغارة ، وهم
قبائل من السودان يسكنون بمقربة من مدينة تاتكلاتين غرباً منها ، كانوا
على دين اليهودية ، ومدينة تاتكلاتين يسكنها قبيلة من صنهاجة يعرفون
ببنى وارث ، وهم قوم صالحون على السنة والجماعة ، وأسلموا على يد
عقبة بن نافع الفهري أيام فتحه للمغرب ، وهم يجاهدون السودان الذين
هم على غير الاسلام ، فلما توفي الأمير أبو عبد الله بن تيفاوت اللمتونى
ولى أمر صنهاجة بعده صهره يحيى بن ابراهيم الكدالى .

أفراك (١٤٢) والقبلة الحمراء والمصحف فى ذلك اليوم ، وأمر الموحدون وسائر الأجناد بالحركة والجهاز الى الجهاد ، وكتب الى أفريقية وسائر بلاد المغرب والقبلة يستنفر الناس الى الجهاد ، فأقبل اليه الناس خفافا وثقالا ، من كل فج عميق ، ومن كل مكان سحيق ، فخرج من حضرته مراكش فى يوم الخميس الثامن عشر من جمادا الأولا سنة احدا وتسعين وخمسة يجد السير ويوالى الرحيل ويطوى المراحل ، ولايلوى على فارس ولا على راجل ، والجيش تتابع فى أثره من جميع الأقطار ، والوفود تقصد نحوه لغزو الكفار ، فلما وصل قصر الجواز أخذ فى تجويز الجيوش ، لايفرغ من تجويز طائفة الا وقد تلاحقت به طائفة اخرا أكثر منها ، فكان أول من جاز البحر قبائل العرب ، ثم قبائل زناتة ، ثم المصامدة ، ثم غمارة ، ثم الجيوش المطوعة من قبائل العرب وغيرهم من الأغزاز والرماة ، ثم الموحدون ، ثم العبيد ، حتى استوفت الجيوش بالجواز واستقروا بساحل الجزيرة الخضراء ، فعند ذلك جاز أمير المؤمنين فى أثرهم فى جيش عظيم من أشياخ الموحدين وأهل النجدة والزعامة ، ومعه فقهاء المغرب وصلحاءه ، فسهل الله تعالا عليه الجواز ، واستقر بالخضراء فى أسرع وقت ، وكان وصوله بعد صلاة الجمعة الموفى عشرين من السنة المذكورة (١ يونيو ١١٩٥ م) ، فأقام بظاهر الجزيرة الخضراء يوما واحدا ونهض نحو العدو قبل أن تكل قرائح المجاهدين وتقسد نياتهم ، فسار بجميع جيوشه الوافرة بنيات خالصة ، وعزائم ماضية غير ناكصة ، فلم يعطف العدو بالرجوع الى بلاده بعدده وعديده الا وقد تواترت عليه الأخبار ، وصحت عنده الانباء والأثار ، بجواز المنصور اليه ، وقدمه لقتاله فى أعز البلاد عليه ، ففقد ألفونسو الثامن اللعين ، بجيوشه وجموعه

142) دارة كبيرة تشتمل على بيوت وقباب مصنوعة من نسيج الملف والوبر تمام للملوك أثناء تنقلاتهم للنزول بأهلهم ومتاعهم فيها ، وأصل الكلمة عربى (فراق) لأن أفراق يفرق بين الملك وبين مرافقيه فى السفر من وزراء وقواد وجنود .

ينتظره بازاء مدينة الأراك (١٤٣) ، فارتحل أمير المومنين المنصور قاصدا اليه ، ومعولا بحول الله تعالا وقوته عليه ، ولم يدخل بلدا ولم ينتظر أحدا ، ولم يلتفت لمن أبطأ ولا لمن قعد ، بل صم نحوه وقصد ، حتى بقي بينه وبين مدينة الأراك مرحلتان قريبتان ، فنزل هنالك ، وذلك فى يوم الخميس الثالث من شعبان المكرم من سنة احدا وتسعين وخمسة (١٣ يوليوز ١١٩٥ م) .

فلما وصل من يومه ذلك جمع الناس وأخذ فى شورا المسلمين فى كيفية لقائه لأعدائه وأعداء الله الكافرين اتباعا لأمر الله تعالا واقتداء بسنة رسول الله صلا الله عليه وسلم اذ هي الصفة المحمودة التي مدح الله تعالا بها هاذه الأمة بقوله تعالا : (وأمرهم شورا بينهم ومما رزقناهم ينفقون) ، وقوله تعالا لنبيه صلا الله عليه وسلم : (شاورهم فى الأمر ، فاذا عزمتم فتوكل على الله) الآية ، فدعا أولا أشياخ الموحدين فاستشارهم ، ثم أشياخ العرب ، ثم أشياخ زناتة ، ثم أشياخ القبائل ، ثم الأغزاز ، ثم المطوعة ، كل يقول ما يظهر له من القول والرأي ، ويتبينه من النصيحة والاجتهاد للمسلمين ، ويراه رأيا وصوابا لهم ، ثم دعا أخيرا قواد الأندلس ، فلما دخلوا عليه سلموا وقعدوا بين يديه ، فكلهم بما كلم به من تقدم قبلهم ، ثم قال لهم : يا أهل الأندلس ، ان جميع من استشرت قبلكم وان كانوا اولى بأس وشدة ، ومعرفة بالحروب وقوة فى الجهاد ونجدة ، لايعلمون من قتال النصارا ماتعلمون ، فانكم المجاورون لهم ، المدربون على قتالهم ، العارفون بخدعهم وأحوالهم ، فقالوا يا أمير المومنين ، رأينا أجمع موقوف على واحد منا قد اتفقنا على تقديمه لدينه ، ومعرفته وحسن عقله وتدبيره ، ومعرفته بالحروب ومكايدها وخدعها ، ونصيحته للمسلمين ، فهو لساننا ، وما قال فهو مذهبنا ، على ان رأيكم سده الله ووفقه أحسن رأي ، وتدبيركم أوفق تدبير ، رضي الله عنكم ،

(143) محلة صغيرة من أعمال قلعة رباح تقوم فوق ربوة عالية تمتد سفوحها حتى وادي بانه ، تقع غربى مدينة نيوداد ريال على بعد II كلم منها ، تقوم مكانها اليوم قرية صغيرة سما سانطا مرية دى الاركوس .

وأشاروا بأجمعهم الى القائد الأجل الموفق الصالح أبى عبد الله بن صناديد رحمه الله ، فقربه أمير المؤمنين بين يديه ، وأقبل بكليته عليه ، ثم سأله عن قصده ورأيه فى كيفية الحرب واللقاء لهاذا العدو ، فقال له يا أمير المؤمنين ان النصارا أهلکم الله تعالا أهل خدع ومكائد قسى الحروب ، فيجب علينا ان نقابلهم ونقاتلهم بما هم عليه ، ورأينا فى مقاتلتهم - ورأيتك بالإعلا - أن تقدم لهم امامك شيئا من أشياخ الموحدين الموصوفين بالشجاعة والدين والاخلاص والنصيحة لك وللمسلمين بجيوش الأندلس وحشودها وجميع من فى عسكرك من العرب وزناتة والأعزاز والمصامدة وسائر قبائل الغرب من المتطوعة وغيرهم ، وتعتقد له رايتك المنصورة ، فيقاتل بهاذا العسكر المبارك عسكر العدو أهلكه الله ودمره ، وتعتقد أنت بجيوش الموحدين أنجدهم الله تعالا والعبيد والحشم بالقرب من موضع المقاتلة فى موضع خفي رداً للمسلمين ، فان ظفرنا بعدونا فيفضل الله تعالا وبركتك ويمن خلافتك ، وان كان غير ذلك تكون أنت بعسكر الموحدين حماية للمنهزمين ، فتلحق العدو بهم وقد انكسرت شوكته ، وذهبت قوته وحدته ، وهذا رأيي فى ذلك رضى الله عنكم ، فقال له المنصور ، نعم والله الرأي ما رأيت ، فلقد وفقك الله تعالا فيما أشرت ، فانصرف الناس الى مضاربهم ، وبات أمير المؤمنين ليلته ذلك وهي ليلة الجمعة الرابعة من شعبان المذكور فى سجاده راکعا وساجدا ومبتهلا وراغبا الى الله سبحانه فى تأييد المسلمين على أعدائه الكافرين ، فلما كان عند السحر غلبته عيناه فنام فى مصلاه قليلا ، ثم انتبه فرحا مسبشرا ، فبعث الى أشياخ الموحدين والفقهاء فدخلوا عليه ، فقال لهم انما بعثت لكم فى هذا الوقت لأبشركم بما بشرت به من نصر الله تعالا فى نومي هاذه الساعة المباركة بينما أنا راکع فى مصلاي اذ غلبتنى عيناى ، فرأيت فى نومي كأن بابا قد فتح فى السماء ، ونزل منه فارس على فرس أبيض حسن الوجه والرائحة وبيده راية خضراء منشورة قد سدت الأفق من عظمها ، فسلم علي فقلت له من أنت يرحمك الله ؟ فقال أنا ملك من ملائكة السماء السابعة ، جئتك لأبشرك بالفتح من رب العالمين لك ولعصابتك المجاهدين

الذين أتوا تحت رايتك فى الشهادة راغبين ، ولثواب الله تعالا طالبين ،
ثم انشدنى هذه الأبيات فحفظتها فانتبهت وكأنما نقشت فى قلبي :

بشائر نصر الله جاءتك سافره لتعلم أن الله ينصر ناصره
فأبشر بنصر الله والفتح انه قريب ، وخيل الله لاشك ظافره
فتفى جيوش الروم بالسيف والقنا وتخلى بلادا لا ترا بعد عامره
فأيقنت بالفتح والظفر ان شاء الله تعالا .

فلما كان فى يوم السبت الخامس من شعبان المذكور قعد أمير
المومنين فى قبته الحمراء المعدة لقتال الأعداء ، ثم دعا الشيخ الأجل أبا
يحيى بن أبى حفص ، وكان من أكبر وزرائه ، وكان ذو حفاص فى الموحديين
أهل الفضل والتقا والدين ، والى بيتهم عاد فى المشرق أمر الموحديين ،
فلما جاءه قدمه على عساكر الأندلس وحشودها والعرب وزناتة والمتطوعة
ونشرت على رأسه الرايات وضربت الطبول ، وتقدم بقبيلة هنتاتة ، وقدم بين
يديه القائد ابن صناديد بعساكر الأندلس وحشودها ، وعقد لجرمون ابن رباح
على جميع قبائل العرب ، وعقد لمنديل المغراوي على قبائل مغراوة
وعقد لحيو بن أبى حمامة بن محمد على جميع قبائل مرين ، وعقد لتجليدين
على قبائل هسكورة وسائر المصامدة ، وعقد لمحمد ابن منغفاد على قبائل
غمارة ، وعقد للحاج الصالح أبى خرز يخلق الأوربى (١٤٤) على
المتطوعة ، والكل تحت طاعة أبى يحيى ابن أبى حفص وحكمه ويده ، وبقي
أمير المومنين بكافة عسكر الموحديين والعييد ، ثم أمرهم بالرحيل فتقدم
الشيخ أبو يحيى بجيوشه والقائد ابن صناديد على مقدمته بقواد الأندلس
وفرسانها وحماتها ، فكانوا اذا أقلعت محلة أبى يحيى أول النهار من
موضع نزلت به محلة أمير المومنين فى عشيتة ، حتى أشرف أبو يحيى
بجيوش المسلمين على محلة المشركين دمرهم الله وهي على ربوة عالية

144) هو غير أبى خزر يخلق الأوربى الفاسى المتوفى سنة 578 هـ قبل وقوع معركة الأرز
بثلاثة عشر عاما كما سيأتى للمؤلف فيما بعد .

ذات مهاوي وأحجار كبار قد ملأت السهل والوعر بأزاء مدينة الأراك ، فنزل عسكر المسلمين فى الوطا ، وذلك ضحوة يوم الأربعاء التاسع من شعبان ائكرم من سنة احدا وتسعين وخمسة (١٩ يوليوز ١١٩٥ م) ، فعبأ أبو يحيى عساكره تعبئة الحرب ، وعقد الرايات لأمرء القبائل ، لكل أمير راية تلجأ قبيلته اليها ويقفون عندها ، وعقد للمطوعة راية خضراء ، وجعل عسكر الأندلس فى ميمنته ، وجعل زناتة والمصامدة والعرب وسائر قبائل المغرب فى مسيرته ، وجعل المطوعة والأغزاز والرماة فى مقدمته . وبقي هو فى القلب فى قبيلة هنتاتة ، فلما أخذ الناس مصافهم للقتال على هاذا الترتيب العجيب ، ولزمت كل قبيلة رايته واخذت للحرب عدتها وأهبتها ، خرج الأمير جرمون ابن رياح أمير العرب يمشى بين صفوف المسلمين ويقوي قلوب المجاهدين ويتلو هذه الآيات . (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) ، (ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ، فبينما هم كذلك والعدو أمامهم فى رأس الربوة بجانب الحصن اذ تحرك من جيش العدو دمره الله تعالا عقدة كبيرة من سبعة آلاف فارس السى ثمانية آلاف فارس كلهم قد احتجب بالحديد والبيضات والزرذ النظيف النضيد ، فدفعت نحو عسكر المسلمين فنادا منادى الشيخ أبى يحيى ابن أبى حفص : معشر المسلمين اثبتوا فى مصافكم ، ولا تزالوا من مواضعكم وأخلصوا لله تعالا نياتكم وأعمالكم ، واذكروا الله عز وجل كثيرا فى قلوبكم ، فانما هي احدا الحسنين : اما الشهادة والجنة ، واما الأجر والغنيمة ، ثم خرج عامر الزعيم يجول فى الصفوف ويقول عباد الله انكم حزب الله ، فاثبتوا لقتال أعداء الله ، فان حزب الله هم المفلحون ، وهم المنصورون وهم الغالبون ، فوصلت تلك العقدة التي دفعت بأجمعها حتى لظمت أطراف رماح المسلمين فى صدور خيلهم أوكدات ، ثم تقهقروا قليلا ، ثم عادوا بالحملة ، فعلوا ذلك مرتين ، ثم تهبأوا للدفعة الثالثة ، والقائد ابن صنديد والزعيم العربي يناديان برفع أصواتهما : اثبتوا معشر المسلمين ثبت الله أقدامكم بالعزيمة الصادقة ، فدفع النصارا على القلب

الذي فيه أبو يحيى قاصدين اليه يظنون انه أمير المؤمنين ، فقاتل رحصه الله قتالا شديدا وصبر صبورا جميلا حتى استشهد رحصه الله واستشهد معه جماعة من المسلمين من هنتاة المطوعة وغيرهم ممن ختم الله تعالا له بالشهادة ، وسبقت له من الله تعالا السعادة ، وصبر المسلمون صبورا جميلا ، ورجع النهار بالغبار ليلا ، وأقبلت قبائل المطوعة والعرب والأغزاز والرماة ، وأحاطوا بالنصارا الذين دفعوا من كل جانب ، ودفع القائد ابن صناديد بجيوش الأندلس وحشودها ، وزحفت معه قبائل زناتة والمصامدة وغمارة وسائر البربر الى الربوة التي فيها ألفونسو الثامن لعنه الله يقاتلون من فيها من جيش الروم ، وكان ألفونسو لعنه الله فيها مع جيوش الروم وجميع عساكره وأجناده فيما يزيد على ثلاثمئة الف مابين فارس وراجل ، فتعلق المسلمون بالربوة واخذوا في قتال من بها فاشتد القتال ، وعظمت الأهوال ، وكثر القتل في النصارا الذين دفعوا في الحملة الاولا وكانوا نحو العشرة الاف زعيم ، انتخبهم اللعين الفونسو الذميم ، وصلت عليهم الاقسمة صلاة النصر ، ورشوا عليهم ماء العمودية في الطهر ، وتحالفوا بالصلبان الا يفروا حتى لا يتركوا من المسلمين انسانا ، فصدق الله عز وجل وعده ، ونصر جنده ، فلما اشتد القتال على الكفار ، وأيقنوا بالفناء والبوار ، ولوا الأدبار ، وأخذوا في الفرار ، الى الزريرة التي فيها الفونسو ليعتصموا بها ، فوجدوا عساكر المسلمين قد حائوا بينهم وبينها ، فرجعوا على أعقابهم ناكسين في الوطا ، فرجعت عليهم العرب والمطوعة وهنتاة والأغزاز والرماة فطحنوهم طحنا ، وأفتوهم عن أخرهم ، وانكسرت شوكة الفونسو بفنائهم ، ان كان اعتماده عليهم ، وأسرعت خيل من العرب الى أمير المؤمنين ، وأطلقوا أعنتهم نحوه ، وقالوا له قد هزم الله تعالا العدو ، فضربت الطبول ، ونشرت الرايات ، وارتفعت الأصوات بالشهادة ، وخفقت البنود ، وتسابقت لقتال أعداء الله الأبطال والجنود ، وزحف أمير المؤمنين بجيوش الموحدين ، قاصدا لقتال أعداء الله الكافرين ، فتسابقت الخيل وأسرعت الرجال ، وقصدوا نحو الكنرة للطعان والنزال ، فبينما ألفونسو الثامن لعنه الله قد هم وعزم ان يحمل

على المسلمين بجميع جيوشه ، ويصدهم بجنوده وحشوده ، إذ سمع انطبول عن يمينه قد ملأت الأرض ، والأبواق قد طبقت الربا والبطاح ، فرقع رأسه لينظر فيها ، فرأى رايات الموحدين قد أقبلت ، واللواء الأبيض المنصور فى أولها عليه : لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، لاغالب الا الله ، وأبطال المسلمين قد تسابقت وجيوشهم قد تناسقت وتناجعت ، وأصواتهم بالشهادة ارتفعت ، فقال ماهاذا ؟ فقيل له هاذا أمير المؤمنين قد أقبل وما قاتلك اليوم كله الا طلائع جيوشه ، ومقدمات عساكره ، فقذف الله عز وجل الرعب فى قلوب الكافرين ، وولوا الأديار منهزمين ، وعلى أعقابهم ناكسين ، وتلاحقت بهم فرسان الجاهدين ، يضربون وجوههم وأديبارهم ، ويقتفون أثارهم ، ويحكمون فيهم رماحهم وشفارهم ، ويروون من دمائهم السيوف ، ويذيقونهم مرارة الحتوف ، وأحاط المسلمون بحصن الأراك وهم يظنون أن الفونسو لعنه الله قد تحصن فيه ، وكان عدو الله قد دخل فيه على باب وخرج على باب من الناحية الأخرى ، فدخل المسلمون الحصن بالسيف عنوة ، وأضرموا النيران فى أبوابه ، واحتوا على جميع ماكان فيه وفى محلة النصارا من الاموال والنخائر والأرزاق والأسلحة والعدد والأمتعة والدواب والنساء والذرية ، وقتل فى هاذه الغزاة من الكفرة ألوف لاتعد ولا تحصا ، ولايعلم لها أحد عددا الا الله تعالا ، وأخذ فى حصن الأراك من زعماء الروم أربعة وعشرون ألف فارس أسارا ، فامتن عليهم أمير المؤمنين واطلقهم بعدما ملكهم ليكون له بذلك الامتنان ويد عليا عليهم ، فعز فعله ذلك على جميع الموحدين وعلى كافة المسلمين ، وحسبت له تلك الفعلة سقطة من سقطات الملوك ، وكانت هاذه الغزاة الكريمة والوقعة العظيمة يوم الأربعاء التاسع لشعبان المكرم من سنة احدا وتسعين وخمسمئة (١٨ يوليوز سنة ١١٩٥ م) .

وكان بين غزاة الأراك هاذه وغزاة الزلاقة مئة سنة واثننا عشرة سنة ، والأراك من الغزوات المذكورة المشهورة فى الاسلام ، وهى غزاة جرت على أيدي الموحدين أعز الله تعالا بها الاسلام وعلت كلمته ، وكتب المنصور بالفتح الى جميع بلاد الاسلام التى تحت يده ، من الأندلس

والعدوة وأفريقية ، وأخرج خمس الفية ، وقسم الباقي على المجاهدين ، ثم سار بجيوشه فى بلاد النصارا يخرب المدن والقرا والحصون ، ويفنم ويسبى ويقتل ، ويأسر حتى وصل الى جبل سليمان ، ثم عطف راجعا وقد امتلأت أيدي المسلمين بالغنائم ، ولم يعارضه من الروم معارض ، حتى وصل الى اشبيلية فدخلها وشرع فى بناء جامعها الكبير ومنارها العظيم ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وخمسمئة ، فيها خرج أمير المؤمنين الى غزوته الثالثة ففتح قلعة رباح ووادي الحجاره ومجريط وجبل سليمان واقليج وكثيرا من أحواز طليطلة ، ونزل على طليطلة وبها الفونسو فحاصره بها وضيق عليه وقطع ثمارها وحرقت ارباضها ، وهتكها ونصب عليها المجانيق ، ثم ارتحل عنها الى مدينة ظلمنكة فدخلها عنوة بالسيف ، فلم يحي أحد من رجالها ، وسبا نساءها وغنم أموالها ، وحرقتها وهدم أسوارها وتركها قاعا صفصفا ، ورجع الى اشبيلية بعد ان فتح الحصون الكثيرة ، وفتح البلاط وترجالة ، فدخل اشبيلية في غرة صفر من سنة ثلاث وتسعين وخمسمئة ، فأخذ فى اتمام بناء الجامع وتشيد مناره ، وعمل التفافيح من أملاح مايكون ، ومن أعظمه ، لا أعرف لها قدرا الا ان الوسطا منها لم تدخل على باب المؤذن حتى قلع الرخام من أسفله ، وزنة العمود الذي ركبت عليه أربعون ربا من حديد ، وكان الذي صنعها ورفعها فى أعلا المنار المعلم أبو الليث الصفار ، موهت تلك التفافيح بمئة الف دينار ذهب ، وكان لما جاز الى الأندلس لغزاة الأراك المذكورة أمر ببناء قسبة مراكش وبناء الجامع المكرم الذي بازاء القسبة ، وصومعته ، وبناء منار جامع الكتبيين ، وبناء مدينة رباط الفتح من أرض سلا ، وبناء جامع حسان ومناره .

ولما كمل جامع اشبيلية وصلا فيه أمر ببناء حصن الفرغ على وادي اشبيلية وارتحل الى العدوة فوصل الى مراكش فى شعبان سنة أربع وتسعين ، فوجد كل ما أمر به من البناء قد تم ، مثل القسبة والقصور والصوامع ، وأنفق فى ذلك كله من أخماس غنائم الروم .

وكان قد تغير على الوكلاء والصناع الذين تولوا ذلك واكتفلوه ،

وقيل له انهم اكلوا المال وصنعوا للجامع سبعة أبواب على عدد أبواب جهنم ، فلما دخله أمير المؤمنين أعجبه وسر به ، فسأل عن عدة أبوابه ، فتقيل له انها سبعة والباب الذي يدخل منه أمير المؤمنين هو الثامن ، فقال عند ذلك لاباس بالغالى اذا قيل حسن ، وفرح به غاية .

ولما وصل أمير المؤمنين الى مراكش واستقر بها أخذ البيعة لولده محمد الملقب بالناصر لدين الله ، فبايعه كافة الموحدين ، وبويع له في جميع أقطارهم وبلادهم وطاعتهم ، وكانت طاعته قد عمت بلاد الأندلس بأسرها والمغرب كله وأفريقية من طرابلس الى بلاد نول من السوس الاقصا الى الصحراء من بلاد القبلة ، وما بين هاذه البلاد من القرا والحصون والمعازل والمدن والجبال والأودية وأهل العمدة من عرب وبربر كلهم كانوا مذعنين طائعين لأمره متقادين لاحكامه ، يجلبون له من خراجهم وزكاتهم وأعشارهم ويخطبون له على منابرهم .

فلما تمت البيعة لمحمد الناصر وقعد فى محل الخلافة وجسرت الأحكام والأوامر باسمه وعلى يديه فى حياة أبيه دخل المنصور الى قصره فلزمه وبدأه المرض الذي توفي منه .

ولما اشتد به المرض قال ما ندمت على شيء فعلته فى خلافتي الا على ثلاث وددت انى لم أفعلها :

أولها : ادخال العرب من أفريقية الى المغرب لأنى أعلم أنهم أصل فساده ، والثانية : بنائى رباط الفتح ، أنفقت فيه من بيت المال وهو صعيد لا يعمر ، والثالثة : اطلاقى أسارا الأراك ، ولا بد لهم أن يطلبوا بثأرهم .
وتوفي المنصور رحمه الله بعد العشاء الأخيرة من ليلة الجمعة الثاني والعشرين لربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمئة (٢٢ يناير سنة ١١٩٩ م) بقصبة مراكش والبقاء لله وحده لارب غيره ولا معبود سواه .

وكان المنصور رحمه الله أجل ملوك الموحدين وأكثرهم صيتا واحسنهم فى الأحوال كلها ، ولي والملك قد تمهد واتسق ، والمال قد توفر ،

وكانت له الهمة العالية ، والعزائم الملوكية ، والدين المتين ، والسير
حسنة فى المسلمين ، رحمه الله تعالا بمنه ، وأباحه بحبوحه عدنه ، انه
غفور رحيم ، جواد كريم •

الخبر عن دولة أمير المؤمنين محمد الناصر

ابن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المومن بن علي

رحمهم الله تعالا

هو أمير المؤمنين محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بن
علي الزناتى الكومى الموحدى •

أمه حرة اسمها أمة الله بنت السيد أبى اسحاق بن عبد
المومن بن علي •

لقبه : الناصر لدين الله •

نقش خاتمه : على الله توكلت ، وهو حسبي ونعم الوكيل •

علامته فى الأوامر : الحمد لله وحده •

صفته : أبيض ، تام القد ، نحيل الجسم ، مليح العينين ، أدهج
وافر اللحية كبير الهامة ، غليظ الحجاب ، لانكاد تصله الأمور الا بعد
الجهد ، مصيب برأيه ، مستبذ فى أموره وتدبير مملكته بنفسه •

وزرائه : ابن الشهيد ، وابن منشأ •

حاجبه : وزير الأكبر أبو سعيد ابن جامع استبذ بالوزارة والحجابة،

وبويع الناصر فى حياة أبيه ، وجددت له البيعة بعد وفاته ، وذاتك
يوم الجمعة صبيحة الليلة التي توفي فيها أبوه ، وأخذت له البيعة فى
جميع أقطار طاعة الموحدين ، ودعى له على المنابر ، فأقام بحضرة
مراكش بقية شهر ربيع الأول وربيع الثانى ، وخرج فى أول جمادا الأولا

من سنة خمس وتسعين المذكورة قاصدا الى مدينة فاس ، فأقام بها وبنا قصبته وأسوارها الى سنة ثمانية وتسعين ، فوردت عليه الأخبار من أفريقية أن يحيا الميورقي قد غلب على كثير من بلادها ، فخرج الناصر من مدينة فاس قاصدا الى أفريقية ، فوصل الى جزائر بنى مزغنة فأخذ فى تجهيز الأساطيل والعساكر لقتال مدينة ميورقة حتى فتحها وانزعها من أيدي المرابطين ، وكان فتحها فى ربيع الأول من سنة ستئمة ، ووصل أهلها الى أمير المؤمنين الناصر فسلموا عليه وبايعوه فعفا عنهم ووصلهم على قدر طبقاتهم ، وتكلم اليهم بالجميل ، وقدم على قضاء ميورقة الامام المحدث عبد الله ابن حوط الله ، وارتحل محمد الناصر فى بلاد أفريقية فنطوف على جميع أقطارها وتفقد أحوال أهلها ، وفر الميورقي أمامه حتى دخل الصحراء وارتحل الى المهديّة وقد أطاعه جميع من كان خرج عليه بأفريقية دون قتال الا المهديّة وحدها ، فان واليها امتنع فيها ، وكان قد ولاه اياها يحيا الميورقي حين غلب عليها ، وكان هاذا الوالي حاجا الا أنه كان شهما عالما بوجوه الحرب ومكايده ، فنزل عليه الناصر بظاهر المهديّة وحاصره بها برا وبحرا ، ونصب عليه المجانيق والرعدات ، وكانت قبائل الموحدين وحشود العرب يتناوبون قتالها مع ساعات الليل والنهار ، فأظهر بها هاذا الحاج المذكور من مكاييد الحرب وخدعه مايقصر عنه الوصف ، فحاصره الناصر مدة طويلة وأشهرا عديدة ، وكان الموحدون يسمونه الحاج الكافر (١٤٥) ، ونصب عليه الناصر منجنيقا كبيرا لم يعمل مثله عظما يرمى مئة ربيع ، فرما البلد به فوق الحجر من المنجنيق فى وسط دفة باب المدينة ، فطوا وسطها والدفة من حديد كلها قائمة على قاعدة من زجاج أخضر ، وفى مواضع الشرافات تماثيل أسد من نحاس أصفر ، فلما رأوا ذلك الحاج والى المدينة علم أنه لاطاقة له بضبطها ولا بمدافعة أمير المؤمنين ، فبايعه وأسلم اليه البلد ، فأمنه الناصر وأكرمه

(145) اسمه على بن غازى بن محمد بن على ابن غانية ، اشترط على الموحدين قبل تسليم المهديّة الاذن له بالالتحاق بابن عمه ، فقبل شرطه ومضا لحال سبيله ، ثم بدا له فعاد اليهم وصار من خيرة رجالهم وقوادهم ، واستمر فى الخدمة حتى مات شهيدا فى وقعة العقاب سنة 609 هـ .

اكراما عظيما ، وأنزله منزلة رفيعة وذلك لما رأوا منه من مراعاته لصاحبه واجتهاده فى حقه ، وأمر الموحدين ان يسموه الحاج الكافي .
• وكان فتح المهديّة سنة اثنتين وستمئة (١٤٦) .

وفى سنة اثنتين وستمئة ، ولا أمير المومنين الناصر الشيخ عبيد الواحد بن أبى بكر ابن أبى حفص جميع بلاد أفريقية ، وارتحل الى المغرب ، فلما وصل وادي شلف خرج عليه يحيى الميورقى فى جيش عظيم من العرب وصنهاجة وزناتة ، فتقاتلا قتالا شديدا انهزم فيه الميورقى هزيمة عظيمة ، وذلك يوم الاربعاء عقب ربيع الأول سنة أربع وستمئة (٢٤) اكتوبر سنة ١٢٠٩ م) .

وفىها أمر امير المومنين ببناء مدينة وجدة ، فشرع فى بنائها فى شهر رجب من السنة المذكورة .

وفىها بنى السور على المزمة (١٤٧) من بلاد الريف وبنيت قصبه بـادس .

وفى شوال من سنة أربع المذكورة خرج أمير المومنين من مدينة نفّاس الى حضرة مراكش بعد ان أمر بعمل السقاية بعدوة الاندلس منها ، وجلب اليها الماء من عين بخارج باب الحديد ، وبنا الباب الجوفى المدرج الذى بالصحن من جامع الأندلس شرقه الله بذكره ، وأنفق فى ذلك أموالا كثيرة من بيت المال .

وفىها بنا مصلا عدوة القرويين وأمر أن لا يصلا بمضلا الاندلس ، فأقام الناس يصلون بعدوة القرويين ثلاث سنين ، ثم عادوا يصلون بالاندلس والقرويين كما كانوا بعد ان شهد أنها قديمة ، فأقام الناصر بمدينة مراكش سنة خمس وستمئة وسنة ست بعد ، فاتصلت به الأخبار من الاندلس أن الفونسو الثامن ملك قشتالية لعنه الله يفتك فى بلاد الاسلام

146) فى الأصل سنة احدا وستمئة ، والصواب أن تسليم المهديّة للموحدين وقع يوم 27 جمادى الأولى عام 602 (II يناير سنة 1206 م) .
147) فى الأصل المدينة .

ويضرب على قراها وعلى حصونها يقتل الرجال ويسبى النساء والأموال ، فاستغاث أهلها بالناصر أمير المؤمنين ، فأخذ في الحركة للجهاد ، وفرق الأموال على القواد والأجناد ، وكتب الى جميع بلاد المغرب وأفريقية وبلاد القبلة يستنفر المسلمين لغزو الكافرين ، فأجابه خلق كثير ، وألزم كل قبيلة من قبائل المغرب حصة خيلا ورجالا يخرجون معه للجهاد ، فقدمت عليه الجيوش من سائر الأمصار ، وسارع الناس نحوه خفافا وثقالا من الأفاق والأقطار ، فلما تكاملت لديه الوفود ، واستوفت عليه الجنود والحشود ، خرج من حضرة مراكش في يوم السبت عشرين (١٤٨) من شعبان المكرم سنة سبع وستمئة (٥ يبرابر ١٢١١ م) فسار حتى وصل الى قصر الجواز فنزل فيه وأخذ في تجويز الناس ، فأقام بقصر الجواز يجوز العساكر والقبائل والخيال والعدد من أول شهر شوال الى آخر شهر ذي قعدة من سنة سبع وستمئة ، فلما تكامل المجاهدون بالجواز جاز هو في أثرهم ، فنزل بساحل طريف ، وذلك في يوم الاثنين الخامس والعشرين لذي قعدة المذكورة ، فتلقاه هناك جميع قواد بلاد الأندلس وفقهائها وصلحائها ، فسلموا عليه ، وأقام بطريف ثلاثة أيام ، وارتحل الى اشبيلية في جيوش لاتحسا وأمم كالجراد المنتشر قد ملأت السهل والوعر ، وضاق بهم المتسع والنجد والغور ، فأدرك الناصر الاعجاب لما رأى من كثرة جنوده ، فقسم الناس على خمس فرق ، فجعل العرب فرقة ، والمطوعة فرقة وكانوا مئة وستين الفا مابين فارس وراجل ، وقواد الأندلس وحشودها فرقة ، والموحدين فرقة ، وأمر كل فرقة ان تنزل ناحية ، فوصل الى اشبيلية في السابع عشر من ذي حجة من سنة سبع المذكورة (٢ يونيو) ، فأقام بها واهتزت جميع بلاد الروم بجوازه ، ووقع خوفه في قلوب ملوكهم ، واخذوا في تحصين بلادهم ، واخلاء ما قرب من المسلمين من قراهم وحصونهم ، وكتب اليه أكثر أمرائهم يسألون سلامته ويطلبون منه عفوه ، وجاءه منهم

ملك بيونة (١٤٩) مستمسلا خاضعا مستصغرا يطلب صلحه ويسأل منه عفوه وصفحه .

ولما سمع هاذا اللعين بدخول أمير المومنين الى اشبيلية أدركه الخوف فبادر الى المداراة عن نفسه ، وبلاده ، فبعث رسوله اليه يستأذنه فى القدوم بجملته عليه ، فأذن له أمير المومنين فى الوصول ، وكتب الى كل بلد من بلاد الأندلس هي على طريق هاذا اللعين اذا مر بهم أن يضيفوه ثلاثة أيام ، فاذا عزم على الرحيل فى اليوم الرابع يحبسونه بها عندهم من جنسه ألف فارس ، فخرج هاذا اللعين من قاعدة ملكه بيونة قاصدا ودخيلا الى أمير المومنين ، فكان اذا وصل بلدا فى بلاد المسلمين تلقاه قوادها وأجنادها ، وبرز اليه أهلها فى أكمل عدة وأحسن هيئة وأضافوه ثلاثة أيام خير ضيافة، فاذا كان يوم رحيلهم حبسوا له ألف فارس من جيشه ، فلم يزالوا يفعلون ذلك به الى ان وصل مدينة قرمونة ، ولم يبق معه من جيشه غير ألف فارس ، فأقام فى ضيافة أهلها ثلاثة أيام ، فلما أراد الرحيل فى اليوم الرابع حبست الألف فارس الباقية معه ، فقال لقوادها كيف تمسكونها ولم يبق لى مع من أسير غيرها ، قالوا له تسير فى ذمة أمير المومنين وتحت ظلال سيوفه ، فخرج لعنه الله من قرمونه فى خاصته وزوجته وخدامه وهديته التي قدم بها الى الناصر ، وقدم بين يديه كتاب النبي صلا الله عليه وسلم الذي كتبه الى هرقل ملك الروم يستشفع له به ويعلمه ان الملك عنده موروث كابرا عن كابر ، فكان هاذا الكتاب عندهم يتوارثونه محفوظا مطيبا فى حلة خضراء فى وسط صندوق من ذهب مملوئا مسكا تعظيما له واجلالا لحقه ، وأمر أمير المومنين محمد الناصر أن يجعل له بروز من باب مدينة قرمونه الى باب اشبيلية ، فاصطفت الخيل والرجال أمامها عن اليمين والشمال صفين بالثياب الحسنة والعدة الكاملة والسيوف المصلتة والرماح المشرعة والقسي الماثورة من قرمونه الى اشبيلية أربعين ميلا او

(١٤٩) لعل الذى قدم على الناصر لاشبيلية هو ملك بنبلونة لابيونة . ينظر عن هاذة المسألة كتاب تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين تأليف الأستاذ محمد عبد الله عنان 2 : 290 .

نحوها ، فخرج ملك بيونة يمشى تحت ظلال سيوف المسلمين ورماحهم فلما قرب من اشبيلية أمر أمير المومنين الناصر بالقبة الحمراء ان تضرب له بخارج المدينة مما يلي قرمونه ، ويجعل له فيها ثلاث مراتب ، ثم سار عن يحفظ لسان العجمية من القواد ، فقتل له أبو الجيوش عساكر ، فأمر باحضاره ، فحضر بين يديه ، فقال له ياأبا الجيوش : ان هذا الكافر قد قدم علي ولا بد من اكرامه ، فان قمت له من مجلسي اذا دخل كنت قد تدممت وخالفت السنة فى قيامي لرجل كافر بالله تعالا ، وان قعدت ولم أقم له كنت مقصرا فى حقه وهو ملك كبير وضيغ وارد ، ودخيل قاصد ، ولكنى أملك أن تقعد فى المرتبة التي فى وسط القبة ، فاذا دخل العلج من باب القبة دخلت أنا من الباب المقابل ، فتقوم أنت فتأخذ بيدي فتقعدى عن يمينك ، وتأخذ بيده أيضا فتقعده عن شمالك ، ثم تكون بعدها تترجم بيننا ، فقعد القائد أبو الجيوش فى وسط القبة ، فلما دخلا عليه أقعد الناصر عن اليمين ، وملك بيونة عن الشمال ، ثم قال له هاذا أمير المومنين ، فسلم عليه ، ثم تكلم بما يجب وتحدثا مليا ، ثم ركب أمير المومنين وركب أمير بيونة متأخرا عنه قليلا ، وركب الموحدون وجيوش المجاهدين وحشر الناس ضحا ، وصنع أهل اشبيلية بروزا عظيما ، وكان عندهم من الأيام المشهورة ، فدخل الناصر اشبيلية وملك بيونة على أثره قريبا ، فأنزله بداخل المدينة ، وأعطاه تحفا وصالحه صلحا مؤبدا مادامت مدة الموحدين ، ثم صرفه الى بلاده مكرما مسعفا بجميع مطالبه ، وخرج الناصر فى أثره قاصدا لغزو بلاد قشتيلية ، وذلك فى أول يوم من صفر سنة ثمان وستمئة (الجمعة ١٥ يوليوز ١٢١١ م) فسار حتى نزل حصن شلبطرة وهو حصن عظيم على رأس جبل عال قد تعلق بعنان السماء ، ليس له مسلك الا طريق واحد فى أوعار ومضايق ، نزل عليه وأدار به الجيوش وأخذ فى قتاله ونصب عليه أربعين منجنيقا فهتك أرباضه ولم يقدر منه على شيء ، وكان وزيره أبو سعيد ابن جامع لم يكن شريف النسب فى الموحدين ، فلما ولي حجابة الناصر ووزارته أخذ يقهر أعيان الموحدين ويهين أهل الشرف منهم حتى فر من بساط محمد

الناصر أكثر الأشياخ الذين قام الأمر بهم ، فانفرد بالخدمة هو ورجل معدل يعرف بابن منشا ، فكان الناصر لايقطع أمرا الا بمشورتها ، فلما مر الناصر بهذا الحصن يريد قشتيلية تعجب من منعته ، فقالا له يا أمير المؤمنين لاتجاوزه حتى تفتحه فيكون أول الفتح ان شاء الله ، فيقال انه أقام على ذلك الحصن حتى عشى الخطاف فى خبائه وباض وأقرخ وأطار أفراخه ، من طول مقامه ، فأقام على ذلك الحصن ثمانية أشهر ، ودخل فصل الشتاء واشتد البرد وقلت العلوقات ، وفنيت أزواد الناس ونفذت نفقاتهم وكلت عزائمهم ، وفسدت نياتهم التي قصدوا بها للجهاد، وقنط الناس من المقام وانقطعت المواد من المحلة وغلت بها الأسعار ، فلما تحقق عدو الله الفونسو الثامن ذلك وعلم ان شوكة المسلمين قد انكسرت والحدة التي قدموا بها قد خمدت انزعج لطلب الثأر ، ورفع صلبانه فى جميع بلاد الكفار ، فجاءته ملوك الروم فى جيوشهم مستعدين غاية الاستعداد ، قد شمروا للطعان والجلاد ، وأقبل نحوه عباد سانظامرية وأظهروا حمية الجاهلية ، فلما استوفت لدى ألفونسو الثامن جيوشه وحشوده ، وتكاملت لديه وفوده ، أقبل فى جيوشه حتى نزل ثغرا من ثغور المسلمين يسما قلعة رباح ، كان فيها القائد الأجل المشهور ، البطل الشجاع المذكور ، أبو الحجاج ابن قادس فى سبعين فارسا من أنجاد المسلمين يضبط بهم ذلك الثغر ، فحاصره وشرع فى قتاله ، وضيق عليه تضيقا كثيرا ، وابن قادس صابر لقتاله يبعث فى كل يوم كتابا الى أمير المؤمنين محمد الناصر يعلمه بحاله ، ويستنصره على أعدائه ، وهو على شلبطرة ، فكانت كتبه اذا وصلت الى الوزير حبسها ولم يطلع أمير المؤمنين عليها ليلا يقلع عن الحصن قبل ان يفتحه ، وكان ذلك غشا منه لأمير المؤمنين محمد الناصر ولجميع المسلمين ، فانه لم يكن يخبره بشيء من أخبار بلاده ولا من أمور رعيته ، ويخفى عنه مهمات الأمور التي لاينبغى أن يغفل عنها ولا يتهاون بها ، فلما طال الحصار على ابن قادس ونفذ ماكان عنده بالحصن من الأقوات والسهام ويئس من الاغاثة وخشي

أن يدخل الحصن على من به من المسلمين (١٥٠) فلما خرج المسلمون من حصن قلعة رباح وملكه العدو وسار ابن قادس الى أمير المؤمنين تبعه صهرد وكان مثله في النجدة ، فعزم عليه ابن قادس أن يرجع ويتركه يمشى وحده ، وقال له : ارجع فاني والله مقتول لامحالة ، ولا أعيش بعدها أبدا ، لكنى بعث نفسي من الله تعالا بسلامة من كان في الحصن من المسلمين ، فأبأ أن يرجع ، وقال له لآخر في الحياة بعدك ، فلما وصلا الى محلة الناصر تلقاهما قواد الأندلس يسلمون عليهما ، فاتصل خبرهما بابن جامع الوزير ، فخرج اليهما مسرعا وأمر العبيد أن ينزلوهم بالعنف ، فأنزلا ، وكتفا ، وقال لايدخل على أمير المؤمنين فاجر ، ثم دخر فأغرا الناصر بهما حتى أمر بقتلهما ، فخرج فأمر عليهما بالرمح فقتلا في الحين ، فجمد الناس عند قتلها وحقدوا على محمد الناصر وفسدت نيات قواد الأندلس ، ثم خرج الوزير ابن جامع الى مخيم الساقية فأمر باحضار قواد الأندلس ، فأحضروا بين يديه فقال لهم اعتزلوا من جيش الموحيدين فلاحاجة لنا بكم كما قال الله تعالا (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم) ، وسننظر بعد هاذة المقابلة في أمر كل فاجر ، فلما سمع محمد الناصر بأقبال الفونسو الثامن وتملكه قلعة رباح التي هي أمنع ثغور المسلمين شق ذلك عليه حتى امتنع من الطعام والشراب حتى مرض من شدة ما تغير لذلك ، ثم شرع في قتال شلبطرة وبذل الأموال الجلييلة في حقها حتى فتحها صلحا ، وذلك في أخر ذي حجة من سنة ثمان وستمئة .

فلما سمع الفونسو الثامن ان محمد الناصر قد فتح شلبطرة تحرك نحوه بجميع من كان معه من ملوك الروم وحشودهم ، فاتصل خبر قدومه بالناصر فقصد الى قتاله بجيوش المسلمين ، فالتقا الجمعان بموضع يسما بحصن العقاب ، فكانت المقابلة به ، فضربت القبة الحمراء المعدة لقتال الأعداء على رأس ربوة ، وأتا الناصر حتى نزل بها وقعد على

دركته وغرسه أمامه ، ودارت العبيد بالقبّة من كل ناحية كلهم بالسلاح والعدة ، ووقفت الساقات والبنود والطبول أمام العبيد مع الوزير ابي سعيد ابن جامع ، فأقبلت اليهم جيوش الروم على مصافها كأنهم الجراد المنتشر ، فتلقاهم المنطوعة وحملوا عليهم أجمعين ، وكانوا مئة وستين ألفا فقاموا فى صفوفهم فانطبقت عليهم جيوش الروم فاقتتلوا قتالا شديدا وصبر المسلمون لهم صبورا جميلا ، واستشهد المنطوعة عن آخرهم وعساكر الموحدين والعرب وقواد الأندلس ينظرون اليهم لم يتحرك منهم أحد ، فلما فرغ الروم من المنطوعة حملوا بأجمعهم على عساكر الموحدين والعرب حملة منكرة ، فلما انتشب القتال بين الفريقين فر قواد الأندلس وحشودها لما كانوا حقدوا فى قلوبهم من قتل ابن قادس وتهديد ابن جامع وطرده اياهم ، فلما رأوا الموحدون والعرب وقبائل العرب ان المنطوعة قد قتلوا وجيوش الأندلس قد فروا وكثر القتل فيمن بقي وتكاثرت عليهم المروم انهزموا أمامهم ، وانكشفوا عن محمد الناصر ، وركبهم الروم بالسيف حتى وصلوا الى الدائرة التي دارت على الناصر من العبيد والحشم ، فوجدوها كالبناء المرصوص ، فلم يستطيعوا دخولها ، فردوا أكفال الخيل المدرعة الى رماح العبيد وهي مصوبة اليهم فدخلوا فيها والناصر قاعد على درةته أمام خبائه يقول صدق الرحمان ، كذب الشيطان ! وهو فى مكانه لا يتزحزح حتى كادت الروم ان تصل اليه ، وقتل حوله من عبيد الدائرة ما يزيد على عشرة آلاف عبد ، فأقبل اليه أعرابى على فرس اثنا فقال له الى متى تعودك يا أمير المؤمنين ؟ قد نفذ حكم الله وتم مراده وفني المسلمون ، فحينئذ قام الى جواد سابق كان أمامه ليركبه ، فنزل الأعرابى عن الفرس التي كان عليها وقال له اركب هاذة الحرة فانها لاترضى بعار ، فعل الله عز وجل ان يسلمك عليها ، فان فى سلامتك الخير كله ! فركبها وركب العربي جواده ، وتقدم أمامه فى كبكة عظيمة من العبيد دائرة بهم ، والروم فى أعقابهم ، وبقي القتل فى المسلمين الى الليل ، وتحكمت فيهم سيوف الروم فاستأصلوهم حتى فني جميعهم ولم ينج منهم الا الواحد فى الألف ، ونادا منادي الفونسو الثامن أن لا أسر

الا القتل ، ومن أتا بأسير قتل هو وأسيره ، فلم يأسر العدو فى هاذه الوقعة أحدا من المسلمين ، وكانت هاذه الكائنة المهمة والرزية العظيمة يوم الاثنين الخامس عشر من صفر سنة تسع وستمئة (١٦ يوليوز ١٢١١ م) فذهبت قوة المسلمين بالاندلس من تلك الهزيمة ، ولم تنصرلهم راية بها ، فاستطال العدو عليها فملك معاقلها واستحوذ على أكثر بلادها حتى كاد أن يملك جميعها لولا أن الله عز وجل تداركها بجواز أمير المومنين يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ورضي عنه ، فأحيا نمارها وأقام منارها وغزا بلاد الكفرة فدمرها .

ولما فرغ الفونسو الثامن لعنه الله من وقعة العقاب سار الى مدينة أبة فدخلها على المسلمين بالسيف عنوة فلم يحي فيها ذكرا كبيرا ولا صغيرا ، ومن بعدها لم يزل يملك بلاد الأندلس بلدا بعد بلد حتى استولا على جميع قواعدها ولم يبق بأيدي المسلمين منها الا النزر اليسير ، ولم يوقفهم على أخذ تلك البقية الا حماية الله عز وجل لها على يد الدولة المرينية خلد الله ملكها ، ويقال انه لم يبق من ملوك الروم الذين حضروا وقعة العقاب ودخول أبة أحد الامات فى تلك السنة بعينها .

ولما وصل محمد الناصر من هزيمة العقاب قدم الى اشبيلية فدخلها فى العشر الأواخر من ذي الحجة من العام المذكور ، وكان الناصر قد أدركه الاعجاب فى هاذه الغزاة واغتر بكثرة جنوده وتوافر جيوشه وحشوده ، لأنه اجتمع فى تلك الحركة من المقاتلين خيلا ورجالا مالم يجتمع ملك قبله ، عد فى عسكريه من المتطوعة مئة وستون ألفا بين فارس وراجل ، ومن الرجال المشيودين ثلاثمئة ألف راجل ، ومن العبيد الذين يمشون بين يديه بالحرايب ويدورون حوله ثلاثون ألف عبد ، ومن الرماة والأغزاز عشرة الاف ، دون المرتزقة من الموحيدين وزناتة والعرب وغيرهم ، فاعتمد على كثرة جنوده ، وظن أن لاغالب له من الناس ، فأراه الله عز وجل تلك الآية ليعلم أن النصر من الله عز وجل ، وان القدرة والحول والقوة بيد الله سبحانه وتعالى .

ولما وصل الناصر لمراكش عند انصرافه من العقاب أخذ البيعة لولده

السيد يوسف الملقب بالمستنصر ، فبايعه كافة الموحدين ، وخطب له في جميع منابرهم ، وذلك في العشرة الأخيرة من ذي الحجة من سنة تسع وستمئة المذكورة ، فلما تمت له البيعة دخل الناصر قصره فاحتجب فيه عن الناس ، وانغمس في لذاته ، فأقام فيها مصطبحا ومغتبقا الى شهر شعبان المكرم من سنة عشرة وستمئة ، فمات مسموما بأمر وزرائه ، دسوا اليه من سمه من جواريه في كأس خمر فمات من حينه ، لأنه كان قد عزم على قتلهم فعاجلوه قبل ذلك ، فكانت وفاته يوم الأربعاء الحادي عشر لشعبان من عام عشرة المذكورة (٢٢ دجنبر سنة ١٢١١ م) بقصره من قصبة مراكش ، فكانت أيام دولة خمسة ألاف يوم وأربعمئة يوم وواحدا وخمسين يوما ، يجب لها من السنين خمس عشرة سنة ، وأربعة أشهر ، وثمانية عشر يوما ، أولها يوم الجمعة الثاني والعشرون لربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمئة ، وهو الذي يبيع فيه بعد وفاة أبيه ، وأخرها يوم الأربعاء الحادي عشر لشعبان من سنة عشر وستمئة ، وهو الذي توفي في غرته .

الخبر عن دولة أمير المومنين يوسف المنتصر بالله

ابن محمد الناصر ، ابن يعقوب المنصور ، ابن يوسف ، بن عبد المومن بن علي

رحمهم الله

هو أمير المومنين يوسف بن محمد الناصر ، ابن يعقوب المنصور ، ابن يوسف الشهيد ، ابن عبد المومن .

لقبه : المنتصر بالله .

كنيته : أبو يعقوب .

صفته : شاب السن ، حسن القد ، أزهر اللون ، جميل الصورة ،

أقنا الأنف ، سبط الشعر .

كتابه: : كتاب أبيه .

وزراؤه : أعمامه ، وهم الذين كانوا يدبرون الدولة مع الاشياخ ،
لانه كان حين بويع صغير السن كما راهق الحلم ، لاحكمة له ولا تجربة
ولا معرفة بالأمور ، فأقام أشياخ الموحددين دولته مع أشياخ من أعمامه ،
فاستقرت خلافته لأجل ذلك ، ولم ينازع عليها ، ولم يغز فى أيامه ولم
يقدر عليه ، وكانت أوامره لاتمتثل ، وكل من ولي بلدا عمل فيه برأيه ،
واستبد فيه بأمره ، فضعت دولة الموحددين فى أيامه ، واعتراها النقص
وأخذت فى الادبار ، الا أن أيامه كانت أيام هدنة ودعة وعافية ، فلما كبر
واستقل بأمره ونهيه واستبد بملكه فرق أعمامه من حوالية الذين كانوا
يدبرون أمر دولته وأقاموها وأشياخ الموحددين الذين أسسوها ، وقرب
أناسا لم يكن لهم أصل فيها ، فبعث الى الأندلس عمه محمد بن يعقوب
المنصور وولاه بلنسية وشاطبة ، وولا عمه عبد الله بن يعقوب المنصور
مرسية ودانية وأحوازهما ، وبعث معه الشيخ عبد الرحمان بن برجان
وكان من أشياخ الموحددين ودهاتهم ، وبعث عمه ادريس الكبير الى أفريقية
لمدافعة الميورقى ، وادريس هو الذي بنا البرجين اللذين على باب المهديّة
وحصنها ، وهو الذي بنا برج الذهب باشبيلية أيام ولايته عليها فى حياة
أبيه ، فأقام بأفريقية مدة ثم عزله عنها وولا مكانه الشيخ عبد الله ابن
أبى حفص .

وفى سنة أربع عشرة وستمئة هزم المسلمون بقصر أبى دانس (١٥١)
وهي من الهزائم الكبار التى تقرب من هزيمته العقاب ، لأن العدو كان
قد نزل قصر أبى دانس وحاصره فخرج جيش اشبيلية وجيش قرطبة
وجيش جيان وجنود بلاد غرب الأندلس بأمر أمير المومنين يوسف المنتصر
لاعانتة واستنقاذه فساروا نحوهم فلم تجتمع العين بالعين الا والمسلمون
قد خامر قلوبهم الرعب وولوا الأدبار وأخذوا فى الفرار لما سبق لهم من
الرعب فى هزيمة العقاب ، لأن العدو كان قد تكالب وقوي واستأنس ،

فركبهم بالسيف وقتلهم عن آخرهم ورجع الفونسو الثاني ملك البرتغال الى قصر أبى دانس فحاصره حتى دخله بالسيف فقتل كل من به من المسلمين .

وفى سنة عشرين وستمئة توفي أمير المومنين يوسف بمراكش ، وكانت وفاته فجأة ضربته بقرة بقرنها على قلبه فمات من حينه لأنه كان مولعا بالبقر والخيول ، كان يوتا بالبقر من الأندلس فيستنتجها فى رياضه الكبير من حضرة مراكش ، فخرج فى عشي اليوم الذي توفي فيه لينظر اليهم ، وكان قد ركب فنيشا فمشا به بين البقر فقصدت اليه بقرة منهن كانت شرودة فضربته فمات ، وذلك فى عشي يوم السبت الثانى عشر لذى حجة سنة عشرين وستمئة (٦ يناير سنة ١٢٢٤ م) ، وتوفي ولم يعقب الا حملا من جارية ، ولم يخرج من حضرة مراكش طول خلافته الى أن توفي وكانت أوامره لايمتثل أكثرها لضعفه وليانته وادمانه على الخلاعة وركبته الى اللذات وتفويضه أمر مملكته ومهمات أموره الى السفلة .

أيامه فى الملك ثلاثة ألاف يوم وستمئة يوم وخمسة وعشرون يوما ، لها من السنين عشرة أعوام وأربعة أشهر ويومان ، أولها يوم الأربعاء الحادي عشر لشعبان من سنة عشر وستمئة ، وهو اليوم الذي بويع فيه ، وأخرها يوم السبت الثانى عشر لذى حجة سنة عشرين وستمئة حكاه من شهد موته ممن أدركه من الثقب .

الخبر عن دولة أمير المومنين عبد الواحد المخلوع

رحمه الله

هو أمير المومنين أبو محمد عبد الواحد ابن أمير المومنين يوسف ابن عبد المومن بن علي الكومى الموحدى ، بايعه أشياخ الموحدين على كره منه بقبة النصر من قسبة مراكش ، وذلك فى ضحا يوم الأحد الثالث عشر من ذى حجة سنة عشرين وستمئة (٧ يناير سنة ١٢٢٤ م) وهو

يومئذ فى سن الشيخوخة ، فكانت خلافته منسوخة ، وكان رجلا صالحا
فاضلا متورعا ، فاستقام له الأمر شهرين ، وخطب له فى جميع طاعة
الموحدين ماعدا مرسية ، فان ابن أخيه السيد عبد الله الملقب بالعدل كان
واليا عليها وكان وزيره الشيخ ابو زيد بن برجان المعروف بالأصفر وكان
أحد دهاة الموحدين ، كان المنصور اذا رآه يستعيز بالله من شره ، ويقول
مايجرى على يدك من الفتن يا أصفر ، فلما وصلت بيعة أمير المؤمنين
عبد الواحد الى مرسية قال أبوزيد بن برجان للسيد عبد الله ابن المنصور
اياك أن تباع عبد الواحد فانك أحق بالخلافة وأقرب اليها منه ، أنت ولد
المنصور ، وأخو الناصر ، وعم المنتصر ، ولك الحزم ، والعقل الراجح
والكرم ، وحسن السياسة واصابة الرأي ، ولو دعوت الموحدين الى
بيعتك لم يختلف عليك اثنان ، فدع التواني وبادر الى فسخ أمره قبل التمكين ،
فخرج السيد عبد الله من فورهِ ذلك الى مجلس حكمه ، فبعث الى من
بمرسية وأحوازها من الموحدين والفقهاء والأشياخ فدعاهم الى بيعته
قبايعه ، ثم كتب الى أخيه السيد ادريس والى اشبيلية يدعوه الى بيعته
قبايعه وأخذ له البيعة أهل اشبيلية ومن بها من الموحدين وامتنع سائر
البلاد عن بيعته ، فلما رآ العادل أن الناس قد سبقوا الى بيعة عبد
الواحد كتب الى أشياخ الموحدين الذين بحضرة مراکش يدعوهم الى بيعته
وخلع عبد الواحد ووعدهم على ذلك بالأموال الجزيلة والمنزلة الرفيعة
والولايات العظيمة ، فسارعوا الى مادعاهم اليه فدخلوا على أمير
المؤمنين عبد الواحد فهددوه وخوقوه بالقتل الا ان يخلع نفسه ويباع
العدل ، فأجابهم الى ذلك ، فخرجوا ووكلوا بالقصر من يحفظه ، وذلك
يوم السبت الحادي والعشرين من شعبان المكرم من سنة احدى وعشرين
وستمئة ، فلما كان فى يوم الأحد التالى له دخلوا عليه القصر وأحضروا
القاضي والفقهاء والأشياخ فأشهد على نفسه بالخلع وبإيع العادل ، ثم
انهم دخلوا عليه بعد ثلاثة عشر يوما من خلعه فخنقوه حتى مات وانتهبوا
قصره وأخذوا أمواله وسبوا حريمه وهتكوا ستره ، فكان أول من خلع
وقتل من بنى عبد المؤمن ، ولم يكن ذلك فيمن تقدمهم من ملوكهم ،

ورجع أشياخ الموحدين كالأتراك مع بنى العباس ، فكان فعلهم ذلك سببا لخراب دولتهم ، وذهاب سلطاتهم ، وقتل ملوكهم وأشياخهم ، وهو أول باب فتحه القرم على أنفسهم للفتنة .

وكانت وفاة عبد الواحد المخلوع المخنوق ليلة الأربعاء الخامس من شهر رمضان المعظم سنة احدى وعشرين وستمئة (٢٠ شتنبر ١٢٢٤ م) ، فجميع دولته منثا يوم اثنتان وخمسة وأربعون يوما يجب لها من الشهور ثمانية أشهر وخمسة أيام ، أولها الأحد وأخرها السبت ولا حول ولا قوة الا بالله .

وقد اختصر صاحب (نظم السلوك) دولة عبد الواحد فى رجزه فقال :

قد قام بالملك أخو المنصور	وخلعه من أعظم الأمور
قد قتلوه بعد ما قد خلعا	ولم يخافوا القتل والسبي معا
فى قتل عبد الواحد بن يوسف	قد ركبوا أمرا لهم لم يعرف
ورجع الأشياخ كالاتراك	مع بنى العباس فى الأملاك
قد دبروا لجهلهم تدبيرا	كان على ملكهم تدميرا
بفعلهم كان خراب الدوله	وقتلهم فى الأرض شر قتله

الخبر عن دولة أمير المومنين عبد الله العادل

ابن يعقوب المنصور رحمه الله

هو أمير المومنين عبد الله بن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المومن الكومى .

لقبه : العادل فى أحكام الله تعالا .

كنيته : أبو محمد

أمه : أم ولد رومية من سبي شنترين ، اسمها سر الحسن .

صفته : أبيض اللون ، تام القد ، نحيل الجسم ، أشهل العينين
أقنا الأنف ، خفيف العارضين ، حازم فى أموره قبل خلوص الأمر له
مؤثر هواه على أمر دينه .

ببيع له البيعة الأولى بمصرية فى نصف صفر من سنة احدا وعشرين
وستمئة ، وخلص له الأمر واجتمع على بيعته كافة الموحدين ماعدا أهل
افريقية ، وخطب له بحضرة مراكش وسائر بلاد العدو والأندلس بعد
خلع عمه عبد الواحد وذلك يوم الاحد الثانى والعشرين لشعبان المكره
سنة احدا وعشرين المذكورة ، وتوقف عن بيعته السيد عبد الرحمان ابن
السيد ادريس بن يوسف بن عبد المومن صاحب بلنسية وشاطبة ودانية
وكذلك توقف عن بيعته عمال افريقية المحفصيون واستبدوا لأنفسهم فلم
يستقم له أمر لأجل ذلك .

ولما رأى السيد عبد الله بن السيد محمد بن ادريس بن يوسف أخاه
السيد عبد الرحمان توقف عن بيعة العادل وضبط بلاده قام هو أيضا
ببياسة ، وقرطبة وجيان وقيجاطة وحصون الثغر الأوسط وسمى البياسى
لقيامه ببياسة ، ف وقعت الفتن فى بنى عبد المومن وابتدأت فيهم المحن ،
فبعث إليه العادل أخاه السيد ادريس فى جيش كثيف فحاصره ببياسة ،
فلما اشتد عليه الحصار صالحه مكرًا منه ، وباع العادل ، فلما ارتحل
عنه ادريس عاد الى نكته وبعث الى الفونسو يستنصر به على العادل
على أن يعطيه بياسة وقيجاطة ، فكان أول من سن اعطاء البلاد والحصون
للروم ، فبعث اليه الفونسو بجيش من عشرة آلاف فارس ، فلما وصله
الجيش جمع خيله وحشده وخرج من قرطبة يريد اشبيلية حتى قرب منها،
فخرج اليه السيد ادريس فى جيش من الأجناد والحشود ، فالتقا الجمعان
وتقاتلوا قتالا شديدا هزم فيه السيد ادريس واحتوا البياسى والروم الذين
معه على جميع ماكان فى محلته من سلاح ودواب وغير ذلك .

فلما رأى أن جيشه قد هزم وقتل جنده خاف ان يتغلب عليه البياسى
ويفوته مقصوده من الخلافة ، فجاز من الأندلس الى العدو ، فوصل
لمراكش واستقر فى قصر الخلافة وفوض أمر الأندلس الى أخيه ادريس ،

فأقام إدريس عاملاً للعدل إلى شهر شوال من سنة أربع وعشرين ، فنكث بيعته ، وقام عليه ودعا لنفسه ، وتلقب بالمامون ، فبايعه أهل اشبيلية وجميع بلاد الأندلس فلما تمت بيعته بالأندلس كتب إلى الموحدين الذين بمراكش مع أخيه يعلمهم باجتماع بلاد الأندلس ومن بها من الموحدين على بيعته وخلع أخيه العدل ، ويدعوهم مع ذلك إلى بيعته والدخول في طاعته ، ووعدهم ومناهم ، فكان منهم من تردد في أمره ، ثم اجتمع رأيهم على خلع العدل ، ، فدخلوا عليه القصر وسألوه أن يخلع نفسه فامتنع فجعلوا رأسه في خصة تفور بالماء وقالوا لا تفارقك أو تشهد على نفسك بالخلع وتبايع لأخيك المأمون ، فقال لهم اصنعوا ما بدا لكم ، أنا لا أموت إلا أمير المؤمنين ! فجعلوا عمامته في عنقه وخنقوه بها ورأسه في ماء الخصة حتى مات ، وذلك في يوم الثلاثاء الحادي والعشرين لشوال من سنة أربع وعشرين وستمئة ، وكتبوا البيعة إلى المأمون ، وبعثوا بها إليه مع البريد ، ثم بدا لهم في بيعته المأمون بعد انصراف البريد بها ، فنكثوا بيعته وبايعوا يحيى بن محمد الناصر ، فكانت أيامه من حين بويج بمرسية إلى أن توفي ثلاث سنين وسبعة أشهر وتسعة أيام .

الخبر عن دولة أمير المؤمنين يحيى بن محمد الناصر

ومزاحمته لعمه إدريس المأمون

- هو أمير المؤمنين يحيى ، ابن محمد الناصر ، ابن يعقوب المنصور ، ابن يوسف ، بن عبد المؤمن بن علي .
- كنيته : أبو زكرياء وقيل أبو سليمان .
 - لقبه : المعتصم بالله .
 - صفته : شاب السن ، حسن القد والوجه ، أدم اللون ، خفيف العارضين ، أشقر الشعر .

اجتمع أشياخ الموحدين على بيعته بعد بيعتهم للمامون وقتلهم العادل .
وسبب اجتماعهم على بيعته أنهم كتبوا للمامون بالبيعة وبعثوا بها اليه
ثم ندموا وخافوا لما يعرفون من شهامة المامون وشدة سطوته وكونه
قتلوا عمه عبد الواحد المخلوع ، ثم أخاه العادل ، فخافوا ان يطلبهم بتأثر
من قتلوه من قرابته ، فلجأوا الى يحيى فبايعوه لصغر سنه ، فانه كان يود
ببيع ابن ست عشرة سنة ، فبايعوه بجامع المنصور من قسبة مراكش
بعد صلاة العصر من يوم الاثنين الثامن والعشرين لشوال سنة أربع
وعشرين وستمئة (١١ اكتوبر سنة ١٢٢٧ م) ، فامتنع من بيعته عرب
الخلط وقبائل هسكورة ، وقالوا قد بايعنا ادريس المامون فلا ننتكث بيعته .
فجهز لهم يحيى جيشا من الموحدين والأجناد وبعثهم الى قتالهم فهزموهم
الخلط وهسكورة ، وهم فى طاعة المامون ، ورجع جل الموحدين منهزمين
الى مراكش بعد أن قتل منهم خلق كثير ، وتوالت فى أيامه على عساكره
الهزائم والقتل والأسر وسلبت أموالهم وتبدلت أحوالهم .

ولما تمت بيعته بمراكش بعث الى الشيخ عبد الرحمان ابن برجان
وابنه عبد الله فحضرهما وأمر بتعليق رؤوسهما على باب الكحل ،
وطيف بجسديهما فى المدينة ، وأقام يحيى بمراكش شهرا من ولايته ،
فاضطربت عليه البلاد وغلت الأسعار وخيفت الطرق وفشا الفساد والخراب
فى المغرب لكثرة الفتن ، وعاد أشياخ الموحدين يعبثون ببنى عبد المومن ،
يبايعون وينكثون ، ويخلعون ويقتلون ، فلما رأى اختلاف الموحدين عليه
واضطراب أموره لديهم بسبب بيعة أكثرهم للمامون خرج فارا عن حضرة
مراكش الى تينمل ، وذلك فى شهر جمادا الأخيرة من سنة ست وعشرين
وستمئة ، فقدم من كان بمراكش من أشياخ الموحدين واليا عليها يضبطها
للمامون ، وجددوا له البيعة ، وكتبوا له يخبرونه بقرار يحيى عنها الى
تينمل ويسألونه القدوم عليهم ، فأقام يحيى بتينمل أربعة أشهر ثم بدا له
فرجع الى مراكش فدخلها وقتل عامل المامون الذي كان بها ، وخرج عنها
بعد أن أقام بها سبعة أيام ، فنزل بين الجبلين منتظرا لقدم المامون
وقتاله ، ولم يزل يحيى ينازع المامون وولده الرشيد الى ان قتل بفتح عبد

الله من أحواز رباط تازة ، قتله عرب المعقل غدرا ، وذلك فى يوم
الخميس الثامن والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ثلاث و ثلاثين
وستمئة (٥ يونيو سنة ١٢٢٦ م) وحمل رأسه الى الرشيد بمراكش .
فجميع دولة يحيا المعتصم ثلاثة ألاف يوم ومئة يوم وسبعة وتسعون
يوما ، أولها يوم الاثنين الذى بويع فيه وأخرها يوم الاربعاء لكونه قتل
يوم الخميس التالى له ، يجب لها من السنين تسعة أعوام ، وتسعة أيام ،
كلها فتن ومزاحمة للمأمون والرشيد .

الخبر عن دولة أمير المومنين ادريس الملقب بالمامون ابن يعقوب المنصور الموحدى

هو أمير المومنين ادريس المامون ، ابن يعقوب المنصور ، ابن يوسف ،
ابن عبد المومن بن علي .
كنيته : أبو العلاء .
لقبه : المامون .
أمه : حرة اسمها صفية بنت الأمير محمد بن سعد ابن مردنيش .
صفته : كان أبيض اللون ، أكحل العينين ، معتدل القد ، مليح
الوجه ، فصيح اللسان ، فقيها حافظا لحديث النبي صلا الله عليه وسلم ،
ضابطا للرواية عارفا بالقراآت ، حسن الصوت والتلاوة ، اماما فى
علم اللغة والعربية والمعرفة بالأاداب وأيام الناس ، كاتبا بليغا ، له
التوقيعات العجيبة ، اماما فى الحديث ، لم يزل أيام خلافته يقرأ كتاب
الموطأ وكتاب البخاري وسنن أبى داوود ، عالما بأمور الدين والدنيا ،
وكان مع ذلك شهما حازما مهابا شجاعا مقداما على عظام الأمور ،
الا أنه كان سفاكا للدماء ، لا يتوقف فيها طرفة عين .
مولده : بمالقة سنة احدا وثمانين وخمسمئة .

ولي الخلافة والبلاد تضطرم نارا قد توالى عليها الخراب والفتن والقحط والغلاء الشديد والخوف بالطرقات ، وقد تكالب العدو على أكثر بلاد المسلمين بالأندلس ، وبنو حفص قد استبدوا بأفريقية ، وبنو مرين قد دخلوا المغرب واستحوذوا على جميع بواديه وأخرجوا عليها عمالهم وحفاظهم فلم يدر ماذا يصنع في أمره ذلك ، فأنشد متمثلا :

تكاثرت المظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

فبوع بيعته الأولا باشبيلية يوم الخميس ثانی شوال سنة أربع وعشرين وستمئة ، اجتمع عليه في هذه البيعة جميع بلاد الأندلس وسببة وطنجة من بلاد العدة ، فلما كمل له ذلك أرسل الى الموحدین الذين بمراكش ودعاهم الى بيعته والفتك بأخيه العادل ، فسارعوا لامثال أمره وقتلوا العادل وكتبوا اليه ببيعتهم وخطبوا له على منبر جامع المنصور ، ثم بدا لهم في ذلك لأمر خافوها منه ، فنكثوا ببيعته ، وباعوا ابن أخيه في عشي ذلك اليوم بعينه ، فوصلته بيعة الموحدین وهو باشبيلية فأمر بها فقرئت على منابر الأندلس ، ثم أخذ في الحركة الى حضرة مراكش دار ملكهم ، فسار حتى وصل الى الجزيرة الخضراء يريد الجواز منها ، فاتصل به أن الموحدین قد نكثوا ببيعته ، وباعوا ابن أخيه يحيى ، فأطرق مليا ثم أنشد متمثلا بقول حسان حين قتل أمير المومنین عثمان رضي الله عنه :

لتسمعن وشيكا في ديارهم يالرجال الى ثارات عثمانا

ثم بعث من حينه الى ملك قشتالية يستنصره على الموحدین ويسأله أن يبعث اليه جيشا من الروم يجوز بهم الى العدة لقتال يحيى ومن معه من الموحدین ، فقال له ملك قشتالية لا أعطيك الجيش الا على شرط ان تعطيني عشرة حصون مما يلي بلادي اختارها بنفسى ، واذا من الله تعالا عليك ودخلت مراكش تبني للنصارا الذين يسيرون معك كنيسة في وسطها يظهرون بها دينهم ويضربون فيها نواقيسهم في أوقات صلواتهم ، وان أسلم أحد من الروم لايقبل اسلامه ويرد الى اخوانه فيحكمون فيه

بحكمهم ، ومن تنصر من المسلمين فليس لأحد عليه من سبيل ، فأسعفه في جميع ماطلب منه ، فبعث اليه جيشا كثيفا من اثني عشر ألف فارس من النصارا ، برسم الخدمة معه والجواز الى العدو ، فهو أول من جوز الزوم الى العدو واستخدمهم بها ، فوصله الجيش في شهر رمضان من سنة ست وعشرين وستمئة ، فجاز الى العدو واستخلف على الأندلس وقد اختلفت عليه أحوالها ، وباع أكثر بلادها لابن هود القائم بها بشرق الأندلس ، فجاز من الجزيرة الخضراء الى سبتة وذلك في شهر ذي قعدة من سنة ست وعشرين المذكورة ، فأقام بسبتة أياما ثم خرج الى مراكش حتى قرب منها فتلقاها يحيا بجيوش الموحدين وذلك في وقت صلاة العصر من يوم السبت الخامس والعشرين لربيع الاول من سنة سبع وعشرين وستمئة ، فهزم يحيا وفر الى الجبل وقتل كثير من جيشه ودخل المامون مدينة مراكش ، فبايعه الموحدون كافة ، فصعد المنبر بجامع المنصور ، وخطب الناس ولعن المهدي ، وقال أيها الناس لاتدعوه بالمهدي المعصوم وادعوه بالغوي الذموم ، فانه لامعصوم الا الأنبياء ، ولا مهدي الا عيسا ، وانا قد نبذنا أمره النحيس ، فلما آتا على الآخر خطبته ، قال يامعشر الموحدين لاتظنوا أني ادريس الذي تدرس دولتكم على يديه ، كلا انه سيأتي بعد ان شاء الله تعالا ، ثم نزل فكتب الى جميع بلاده ، بتغيير سير المهدي وماكان ابتدعه للموحدين وجرا عليه عملهم وسير ملوكهم وأمر باسقاط اسم المهدي من الخطبة وازالته عن الدنانير والدراهم ، ودوروا الدراهم المركنة التي ضربها المهدي ، وقال كل ماפעله المهدي وتابعه عليه أسلافنا فهو بدعة ولا سبيل لابقاء البدع ، ثم دخل الى قصر بها احتجب فيه عن الناس ثلاثة أيام ، ثم خرج في اليوم الرابع فأمر بأشياخ الموحدين وأعيانهم فحضروا بين يديه ، فقال لهم يامعشر الموحدين انكم قد أظهرتم علينا العناد ، وأكثرتم في الأرض الفساد ، ونقضتم العهود ، وبذلتهم في حربنا المجهود ، وقتلتهم اخواننا وأعماما ، ولم تراعوا لهم عهدا ولا ناما ، ثم أخرج لهم كتاب بيعتهم التي كانوا له بها بعثوا ، وبين لهم عهدهم الذي نكثوا ، فوقعت الحجة على

جميعهم فبهتوا وسقط فى أيديهم ، فرد رأسه الى قاضيه المكيدى وكر
بازائه قد قدم معه من اشبيلية ، فقال له ماتراه أيها الفقيه فى هاؤلا
الناكثين ؟ فقال يا أمير المومنين ان الله تعالا يقول فى كتابه المبير
(فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوته
أجرا عظيما) ، قال صدق الله العظيم ، نحن نحكم فيهم بحكم الله تعالا
فان من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، فأمر بقتل جميع
أشياخ الموحدين وأشرفهم فقتلوا عن آخرهم ولم يبق منهم على أحد .
ولم يراع والدا ولا ولدا ، حتى أنه أتى بولد أخته وهو صبي صغير ابن
ثلاث عشرة سنة وكان قد حفظ القرآن ، فلما قدم ليقتل قال له يا أمير
المومنين أعف عنى لثلاث ، قال ماهي ؟ قال صغر سني ، وقرب رحمي منك
وحفظى للكتاب العزيز ، فنظر الى القاضى المكيدى كالمستشير له ، فقال
له القاضى كيف رأيت قوة جأش هاذا الغلام واقدامه على الكلام فى هاذا
المقام ؟ فقال له القاضى يا أمير المومنين انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا
يلدوا الا فاجرا كفارا ، فأمر به فقتل ، ثم أمر بتعليق الرؤوس على
أسوار المدينة فعلقت بدائرتها ، وكان جملتها أربعة آلاف وستمئة رأس ،
وكان زمن القبط فنتنت منها المدينة ، وتأذا الناس من روائحها ، فرفع اليه
ذلك فكان من جوابه أن قال هنا مجانين وتلك الرؤوس لهم حروز ولا
يصلح حالهم الا بها ، وانها لعطرة عند المحبين ومنتنة عند المبغضين ،
وأنشد :

أهل الحراية والفساد من الورا	يعزون فى التشبيه للذكار
ففساده فيه الصلاح لغيره	بالقطع والتعليق فى الأشجار
فتراهم نكرا اذا ما أبصروا	فوق الجذوع وفى ذرا الأسوار
وكذا القصاص حياة أرباب النها	والعدل مألوف بكل جوار
لوعم حلم الله سائر خلقه	ماكان أكثرهم من أهل النار

وقبض المامون على قاضى الجماعة بمراكش وهو عبد الحق بن
عبد الحق فقيده ودفعه الى هلال بن حميدان بن مقدم الخلطي فحبسه
حتى افتدا منه بستة آلاف دينار ، وأقام المامون بمراكش خمسة أشهر ،

ثم خرج الى الجبل ليقاقل يحييا ومن معه من الموحدين ، وذلك فى شهر رمضان المعظم من سنة سبع وعشرين المذكورة ، فالتقا معه على بلد لكافة فهزم يحييا وقتل من عسكره ومن أهل الجبل خلق كثير ، سيق من رؤوسهم الى مراکش أربعة آلاف رأس .

وفى سنة ثمان وعشرين أنفذت كتب المأمون الى جميع بلاده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفيها خرجت بلاد الأندلس كلها عن ملك الموحدين وملكها ابن هود القائم بها .

وفى سنة تسع وعشرين خرج على المأمون أخوه السيد عمران ابن المنصور بمدينة سبته وتسميا بالمؤيد ، فاتصل الخبر بالمأمون ، فخرج اليه فحاصره مدة فلم يقدر منه على شيء ، فلما طال غيبته بسبته اغتتم يحييا الفرصة فنزل من الجبل فدخل مراکش وهدم كنيسة الروم التي بنيت بها ، وقتل كثيرا من اليهود ، وبني فرخان(١٥٢)وسبا أموالهم ، ودخل القصر وحمل جميع ما وجد فيه الى الجبل ، فاتصل الخبر بالمأمون ، فارتحل عن سبته مسرعا الى مراکش وذلك فى شهر ذي الحجة من السنة المذكورة ، فلما بعد عن سبته جاز عمران الى الأندلس ، فبايع ابن هود وأعطاه سبته فولاه ابن هود ألمرية عوضا منها فمات بها ، فوصل المأمون وهو بالطريق أن ابن هود قد تملك سبته ، فتوالت عليه الفجائع فمرض فمات مفقوعا بوادي العبيد ، وهو قافل من حصار سبته ، وذلك يوم الاحد منسلخ شهر ذي الحجة عام تسعة وعشرين وسنمئة (١٧ أكتوبر سنة ١٢٢٢ م) ، فكانت أيامه ألف يوم واحد وثمانمئة يوم وثمانية وخمسين يوما يجب لها من السنين خمسة أعوام وثلاثة أشهر ويوم واحد ، أولها الخميس وأخرها الأحد ، وكانت أيامه كلها شقية فى منازعة يحييا افترق الموحدون فيها فرقتين ، فصارت الدولة دولتين ، فكان محو دولتهم وذهاب نخوتهم على يديه ، لأنه وضع السيف فيهم حتى أفناهم ، ولولا أن الحال فى دولته

(152) بنى فرخان ، أى أبناء الحرام ، والمراد الساخون على الدولة المترصون بها ، وفرخان جمع بربرى (ابفرخان) مغرب لكلمة أفروخ ، أى الفرخ ، وله معنيين فى غنمية المغرب ، فهو الشاب فى مقتبل العمر ، وهو ابن الزنا ، والمراد هنا المعنى الثانى .

تغيرت والفتن فى نواحي الأندلس والمغرب قد اشتعلت لكان المامون موافقا لوالده المنصور فى الخلال ، متابعا له فى جميع الأعمال والأحوال .

الخبر عن دولة أمير المومنين عبد الواحد الرشيد

رحمه الله

هو أمير المومنين عبد الواحد بن ادريس المامون ابن يعقوب المنصور ، ابن يوسف الشهيد ، ابن عبد المومن المؤيد ابن علي الكومى الموحدى .

كنيته : أبو محمد

لقبه : الرشيد

أمه : أم ولد رومية اسمها حباب كانت من دهاة النساء وعقلائهن .
بويغ له بالخلافة بوادي العبيد ثانى يوم وفاة أبيه وهو يوم الاثنين غرة محرم من سنة ثلاثين وستمئة (١٨ اكتوبر سنة ١٢٢٢ م) ، وسنه يوم بويغ أربع عشرة سنة .

أخذ له البيعة كانون بن جرمون السفينسى وشعيب اخو قاريط الهسكوري ومرقسيل قائد الروم ، لأنه لما مات المامون كتمت حباب موته وبعثت فى هاؤلاء النفر الثلاثة لأنهم كانوا عمدة عسكر المامون يركب لكل واحد منهم عشرة آلاف من اخوانه ، فلما وصلوا اليها أعلمتهم بموت أمير المومنين ورغبت منهم ولاية ولدها والقيام ببيعته ، وبذلت لهم أموالا جلييلة وجعلت لهم مع ذلك مدينة مراكش فيئا اذا غلبوا عليها ، فبايعوه وقاموا بأمره وتولوا أخذ البيعة له على من سواهم ، فبايع الناس طوعا وكرها خوفا من سيوفهم ، فلما تمت بيعته توجه الى مراكش وحمل أباه أمامه فى تابوت ، وكان يحيا قد استقر بها فسمع أهل مراكش بما شرطته حباب للرومى والقواد من نهب المدينة ، فخرجوا مع يحيا لقتال

الرشيد ، فالتقا الجمعان فهزم يحيى وأتا الرشيد حتى وقف بباب المدينة شتخصن منه أهلها وغلقوا الأبواب فأمنهم وبعث الى القائد الرومى وأصحابه قيمة فيء مراكش فقبضوه منه ، فيقال انه دفع لهم فى ذلك خمسمئة ؟ دينار ، ودخل الرشيد مدينة مراكش ، فلم يزل بها الى سنة ثلاث وثلاثين وستمئة فاستدعا أشياخ الخلط فدخلوا عليه فقتل منهم خمسة وعشرين أميرا فى قصره ، فقامت عليه الخلط ودخلوا لمراكش فنهبوها ، وفر الرشيد عنها بجيش الروم الى سجلماسة ، وبعث الخلط الى يحيى فبايعوه وأدخلوه لمراكش ، فأقام بها الى ان قوي الرشيد وجمع الجيوش والأموال ، فخرج من سجلماسة حتى وصل مدينة فاس ، فأقام بها أياما وفرق فى فقهاؤها وصلحائها أموالا ورباعا كثيرة من رباغ مختصها وارتحل الى مراكش فتلقيه يحيى بجيش العرب والموحدين فهزمه الرشيد وقتل خلقا كثيرا من عسكره ، وفر يحيى قاصدا رباط تازة ، فغدر به عرب المعقل فقتلوه غيلة قبل ان يصل اليها ، وحملوا رأسه الى الرشيد ، ودخل الرشيد لمراكش ، فأقام بها الى أن توفي رحمه الله غريفا فى صهريج ، وذلك يوم الخميس تاسع جمادا الأخيرة سنة أربعين وستمئة (٤ دجنبر سنة ١٢٤٢ م) فمدته ثلاثة آلاف يوم وسبعمئة يوم ، يجب لها من السنين عشرة أعوام وخمسة أشهر وتسعة أيام ، زاحمه يحيى منها فى سنتين وتسعة أشهر .

وفى رمضان المعظم من سنة خمس وثلاثين بايع أهل اشبيلية الرشيد، وفى شوال التالى له بايعه أهل سبته ، وكان بالعدوة والأندلس فى هاذه المدة غلاء شديد ووباء مفرط هرب فيها أكثر أهل البلاد ووصل قفيز القمح فيها ثلاثين دينارا .

الخبر عن دولة أمير المومنين علي السعيد

رحمه الله تعالى

هو أمير المومنين علي بن ادريس بن يعقوب المنصور ابن يوسف ابن عبد المومن بن علي الكومى .

- أمه أم ولد نوبية .
- كنيته أبو الحسن .
- لقبه السعيد ، وسمي بالمعتصم بالله .

صفته أسمر اللون شديد السمرة ، تام القد ، معتدل الجسم ، سبط الشعر ، مليح العينين ، معتدل اللحية ، عالى المهمة ، بطل شجاع مهاب له اقدم فى الحروب ونجدة فاق بها من تقدمه من آبائه .

بويج له بالخلافة ثانى يوم وفاة أخيه الرشيد بحضرة مراكش ، وذلك يوم الجمعة عاشر جمادا الأخيرة سنة أربعين وستمئة (٥ دجنبر سنة ١٢٤٢ م) ، وتوفي رحمه الله يوم الثلاثاء منسلخ صفر سنة ست وأربعين وستمئة (٢٣ يونيو سنة ١٢٤٨ م) وهو محاصر ليغمراسن بن زيان العبد الوادي بقلعة تامجزرت من أحواز تلمسان ، فكانت أيام خلافته ألفي يوم اثنين وثمانية وعشرين يوما ، وبويج السعيد بمراكش وقد ظهر أمر بنى مرين بالمغرب وملكوا جميع بواديه ، فأخذ يبعث اليهم بالجيوش فيهزمونها ، فلما كان فى سنة ثلاث وأربعين اتصل به أن الامير أبابكر ابن عبد الحق قد دخل مدينة مكناسة ، وأن يغمراسن بن زيان قد ملك تلمسان واحوازها ، وان محمد المستنصر والي أفريقية قد تسما بأمرير المومنين خلافا لما كان عليه أبائوه واحتقارا لدولة السعيد ، فأخذ فى الحركة الى غزوهم ، فخرج من حضرة مراكش فى جيوش لاتحصا من الموحديين ومن العرب والروم ، فسار حتى وصل الى وادي بهت ، فلما نزل به واتصل خبره بالأمير أبى بكر بن عبد الحق خرج له عن مكناسة

وأسلمها له ، وسار الى قلعة تازوطة من بلاد الريف ، واجتمع اليه جميع قبائل بنى مرين هنالك ، ووصل أمير المؤمنين علي السعيد الى مكناسة ، فخرج اليه أهلها يطلبون منه العفو ، وقدموا بين أيديهم الشيخ الصالح أبا علي منصور ابن حرزوز والصبيان من المكاتب بالألواح على رؤوسهم والمصاحف بأيديهم فعفا عنهم ، وارتحل الى مدينة فاس ، فنزل بظاهرها من ناحية القبلة ، فأقام هنالك أياما حتى وصلته بيعة الأمير أبى بكر ابن عبد الحق فسر بها وخلع على القوم الذين أتوا بها ووصلهم بأموال جليلة ، وكتب له بالتولية على جميع بلاد الريف والقلاع ، ثم ارتحل عن مدينة فاس فى الرابع عشر من المحرم سنة ست وأربعين وستمئة ، وخسف بالقمر كله فى تلك الليلة ، فأصبح السعيد فى ذلك اليوم مرتحلا ، فلما ركب انكسر لواؤد المنصور ، فتطير به ورجع ولم يرتحل ، فأقام السى اليوم السادس عشر من المحرم المذكور ، فارتحل الى تلمسان ، وبها يغمراسن بن زيان القائم بها ، فخرج عنها يغمراسن فارا بماله وأهله الى قلعة تامجزرت ، فتحصن بها وأسلم له تلمسان ، فتبعه السعيد حتى نزل على القلعة المذكورة ، فحاصره بها ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع ركب مستخفيا فى وقت الهاجرة وخرج مع وزيره على حين غفلة من الناس لينظر الى القلعة ومنعتها وكيف تكون المحاولة فى قتالها والتمكن منها ، فلما توسط من الجبل بمكان وعر بصر به فارس من بنى عبد الوادى يعرف بيوسف الشيطان كان يحرس ، فسار اليه هو ويغمراسن بن زيان ويعقوب ابن جابر العبد الوادى فخرجوا عليه من مخدع من الجبل فضربه يوسف الشيطان فقتله وقتل يعقوب ابن جابر وزيره وفر الرجال الذين كانوا معه الى المحلة فأخبروا بموته ، فارتحلت المحلة وأخذ أهلها فى الفرار ، وهبط يغمراسن فى بنى عبد الوادى من القلعة ، فاحتوا على جميع المحلة ، وأخذ ما فيها من الأموال والسلاح والكراع والعيال والطبول والبئود والأخبية والقياب ، وأمر يغمراسن بالسعيد فغسل وكفن وحمل فدفن بالعباد من خارج مدينة تلمسان .

الخبر عن دولة أمير المومنين عمر المرتضا

هو أمير المومنين عمر ابن السيد اسحاق ابن أمير المومنين يوسف
ابن عبد المومن بن علي الكومي الموحيدي

كنيته أبو حفص

لقبه المرتضا

أمه حرة بنت عم أبيه

ولي بعد وفاة السعيد باجماع ممن بقي بمراكش من أشيخ
الموحيدين فأخذوا له البيعة بجامع المنصور من حضرة مراكش وذلك
يوم الاربعاء غرة ربيع الأول من سنة ست وأربعين وستمئة (٢٤ يونيو
سنة ١٢٤٨ م) قاله ابن رشيقي في ميزان العلم ، وهاذا وهم منه فان
السعيد توفي يوم الثلاثاء منسلخ صفر ولايمكن أن يصل الخبر بموته
من تلمسان الى مراكش في ليلة واحدة والصحيح أنه كانت بين موت
السعيد وبيعة المرتضا أيام مهلة نحو العشرة أيام وحينئذ عقدت له
البيعة بجامع المنصور وكتب له بها في الثاني عشر من ربيع الأول
(الاحد ٥ يوليو) المذكور وكان المرتضا واليا للسعيد بقصبة رباط
الفتح تركه هنالك حين توجه الى تلمسان فوصلته البيعة وهو بها
فأمر بها فقرئت على الناس فبايعه جميع من حضره من الموحيدين
والفقهاء والأشياخ ثم ارتحل الى مراكش فدخلها وجددت له البيعة بها
واستقام له أمرها وملك جميع أحوازها من مدينة سلا الى السوس
فأقام بها الى سنة ثلاث وخمسين وستمئة فخرج برسم غزو مدينة فاس
وقتل من بها من بني مرين والعرب والأغزاز والأندلس والروم فسار
حتى نزل بجبل بني بهلول من قبلة مدينة فاس وكان خوف بني مرين
قد خامر قلوب أهل محلته فكانوا منذ قربوا من أحواز مدينة فاس
لايرقدون ليلا ، فانطلق فرس لبعض الأجناد فجرا بين الأخبية وجرا الناس
في أثره ليأخذوه ، فظن أهل المحلة ان بني مرين ضربوا بها ، فركب الناس

وماج بعضهم فى بعض ، وفروا منهزمين لايولي أحد على أحد ، واتصل خبرهم بالأمير أبى بكر فخرج من مدينة فاس واحتوا على جميع ما فى المحلة من الأموال والسلاح والأخبية ، وسار المرتضا الى مراكش مهزوما فى نفر يسير من الروم والأشياخ ، فأقام بها الى أن دخلها عليه أبو دبوس وذلك يوم السبت الثانى والعشرين لمحرمة سنة خمس وستين وستمئة (٢٢ أكتوبر سنة ١٢٦٦ م) ، فخرج فارا بنفسه ، فظفر به وقتل فى الثانى والعشرين لصفر التالى له ، حكاة جملة من الناس من الذين شاهدوا ذلك ، فكانت أيامه فى ملكه ستة آلاف يوم وستمئة يوم وستة وتسعين يوما ، يجب لها من السنين ثمانية عشر سنة وعشرة أشهر واثنان وعشرون يوما ، وكان المرتضا يدعى الزهد والتصوف والورع ، وتسمأ بثالث العمرين ، وكان مولعا بالسماع لا يكاد يستغنى عنه ليلا ولا نهارا ! وكانت أيامه أيام أمن ودعة ورخاء مفرط لم ير أهل مراكش مثلها ، والبقاء لله وحده .

الخبر عن دولة ادريس الملقب بأبى دبوس

آخر ملوك بنى عبد المومن رحمهم الله

هو أبو العلاء ، ادريس ابن السيد محمد ابن السيد عمر ابن أمير المومنين عبد المومن بن علي ، تسمأ بأمير المومنين وتلقب بالواثق بالله .
أمه أم ولد رومية اسمها شمس .

صفته : أبيض اللون ، أشقر ، أزرق ، طويل القامة ، طويل اللحية ، بطل شجاع داهية مقدام فى الأمور ، دخل مدينة مراكش على عمر المرتضا غدرا ففر أمامه فملكها وبويع له بها بجامع المنصور ، بايع له كافة الموحدنين والأشياخ والوزراء والقضاة والفقهاء وأشياخ العرب وأشياخ المصامدة ، وذلك يوم الأحد الثالث والعشرين لمحرمة سنة خمس وستين وستمئة ثانى يوم دخوله المدينة (٢٤ أكتوبر سنة ١٢٦٦ م) وكان سبب

تملكه لمراكش أن المرتضا أراد قتله لأشياء رفعت له عنه ، فشعر أبو ديبوس بذلك فخرج عن مراكش فارا بنفسه ، فوصل الى أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق المرينى مستنصرا به ، فألفاه بمدينة فاس ، فأقبل عليه وبالخ فى اكرامه ، فطلب منه الاعانة على حرب المرتضا وضمن له أخذ مراكش ، فأعطاه أمير المومنين يعقوب بن عبد الحق جيشا من ثلاثة آلاف فارس من قبائل بنى مرين ، وأعطاه جنودا وطبولا ، وعشرين ألف دينار برسم النفقة ، وكتب له الى عرب جشم أن يكونوا معه يدا واحدة . وشرط له أبو ديبوس أن يعطيه نصف ما يغلب عليه من البلاد ، فانصرف أبو ديبوس بجيشه ونشر بنوده وضرب طبوله ، فوصل الى مدينة سلا ، فكتب منها الى أشياخ المرتضا يدعوهم الى بيعته ويعددهم ويمينهم ، فتلقته وفود العرب والهساکرة ، وكتب الى خاصته من وزراء المرتضا ان يعلموه بأخبار مراكش فراجعوه أن أسرع السير وأقبل ولا تخش فان الجند قد فرقناهم فى أطراف البلاد ، وهابا وقت انتهاز الفرصة قد أمكنت وقتها ، فأسرا أبو ديبوس من تلك الليلة فأصبح على مراكش ، فدخلها من باب الصالحة على حين غفلة من أهلها ، وذلك يوم السبت وقت الضحا فى اليوم الثانى والعشرين لمحرم عام خمسة وستين وستمئة ، فسار حتى وقف بباب البنود من قصبتها ، فغلقت الأبواب فى وجهه ووقف عليها عبيد المخزن يقائلونه ، فلما رأى المرتضا أن المدينة قد شرکت معه خرج من القصر على باب الفاتحة فارا بنفسه ودخل أبو ديبوس وبويع ، فاستقام له الأمر ، وسار المرتضا الى مدينة أزموور ، وكان بها صهره ابن عطوش واليا له عليها ، وكان قد أسر ، فافتكه المرتضا بمال جسيم وزوجه ابنته وولاه أزموور ، فلما فر عن مراكش قصد اليه ووثق به وبمناصحته ، فأخذه ابن عطوش وأوثقه فى الحديد ، وكتب الى أبى ديبوس يقول له اعلم يا أمير المومنين أنى قد قبضت على الشقي وأوثقته فى الحديد ، فبعث فى محمل وقتل فى الطريق ، واشتغل أبو ديبوس بملك مراكش وانحائها ، واتصل الخبير بأمر المسلمين يعقوب بن عبد الحق فكتب اليه يهنئه بالفتح ويطلب منه ان يمكنه بما شرط له وذلك نصف

البلاد التي غلب عليها ، فلما وصله الكتاب أدركه الكبير ودخله الاعجاب وكفر بما أسداه اليه من نعمة ، وجد أأيديه القديمة ومنته ، وقال لرسوله قل ليعقوب بن عبد الحق يغتنم سلامته ، ويقنع بما بيده من البلاد ، والا أتيته بجنود لاقيل له بها ، فلما وصل الرسول الى أمير المسلمين يعقوب أبلغه مقاله ودفع اليه كتابه ، فاذا هو يخاطبه فيه مخاطبة الخلفاء الى عمالهم والرؤساء الى خدامهم ، فتحقق أمير المسلمين نكته وغدره على ما وقع عليه الاتفاق بينهما ، فخرج الى غزوه قلم يزل يشن الغارات على بلاده ويجهز الجيوش الى محاربته الى سنة سبع وستين ، فسار أمير المسلمين بجيوش بنى مرين ، فالتقا معه أبو دبوس ببلاد دكالة ، وكانت بينهم حروب شديدة باشر فيها أبو دبوس الحروب بنفسه ، فقتل وهزم عسكريه وانتهبت ملحته ، وأتى برأسه الى أمير المومنين يعقوب ، فأمر به فحمل الى مدينة فاس فطيف به فى أسواق المدينة .

وكان قتل أبى دبوس وانقراض دولته يوم الجمعة منسلخ شهر ذي حجة من سنة سبع وستين وستمئة (٣٠ غشت سنة ١٢٦٩ م) فكانت أيامه ألف يوم واحدة واثنين وأربعين يوما ، يجب لها من السنين سنتان اثنتان وأحد عشر شهرا وسبعة أيام ، وانقرضت بموته الدولة الموحدية المومنية ، والملك والبقاء لله وحده الذي له الأمر من قبل ومن بعد ، لارب غيره ، ولا معبود سواه ، وهو الذي يرث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

وكانت أيام ملكهم من يوم بويح المهدي سنة خمس عشرة وخمسمئة الى أن قتل أبو دبوس فى منسلخ سبع وستين وستمئة ، مئة سنة واحدة واثنتين وخمسين سنة وعدد ملوكهم أربعة عشر ملكا .

الخبر عن الاحداث التي كانت في أيامهم من اولها إلى اخرها

أول حدث كان فى سنة خمس عشرة وخمسمئة قيام المهدي وبيعته
وظهور الموحدين ، فانه لم يزل أمرهم يظهر فى تلك السنة وسلطانهم يقو
وفى سنة أربع وعشرين توفي المهدي وبايع الموحدون عبد المومن
ابن علي .

وفى سنة ثمان وعشرين فتح عبد المومن درعة وتادلة ومدينة سلا
وبلاد تازة ، وفيها تسما أمير المومنين .

وفى سنة تسع وعشرين وخمسمئة أمر عبد المومن ببناء مدينة
رباط تازة فبنيت وحصن سورها .

وفى سنة تسع (١٥٢) وثلاثين وخمسمئة ملك الموحدون شريش وخطب
لهم بها .

وفىها قام ابن زريق وابن حمدين قاضى قرطبة على المرابطين
فأخرجوهم عن قرطبة .

وفىها جاز جيش الموحدين الى الأندلس وملكوا مدينة طريف والجزيرة
الخضراء ، وهرب عنها المرابطون .

وفى سنة أربعين هدم علي بن عيسا بن ميمون اللمتونى صنم قادس
وفىها ملك الموحدون مالقة .

وفىها نازل العدو المرية بثمانين جفنا ، فأحرق أرباضها وانصرف عنها

(153) فى الأصل وفى سنة سبع وهو غلط ، فان الموحدين لم يملكوا شريشا ولم يرسلوا
جيشا الى الأندلس الا بعد موت تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين بوهران وفتح عبد المومن
لنلمسان وكان ذلك بعد يوم 27 رمضان من عام 539 هـ (23 مارس سنة 1145 م) انظر ص 187
التقدمة وما بعدها ، يؤيد ذلك أن ابن أبى زرع يجعل تملك الموحدين لشريش وثورة ابن حمدين
قاضى قرطبة فى سنة واحدة ، ومن المعلوم أن أبا جعفر حمدين بن محمد بن علي ابن حمدين بويج
بالامارة فى المسجد الجامع بقرطبة يوم 5 رمضان سنة 539 هـ .

وفيها فتح عبد المومن مدينة فاس ومدينة تلمسان ووهران وأحواز
ذلك كله ، وفيها بايعه أهل اشبيلية وأخرجوا عنها المرابطين .
وفيها أمر عبد المومن ببناء سور تآكرارت (١٥٤) من تلمسان
وتحصينها وبناء جامعها .
وفى سنة احدا وأربعين فتح عبد المومن مدينة مراكش وأغمات وبلاد
دكالة .
وفيها فتح مدينة طنجة وقتل من بها من المرابطين وانقضت دولتهم
من جميع المغرب والأندلس .
وفى سنة ثلاث وأربعين وخمسمئة فتح عبد المومن سجلماسة وسبتة،
وفيها غزا برغواطة ، وفى الآخرها قام أهل سبتة على الموحدين وقتلوا
عمالهم وحرقوهم بالنار .
وفيها فتح الموحدون قرطبة وقرمونه وجيان ، وملك الروم المهديّة (١٥٥)
من بلاد أفريقية ، وملكوا من بلاد الأندلس مدينة أشبونة وألمرية وطرطوشة
وماردة واقراغة وشنترين وشنترية ، ملكوا ذلك كله على يد رذريق
لعنه الله .
وفيها أعطا يحيى ابن غانية مدينة أبذة وبياسة وماوالاهما من
الحصون الى النصارا فملكوها .
وفى سنة خمس وأربعين فتح الموحدون مدينة مكناسة فدخلت عنوة
بالمسيف بعد حصار سبعة أعوام وقتل أكثر رجالها وأخذت أموالهم وسبي
حريمهم ، وذلك يوم الاربعاء الثالث لجمادا الاول منها .
وفيها بنيت مكناسة تآكرارت المدينة الآن وخربت القديمة .

(154) اسم الأحياء العليا من تلمسان ، أما الأحياء السفلا فاسمها أكدير ، والاولا من بناء
المرابطين ، وتآكرارت معناها الرباط بلغة صنهاجة .

(155) فى الأصل وفى سنة أربع وأربعين وخمسمئة ملك الروم المهديّة الخ وهو خطأ ،
فان استيلاء أمير البحر جورجى الأنطاكى قائد أسطول زوجار الثانى ملك صقلية على المهديّة وقع
يوم 2 صفر سنة 543 هـ (22 يونيو سنة 1148 م) أنظر ص 197 المتقدمة .

- وفيها أمر عبد المومن بجلب ماء عين غبولة الى سلا فجلبها
- وفى سنة ست وأربعين وخمسمئة فتح عبد المومن جبال ونشريس ومليانة وجزائر بنى مزغنة وبجاية
- وفى سنة سبع وأربعين وخمسمئة فتح عبد المومن مدينة بونة وقسنطينة وبلد العناب (١٥٦) والجريد بأسره وجميع بلاد أفريقية
- وفيها انتزع الموحدون المرية (١٥٧) وأبذة وبياسة من أيدي الروم وملكها المسلمون
- وفى سنة تسع وأربعين ملك الموحدون لبلدة من بلاد الأندلس ، فتحوها عنوة وقتلوا جميع رجالها وسبوا حريمها وأموالها فكان بها الحادث الأعظم
- وفى سنة خمسين وخمسمئة ملك الموحدون غرناطة ، ثم غدر بهم أهلها فقتلوه
- وفى سنة اثنتين وخمسين وخمسمئة فتحوها ثانية بعد حصار شديد
- وفى سنة ثلاث وخمسين وخمسمئة فتح عبد المومن مدينة تونس وسوسة وقفصة والقيروان وصفاقس وطرابلس المغرب (١٥٨)
- وفى سنة خمس وخمسين وخمسمئة فتح المهديّة وانتزعها من أيدي الروم
- وفيها أمر عبد المومن ببناء حصن جبل الفتح فبنى
- وفى سنة ثمان وخمسين توفي عبد المومن وولي ولده يوسف
- وفى سنة تسع وخمسين قام مرزدخ ببلاد غمارة

156) بلد العناب وبونة شيء واحد ، الا أن يكون مراده ببلد العناب حوز عناية التي هي بونة نفسها .

157) يجعل المؤلف هنا اسنرجاع المرية فى سنة 547 وجعله فيما تقدم (ص 194) فى سنة 546 والحقيقة أن فتحها وقع فى أواخر عام 552 هـ (أواخر 1157 م) بعد استيلاء الموحدين على غرناطة.

158) تقدم له (ص 148) أن فتح تونس كان فى جماد الأول من عام 554 هـ .

وفي سنة تسع وخمسين المذكورة (١٥٩) في آخر شعبان منها (الأربعاء ٢٢ يوليوز سنة ١١٦٤م) توفي الشيخ الفقيه الصالح الفاضل علي بن اسماعيل بن محمد بن عبد الله ابن حرزهم بن زيان بن يوسف بن شومران ابن جفص بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان رضي الله عنه فدفن بخارج باب الفتوح من أبواب مدينة فاس وكان فقيها حافظا زاهدا في الدنيا متصوفا ذكر عنه خديمه المعروف بأبي قرن قال دعا لى الشيخ علي ابن حرزهم بالعفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة وقال ان رب العزة أمننى انى رأيتة في النوم فقال لى سل حاجتك فقلت يارب العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ، فقال قد فعلت ، ولذلك دعوت لك بهاذا الدعاء ، ولما دخل شعبان الذي توفي فيه قال لتلاميذه انى لأصوم مع الناس شهر رمضان المعظم المستقبل ، وهو صحيح ليس به ألم فعجبوا من مقاله فلم يبق الا ثلاثة أيام من شعبان فمات في آخر يوم من شعبان قبل دخول رمضان عليه ، ولما كان اليوم الذي توفي فيه تطهر وتوضأ وتطيب وقال لخدمته لم يبق لكم من خدمتى الا اليوم ثم دخل الى بيته فصلا ركعتين ونام على فراشه فلما حان وقت صلاة الظهر أتاه خديمه يوقظه للصلاة فرجده ميتا رضي الله تعالا عنه ونفعنا به

وفي سنة ستين كانت غزوة الجلاب قتل فيها خلق كبير من الروم
وفي سنة احدا وستين (١٦٠) توفي الشيخ الفقيه الصالح أبو شعيب
أيوب بن سعيد الصنهاجي المعروف بالسارية اذا وقف فى صلاته يطيل

159) فى الأصل وفى سنة تسع وستين وخمسة والاربعون ان ابن حرزهم توفي قبل ذلك بعشرة أعوام وقد نقلنا الفقرة كلها من مكانها الأصلي وأثبتنا في المكان الذى ينضيه التسلسل التاريخي ينظر عن ابن حرزهم التشوف ع 51 ونيل الابتهاج ص 182 وجنوة الاقتباس من 293 وسطورة الألفاس 3 71

160) فى الأصل وفى سنة سبعين وخمسة توفي الشيخ الفقيه الخ والصواب ان وفاة أبي شعيب أيوب الصنهاجي دفين أزمور كانت يوم الثلاثاء 10 ربيع الثاني عام 561 هـ وقد نقلنا الفقرة من مكانها الأصلي وحولناها الى مكانها الجديد الذى يقتضيه التسلسل التاريخي ينظر عن أبي شعيب التشوف ع 62

القيام ، ولذلك سمي بالسارية ، ويقال انه كان من الأبدال ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء العاشر من ربيع الثانى من سنة سبعين المذكورة .

وفى سنة أربع وستين وخمسة توفى الشيخ الفقيه الصالح عثمان ابن عبد الله السلالجي الأصولي صاحب البرهانية وامام أهل المغرب فى علوم الاعتقاد (١٦١) .

وفىها كان السيل العظيم باشبيلية .

وفى سنة ست وستين وخمسة أمر أمير المومنين يوسف ببناء قنطرة تانسيفت فبنيت .

وفى سنة سبع وستين وخمسة أمر أمير المومنين بعقد الجسر على وادي اشبيلية فعقد على القوارب .

وفىها بنا قسبة اشبيلية ، وبنيت الزلايق لسورها .

وفىها مات محمد بن سعد ابن مردنيش صاحب بلاد شرق الأندلس ، وملك الموحدون بلانسية وشاطبة ودانية وجميع عمله .

وفى سنة ثمانية وستين وخمسة فى ثانى عشر شوال منها كان زلزال عظيم هائل لم ير الناس مثله ، عمت الزلزلة أكثر بلاد الشام والموصل وبلاد الجزيرة والعراق ، واشد ماكانت بالشام ، هدمت كثيرا من دمشق وبعليك وحمص وحماة وسهرورد ، وحلب تهدمت أسوارها وقلاعها وسقطت الدور على أهلها ، وهلك فيها من الناس ما يخرج عن الحد ولا يحصيه عد نعوذ بالله من سخطه ونلجأ اليه من أليم نقمه ، وتهدمت أسوار تلك المدن وخرب جلها ، وكان بمدينة حلب من اثر الزلزلة مالىس بغيرها من البلاد ، حتى فر أهلها عنها الى البرية ، وكانوا لايقدرن أن يأووا الى مساكنهم خوفا من الزلزلة ، وبنوا نور الدين بن أيوب جميع الأسوار التي هدمتها الزلزلة ، وبنوا المعامل خوفا على

161) ينظر عنه ذكريات مشاهير المغرب للأستاذ عبد الله كنون الحسنى ع II والتشوق

المسلمين من الافرنج أن يفجؤوهم .

وفيها هزم سانشو خيمينو (أبو بردعة النصراني) وقتل وجميع جيشه على يد الموحدين .

وفى سنة احدا وسبعين وخمسمئة كان الطاعون الشديد بمراكش وأحوازاها ، وكان الناس يموتون فيه من غير مرض ، فكان الرجل لا يخرج من منزله حتى يكتب اسمه ونسبه وموضعه فى براءة ويجعلها فى جيبه ، فان مات حمل الى موضعه وأهله ، وانتهت عدد الأموات بمراكش الى ألف وسبعمئة رجل .

وفيها كان الغلاء العظيم بالمغرب .

وفى سنة اثنتين وسبعين توفي الفقيه القاضي أبو يوسف حجاج .

وفيها عتب أمير المؤمنين على أخيه الحسن فكتب اليه الحسن بهاذه

الآبيات :

إذا نحن اذنيننا ففكوك نطلب وأن نحن قصرنا فما عنك مهرب
حنانك قد عودتنا منك رحمة وأنت لنا فى كل حالنا الأب
ولم نعود قبيل حالة ذلّة ولا حذرا مما يقول المحبب

فلما وقف على الآبيات رضى عنه وولاه قرطبة .

وفى شوال منها توفي قطب دهره ، وأعجوبة عصره ، أبو يعززا يلنور بن ميمون بن عبد الله اليزميري (١٦٢) وقيل هو من بنى صبيح من هسكورة ، مات وقد نيف على ائنة وثلاثين سنة ، أقام منها عشرين سنة سائحا فى الجبال المشرفة على تينمل ، ثم ارتحل الى السواحل فأقام بها منقطعا ثمانى عشرة سنة لايتعيش الا من نبات الأرض ، وكان أسود كبدي اللون طويلا رقيقا يلبس برنسا مرقعا وشاشية عزف على رأسه .

وفى سنة ثلاث وسبعين وخمسمئة توفي الشيخ الفقيه العالم المشاور

(١62) ينظر عن الشيخ أبى يعززا كتاب المعززا ، فى مناقب الشيخ أبى يعززا لأحمد الصومى

عبد الله ابن الملقى شيخ طلبة الحضرة فى وقته ، وكانت وفاته فى ذي الحجة منها ، وشهد جنازته أمير المؤمنين يوسف .

وفى سنة ثمان وسبعين توفى الشيخ الفقيه القاضي الصالح الورع عيسا بن عمران تاضى الجماعة بمدينة مراكش ، وولى مكانه أحمد ابن مضى القرطبي ، وكان القاضي عيسا أحد الأجواد من أهل السخاء والكرم ، وله نكت رائقة ، كتب الى ولد له بمدينة فاس قد راهق الحلم : الى ولدي فلان هداه الله وصانه ، وجمله بالعلم والتقوا وزانه ، كتبت اليكم عن اشتياق كثير ، وبمشيئة الله تعالا تنسير الأمور ، ويتكاثف السرور ، وإذا وجدتكم على ما أحبه من أدوات الحفظ والأداء ، والتزام أدب العقلاء ، جازيتكم بما يرضيكم ، وبما يزيد على أقصا تمنيتكم ، وقد أجمعت الأمة على ان الراحة ، لاتنال بالراحة ، وان العلم ، لاينال براحة الجسم ، فادرس ترؤس ، واحفظ تحفظ ، واقرا ترقا ، ومهما ركنت الى المدعة ، كنت فى أهل الضعة ، وما رأيت الناس مجتمعين على حمده فاجتلبه ، وما رأيتهم مجتمعين على نمه فاجتنبه ، والأعدل الأقسط ، أن تسلك السبيل الأوسط .

وما المرء الا حيث يجعل نفسه ففى صالح الأعمال نفسك فاجعل

وفى هذه السنة فتح المسلمون مدينة شنتفيلة ومدينة اقليم وقاتل من بهما من الروم وسببت نسايتهم وأموالهم .

وفىها توفى الشيخ أبو خزر يخلف بن خزر الأوربى (١٦٣) من أهل مدينة فاس ، وكان أحد الفضلاء والعلماء الحفاظ الموصوفين بالسورع والتواضع واجابة الدعاء .

وفى سنة ثمانين وخمسمئة توفى أمير المؤمنين يوسف وولى ولده

(163) هو غير أبى خزر يخلف بن خزر الأوربى المتقدم فى ص 225 ، هذا يجعل المؤلف وفاته سنة 578 والآخر عقد له يعقوب المنصور على المطوعة فى معركة الأراك التى وقعت سنة 591 هـ وأميل الى الاعتقاد أن الشخصين شخص واحد ، وأن ابن أبى زرع حصل له غلط بشأن وفاته مثلما حصل له ذلك فى وفيات غيره ووقع فى الغلط جميع من نقلوا عنه ، ينظر عن أبى خزر يخلف الأوربى الشوف ع 55 وسلوة الأنفاس 2 : 49 ونيل الابتهاج ص 394 .

يعقوب المنصور .

وفيهما دخل علي ابن غانية المعروف بالميورقي مدينة بجاية ، وذلك يوم الجمعة السادس من شعبان منها (١٣ نونبر سنة ١١٨٤ م) والناس في الصلاة ، وكانت أبواب المدن قبل ذلك لاتسد يوم الجمعة ، فارتقب الناس حتى أحرموا للجمعة ، فدخل عليهم المدينة وقصد الجامع الكبير ، فأدار به الخيل والرجال ، فمن بايعه خلا سبيله ، ومن توقف عن بيعته قتل فأقام بها سبعة أشهر ثم استرجعت من يده ، ومن ذلك اليوم أحدث الناس سد أبواب المدن يوم الجمعة في وقت الصلاة .

وفيهما توفي الشيخ الصالح المتقشف أبو عبد الله التاودي المعلم لكتاب الله العزيز بمدينة فاس ودفن بخارج باب الكيسة .

وفى سنة خمس وثمانين جلب المنصور الماء الى مراكش .

وفى سنة ست وثمانين وخمسمئة دخل النصارا مدينة شلب وباجة ويابورة من بلاد غرب الأندلس .

وفى سنة سبع وثمانين فتح المسلمون قصر أبي دانس .

وفى سنة احدا وتسعين هزم النصارا فى غزاة الاراك وقتل منهم ألوف كثيرة .

وفى سنة ثلاث وتسعين بني رباط الفتح وتم سوره وركبت أبوابه ، وفيها بني جامع حسان ومناره ، وفيها بني منار جامع اشبيلية ومنار جامع الكتبيين من مراكش .

وفيهما تمت قسبة مراكش وجامعها بالبناء ، وفيها توفي الشيخ الصالح الفقيه العالم أبو عبد الله بن معطى .

وفى سنة أربع وتسعين وخمسمئة (١٦٤) توفي الشيخ الصالح قطب زمانه

164 جعل المؤلف وفاة أبي مدين شعيب بن الحسين الأنصارى الاشبيلى التلمسانى سنة 584 وانصواب أنها كانت بعد ذلك بعشرة أعوام ، وقد نقلت الفقرة من مكانها الاصلى الى مكانها الجديد الذى يقتضيه التسلسل التاريخى وتجدر الاشارة الى أن ابن أبى زرع أضاف فى آخر

أبو مدين شعيب ابن الحسين الأنصاري ، وأصله من قطنيانة من عمل اشيلية ، توفي بتلمسان ودفن بجبل العباد ، وكان مقامه التوكل ، سمع (رعاية المحاسبي) على علي ابن حرزهم ، وسمع كتاب السنن لأبي عيسا الترمذى على علي ابن غالب ، وأخذ التصوف عن أبي عبد الله الدقاق ، وأخر ماسمع من كلامه عند الموت : الله تعالا الحي القيوم الدائم .

وفى سنة خمس وتسعين وخمسمئة توفي المنصور وولي بعده الناصر وفيها توفي الشيخ الصالح الفقيه العالم محمد بن ابراهيم المهدي صاحب كتاب الهداية ، نزل فاسا وبها توفي يوم الجمعة الخامس والعشرين لجمادا الأول من السنة المذكورة ، كان من أهل الفضل والعلم والعمل والزهد فى الدنيا ، دخل مدينة فاس بأربعين ألف دينار أنفقها كلها فى سبيل الخير حتى لم يبق له الا دار سكناه ، فباعها وأمتعته المشتري فيها الى أن مات ، أقام بجامع القرويين مستقبل القبلة نحو الأربعين سنة لم تفته صلاة فى جماعة يوما واحدا ، وأصابته أهل مدينة فاس مجاعة كان عنده فيها الف وسق من قمح قباعه كله من أهل الضعف بوثائق وأخرهم بالثمن الى أجل ، فلما حل الأجل استدعاهم فحضروا فى منزله فحل الوثائق فى الماء وقال لهم أنتم من ذلك فى حل ، فانى مايعت الا من الله تعالا .

وفيها توفي الشيخ الفقيه محمد بن علي بن عبد الكريم الفدلاوي المعروف بابن الكتانى (١٦٥) من أهل مدينة فاس ، كانت وفاته فى العشر الأوسط من ذي الحجة منها ودفن بخارج باب الجيسة من أبواب مدينة فاس ، وشهد أمير المومنين جنازته ، وكان رحمه الله من أئمة المغرب فى العلم ،

الفقرة قوله (وقيل انه توفي فى سنة 596) وهو أيضاً قول غير صحيح ، لأن الذى استدعا أبا مدين من بجاية الى مراكش هو الخليفة يعقوب المنصور لا ولده محمد الناصر ، وقد كانت وفاة يعقوب المنصور سنة 595 هـ .

ينظر عن أبى مدين كتاب أنس الفقير وعز الحفير لأحمد ابن فننذ القسنطينى .
I65) صاحب كتاب المستفاد ، ينظر عنه التشوف ع 169 وجذوة الاقتباس ص 137
وسلوة الأنفاس 3 : 173 .

مقدما فى فنونه ، زاهدا فى الدنيا معرضا عنها مقبلا على الآخرة ، لزم
العبادة والصوم والمجاهدة حتى لم يبق منه الا رسمه ، وهو القائل :

وما أبقا الهوا والشوق منى سوى نفس تردد فى خيال
خفيت عن المنية أن ترانسى كان الروح منى فى محال

وفى سنة ثمان وتسعين وخمسمئة توفي الشيخ الفقيه الصالح الورع
امام القرويين أبو محمد يسكر الجورائى الغفجومى (١٦٦) وذلك فى ضحا
يوم السبت الحادى عشر لذي قعدة من العام المذكور ، نشأ بتادلة واستوطن
مدينة فاس ، وبها توفي ، تفقه على أبى خزر ، وسمع أبا الربيع التلمساني
وصحب علي ابن حرزهم وأبا يعزا ، وكان ورعا قاضلا اذا دخل عليه
شهر رمضان طوا فراشه ، وأخذ فى الاجتهاد ، فيقطع الليل قائما يختم
القرآن فى تسليمه واحدة ، وقد قيل له ذات ليلة لو روحت نفسك قليلا
وأعطيتها حظها من النوم لكان أوفق لك ، فقال انما أطلب راحتها ثم انشد:

لا تجعلن رمضان شهر فكاهاة تلهيك فيه من الحديث فنونه
واعلم بأنك لن تنال ثوابه حتى تكون تصومه وتقومه

وفى سنة ستمئة كمل سور مدينة فاس بالبناء والتجديد ، وتم باب
الشريعة وركب مصراعه .

وفى هذه السنة قام العبيدي بجبال ورغة فظفر به وقتل وعلق رأسه
على باب الشريعة من مدينة فاس وأحرق جسده فى وسط الباب ، وذلك
فى اليوم التى تم باب الشريعة المذكور بالبناء وركب مصراعه فسمي
باب المحروق .

وفى سنة احدا وستمئة بنا يعيش عامل الناصر على المريف سور
مدينة بادس وسور المزمة وسور مليلية حياطة على ذلك من فجأة العدو .
وفى سنة اثنتين وستمئة ولي الحفصيون عمالة أفريقية .

وفى سنة أربع وستمئة جدد سور مدينة وجدة .
وفيه أمر الناصر ببناء دار الوضوء والسقاية بأزاء جامع الأندلس
بفاس ، وجلب إليها ماء العين من خارج باب الحديد ، وفيها بني الباب
الكبير المدرج الذي بصحن الجامع المذكور وأنفق فى ذلك كله من بيت المال
وفيه بني مصلا عدوة القرويين .

وفى سنة ثمان وستمئة توفي الشيخ الصالح أبو عبد الله بن جرير
المعروف بابن تاخميست من أهل فاس ، مات بها ليلة الثلاثاء السادس
والعشرين لذي حجة من العام المذكور ، ودفن بخارج باب الجيسة ، وكان
كثير الورع شديد الانقباض عن الناس ، وكان له خط حسن ، وكان ينسخ
المصاحف بيده ويدفعها لمن يراه أهلا لها ابتغاء الثواب ، لم يزل مولعا
بطلب العلم ودرسه وتحصيله الى أن مات وهو القائل :

أخو العلم حي ذكره بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم
وذوالجهل ميت وهو ماش على التراب يظن من الأحياء وهو عديم

وفى سنة تسع وستمئة كانت هزيمة المسلمين بالعقاب فني بها
جميع عساكر المغرب والأندلس .

وفى سنة عشر وستمئة قام ولد العبيدي المحروق بفاس بجبال غمارة
وادعا انه الفاطمي ، وبإيعه خلق كثير من أهل الجبال والبوادي ، فبعث
اليه الناصر جيشا فظفر به فقتل .

وفيه توفي أمير المؤمنين الناصر وولي ولده يوسف .
وفيه أقبل بنو مرين من قبلة زاب افريقية فدخلوا المغرب فى أمم
كثيرة .

وفيه كان الوباء العظيم بالمغرب والأندلس .

وفيه ملك النصران مدينة ألبدة .

وفى سنة ثلاث عشرة وستمئة هزم بنو مرين جيش الموحدون بفحص
وادي نكور فدخل الموحدون مدينة فاس عرايا قد تستروا بالمشغلة فسمي

عام المشغلة .

وفى سنة أربع عشرة وستمئة هزم المسلمون بقصر أبى دانس ،
وقتل منهم العدو أمما لاتحصا .

وفى سنة خمس عشرة وستمئة دخل الفونسو الثاني ملك البرتغال
قصر أبى دانس بالسيف وقتل من به من المسلمين .

وفى سنة سبع عشرة كان الغلاء الشديد بالمغرب والقحط والجراد .
وفيهما بني برج الذهب بوادي اشبيلية .

وفى سنة ثمان عشرة وستمئة جدد سور اشبيلية وبني الحرم
البراني وجعل الحفير دائرا بالحرم .

وفى يوم الخميس الخامس عشر من ذي حجة من سنة تسع عشرة
وستمئة فتح الموحدون جزيرة ميورقة .

وفى سنة عشرين وستمئة توفي يوسف المنتصر .

وفى سنة احدا وعشرين وستمئة بويع عبد الله بن يعقوب المنصور
الملقب بالعاقل بمرسية .

وفيهما قتل الأمير عبد الواحد المخلوع .

وفى سنة اثنتين وعشرين قام السيد عبد الله بن محمد بن يوسف
ابن عبد المومن البياسى ببياسة ودعا لنفسه ، وفيها أعطا البياسى بياسة
وقيجاطة للنصارا . وفيها تغلب العدو على مدينة قرمونه من نظر مرسية
وقتل جميع من فيها وأسر النساء والذرية ، وفيها أعطا البياسى للأفونسو
حصن أندوجر ومرترس ومدسس وحصن التراب ونحو العشرين حصنا
ومن البروج مالا يوصف .

وفيهما ملك الفونسو مدينة مربالة ودخل تطيلة بالسيف وقتل بها
خلق كثير من المسلمين .

وفيهما قتل من أهل اشبيلية نحو العشرة الاف قتلهم العدو وكانوا
خرجوا لاعانة تطيلة .

وفيها قتل من أهل مرسية نحو العشرة الألاف كانوا أيضا خرجوا لاعانة حصن دلالية فهزمهم العدو فقتلوا وقتل فى هاتين الكائنتين من أهل المدينتين اشبيلية ومرسية ألوف لانحصا حتى خلت المساجد والأسواق .
وفى سنة ثلاث وعشرين وستمئة تغلب العدو على مدينة لوشة من بلاد غرب الأندلس وفيها أعطا البياسى للنصارا حصن شلبطرة وبالأمس بذل الناصر فى أخذه الأموال الجليلة حتى ملكه المسلمون .
وفيها قتل البياسى بحصن المدور قتله ابن يبورك وحمل رأسه الى اشبيلية .

وفيها أخذ النصارا مدينة كباله .
وفيها تقاتل عرب الخلط مع الموحدين بالعدوة فهزمهم الخلط .
وفى سنة أربع وعشرين وستمئة اشتد الغلاء بالمغرب والأندلس فبيع قفيز القمح بخمسة عشر دينار .
وفيها كان الجراد المنتشر بالمغرب .
وفيها بايع أهل اشبيلية السيد ادريس بن يعقوب المنصور .
وفيها ملك النصارا جزيرة ميورقة .
وفيها توفي عبد الله العادل .
وفيها بويع يحيى بن محمد الناصر وبويع المامون .

وفى سنة خمس وعشرين وستمئة قام ابن هود الملقب بالمتوكل بحصن أوريوالة من بلاد شرق الأندلس وبايعه أهل مرسية على الخلافة العباسية وفى سنة ست وعشرين وستمئة كان السيل العظيم بمدينة فاس هدم من سورها القبلى مسافتين ، وهدم من جامع الأندلس ثلاث بلاطات وديارا كثيرة وفنادق من عدوة الأندلس

وفيها ملك ابن هود شاطبة ودانية .
وفيها ملك النصارا حصن جبل العيون من ثغر بنلسية .
وفيها قتل القاضى القسطلبي بمرسية قتله ابن هود .

- وفيها ملك ابن هود جيان
- وفى ذى القعدة منها بايع أهل قرطبة لابن هود وأخرجوا منها
الموحدين وقتلوهم •
- وفيها تسما ابن هود بأمر المومنين
- وفيها جاز المامون الى العدو
- وفى يوم الاثنين الثالث والعشرين لصفرة الموافق آخر يوم من
دجنبر كان الحدث الأعظم على ميورقة أعادها الله تعالا للإسلام •
- وفى سنة ثمان وعشرين وستمئة كانت هزيمة ماردة على المسلمين
وفيهما دخل العدو ماردة بالسيف •
- وفي شعبان منها ملك العدو مدينة بطليوس وأحوازها •
- وفى رجب منها ملك ابن هود جبل الفتح والجزيرة الخضراء ولم
يبقى للموحدين بالاندلس أمر ولا نهي •
- وفى سنة تسع وعشرين وستمئة قام السيد أبو موسى على أخيه
المامون بسببة •
- وفيهما قام محمد بن يوسف بن نصر الشهير بابن الأحمر ودعا
الناس الى بيعته فبايعه أهل أرجونة وتسما بأمر المسلمين ، وفيها ملك
العدو مدينة مروالة من عمل سرقسطة •
- وفى سنة ثلاثين وستمئة توفي المأمون وولي بعد الرشيد •
- وفيهما ملك ابن هود سببة فأقامت على ملكه ثلاثة أشهر فخلعوه
وبايعوا أحمد البياسى وتسما بالموفق •
- وفيها رجعت قرطبة وقرمونه لحمد بن يوسف ابن نصر •
- وفيها بويع القاضي الباجى باشييلية •
- وفيهما عقد ابن هود الصلح مع العدو لاشتغاله بقتال ابن الأحمر
والباجى فصالحه بألف دينار فى كل يوم •

وفيهما خلت بلاد المغرب وكثر فيها الجوع والوباء ، وصل فيها وسق
القمح ثلاثين دينارا .

وفى سنة واحد وثلاثين وستمئة وقعت المقاتلة بين ابن الأحمر وابن
هود والباجى على مقرية من اشبيلية فهزماه .

وفيهما قتل ابن الأحمر الباجى بعد الهزيمة غدرا ودخل اشبيلية
فأقام بها شهرا وأخرجه أهلها .

وفى جمادا الأخيرة منها ثار شعيب ابن محفوظ بن محمد بلبلة
وتسما بالمعتصم .

وفى شوال منها صالح ابن نصر ابن هود وبإيعه على جيان
وأرجونة وبركونه .

وفى سنة اثنتين وثلاثين وستمئة نازل العدو جزيرة يابسة خمسة
أشهر حتى دخلها .

وفيهما نزل الجنويون سبتة بأجفان لاتحصا ، ونصبوا عليها
المنجنقات فلم يقدرروا منها على شيء .

وفى سنة ثلاث وثلاثين أقلع أهل جنوة عن مدينة سبتة بعد الحصار
الشديد والتضييق العظيم ونصب المجانيق والآلات الحرب المعدة فصالحهم
أهلها بأربعمئة ألف دينار .

وفيهما غدر النصارا شرقية قرطبة وذلك فى ثالث شوال عشاء فى
غفلة السمار وسلم الله عز وجل النساء والذراري حتى لحقوا بالغربية ،
ربقي الناس معهم فى قتال عظيم ، ولم تزل الغربية محصورة الى أن أخذت
وملكها النصارا أجمع .

وفيهما انعقد الصلح بين ملك قشتيلة وابن هود لأربعة أعوام
بأربعمئة ألف دينار فى السنة .

وفيهما قتل أمير المومنين أشياخ الخلط .

وفى سنة خمس وثلاثين بايع أهل اشبيلية الرشيد وبإيعه أهل سبتة

- وفيها اشتد الغلاء والوباء بالعدوة فأكل الناس بعضهم بعضا وكان
يدفن في الحفرة الواحدة المئة من الناس .
- وفي سنة أربعين وستمئة توفي الرشيد وولي أخوه السعيد .
- وفي سنة ثلاث وأربعين وستمئة ملك الأمير أبو بكر المريني مدينة
مكناسة .
- وفي سنة اثنتين وأربعين ملك النصارا مدينة بلنسية .
- وفي سنة أربع وأربعين ملك النصارا مدينة جيان .
- وفي سنة ست وأربعين توفي أبو الحسن علي السعيد .
- وفي هاذ السنة ملك العدو مدينة اشبيلية .
- وفيها ملك الأمير أبوبكر المريني مدينة فاس ورباط تازة .
- وفي هاذ السنة وقع الحريق بأسواق فاس احترقت أسواق باب
السلسلة بأسرها الى حمام الرحبة .
- وفيها ولي المرتضا بمراكش .
- وفي سنة ثلاث وخمسين كانت هزيمة عمر المرتضا ببنى بهلول من
أحواز فاس .
- وفي سنة خمس وستين قتل المرتضا بمراكش وولي أبو دبوس .
- وفي سنة سبع وستين وستمئة قتل أبو دبوس وهزم جيشه ، وملك
أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق مدينة مراكش وأحوازها فدخلها في
يوم الأحد التاسع من محرم سنة ثمانية وستين وستمئة .

الخبر عن الدولة السعيدة المرينية العبد الحقية

أطالها الله وخلص ملكها وأعلا كلمتها وأيدها ، وذكر نسبها الصريح ، وقيامها بالحق والاعتقاد الصحيح ، وأخبار ملوكهم وفتوحاتهم وغزواتهم وسيرهم الجميلة ومآثرهم

قال المؤلف عفا الله عنه :

أما بنو مرين فهم أعلا قبائل زناتة حسبا ، وأشرفها نسبا ، وأغزرها كرما ، وأحسنها شيما ، وأرعها ذماما ، وأرجحها أحلاما ، وأشدها فى الحروب بأسا وإقداما ، وأكثرها ديننا ، وأحسنها ظنا وأصلحها يقينا ، وأوثقها عقدا ، وأوفاهها عهدا ، وأوفرها عددا ، وأطولها فى الشدائد يدا ، لهم شرف النجار ، وحفظ الجواد ، وحماية الذمار ، ووقود النار ، وإكرام الضيف والضرب بالسيف ، والبعد عن الغدر والعار والحيث ، والأدب والدين ، وإكرام العلماء وتوقير الصالحين ، لم يزلوا على هذا السنن القويم ، والمنهج المستقيم ، يعرفون به فى الحديث والقديم ، أبواقهم الله تعالا متصلة أيامهم ، منصورا أعلامهم ، نافذة أحكامهم ، ماضية فى الأعداء سيوفهم وأقلامهم ، بمنه وكرمه .

الخبر عن نسبهم الصريح وحسبهم العالى الصحيح

قال المؤلف عفا الله عنه :

نقلت من تقييد الفقيه أبى علي الملبانى بخط يده قال :

«بنو مرين فخذ من زناتة ، وهم من ولد مرين ، بن ورتاجن ، بن ماخوخ ، بن وجديج ، بن فاتن ، بن يدر ، بن عبد الله ، بن ورتيب ، ابن المعز ، بن إبراهيم ، بن سجيح ، بن واسين ، بن يصلين ، بن

مشرى ، ابن زاكيا ، بن ورسيك ، بن زنات ، بن جانا ، بن يحيى ، ابن تمزيت ، بن خريس ، وهو جالوت الأول ملك البربر ، ابن زجيج ، بن مادغيس الأبتى ، ابن بر ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مضر ، بن نزار ، ابن معد ، بن عدنان .

فمن زنات بن جانا تفرقت قبائل زناتة ، فهم عرب صريحون ، والسبب فى تغير لسانهم عن العربية الى اللغة البربرية ما ذكره علماء التاريخ وأهل المعرفة بالأنساب وأيام الناس أن مضر بن نزار كان له ولدان : الياس وعيلان ، أمهما الرباب بنت جندة بن عمرو بن معد بن عدنان ، فولد عيلان بن مضر ولدين : قيس ، ودهمان ، ابني عيلان ، فأما دهمان فولده قليل ، وهو بيت فى قيس يقال لهم بنوا أمامة ، وأما قيس بن عيلان فولد أربعة رجال وجارية وهم سعد ، وعمر ، وخصفة ، أمهم مدنة بنت أسد بن ربيعة بن نزار ، وبر وأخته تماضر أمهما يريغ بنت مجدلى بن مجدول بن عمار بن مضر البربرى الجدولى ، وكانت قبائل البربر اذ ذاك يسكنون الشام ويجاورون العرب فى المساكن والأسواق والمراعى ، ويشاركونهم فى المياه والمسارح والساعى ، ويصاهر بعضهم بعضا ، وكانت البهاء بنت دهمان بن عيلان بن مضر من أجمل نساء زمانها وأكملهم ظرفا وحسنا ، فكثرت خطابها من كل قبيلة من العرب ، فقال بنو عمها قيس وهم عمرو وسعد وبر وخصفة لايتزوج ابنة عمنا الا أحدنا ، ولانخرج منا الى غيرنا ، فخيروها فيمن شاءت منهم فاخترت برا ، وكان أصغرهم سنا وأكملهم شبابا ، فتزوجته دون اخوته ، ففسدوه عليها وهموا بقتله من أجلها ، وكانت أمه يريغ من دهاة النساء ، فخافت على ولدها من اخوته ، فبعثت الى البهاء بنت دهمان وأعلمتها الخبر وتواطأت معها على الخروج الى بلد اخوتها من البربر مع ولدها بسر حيث تأمن عليه ، ثم بعثت الى قومها فاتوها سرا ، فسارت معهم هي وولدها والبهاء بنت دهمان ، فلحقوا ببلاد البربر ، فنزل بر بين أخواله ، وأعرس بابنة عمه البهاء ، واعتز وامتنع ممن أراده بسوء ، فولدت له هنالك ولدين علوان ومادغيس ابني بر بن قيس بن عيلان ، فأما علوان فمات

صغيرا ولم يعقب ، وأما مادغيس فكان يلقب بالأبتر ، وهو أبو البتر من
البربر ، واليه يرفعون أنسابهم ، ومن ولده جميع زناتة .
وفى ذلك يقول بعض ولد مادغيس بن بر :

أيها السائل عن أحسابنا قيس عيلان بنى العز الأول
نحن ما نحن بنو بر النداء طارد الأزيمة نحر الإبل

ولبعض الشعراء من العرب رحمه الله فى معناه :

إلا أيها الساعى لفرقة بيننا توخ هداك الله سبل الأطايب
فاقسم أنا والبرابر اخوة نمانا وهم جد كبير المناسب
أبونا أبوهم قيس عيلان فى الذرا وفى حومة يشقى غليل المحارب
فنحن وهم ركن منيع واخوة على رغم أعداء لنائم المناقب

فمات بر بن قيس فى بلاد أخواله فنشأ ولده مادغيس وذريته فى
البربر حتى كثروا وصاروا ألوفا لاتعد ولا تحصى ، لسانهم بلغتهم ناطق
وحالهم لحالهم موافق مطابق ، يسكنون البرارى والسباسب ، ويركبون
الخيال والنجائب ، ناطقين بأفصح كلامهم ، الأخذين بأحسن سيرهم
وما هجهم ، وبذلك رثت برا أخته تماضر بنت قيس تبيكه ، وتذكر بعده
عن وطنه وقرابته وذويه ، فى أشعار كثيرة منها :

لتبكي كل باكية أخاها كما أبكى على بر بن قيس
تحمل عن عشيرته فاضحا ودون لقائه انضاء عيس
وهي القائلة أيضا :

وشطت ببر داره عن بلادنا وطوح بر نفسه حيث يمما
وأزرت ببر لكنة أعجمية وما كان بر بالهجاز بأعجما
وفى ذلك يقول صاحب أرجوزة (نظم السلوك ، فى الأنبياء والخلفاء
والملوك) عبد العزيز الملوزي :

فجاورت زناتة البرابرا فصيروا كلامهم كما ترا
ما بديل الدهر سوى أقوالهم ولم يبديل منتها أحوالهم

بل فعلهم أربا على فعل العرب
فانظر كلام العرب قد تبديلا
لا يعرفون اليوم ما الكلام
وان تمادت بهم الأحوال
كذلك كانت قبلهم مرين
فاتخذوا سواهم خليلا
في الحال والإيثار ثم في الأدب
وحالهم عن حاله تحولا
ومالهم نطق ولا افهام
لم تبق في الدهر لهم أقوال
كلامهم كالدر اذ يبين
فبدلوا كلامهم تبديلا

الخبر عن دخولهم المغرب وظهور ملكهم السنن المعجب

لما أراد الله اظهار الدولة السعيدة المرينية المباركة العبد الحقية
ونسخ الدولة الموحدية المومنية لما سبق في قدره وعلمه ، من مبرم حكمه ،
كان من تقدم من ملوك الموحدين أولى حزم ورأي ودين ، الى ان كانت
وقعة العناب ، فأذنت دولتهم بالذهاب ، فرجع الناصر منها ذا انكسار ،
فدخل لمراكش ولم يزل أمره في ادبار ، الى أن مات في سنة عشر وستمئة
مفجوعا ، وولي ولده المنتصر صبيا صغيرا هلوعا ، لم يبلغ الحلم ولا
جرب الأمور ، فاعتكف على اللهو واللعب والخمر ، وسلم الملك الى أعمامه
وقرابتة ، وفوض أموره الى وزرائه وأشياخ دولته ، فتحاسدوا فيما بينهم
على الرياسة ، وناقض بعضهم بعضا تكبرا ونفاة ، وأدرك رؤساءهم
الاعجاب ، فأضاعوا الأمور وأغلظوا الحجاب ، وقطعوا الأرحام ،
وجاروا في الأحكام ، وولوا أمورهم سفلتهم ، وتحكم عليهم
أشرارهم ، فبدا الفساد في ملكهم ، وظهر النقص في دينهم وبلادهم ،
وولت أيامهم ، وأدبرت سعودهم ، فجعل الله بأسهم بينهم ، وبعث لفتائهم
عصبة مرين ، وأيدهم عليهم فأصبحوا ظاهرين ، ومكن لهم في الأرض
وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين .

وكان بنو مرين أهل تصميم وصحة يقين ، يسكنون بلاد القبلة من
زاب أفريقية الى سجلماسة ، وينتقلون في تلك البراري والقفار ، ولا

يؤدون لأمير درهما ولا دينار ، ولا يدخلون تحت حكم سلطان ، ولا يرضون بذل ولا هوان ، لهم همة عالية ، ونفوس سامية ، لا يعرفون الحرث ولا التجارة ، ولا يشتغلون بغير الصيد وطراد الخيل والغارة ، جل أموالهم الخيل والابل والخول ، وطعامهم اللحم والتمر واللبن والعسل ، وكانت طائفة منهم يدخلون بلاد المغرب فى زمن الصيف يكتالون ميرتهم ويرعون أنعامهم ، فاذا توسط الخريف اجتمعوا ببلاد كرسيف ، ثم شدوا رحالهم وانصرفوا الى بلادهم ، كان ذلك دأبهم على مر الزمان ، وتعاقب الأحيان .

فلما كان فى عام عشرة وستمئة أتوا على دعائهم من البرية ، فوجدوا المغرب قد باد أهله ورجاله ، وفنى خيله وحماته وأبطاله ، وعات الكل بغزاة العقاب ، واستولا على بلادهم الخراب ، وعمرته السباع والذياب ، فأقاموا بمكانهم ، وبعثوا الى اخوانهم وأخبروهم بحال البلاد وخصبها وطيب مزارعها وسعة مراعيها وكثرة مياهها ومشارعها والتفاف أشجارها ، وغزير ثمارها ، واطراد عيونها وأنهارها ، وقالوا لهم أسرعوا اليها ، فليس بها من يصدكم عنها ولا من ينازعكم فيها ، فوصل الخبر الى مرين ، فبادروا الى المغرب مقبلين ، وعلى الله عزوجل فى أمورهم متوكلين ، يقطعون المهامه والسباسب ، على ظهور الخيل والنجايب ، يرومون الدنو والبلاغ ، حتى وصلوا الى وادي تلاغ (١٦٧) فدخلوا المغرب من ذلك الباب ، بالخيل والابل والمراكب والقباب ، فى جيش كالسيل أو الليل القمر ، وأم كالنمل أو الجراد المنتشر ، وذلك لأمر قد قدر ، وليظهر ماكان فى الغيب مجهولا ، وليقضى الله أمرا كان مفعولا ، لا اله غيره .

قدمت مرين الى بلاد المغرب
فى عام عشرة كان بدء دخولهم
والسعد يصحبها بنيل المطلب
من بعد ست مئين فاحفظ واكتب

وقال عبد العزيز الملزوزي فى رجزه :

167) وادى وسهل ملاصق لنهر ملوية من جهة الشرق غير بعيد عن كرسيف ، وبالمغرب الأوسط ، جنوبى مدينة سيدى بلعباس ، مدينة وسهل يدعا كلاهما أيضاً بتلاغ ، والأول هو المقصود .

فى عام عشرة وست ميه أتوا الى الغرب من البرية
جاءوا من الصحراء والسباسب على ظهور الخيل والنجائب
كمثل ما قد دخل المثلثون من قبل ذا وهم له ميمون

وكان ملوك الموحدين فى تلك السنين قد تهاونوا فى الأمور ،
واشتغلوا باللهو والخمر ، وركنوا الى الغيد فى القصور ، فأذا ذلك
بهم الى القصور ، فدخلت مرين المغرب ، والقدر يسوقهم للمكه ، ويقرب
وانتشروا فى بلاده كالجراد ، وملأت عساكرهم النجود والوهاد ، فلم
يزالوا ينتقلون فى بلاده ، ويسيرون فى نجوده ووهاده ، ويقطعونه مرحلة
مرحلة ، حتى أبادوا الجيش عام المشغلة ، وهو عام ثلاثة عشر وستمئة .
قال المؤلف عفا الله عنه :

حدثنى من أثق به من أهل التاريخ(١٦٨) أنه لما دخلت مرين المغرب تفرقت
قبائلها فى أنحاء ، وشنوا الغارات على بلاده وأرجائه ، فمن أذعن لهم
بالطاعة سالوه ، ومن بدأهم بالحرب قاتلوه وقصموه ، ففر الناس أمامهم
يمينا وشمالا ، ولحقوا بالجبال المنيعه لتكون لهم حصنا ومآلا ،
فاتصل خبرهم بيوسف المنتصر ، فأطرق يفكر فى أمرهم ويدبر ، ثم دعا
الوزراء وأشياخ الموحدين ، وشاورهم فى أمر بنى مرين ، فقالوا يا أمير
المومنين لانتهم بأمرهم ، ولا تشغل خاطرك بهم ، فهم أضعف ناصرا . وأقل
عددا ، لكننا لانتركهم سدا أبدا ، بل نبعث لهم جيشا من الموحدين ،
بيدهم فى الحين ، يقتل رجالهم ، وينهب أموالهم ، ويسبى نساءهم ،
ريشرد بهم من خلفهم ، ويطلقىء بهم جمرة من سواهم ، فبعث اليهم
بجيش من عشرة ألاف من الموحدين ، وقدم عليهم أبا علي بن وانودين ،
وأمرهم باستئصال مرين ، وقال اقتلوا الوالد والولد ، ولا تبقوا منهم على
أحد ، فارتحل الجيش عن مراکش ، قاصدا للحرب والتناوش ، فسمعت
مرين باقبالهم ، فتأهبت لحربهم ونزالهم ، وتتابعت قبائلها ، وتشاورو

رؤساؤها وأقيالها ، فاجتمعت كلمتهم واتفق رأيهم وقولهم أن يجعلوا بلقعة نازوطة حريمهم وأموالهم ، ثم أقبلوا مستعديين ، لقتال جيش الموحيدين ، فالتقا الجمعان بمقرية من وادي نكور ، فكان بينهم حرب عظيم مذكور ، منح الله فيه بني مريـن النصر على الموحيدين ، فهزموهم وقتلوهم قتلا ذريعا ، وفر من أقلت منهم خائفا فزوعا ، واحتوت مريـن على جميع ماكان فى محلتهم من الأثاث والمال ، والعدد والخيل والبيغال ، فقويت مريـن بذلك قوة عظيمة ، وشكروا الله تعالا على ماخولهم من نعمه الجسيمة ، وهابهم جميع من بالمغرب من الناس ، ودخل جل جيش الموحيدين الى رباط تازة ومدينة فاس عراة حفاة منهزمين ، وبالمشغلة محتزمين ، وبأوراقها مستترين ، قد علاهم الغبار ، واعتورهم الادبار ، وبدت عليهم الذلة والصغار ، دموعهم مرسلـة ، وقلوبهم بالحزن مشغلة ، فسمي العام عام المشغلة ، وفيه قوي أمر بنى مريـن ، وضعف ملك الموحيدين فخلت بلادهم ، وقل خراجهم ، وفنى أشرافهم ، وقتل حماتهم وأنصارهم ، وجعل الله بأسهم بينهم ، فكان أشياخهم يبايعون سلطانا ثم يخلعونـه ، ويولون غيره ثم يقتلونـه ، وينهبون نـخائره وأمواله ، ويقتسمون خـوله وعياله ، فجعلوا عبد الواحد ثم قتلوه ، وبايعوا بعده العادل ثم دخلوا عليه فخنقوه ، وبعثوا الى المامون بيعتهم ثم نكثوا ، وبايعوا ابن أخيه يحيا فى الحين وما تلبثوا ، فضعف ملكهم بذلك ، وظهر أمر بنى مريـن واعتد وقوي .

الخبر عن دولة الامير المبارك عبد الحق بن محيو

ابن أبى بكر بن حمامة

هو الأمير أبو محمد عبد الحق ، ابن الأمير أبى خالد محيو ، بن أبى بكر ، بن حمامة الزناتى المرينى ثم الحمامى ، أمير ابن أمير الى مريـن ابن ورتاج ابن ماخوخ ، شهد والده محيو بن أبى بكر غزاة الأراك مع

أمير المؤمنين يعقوب المنصور متطوعا ، فعقد له فى ذلك اليوم على جميع من فى عسكره من زنائة ، وأبلا فى تلك الغزاة بلاء حسنا ، وتوفى رحمه الله فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمئة ببلاده من قبلة زاب أفريقية بعد انصرافه من غزاة الأراك المذكورة من جراحات نالته فى تلك الغزاة فانتقضت عليه فمات شهيدا ، فقام بأمر بنى مرين بعده ولده الأمير عبد الحق ، وكان فى بنى مرين مشهورا بالتقا والفضل والدين ، والصلاح والبركة واليقين ، معروفا بالعفاف ، موصوفا فى احكامه بالعدل والانصاف ، يطعم الطعام ، ويكفل الأيتام ، ويؤثر على نفسه المساكين ، ويحنو على المستضعفين ، كانت له بركة معروفة ، ودعوة مجابة موصوفة ، كانت قلنسوته وسراويله يتبرك بها فى جميع احياء زنائة ، تحمل الى الحوامل اللواتى صعب عليهن الوضع فيهن الله تعالا عليهن الوضع ويسهل عليهن الولادة ببركته ، وكان بقية وضوئه يحمله الناس فيستشفون به لمرضاهم ، وكان رحمه الله على سنن اهل الفضل ، فلا يزال صائما فى شدة الحر والبرد ، ولا يرا مفطرا الا فى أيام الأعياد خاصة ، كثير الذكر والتسبيح والأوراد ، لا يفتقر عن الذكر على أي حالة كان ، ولا يأكل الا الحلال المحض من طيب كسبه من لحوم ابله وغنمه وألبانها ، ومما يعانيه بيده من الصيد ، فكان من قبائل مرين عالما مشهورا ، وأميرا مطاعا مذكورا ، يقفون عند أمره ونهيه ، ولايصدرون فى جميع أمورهم الا عن رأيه ، وكان قليل الولد ، فريدا فى العدد ، نام ليلة بعد ان فرغ من ورده ، وأكثر من ذكر الله وحمده ، فرأا فى سنته منامة ، كانت له ولعقبه دليل الملك والامامة ، رأا كان قبس نار خرج من ذكره فعلا فى الهواء وارتفع حتى احتوا على أقطار المغرب أجمع ، واستوا على جهاته الأربع ، فقص رؤياه على بعض الصالحين ، فقال أبشر ولا تخف منها فهى لك عز وتأمين ، هاذه رؤيا جليلة ، لك ولعقبك بها شرف وفضيلة ، دلت على الملك والتعظيم ، والتأييد والتفخيم ، انك تلد اولادا ذكورا ، ترا لهم فخرا مذكورا ، وشرفا مشهورا ، يملك المغرب منهم أربعة ، تكون الامة على آخرهم مجتمعة ، فيكون لهم التقدم والرياسة ، والامارة والسياسة ،

يتوارث الملك فى بنيه وأعقابه ، وبهم يستقر الأمر فى نصابه ، وكان الأمر كما قص عليه ، فلم يمت حتى رأى ما ذكر له قد صار إليه ، فملك أمر بنى مرين أجمع ، وتوارث الأمر بعده بنوه الأربع .

وفى شهر ذي الحجة من سنة ثلاث عشرة المذكورة زحف الأمير عبد الحق بجيوش مرين الى رباط تازة فوقف بازاء زيتونها فخرج لحربه عاملها فى جيش كثيف من الموحدين والعرب والحشود من قبائل تسول ومكناسة وغيرهم ، فقتل العامل وهزم جيشه ، وجمع الأمير عبد الحق الأسلاب والخيل والسلاح ، وقسم ذلك كله فى قبائل مرين ، ولم يتمسك منها بشيء وقال لبنيه اياكم ان تأخذوا من هاذه الغنيمة شيئا ، يكفيكم الثناء والظهور على أعدائكم .

وفى شهر جمادا الأخيرة من سنة اربع عشرة وستمئة كانت الملاقاة بين بنى مرين وبنى رباح ومن ظاهرهم من بنى عسكر ، وكانت رياح اقوا قبائل عرب المغرب وأشجعها وأكثرهم خيلا وأموالا ورجالا ، ولما أقبلوا لقتال مرين وسمعت بنو مرين باقبالهم اجتمعوا على أميرهم عبد الحق فقالوا له أنت أميرنا ورئيسنا ، فماترا فى أمر هاؤلاء العرب المقبلين الينا ؟ فقال لهم يامعشر مرين أما ان كنتم فى أمركم مجتمعين ، وفى أحوالكم متفقين ، وكنتم فى حرب عدوكم أعوانا ، وفى ذات الله اخوانا ، فلا أخشا أن القا بكم جميع اهل المغرب ، وان اختلفت أحوالكم ، وتشتت أراؤكم ، ظفر بكم أعداؤكم ، فقالوا له أنا نجدد لك البيعة على السمع والطاعة ، وعلى أن لانختلف عليك ولانفر عنك أو نموت دونك ، فانهض بنا اليهم على بركة الله تعالا ، فالتقا الجمعان بقرية (١٦٩) من وادي سبوعلى أميال من تافرطست ، فكانت بينهم حروب عظيمة ، فقتل فيها عبد الحق وولده ادريس ، فغضبت مرين لقتل أميرها وانفت لموت رئيسها وكبيرها ، وتراجعت كالأسد فى زئيرها وهريرها ، واقسمت بأيمانها الا يدفن حتى تأخذ ثأره ، وتحمي ذماره ، فحملوا على رياح حملة الأسد على الثعالب

وانقضوا فى جيوشهم انقضاض البراة فى اليعاقب ، فصبر الفريقان صبرا جميلا ، ورأوا أن لامحيد عن الموت فى حروبهم ولا تحويلا ، فاشتد الحرب بينهم والكفاح ، وكثر القتل فى الفريقين والجراح ، وتقلت السيوف ونقصت الرماح ، فنصرت مرين ومزقت رياح ، وقتل مرين منهم خلقا عديدا ، وسار من بقي منهم مهزوما شريدا ، واحتوت مرين على جميع ماكان فى محلتهم من الأموال والعدد والثياب ، والخيل والابل والدواب وقام بأمرهم بعد موت عبد الحق أميرهم ولده عثمان .

قال المؤلف للكتاب عفا الله عنه :

أخبرنى الفقيه القاضى عبد الله بن الودون وأخوه الفقيه يوسف أنهما قدما على أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق رحمه الله فى وفد أهل مدينة فاس من الشرفاء والفقهاء والصلحاء بمدينة رباط الفتح ، وذلك فى شهر رمضان من سنة ثلاث وثمانين وستمئة للسلام عليه حين قدم من حضرة مراكش يريد الجواز الى الأندلس برسم الجهاد ، فجرا فى مجلسه رحمه الله ذكر والده الأمير عبد الحق ، فقال أمير المسلمين يعقوب كان والله الأمير عبد الحق صادق اللسان اذا قال فعل ، واذا عاهد وفا ، لم يحلف قط بالله تعالا برا ولا حائثا ، ولا شرب مسكرا ، ولا ارتكب فاحشة ، ببركة ازاره تضع الحوامل اللواتى صعب عليهن الوضع ، وكان يسرد الصوم ، ويقوم اكثر الليل ، واذا سمع بصالح او عابد قصد لزيارته واستوهب منه الدعاء ، شديد الخوف من الصالحين ، متواضعا لهم ، وكان مع ذلك سما لأعدائه ، قاهرا لهم ، وما وجدنا الا بركته وبركات من دعا له من الصالحين نفعنا الله ببركاتهم .

الخبر عن دولة الامير عثمان بن عبد الحق

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما فرغ بنو مرين من قتال رياح ورجعوا من اتباعهم اجتمعوا على

أمير المسلمين عثمان بن عبد الحق فعزوه في أبيه وأخيه ، وبايعوه عـ
رضا منهم به وتنزيه ، فأخذ في غسل أبيه ودفنه ، وقلبه يلتهب بالأسـ
من حزنه .

فلما فرغ من شأنه وقف بين قومه وأخوانه فأمرهم بجمع السلسـ
والأموال ، فقسمها في قبائل مريـن بالسوية والاعتدال ، ثم سار إلى غزو
رياح وحلف إلا يكف عنهم حتى يقتل منهم بأبيه مئة شيخ من أشراقهم
فقتل منهم خلقا عديدا ، فلما رأـت رياح ذلك أذعنوا له بالطاعة ، فكف عنهم
على مال جليل يؤدونه له في كل سنة .

وفي هذه المدة ضعفت دولة الموحدين ، وظهر فيها النقص وتبين
أي تبين ، وصارت ملوكهم ليس لهم حكم في البوادي ، وإنما سلطانهم
وأوامرهم في المدن خاصة ، وكثرت الفتن بين القبائل ، واشتد الخوف
في الطرقات والمناهل ، ونبت أكثر الناس الطاعة ، وفارقوا الجماعة ، وقالوا
لولا أنهم لاسمع ولطاعة ، فاستوا الدنيا والشريف ، وأكل القوي الضعـ
وكل من قدر على شيء صنعه ، ومن أراد شرا ابتدعه ، ليس لهم سلطان
يكفهم ، ولا أمير عن غيهم يردهم ويصدهم ، وكانت قبائل فازان من جناتة
وقبائل العرب والبربر يقطعون الطرقات ، ويغيرون على القرا والمجاشر
مع الأحيان والأوقات .

فلما رأى الأمير عثمان بن عبد الحق أن ملوك الموحدين ، قد ضعفت
دولتهم ، وضيعوا حرمتهم ، وأهملوا رعيتهـم ، واعتكفوا في قصورهم .
واحتجبوا عن مهمات أمورهم ، واشتغلوا بالخمور والغواني ، وتلذذوا
باللهو وسماع الاغانى ، ورأى أن ضلالهم قد تبين ، وغزوهـم على من له
قدرة قد تعين ، وخلعهم من أوجب الواجب ، لعجزهم عن القيام بالحق
الواجب ، جمع أشياخ مريـن ، وندبهم إلى القيام بأمر الدين ، والنظر في
مصالح المسلمين ، فوجدهم إلى ذلك مسرعين ، فسار بجيوشه الوافرة ،
وجنوده المنصورة الظافرة ، في بلاد المغرب وقبائله ، وجباله وأوديته
ومناهله ، فمن سارع إلى بيعته ودخل في طاعته ، أمنه ووضع عنه
الخراج ، وتركه أمنا منيعا ، ومن حاده ونابذه أباده نهبا وقتلا وغادره

صريعا ، فكان أول من بايعه من قبائل المغرب هوارة وزكاردة ، ثم تسول ومكناسة ، ثم بطوية وفشتالة ، ثم صدراته وبهلولة ومديونة ، فوضع عليهم الخراج وأخرج لهم الحفاظ ، وصالح أهل مدينة فاس ومكناسة وبارط تازة وقصر عبد الكريم على أموال معلومة يؤدونها اليه فى كل سنة على أن يؤمن بلادهم ويرفع عنهم الغارات ، ويدفع عنهم إذا من كان يؤذيهم من القبائل .

وفى سنة عشرين وستمئة غزا الأمير عثمان بلاد فازاز ومن بها من قبائل جناتة فأخذن فيهم حتى أذعنوا له بالطاعة ، وكفوا أذاهم عن الناس واستنكفوا عن الفساد .

وفى سنة احدا وعشرين غزا من بفحص أزغار من قبائل العرب فأبادهم ، وأخلا بلادهم ، وكان رحمه الله شديد الحزم ، ذا نجدة وشجاعة وعزم ، له رأي شديد ، وعضد شديد ، وكرم وإيثار ، وحماية للذمار ، وحفظ للجار ، وحياء ودين ، وفضل مستبين ، معظما للفقهاء ، مكرما للصلحاء ، سلك بذلك نهج أبيه وطريقته ، ولم يزل على ذلك الى أن توفي رحمه الله ، اغتاله علق كان له رباه صغيرا ضربه بحربة فى منحره فمات من حينه ، وذلك فى سنة ثمان وثلاثين وستمئة ، فكانت أيام امارته على مرين وىوادي المغرب من وفاة والده وبيعة قبائل مرين له ثلاثا وعشرين سنة وسبعة أشهر .

الخبر عن دولة الامير أبى معرف محمد بن عبد الحق

لما قتل الأمير عثمان بن عبد الحق اجتمع أشيخا بنى مرين انى أخيه الأمير محمد فبايعوه على السمع والطاعة ، وان يحاربوا من حارب ، ويسالموا من سالم ، فاستقام له أمرهم ، وسار فيهم بسيرة أخيه ، وفتح كثيرا من جبال المغرب وىواديه ، وكان رحمه الله شهما بطلا شجاعا مؤيدا منصورا مهايا مطاعا كثير الغارات حسن السياسة والمحاولة ، لم

يفتر في أيامه عن قتال ، ولم يزل مرتكبا للحروب والأهوال ، عارفا بمكاييد الحرب وخدمه ، فكان كما وصفه الشاعر في رجزه :

وكان في أموره مسدد	ثم تولا بعده محمد
مواقبا للحرب والنزال	فكان لايفتر عن قتال
ومن جموع جمة الحشود	كم عسكر لاقا وكم جنود
أفناه بالحروب والتناوش	وكل جيش جاء من مراکش
لكنه مؤيد معان	نهاره وليله طعان

كان الأمير أبو معرف مع ذلك مبارك الامارة ، ميمون النقيبة .
حسن الادارة ، ذا عقل ودهاء ، ورأي وصدق ووفاء ، اذا صال أفنا
واذا أعطا أغنا ، واذا رأى الفرصة انتهزها ، لم يزل يحارب جيوش
الموحدين فيرجعون عنه خاسرين ، الى أن كانت سنة اثنتين وأربعين وقد
تمكن في الملك اي تمكين ، فأخبر السعيد بشدة بأسه وجلاده ، وأنه قد
استحوذ على اكثر بلاده ، فبعث اليه بجيش كثيف من عشرين ألف فارس
من قبائل الموحيدين والعرب وهسكورة وقواد الروم ، فسار الجيش قاصدا
اليه ، فسمع الأمير محمد باقباله ، فاستعد لقتاله وعول عليه ، فالتقا
الجمعان بموضع يعرف بصخرة أبي بياش من أحواز مدينة فاس ، فكانت
بينهم حروب كثيرة عظيمة لم يسمع بمثلا من أول النهار الى آخره ،
فلما كان العشي قتل الأمير محمد بن عبد الحق ، قتله زعيم من الروم في
المعترك تحاملا قطمرت به الفرس فأمكن الرومي منه الغرة قطعته فمات
رحمه الله وانهزمت مرين واتخذوا الليل جملا ، فأسروا طول ليلتهم
بأولادهم وعيالهم ، وخيلهم ، وأموالهم ، فأصبحوا بجبال غياثة فتمنعوا
بها أياما ، وكانت هذه الواقعة وموت الأمير محمد عشية يوم الخميس
التاسع من جمادا الأخيرة سنة اثنتين وأربعين وستمئة (١٢ نونبر سنة
١٢٤٤ م) وولي مكانه أخوه الأمير أبوبكر بن عبد الحق رحمه الله تعالا

الخبر عن دولة الامير أبى بكر بن عبد الحق

رحمه الله

هو الأمير أبو بكر بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة
الزناتى ثم المرينى .

أمه : الحرة العبد الوايدية .

كنيته : أبو يحيى

صفته : كان أبيض اللون مشربا بحمرة ، تام القد ، بسيط الجسم ،
حسن الوجه طلق اليمين ، يضرب بقلتا يديه ، ويرمى بحربتين فى حالة
واحدة ، فارسا شجاعا بطلا ، لم يكن فى زمانه مثله ، ذا عزم وحزم
واقدام ، زعيما ضرغاما ، كان فى الحروب فريد عصره ونسيج وحده
يقوم فى الجيش مقام حيدرة ، وكان الأبطال يهابون مبارزته ، والزعماء
يخافون محاربهه ومناجزته ، وكان مع ذلك كريما جوادا كالغمام ،
يعطى عطاء تعجز عنه الملوك العظام ، وفيا بالعهود صادقا فى الأقوال
والوعد .

فاق ملوك الأرض بالزعامة وبالوفا والصدق والكرامة

وهو أول ملك فى بنى مرين جند الجنود ، وضرب الطبول ونشر البنود ،
وملك الحصون والبلاد ، واكتسب الطارف والتلاد ، وأعطى النصر
والتمكين ، فكان عنوان سعد بنى مرين .

لما تمت بيعته ، واستقرت فى الملك طلعتة ، كان أول شيء فعله ، أنه
جمع أشياخ قبائل بنى مرين فقسم عليهم بلاد المغرب ، فأنزل كل قبيلة
فى ناحية منه ، وجعل لها ما نزلت فيه من الأرض ، وما غلبت عليه من
البلاد طعمة لا يشاركون فيها غيرهم ، وأمر كل واحد من الأشياخ ان
يركب الرجال ، ويستكثر من الفرسان للقتال ، ثم سار هو بجملته فنزل

جبل زرهون (١٧٠) باخوانه ومحلته ، وكان يغادى مدينة مكناسة ويراوحها حتى غلب عليها وملكها وذلك فى سنة ثلاث وأربعين وستمئة فى أيام السعيد الموحدى فتحها صلحا على يد شيخها أبى الحسن ابن أبى العافية ، فاتصل بالسعيد ملك الموحدى تملك أبى بكر اياها فخرج الى قتاله من مراكش فى جيوش عظيمة وجنود وافرة من الموحدىن والمصامدة والعرب والروم ، فسار حتى وصل الى وادي بهت ، فنزل به وأخذ فى تمييز جيوشه ، فخرج الأمير أبوبكر ليلا وحده من مكناسة متحسسا ومتجسسا يتطلع على عساكر السعيد ، فسار حتى وصل المحلة وشاهد أحوالها وعان كثرة جيوشها وأبطالها ، فعلم أنه لاطاقة له ببقائه ، فتخلا له عن البلاد ، وبعث الى قبائل مرين فاجتمعت اليه من كل واد ، فارتحل بهم الى قلعة تازوطة من بلاد الريف ، وأنا السعيد حتى نزل مكناسة ، فتلقاه أهلها بأولادهم وعيالهم يطلبون عفوه ، فعفا عنهم وأمنهم ، وارتحل عنهم الى مدينة فاس ، فنزل بظاهرها من ناحية القبلة ، فخرج أشياخها فسلموا عليه ، فنكلم لهم خيرا ، وسألوه دخول المدينة فأبأ وارتحل الى رباط تازة ، فنزل بخارجه فبعث اليه الأمير أبوبكور ببيعته فقبلها ، وكتب

(١70) جبل زرهون جبل يقع الى الشمال من بسيط سـ يس الامتد بين فاس ومكناس وابتدأه بالنسبة للذاهب اليه من مكناس المحل المعروف بغنبة العربى ، وهو جبل جيد التربة كثير الأشجار المغلة ، عديد القرا ، من أشهر قراه زاوية مولاي ادريس ، وكان يسكن هاذا الجبل فى صدر الاسلام قبيلة أوربة ، ثم انحازت اليه أجيال من قبائل الريف ، ثم طرأت عليه وعلى سهل سايس الواقع الى الجنوب منه فلول قبائل المغرب الشرقى والمغرب الاوسط التى انحاست الى داخلية المغرب الأفضا أمام زحف الجيش الفرنسى على الأقاليم الجزائرية وتوغلها فى الأقاليم المغربية الشرقية والجنوبية فى القرن الماضى فهى بهما الى الآن ، من أشهر هذه القبائل والبطون حيمان والمهايا وأشجع (الشجع) والنصيريين والغناتمة والرواشد وفرطاسة وأولاد سيدي الشيخ وذوى منيع ، ولهذا الجبل قدسية فى نفوس سكان المغرب لدفن الامام ادريس به ، وله ذكر طويل يذكر فى تاريخ انتشار الاسلام واللغة العربية بالمغرب الأفضا .

وقد ورد ذكر جبل زرهون فى شعر محمد ابن الخطيب السلمانى فى قطعة مدح بها مدينة مكناس يقول فيها :

وكفاك شاهد حسنها وجمالها	أن أوترت بالقرب من زرهون
جبل تضاحكت البروق بجوه	فبكت عذاب عيونه بعيون
وكأنما هو بربرى نافد	فى لوحه والتين والزيتون

له بالأمان هو وجميع قبائل مرين على أن يبعث معه خمسمئة فارس من أنجاد بنى مرين برسم الخدمة ، فقال له الأمير أبوبكر يا أمير المومنين ارجع الى حضرتك وقونى بالجيش والرماة وأنا أكفيك أمر يغمراسن(١٧١) وافتح لك تلمسان وأحوازها ، فعزم السعيد على ذلك ثم استشار وزراءه فيه ، فقالوا له يا أمير المومنين لاتفعل ، فان الزناتى أخو الزناتى ، لا يخذله ولا يسلمه ، فنخاف ان يصطلحا عليك ، ويجمعا على حريك ، فكتب له أن يقعد بموضعه ، ويبعث اليه بالحصنة ، فبعث اليه خمسمئة فارس من أنجاد بنى مرين ، فسار السعيد الى تلمسان ، فمات على قلعة تامزجردت من أحوازها وهو محاصر ليغمراسن بن زيان ، فاتصل خبر موته بالأمير أبى بكر ، وقدمت عليه الحصنة التي كانت توجهت مع السعيد للخدمة ، فأعلموه بموته وافتراق جيوشه ونهب أمواله وعياله ، فجد السير الى مكناسة فدخلها وملكها ، فأقام بها أياما وخرج الى رباط تازة فملكه وفتح جميع حصون ملوية ، وذلك كله فى آخر شهر صفر من سنة ست وأربعين وستمئة (الاثنين ٢٥ يونيو سنة ١٢٤٨ م) .

وفى آخر شهر ربيع الاول من سنة ست وأربعين (الخميس ٢٣ يوليوز) المذكورة ملك الأمير أبوبكر مدينة فاس ودخلها صلحا عن رضا من أهلها ، فبعث اليه أشياخها فاتاهم فبايعوه بالرابطة التي بخارج باب الشريعة ، وكان أول من بايعه الشيخ الفقيه الصالح عبد الله الفشتالى، ثم الفقهاء والأشياخ ، وأخرجوا السيد أبى العباس من القصبية بعياله وأولاده فأمنه الأمير أبوبكر وأعطاه خمسين فارسا يبلغونه الى وادى أم الربيع ، ودخل الأمير أبوبكر مدينة فاس يوم الخميس قرب الزوال السادس والعشرين من ربيع الآخر من السنة المذكورة (١٨ غشت) وذلك

(171) يغمراسن بن زيان ، فارس زناتة الأشهر ، وبطلها الأكبر ، مؤسس الدولة العبدالوادية الزيانية بتلمسان ، ولد عام 600 وبويح بالامارة يوم الأحد 24 ذى القعدة عام 6٥١ هـ ومات بوادى رهيو يوم الاثنين 29 ذى القعدة عام 681 هـ ونقل جثمانه الى تلمسان فألحد بها ، كان مزاحماً فى ملكه بنى عمه مرين ملوك فاس ، وبسبب حروبهم معه والحروب التي توصلت بين أنبائهما وحفدهتما من بعدها ضاعت الأندلس وذهبت هيبة أقطار المغرب وتيسرت السبل أمام الاسبانيين والبرتغاليين لاحتلال شواطئها .

بعد موت السعيد بشهرين ، فاستقامت له الأمور بالمغرب وتمهد له الملك وتدمت عليه الوفود للبيعة والتهنئة وتهننت البلاد وتأمنت الطرقات وكثرت الخيرات ، وتحركت التجارة ، وأمر القبائل بسكنا الأوطية وعمارة القرا والمداشر الخالية والاستكثار من الحرث ، فرخصت الأسعار وصلح أمر الناس ، وأعطى رباط تازة الى أخيه يعقوب مع جميع ملوية ، وأقام هو بمدينة فاس سنة كاملة ، والوفود تقصد اليه من كل ناحية .

فلما كان فى شهر ربيع الأول من سنة سبع وأربعين وستمئة خرج الأمير أبوبكر من مدينة فاس الى معدن العوام من بلاد فازاز واستخلف عليها مولاة السعود بن خرباش الحشمى ، فلما أوغل أبوبكر فى بلاد فازاز اجتمع نفر من أشياخ فاس الى قاضيها أبى عبد الرحمان المغيلى وتأمرؤا على خلع الأمير أبى بكر وقتل مولاة السعود الذي تركه خليفة عليهم وأن يبعثوا ببيعتهم الى المرتضا ويضبطوا بلادهم الى أن يأتيهم عامله فيمكنوه منه ، فاتفق رأيهم على ذلك وبعثوا الى القائد الشديد الرومى فتواطؤا معه على ذلك ، وكان القائد شديد قد ولاه الموحدون قيادة مدينة فاس فكان بها فى مئتي فارس من الروم الى أن دخلها بنو مرين ، فأقروه على حاله وخدمته ، وكان مائلا الى الموحدين ، فقالوا له تقتل هذا السعود وتضبط بعده البلاد وتبعث الى المرتضا ببيعتنا فبيعت لنا بوال من قبله يقوم بأمرنا ، فتضمن لهم الرومى بقتل السعود ، فلما كان صبيحة يوم الثلاثاء الموفى عشرين لشوال من سنة سبع وأربعين المذكورة (٢٦ يناير سنة ١٢٥٠ م) طلع الأشياخ الى القصبه يصبحون على السعود ، فسلموا عليه وقعدوا بين يديه ، فانتهرهم السعود وأغلظ لهم فى القول وتوعدهم فردوا عليه أسوأ رد ، ثم نادوا بشعارهم الى القائد الرومى ، وكان واقفا فى عسكره أمام القبة ، فقتل السعود وأربعة من رجاله واحتزوا رأسه وجعلوه على عصار (١٧٢) وطوفوه بأسواق المدينة وطرقها

١٧٢) عصار : وفى بعض النسخ عسا ، والذي فى الذخيرة السننية عصار ، وهو عود غليظ كصا الفاس تمصر عليه الثياب بعد غسلها تسهلا لتنشيفها وتبييسها ، ومازالت الكلمة مستعملة فى عامية فاس الى اليوم .

ودخل الأشياخ القصر وأخذوا ما وجدوا به من الأموال والأثاث والخول وانتهبوا ذلك كله وسدوا أبواب المدينة وبعثوا ببيعتهم الى المرتضا ، فاتصل الخبر بالأمير أبى بكر فجد السير نحوهم فوجد أبواب المدينة مغلقة فى وجهه وأشياخها مستعدين لقتاله ، فحاصروهم بها مدة من تسعة أشهر ، فلم يقدر منها على شيء ، واتصل به أن يغمراسن بن زيان خرج عن تلمسان برسوم رباط تازة ، فترك على فاس حصنة من بنى مريين تحاصرها ، وتباكرها بالقتال وتراوحها ، وارتحل عنها الى لقاء يغمراسن وقتاله ، فنتلقاه بوادي ايسلى من أحواز وجدة ، فكانت بينهما حروب عظيمة هزم فيها يغمراسن وفر وترك أمواله ومحلته ، فاحتوا الامير أبوبكر على ذلك كله ، وقتل من بنى عبد الواد فى هاذه الوقعة أنجادهم ، ثم رجع الأمير أبوبكر الى فاس فوصلها فى جمادا الأخيرة من سنة ثمان وأربعين وستمئة ، فشدد عليها الحصار والقتال ، فلما رأى ذلك أهلها سقط فى أيديهم ، ورأوا أنهم قد ضلوا فى فعلهم ، ان لم ياتهم ناصر من قبائل الموحديين ، وليس لهم بد من طاعة بنى مريين ، فبعثوا الى الأمير أبى بكر يطلبون منه الأمان ، ويسألونه العفو والامتنان ، فأمنهم على ان يعطوه ما أخذ له من المال ، وذلك مئة الف على الكمال ، فأجابوه لذلك وفتحوا له أبواب المدينة ، فدخلها فى أحسن ترتيب وأكمل زينة ، وذلك فى الثالث والعشرين من جمادا الأخيرة المذكورة ، فأقام بها أياما الى أول رجب التالى له ، وهم يسوفونه فى المال ويوذون له فى المقال ، فلما رآه ذلك منهم قبض على أشياخها ورؤسائها وأشرفها فتثقفهم فى الحديد وطلبهم بالمال والأثاث الذي انتهبوه من قصره ، فقال لهم شيخ منهم يعرف باين الخبا انما فعل الذنب مناستة ، فكيف تهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ ولو فعلت ما أقول لك لكان صوابا وحزما ، قال وماهو أيها الشيخ قال : تخرج هاؤلاء الستة الذين سعوا فى الفتنة وكانوا رؤوسها لتسيف فتعشف بهم وتأخذنا نحن بغرم الأموال ، قال صدقت ، فقتل الأشياخ الستة ، وهم الشيخ القاضى أبو عبد الرحمان المغيلى ، وولده ، والشيخ المشرف ابن جشار وأخوه وابن أبى طاطو وولده ، ونهبت ديارهم وأموالهم

وأخذت رباعهم ، وكان قتلهم خارج باب الشريعة يوم الأحد الثامن من شهر رجب المذكور عام ثمانية وأربعين وستمئة (٦ أكتوبر ١٢٥٠ م) وأخذ سائر الأشياخ بغرم الأموال فذلوا ولم يكن فيهم من يرفع رأسا بعدها الى اليوم

وفى سنة تسع وأربعين وستمئة ملك الأمير أبوبكر مدينة سلا وولا عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق .

وفى سنة ثلاث وخمسين وستمئة هزم الأمير أبوبكر المرتضا بجبال بهلولة من أحواز فاس واحتوا على جميع ماكان فى محلته من الأموال والعدد والأخبية والقباب والخيل والابل والخول ، وملك فيها بنو مرين أموالا جلية .

وفى سنة خمس وخمسين وستمئة ملك الأمير أبوبكر مدينة سجلماسة ودرعة وكانتا للمرتضا ، فطمع فيهما يغمراسن ، وسار نحوهما فى جيش كثيف من بنى عبد الوادي والعرب ، فاتصل خبر مسيره اليهما بالأمير أبى بكر وهو بمدينة فاس ، فجمع عساكر مرين وجد السير الى سجلماسة ، فوجد يغمراسن قد نزل بخارجها من باب تاخنست ، فكانت بينهما حروب عظيمة هزم فيها يغمراسن وفر الى تلمسان وأسلم له سجلماسة ودرعة فملكها وأقام بهما حتى أصلح أحوالهما وولا عليهما عامله أبى يحيى القطرانى وأوصاه بما أحب ، وارتحل الى مدينة فاس فدخلها وقد عظم ملكه وكثر جيشه وجنوده ، وتأمنت البلاد ، وانقمع أهل الفساد ، وكثرت العمارات ، وفنى أهل الدعارات .

وفى سنة ست وخمسين وستمئة فى رجب منها مرض الأمير أبوبكر بمدينة فاس فمات بها بعد أيام حتف أنفه ، ودفن بباب الجيزيين (١٧٣) من أبواب عدوة الأندلس بازاء قبر الشيخ الفقيه الصالح محمد الفشتالى تبركا به ، فإنه رحمه الله كان أوصا بذلك فى حياته ، فكانت أيام ملكه

(173) تسما اليوم باب الحمراء ، والجيزة الناحية والجهة المقابلة لك من الوادى ، وما زالت الكلمة مستعملة فى العامية الى اليوم ، لكن العامة تقلب جيمها دالا فتقول (ديزة) كما تقول فى كلمة جاز (داز) .

من يوم بويج بعد وفاة السعيد فى أول ست وأربعين الى أن توفي فى شهر رجب سنة ست وخمسين عشر سنين كاملة وأشهرها .

ولما توفي الأمير أبوبكر قام عامله أبو يحيى القطرانى بسجلماسة بالدعوة لنفسه وبإيعة أهله فأقام أميرا عليها سنتين ثم قتل سنة ثمانية وخمسين ، وقام فيها علي بن عمر بدعوة المرتضا فملكها ثلاث سنين ونصفا الى أن توفي علي بن عمر المذكور فى سنة اثنتين وستين وستمئة ، فقام بها عرب المنبات بدعوة يغمراسن بن زيان ، وبعثوا اليه ببيعتهم ، فبعث اليها عاملا من بنى عبد الوادى ، فلم تزل بيد يغمراسن بن زيان الى أن دخلها عليه أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق فى الآخر يوم من صفر سنة ثلاث وسبعين وستمئة (الاثنين ٣ شتنبر سنة ١٢٧٤ م) .

الخبر عن دولة أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق

المرينى رحمه الله

هو أمير المسلمين عبد الله ، يعقوب ابن الأمير عبد الحق ، بن محيو ، بن أبى بكر ، بن حمامة ، بن محمد الزناتى ثم المرينى الحمامى .
أمه : حرة اسمها أم اليمن بنت علي البطويى الزناتى ، كانت أمه وهي بكر رأت فى منامها كأن القمر قد خرج من قبلها حتى صعد فى السماء ، وأشرق نوره بالأرض ، فقصت رؤياها على أبيها فسار الى الشيخ الصالح أبى عثمان الورياكلى فقص عليه رؤيا ابنته ، فقال له ان صدقت رؤيا هاذة الجارية فانها تلد سلطانا عظيما صالحا عادلا يعم الناس خيره وبركته فكان كذلك ، ولما تزوجها الأمير عبد الحق قال له والدها علي : بارك الله لك فيها ، أما والله أنها لفانصية خير مباركة ، وانك لتعرف بركتها ، وستلد لك ملكا عظيما يكون لك عزا ولقومك الى آخر الدهر .

مولده : فى سنة سبع وستمئة وقيل فى سنة تسع وستمئة •

كنيته : أبو يوسف •

لقبه : المنصور بالله •

صفته : كان رحمه الله أبيض اللون ، تام القد ، معتدل الجسم ، حسن الوجه ، واسع المنكبين ، كامل النحية معتدلاً أشيب ، كأن لحينه من بياضها قطعة ثلج ، مليح الوجه ، كريم اللقاء ، شديد الصفح ، حسن السيرة ، حليماً متواضعاً شقيقاً كريماً جواداً مظفراً منصور الراية ، ميمون النقيبة ، لم تهزم له قط راية ، ولم يقصد قط عدواً الا قهره ، ولا جيشاً الا هزمه ، ولا بلداً الا فتحه ، صواماً قواماً دائم الذكر كثير البر ، لا يزال ذاكراً اثناء الليل وأطراف النهار سبحته فى يده لايزالها فى اكثر اوقاته ، مكرماً للصالحين موقراً لهم معظماً للعلماء مقرباً لهم ، حاضراً فى مصالح المسلمين ، كثير الخير والرفقة على الضعفاء والمساكين ، لما ولي واستقام له الأمر صنع المارستان للمرضى والمجانين ، وأجرى عليهم النفقات وجميع ما يحتاجون اليه من الأغذية والأشربة ، وأمر الأطباء بتفقد أحوالهم كل يوم غدوة وعشية ، وأجرى على الكل الانفاق من بيت المال ، وأجرى على الجذما والعميان والفقراء مالا معلوماً يأخذونه فى كل شهر من جزية اليهود لعنهم الله ، وبنا المدارس ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن وطلب العلم ، وأجرى عليهم المرتبات فى كل شهر ، كل ذلك ابتغاء ثواب الله تعالاً نفعه الله بقصده الصالح •

قضاته : بفاس الفقيه علي بن أحمد المعروف بابن القزاز ، والفقيه محمد بن عمران ، والفقيه أبو جعفر المزدغى ، والفقيه أبو أمية الدلائى ، وقضاته بحضرة مراکش الفقيه القاضى العالم المشاور أبو عبد الله الشريف ، والفقيه القاضى أبو فارس العمرانى •

وزرأؤه : الشيخ الوزير يحيى بن حازم العلوي ، والشيخ الوزير

أبو علي بن أبي منديل العسكري ، والشيخ الوزير أبو سالم فتح الله الصدراتى •

حاجبه : مولاه القائد عتيق .

كتابه : الفقيه أبو عبد الله الكنانى وأخوه الفقيه أبو الطيب سعد الكنانى ، والفقيه أبو عبد الله ابن الربيب ، والفقيه أبو عبد الله العمرانى وكتب له فى آخر عمره الفقيه عبد الله بن أبى مدين العثمانى .

بويق له رحمه الله بالخلافة بعد وفاة أخيه أبى بكر بثمانية أيام ، وذلك فى اليوم التاسع والعشرين من رجب سنة ست وخمسين وستمئة (الخميس ١ غشت سنة ١٢٥٨ م) وسنه يوم بويق ست وأربعون سنة ، واستقام له الأمر ، وفتح البلاد من أقصا السوس الى وجدة ، وفتح حضرة مراکش ، وقطع ملك الموحدين ومحا أثرهم ، وفتح مدينة سجلماسة وبلاد درعة ومدينة طنجة ، وبايعه أهل سبتة على مال يؤدونه له فى كل سنة ، وجاز الى الأندلس برسم الجهاد ، فملك بها مايزيد على الخمسين مصرا مابين مدن وحصون ، منها مالقة ، ورندة ، والجزيرة الخضراء ، وطريف ، والمنكب ، ومريالة ، واشبونة ، ومابين ذلك من الحصون والقرا والبروج ، وخطب له على جميع منابر المغرب ، وهو أول ملك من بنى مرين حما الاسلام وشتت الصليبان وغزا الروم فدوخهم وقهر ملوكهم وحصرهم ، وأعز الله تعالا به الدين ، ورفع بدولته منار المسلمين وكانت الروم قبل ذلك قد استطالت أيديهم ، فملكوا أكثر بلاد الأندلس ، ولم ينصر بها للمسلمين راية من وقعة العقاب التي كانت فى سنة تسع وستمئة الى أن جازت للجهاد رايته المنصورة وجيوشه ، وذلك فى عام أربعة وسبعين وستمئة ، فملك العدوتين ، واحتوا على ملك الحضرتين ، فله الغزوات المشهورة ، والمآثر المذكورة ، والسير المحمودة ، والفضائل المشهودة والورع والدين ، والعدل والرفق بالمسلمين .

وقد كان منصورا على كل من ناوأه ، مؤيدا على من عاداه ، لم يزل على هذا السنن القويم ، الى أن أتاه اليقين ، وانتقل الى دار النعيم

الخبر عن سيره الجليلة ومآثره الجميلة

نذكرها مختصرة وجيزة ، ونقتصر منها على ما ذكر عبد العزيز الملزوزي صاحب الارجوزة :

قد حاز فيها قصبات السبق
ويذكر العلوم والآداب
وماله عن ورده من ميل
قام وصلا للالاه وركع
حتى يتم الحزب فى التغليس
والقصص التى بكل خبر
وبعده المعروف بالانجاد
ومن لديه من أجل الكنية
ثم يصلها كفعل الصلحا
فى باطن من سره وظاهر
للرأى والتدبير والتزيين
ولا فتا فى قوله يجور
وبينهم يعقوب مثل البدر
وحل فى مكانة مكينه
قام الى بيت النداء والفخر
يأتى بقصد نهيه والأمر
ولم يزل الى صلاة العتمه
ويترك الوزير والخديما
يدبر الأمور والادارة
ينوي الجهاد باطنا وظاهرا
مبارك طالعه ميمون
ونشر العدل على العباد

سيرة يعقوب بن عبد الحق
سيرته أن يقرأ الكتابا
يقوم للصلاة ثلث الليل
حتى اذا ما الصبح لاح وانصدع
وضج بالتسييح والتقديس
يقرأ أولا كتاب السير
ثم فتوح الشام باجتهاد
سؤاله تعجز عنه الطلبة
يقعد للكتب الى وقت الضحا
ويأمر الكتاب بالأوامر
ويدخل الأشياخ من مريم
مجلسه ليس به فجور
كانهم مثل النجوم الزهر
قد ألبس الوقار والسكينة
حتى اذا ما حان وقت الظهر
يبقا الى وقت صلاة العصر
فينصف المظلوم ممن ظلمه
ثم يؤم بيته الكريما
ثم ينام تارة وتاره
ما ان ينام الليل الا ساهرا
رايته يصحبها التمكنين
فأمن الغرب من الفساد

ولم يدع فى الغرب من يجور
وخضعت مريـن تحت قهره
ورفع الظلم عن الرعيه
فهل سمعتم مثل هاذي السيره
كـذاك كان فعـله قديما
وزالت الاموال والفجور
وأذعنوا لنهيـه وأمره
وقمع الطغاة فى البريه
وهآذه المآثر الأثيرة
بـذاك نال الملك والتعظيما

ولما استقامت له الامور وتوطأ له الملك ، خرج من مدينة فاس الى رباط تازة يستشرف منها على أخبار يغمراسن بن زيان ، فدخلها فى أول يوم من شعبان من سنة ثمانية وخمسين وستمئة (الاثنين ١٢ يوليوز سنة ١٢٦٠ م) فأقام بها الى اليوم الرابع من شوال ، فوصله الخبر أن النصارا دخلوا عدينة سلا غدرا ووضعوا السيف فى أهلها فقتلوا رجالها وسبوا نساءها وأموالها وتمنعوا بها ، فكان دخولهم اياها ثاني يوم من شوال ، من سنة ثمانية وخمسين المذكورة ، فخرج من فوره مسرعا لاستنقاذها مشمرا عن ساعد الجد فى أمرها ، وكان خروجه اليها من رباط تازة بعد أن صلا العصر فى اليوم الرابع من شوال المذكور الذي اتصل به الخبر فيه فى نحو الخمسين فارسا ، فأسرا ليلته تلك ، ومن الغد صلا بظاهر سلا صلاة العصر ، فوصلها فى يوم وليلة ، ونزل على من بها من الروم، وتداركت عليه جيوش المسلمين والقبائل المطوعين من جميع أفاق المغرب، فحاصر الروم بها ، وضيق عليهم فيها ، ولم يرفع عنها القتال ليلا ولا نهارا حتى فتحها وأخرج النصارا قهرا عنها بعد أربعة عشر يوما من دخولهم اياها .

فلما خرج النصارا عنها بنا عليها السور الغربي الذي يقابل الوادي ، لأنها كانت لاسور لها من تلك الجهة ، فكان خروج النصارا منه ، فسار فى بنائه فبناه من أول دار الصناعة الى البحر ، وكان رحمه الله يقف على بنائه بنفسه ، ويمكن الصخرة بيده ، ابتغاء ثواب الله تعالا وتواضعا وحياطة على المسلمين حتى تم السور بالبناء والتحصين .

وفى هآذه السنة ملك أمير المسلمين بلاد تامسنا أنقا .

وفيها وصلت هدية المرتضا صاحب مراکش الى أمير المسلمين يعقوب وكتابه يطلب منه سلمه فصالحه أمير المسلمين وجعل الحد بينه وبينه وادي أم الربيع (١٧٤) .
قال المؤلف عفا الله عنه :

وفى السنة التي ولي فيها أمير المؤمنين يعقوب أنزل الله تعالا على أهل المغرب البركات ، وفتح عليهم بالخيرات ، فقرأ الناس فيها من الدعة والخير مالا يوصف ولا يقوم أحد بشكره ، بيع الدقيق فيها بمدينة فاس وغيرها من بلاد المغرب ربع بدرهم ، والقمح ستة دراهم للصحفة والفول وجميع القطنى مالها سوم ، ولا يوجد من يشتريها ، والعسل ثلاثة أرطال بدرهم ، والزيت أربعون أوقية بدرهم ، ولحوم البقر مئة أوقية بدرهم ، ولحوم الضأن سبعون أوقية بدرهم ، والكبش بخمسة دراهم ، والزيت درهم ونصف للربع ، والتمر ثمانية أرطال بدرهم ، واللوز صاع بدرهم ، والشابل الطري فرد بغيراط ، والملح حمل بدرهم ، وذلك ببركته ويمن خلافته وحسن سيرته ونيته .

وفى سنة تسع وخمسين وستمئة فسد ما بين أمير المسلمين يعقوب والمرتضا الموحد صاحب مراکش ، فسرح فى أطراف بلاده ، وفيها كانت وقعة أم الرجلين بين أمير المسلمين يعقوب وجيش المرتضا من العرب والروم والموحدين ، فهزم جيش المرتضا وقتل حماتهم وفر من بقي وتركوا أموالهم ، وكان المرتضا قد استعد لهاذه الغزاة غاية الاستعداد ، وبعث فيها وجوه الموحدين ، وأشياخهم وسائر عرب جشم من الخلط وسفيان والأثبج وبنى جابر وبنى حسن وقواد الروم والأندلس والأغزاز ، ولم

(174) نهر عظيم ينبع من جبال الأطلس المتوسط بين خنيفرة وعين اللوح ، ويصب فى المحيط الأطلسى عند مدينة أزموور بعد ما يقطع فى جريه مسافة 600 كلم ، تقدر كمية فيضه بألف متر مكعب فى الثانية خلال فصل المطر وتنخفض فى فصل الصيف الى أربعين متراً مكعباً فى الثانية فقط ، من أكبر روافده وادى العبيد الشهير ، أقيم على نهر أم الربيع سد علوه 50 م بالمكان المدعو ايمفوت يسقى 150 ألف هكتار من سهول دكالة ، كما أقيم على وادى العبيد سد بين الويدان الشهير الواقع خلف بنى ملال ، ويبلغ علو هذا السد 132 م وتسقى مياهه أراضى فلاحية مساحتها 160 ألف هكتار ، وتولد من الكهرباء كل سنة 600 مليون كيلو واط .

يترك بحضرته من جيشه أحدا الا نفرا يسيرا ، فهزم الكل وتركوا أموالهم
وآثقالهم وعددهم وسلاحهم ، فاحتوا أمير المسلمين يعقوب على ذلك كله .
وفى سنة ستين وستمئة سار أمير المسلمين يعقوب الى مراكش ،
فنزل بجبل جليز ، ثم زحف اليها وبرز عليها أحسن تبريز ، وصف
جيوشه ، ونشر ألويته وبنوده ، فأنحصر المرتضا بها ، وغلق على نفسه
أبوابها ، وفى ذلك يقول عبد العزيز الملزوزي فى رجزه رحمه الله
وعفا عنه :

فى عام ستمئة وستين	سار لمراكش سلطان مرين
فوقف المنصور فى كليز	مبرزاً بأحسن التبريز
وعاد فيها المرتضا محصورا	ولم يكن فى قصره منصورا
ودارت الأعراب بالأسوار	واعتمدوا فيها على الحصار

فأخرج المرتضا لحربه السيد ادريس الكنا بأبى دبوس ، فكانت
بينهما حروب عظيمة قتل فيها الأمير عبد الله بن أمير المسلمين يعقوب ،
فارتحل عن مراكش بسبب قتل ولده فدخل مدينة فاس فى أآخر شهر
رجب من سنة احدا وستين وستمئة .

وفى سنة احدا وستين وستمئة المذكورة طلع النجم أبو الذوائب ،
وكان ظهوره يوم الثلاثاء الثانى عشر لشعبان من السنة المذكورة (٢٢)
يونيو سنة ١٢٦٣ م) وبقي يطلع فى كل ليلة فى وقت السحر نحو من
شهرين .

وفى هذه السنة جاز الفارس الأنجد عامر بن ادريس فى جمع من
بنى مرين والمطوعة يزيدون على ثلاثة الاف فارس برسم الجهاد ، فعقد
لهم أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق رايته المنصورة ، وأعطاهم العدد
والخيل وودعهم ودعا لهم ، وهو أول جيش من بنى مرين جاز الى الأندلس
وفى سنة اثنتين وستين وستمئة توفي ادريس ابن أبى قريش عامل
أمير المسلمين على بلاد المغرب .

وفى سنة ثلاث وستين وستمئة بعث الفقيه العزفى صاحب سبته

أجفانه الى هدم سور أصيلة وقصبتها ، فهدمت لأنه خاف بخلائها ان يملكها العدو ويتمنع بها .

وفيها سار أمير المسلمين الى مراكش برسم رعي زروعها ، فوصل الى أحوازها وبايعه جملة من العرب الذين بأنحائها ، وانصرف الى مدينة فاس ، وبعد انصراف أمير المسلمين عن مراكش واستقراره بفاس وشي للمرتضا بقائد جيوشه السيد ادريس أبو دبوس ، وقيل له انه يكاتب بنى مرين ، فأراد القبض عليه ، ففر منه ولحق بأمر المسلمين يعقوب بحضرته بفاس ، فأكرمه وأقبل عليه غاية الاقبال ، وقال له ماالذي أتاك ياادريس ؟ قال فررت من القتل وقصدت حماك لتصرني وتعيني على عدوي وتعطيني عسكريا من بنى مرين وبنودا وطبولا ومالا أنفقه على ذلك ، وأنا أضمن لك أخذ مراكش ، واذا أخذتها يكون نصفها لك ونصفها لى فأسعهف أمير المسلمين لطلبه وعاهده على ذلك ، وتوثق له بالايامن المغلظة ، والعهود المؤكدة ، فأعطاه جيشا من خمسة آلاف فارس من قبائل رناتة ، وأعطاه طبولا وبنودا وخيلا وسلاحا ومالا برسم النفقة فى طريقه ، وكتب له الى قبائل العرب وقبائل هسكورة أن يكونوا له عوناً ، وودعه فانصرف ، فارتحل ادريس أبو دبوس حتى وصل بلاد هسكورة ، فنزل بها وكتب الى من بمراكش من خاصته يخبرهم بقدومه ويسألهم عن حال البلد والمملكة ، فكتبوا اليه ان أقدم ، فان الناس فى غفلة والجيوش متفرقة فى أطراف البلاد ، ولن تجد وقتا لانتهاز فرصة مثل هذا ، فأسرع أبو دبوس نحوها ، وجد السير بجيوشه حتى دخلها ، وكان دخوله اياها من باب الصالحة فى وقت الضحا والناس فى غفلة ، فتملك حضرة مراكش واستقر بقصرها ، وفر عنها المرتضا ، فقتل بخارجها وذلك فى شهر المحرم من سنة خمس وستين وستمئة ، فبعث اليه أمير المسلمين يعقوب للعهد الذي كان بينهما ، فقال للرسول مايبنى وبينه عهد الا السيف . وقال له : قل له يبعث ببيعته وأقره على مايبده من البلاد ، والا غزوته بجنود لاقبل له بها ، فوصل الرسول الى أمير المسلمين فأبلغه الجواب ، وأعلمه بنكته وميله عن الصواب ، فخرج أمير المسلمين يعقوب بن عبد

الحق الى غزوه من حضرة فاس ، فسار حتى نزل بظاهر مراكش فحاصرها
وهتك أحوازها ، ورعا زروعها فلما رأأ أبو دبوس ماناله من شدة القتال
والحصار ، ورعي الزروع ونسف الأثار ، وشدة المجاعة فى بلاده وغلاء
الأسعار ، كتب الى يغمراسن بن زيان يستنصر به ويرغب منه ان يكونا
على أمير المسلمين يعقوب يدا واحدة ، فتعاهدا على ذلك ، واتفقا عليه ،
فشن يغمراسن الغارات فى أطراف بلاد أمير المسلمين يعقوب ، فاتصل به
الخبر وهو محاصر لمراكش فاقلع عنها وقصد الى تلمسان ، لحرب
يغمراسن بن زيان ، ورأا ان تقديم غزوه من الواجب ، اذ هو فارس زناتة
البطل المحارب ، فسار حتى وصل الى مدينة فاس ، فأقام بها أياما حتى
استراح الناس ثم خرج الى تلمسان وذلك فى الخامس عشر من شهر
محرم من سنة ست وستين وستمئة (٥ أكتوبر ١٢٦٧ م) فى احتفال عظيم
وزي عجيب ، بالقباب والعيال ، والجيوش الوافرة والركاب والأموال ،
فسمع يغمراسن بأقباله ، فخرج من تلمسان الى لقائه وقتاله ، فالتقا
الجمعان بوادي تلاغ ، فالتقا الأبطال بالأبطال ، واختلط الأمثال
بالأمثال ، وتمازجت الركاب بالركاب ، واصطفت من الجانبين العيال
والقباب ، وزحفت الجيوش على الجيوش ، فكانت بينهم حروب عظيمة ،
وهزاهز جسيمة لم ير مثلها ، فلم تر الا الخيول تضبح ، وأهلها السى
اللقاء تطمح ، فدام القتال بينهما من وقت صلاة الضحا ، الى صلاة
الظهر ، وصبرت قبائل مرين لقتال عدوها صبر الكرام الغر ، ومنحهم
الله تعالا على أعدائهم النصر ، فتمكنوا من رقابهم ، فهزمت بنو عبد
الوادي ، وأذاقهم مرين الكرام الحمام فى ذلك الوادي ، وفر يغمراسن
مهزوما على وجهه ، وقتل قرّة عينه عمر أكبر ولده وولي عهده ، وسار
أمير المسلمين يعقوب فى أعقابهم ، ورماحه تشرع فيهم وسيوفه تعمل
فى رقابهم ، فدخل يغمراسن تلمسان خاسرا مقيدا ، مهزوما وحيدا ،
وانتهبت مرين جميع محلته وأمواله ، ومضاربه وعياله ، فكانت غزاة
تلاغ المذكورة يوم الاثنين الثانى عشر لجمادا الأخرى من سنة ست
وستين وستمئة (٢٨ يبرابر سنة ١٢٦٨ م) ، ورجع أمير المسلمين من

هاذه الغزاة مظفرا منصورا ، مؤيدا مسرورا ، وانه حنق على ادريس ابى دبوس أقام هناك بمدينة فاس الى أن ظهر هلال شعبان من السنة المذكورة ، فخرج الى مراكش لغزو ادريس أبى دبوس الناكث لعهوده ، فلم يزل يوالى المسير ، والسعد يقدمه والتيسير ، حتى وصل الى وادي أم الربيع ، فنزل هناك وبث جنوده فى بلاد أبى دبوس يأكلون زروعها ، وينسفون ربوعها ، فأقام هناك الى ان دخلت سنة سبع وستين وستمئة فى غرة المحرم منها (الاثنين ١٠ شتنبر سنة ١٢٦٨ م) فارتحل عن وادي أم الربيع الى ناحية تادلة ، فغزا بها عرب الخلط ، فأكلهم وسبوا حريمهم وأموالهم ، ورجع من تادلة فنزل بوادي العبيد فأقام هناك أياما ، ثم غزا بلاد صنهاجة وسباها وأقبل يدور فى أحواز مراكش الى آخر ذي قعدة من سنة سبع وستين وستمئة ، فاجتمع أشياخ القبائل من العرب والمصامدة فساروا الى أبى دبوس وقالوا له كم تقعد عن حرب بنى مرين وتجنبن عن لقاءهم ؟ أما ترا بلادنا قد خربت ، وأموالنا قد نهبت ، وحرماننا قد سبي ؟ فأخرج لجهادهم عسى ان يكون السبب لبعادهم ، فانهم فى شرنمة قليلة وعصابة يسيرة ، وأكثرهم قد بقي برباط تازة يحرس ذلك الثغر خوفا عليه من بنى عبد الوادي ، فاغتر ادريس أبو دبوس بقولهم ، وسارع الى نصرهم ، وخرج فى جيوش عظيمة وجنود وافرة من الموحدين والعرب والروم وقبائل المصامدة ، فلما سمع أمير المسلمين يعقوب بخروجه من مراكش كر راجعا نحو المغرب حيلة منه ليبعده عن حضرته ، فسمع ادريس ابو دبوس برجوعه فطمع فيه ، وظن رجوعه انما هو للخوف منه، فجد فى اتباعه ، فكان أمير المسلمين يعقوب اذا ارتحل من موضع أقبل أبودبوس فنزل به ، فلم يزل لأثره يقفو ، حتى أتا لحينه وادي ودغفو ، فكر أمير المؤمنين راجعا فى وجهه عازما على قتاله وحره ، فالتقا الجمعان ، وأقبلت بنو مرين امثال العقبان ، والتحم القتال واشتد النزال، وصبرت مرين صبرها فى قتال أعدائها ، فرأى أبو دبوس مالا طاقة له به ، فأاد الفرار ، لكي ينجو الى مراكش فينتصم فيها بالأسوار ، فأدرسته الضمر السوابق ، وأقبلت أبطال مرين نحوه تسابق ، فحالوا بينه وبين

أماله ، وسارعوا الى طعنه وقتاله بالرماح فى وسط المعترك ، وسقط تحت جواده صريعا فكم من نذب مع النسر فى أشلائه اشترك ، واحتز قاتله رأسه فى الحين ، وأتا به الى أمير المسلمين ، فوضعه بين يديه ، فحمد الله وأثنا عليه ، ثم خر لله تعالا ساجدا ، ثم رفع رأسه شاكرا وحامدا ، ثم أمر بالرأس فحمل الى مدينة فاس ليعتبر برؤيته الناس ، واحتوا أمير المسلمين يعقوب على جميع محلته ، وذلك يوم الأحد الثاني لحرم مفتتح سنة ثمان وستين وستمئة (١ شتنبر سنة ١٢٦٩ م) ، وارتحل أمير المسلمين الى حضرة مراكش فدخلها فى يوم الأحد التاسع لمحرم المذكور ، فاستقر بحضرة مراكش وتم له ملك المغرب وتهذنت البلاد ، وصلاح أمر العباد ، وتأمنت الطرقات ، وكثرت الخيرات ، وأذعن الناس الى الطاعة ، ودخلوا فى الجماعة ، فلا تائر ولا قاطع ، ولا مفسد ، ولا أفك ولا ملحد .

ولما دخل على حضرة مراكش أمن أهلها وقبائلها وأحسن اليهم ، وأفاض العدل فيهم ، ويعث ولده الأمير عبد الواحد الى بلاد السوس وتلك الاقطار ، وغزو من بها من المنافقين والأشرار ، ففتح تلك البلاد ، وأتت قبائلها طائعة مدعنة من الأغزاز والأجناد .

فلما فتح بلاد السوس بأجمعها واستقام له أمرها ، رجع الى حضرة مراكش فسر والده بقدومه وأقام أمير المسلمين يعقوب بحضرة مراكش يسدد أحوالها وينظر فى أمورها ومصالحها ، الى رمضان من سنة تسع وستين وستمئة ، فخرج فى أول يوم من رمضان المذكور (الاثنين ١٣ أبريل سنة ١٢٧١ م) الى غزو العرب ببلاد درعة ، فانهم كانوا قد تاروا بها وملكوا حصونها وقلاعها وأبادوا بالذهب والقتل أهلها وأموالها ، فوصلهم فى النصف من رمضان المذكور فقتل منهم خلقا كثيرا وسلب أموالهم ونساءهم ، وفتح جميع بلاد درعة وملك حصونها بعد ان كان أهل المغرب تمنعوا بمعقل منها ، فحاصروهم بها أياما فنزلوا بأمان ولده الامير عبد الواحد فعفا عنهم وأمضا أمان ولده اليهم ، ولم يبق ببلاد درعة من أهل النفاق والفساد أحد ، ثم ارتحل الى مراكش فدخلها فى

نصف شوال من السنة المذكورة ، فأقام بها بقية شهر شوال وخرج منها الى مدينة رباط الفتح من أرض سلا ، فدخلها في آخر ذي قعدة من سنة تسع وستين المذكورة ، فعيد بها عيد النحر ، وأخذ البيعة لولده عبد الواحد في ذلك اليوم على بنى مزين ، وكان الأمير عبد الواحد على غاية الفضل والكرم ، والشجاعة والحزم ، ومكارم الاخلاق ، وكان عالي الهمة محبا للادب مقربا لأهله ، يجالس العلماء والأدباء والشعراء ، ويتخذهم بطانة وقد اختص جماعة من الفقهاء لمجالسته ومنادمته ، منهم القاضي يوسف ابن حكم ، والفقير القاضي الكاتب البارح علي المغيلي ، والفقير الأديب القدوة مالك ابن المرحل ، والفقير الكاتب أبو عمران التميمي ، والفقير الأديب عبد العزيز الملزوزي الشاعر .

وكان الأمير عبد الواحد رحمه الله يحب الشعر ويرويه ويأخذ نفسه بنظمه ، وربما نظم منه البيتين والثلاثة ، ومن شعره يفخر رحمه الله وعفا عنه :

فرقت في الميدان كل ملك **وجمعت بين جراءة ونسوك**
وجعلت في الميدان حدا مالكا **كي لاتغيره انعدا بسلك**

ولما أخذ أمير المسلمين البيعة لولده عبد الواحد برباط الفتح ، وذلك يوم عيد النحر سنة تسع وستين المذكورة (٢١ يوليوز سنة ١٢٧١م) عز ذلك على جماعة من بنى عبد الحق ، وساروا من ليديتهم تلك الى جبل أمركو (١٧٥) فنافقوا به ، وهم محمد بن ادريس بن عبد الحق ، وموسا بن رحو بن عبد الحق ، وجميع أولاد سوط النساء ، فخرج أمير المسلمين في أثرهم ، وقدم بين يديه ولده الأمير يوسف في خمسة آلاف فارس أخرا فشرعوا في قتالهم ثم لحق بهم أمير المسلمين بجميع عساكر مزين ، فنزل عليهم في اليوم الثالث ، فحاصرهم به يومين فأذعنوا للطاعة، وطلبوا الأمان فأمنهم وعفا عنهم على أن يرتحلوا الى تلمسان فساروا

175) أمركو : جبل شهير بقبيلة فشتالة قرب ضريح مولاي بوشنا الخدر ، بأعلاه حصن منيع من بناء المرابطين .

اليها ، ثم جازوا منها الى الأندلس .

وفى سنة تسع وستين المذكورة توفى يعقوب بن جابر العبد الوادي أمير سجلماسة ليغمراسن خرج له خراج فى مذاكيره فمات منه .
وفى سنة سبعين وستمئة خرج أمير المسلمين يعقوب الى غزو تلمسان ، وقتال يغمراسن بن زيان ، فبعث ولده الأمير عبد الواحد الى أرض مراکش يحشد من بها من قبائل العرب والمصامدة ، ويلحقه بالجميع ، فخرج بالجميع من مدينة فاس فى غرة صفر من السنة المذكورة (الثلاثاء ٨ شتنبر سنة ١٢٧١ م) ، فى جميع جيوشه من بنى مرين أنجدهم الله تعالا ، فسار حتى نزل وادي ملوية ، فأقام عليه أياما حتى ورد عليه ولده الأمير عبد الواحد فى جيوش عظيمة من قبائل عرب جشم والأندلس والأعزاز والروم فى احتفال واستعداد ، فأقام بعد وصول ولده اليه ثلاثة أيام ، ثم ميز جيوشه وارتحل الى تلمسان ، فلما كان بتافنا (١٧٦) أتاه رسول ابن الأحمر يسأله ان ينصر الدين ، ويغيث بالأندلس المسلمين ، ويخبره ان الفونسو لعنه الله قد ضيق ببلاده ، فخرج أمير المسلمين يعقوب رحمه الله الى خباء الساقية وجمع أشياخ بنى مرين وأشياخ العرب وأخبرهم بما فيه المسلمون بالأندلس واستشارهم فى ذلك ، فأشاروا عليه بصلح يغمراسن وتهديد البلاد ، والجواز الى الجهاد ، فبعث الأشياخ من كل قبيلة من زناتة والعرب الى يغمراسن يطلبونه فى الصلح ، وقال لهم ان الصلح خير كله ، فان جنح اليه وأتاب فحسن ، وان أبا الا القتال فاسرعوا الى الرجوع ، فسارت الأشياخ الى يغمراسن فرغبوه فى الصلح ولاطفوه فى ذلك بالقول الجميل ، فقال لهذ لاصلح بيني وبينه ، أبعد قتل ولدي عمر أصلحه ؟ والله لاكان ذلك أبدا ، ولا أترك قتاله أبدا ، حتى أأخذ منه الثأر ، وأذيق بلاده التبار ، فوصلت المرسل بذلك ، فأسرع أمير

(176) تافنا : نهر ينبع من جبل بنى ورنيد قرب قرية سيدو جنوبى تلمسان ، ويسير متحشداً فى اتجاه جنوبى عربى ثم شمال شرقى حتى يصب فى البحر المتوسط أمام جزيرة أرشكون غربى مرسا بنى مصاف ، كان به الحد بين المغربيين الأفضا والأوسط خلال الحكم التركى للجزائر ، ثم دفع الحد غرباً الى نهر كيس سنة 1845 .

المسلمين نحوه المسير ، ودعا الى الله تعالا بالنصر والتيسير ، وخرج يغمراسن للقاءه فى قوة واستعداد ، وجيوش مالها حصر كأنها الجراد ، فالتقا الجمعان بوادي ايسلى بمقربة وجدة ، فالتحمت الحروب بينهما واضطربت ، واشتعلت نار الوغا والتهبت ، وشمرت عن ساقها وتممرت ، فجعل أمير المسلمين ولده عبد الواحد على اليمينه وولده يوسف على اليسرة ، فتقدم يوسف باليسرة للقتال ، وتابعه عبد الواحد باليمينه للطن والذوال ، وأنا والدهم أمير المسلمين على اثرهم فى القلب والساقة فالتحم الحرب وكثرت الأهوال ، فهزم يغمراسن وقتل ولده فارس ، وفر مع بعض ولده ، وخرج من تحت ذباب السيوف وقتل من بنى عبد الوادي وبني راشد خلق كثير ، وقتل جميع من كان بمحلته من الروم . ولولا أنه حال الظلام بين الفريقين لممن بنى عبد الوادي باقية ، ومسر يغمراسن على محلته وهو مهزوم ، فأضرم فيها النيران وفر حتى دخل تلمسان ، كما قال الله تعالا فى كتابه المبين (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) ، وانتهبت الناس محلته وأمواله ، وأثقاله وعياله ، وارتحل أمير المسلمين من الغد فى أثره حتى وصل الى وجدة ، فوقف عليها حتى هدمت وعفا أثرها وجعل عاليها سافلها ، وتركها قاعا صفصفا ، وارتحل عنها وكانت هاذة الهزيمة فى النصف من رجب من سنة سبعين وستمئة (١٦ يبرابر سنة ١٢٧٢ م) ، وفى ذلك يقول بعض الكتاب ، المتزمين لخدمة ذلك الباب ، رحمه الله :

إذا الخيل جالت فى الحروب حسبتهم قضاء من الرحمان مامنه عاصم
ووالدهم فى جاحم الحرب بينهم يبيد حماة الجيش والسعد قائم
فويحك يا يغمور هل لك منجد أيقظان حين أتت أم أنت نائم ؟
أفى كل عام تترك ابنك للقتل وتسبل لك الغيد الحسان الكرائم

ولما هدم أمير المسلمين وجدة ولم يبق لها اثر أوغل فى بلاد يغمراسن يخربها ويسبى أموالها حتى وصل الى تلمسان ، فنزلها ودارت المحلات بأسوارها وشد فى حصارها ، وشرع فى قتالها ، فوصل اليه وهو عليها الأمير محمد بن عبد القوي التجينى فى جيش كثيف واحتفال عظيم

بالطبول والبندود ، فركب أمير المسلمين الى لقائه فى جيوشه وأبطاله ، فتلقاه بأحسن زي وأكمل احتفال ، واشتد الحصار على يغمراسن وعظم القتال ، وضيق قبائل تحيين بمدينة تلمسان ، لأخذ ثارهم من يغمراسن بن زيان ، فقطعوا الثمار والجناح وخربوا الرباع ، وأفسدوا الزروع ورقوا القرا والضياع ، حتى لم يدعوا بتلك النواحي قوت يوم ، حاشا السدرة والدوم ، فلما نسف بلاده ، وقتل أجناده ، أمر بازيان محمد ابن عبد القوي بالرجوع الى بلاده ، وأعطاه الف ناقه من مال بنى عبد الوادي ومئة فرس من مراكبهم ، وخلعا وسيوفا ودرقا ومضارب ، وقعد أمير المسلمين بظاهر تلمسان حتى تعرف أنه وصل الى ونشريس خوفا عليه من يغمراسن ان ينبعه ، فلما علم أمير المسلمين أنه قد وصل الى بلاده بجميع ما أعطاه من النعم أقلع عن تلمسان وكر راجعا الى المغرب مظفرا منصورا ، فوصل رباط تازة فى أول يوم من ذي حجة من سنة سبعين المذكورة (الخميس ٢٩ يونيو سنة ١٢٧٢ م) ، فعيد بها عيد النحر وارتحل الى مدينة فاس فدخلها فى غرة المحرم من سنة احدا وسبعين وستمئة (الجمعة ٢٩ يوليوز سنة ١٢٧٢ م) فأقام بها الى اليوم الحادي عشر من صفر فتوفي ولده الأمير عبد الواحد ، فأسف لفقده ، ثم تلقا بالرضا أمر ربه ، وصبر الصبر الجميل ، وارتحل الى مراكش فدخلها فى أول يوم من ربيع الثانى من السنة المذكورة (الثلاثاء ٢٦ اكتوبر) فأقام بها وأصلح أحوالها ، وهدن أحوازها ، وخرج منها الى طنجة فوصلها فى أول يوم من ذي حجة من سنة احدا وسبعين المذكورة (الاثنين ١٩ يونيو سنة ١٢٧٣ م) ، فنزل عليها وحاصرها وشرع فى قتالها ، فأقام يقاتلها غدوا ورواحا ، ومساء وصباحا ، مدة من ثلاثة أشهر ، وكانت طنجة حين قتل بها ابن الأمين وأولاد أبى يحيى ملكها الفقيه أبو القاسم العزفى صاحب سبته ، فضبطها وقام بأمرها مع أشياخها ، فلما طال مقام أمير المسلمين عليها أراد الرحيل عنها فبينما هو فى اليوم الذى عزم على الرحيل فى غده واقفا أمامها والناس يقتتلون بين يديه وقد قارب العشي اذا جماعة من رماتها قد قاموا فى برج من أبراجها ، وكان معهم

شيخ من أشياخ الرماة وقوادها يعرف بابن اللجى فأشار الى المحلة ورفع راية بيضاء شعارا فبادر اليه المقاتلون من أهل المحلة فملكوهم البرج ، فأقاموا عليه يحاربون أهل البلد طول ليلتهم ، فلما كان عند الصباح تكاثرت عليهم الرجال والرماة واشتد الكفاح ، فانهزم أهل البلد وأخلوا الأسوار ، وركنوا للفرار ، فدخلت المدينة عنوة على أهلها ، فعفا أمير المسلمين عنهم، ونادا مناديه الأمان ، ولم يمت بها الا نفر يسير ممن رفع يده ، وشهر سلاحه فى حين الرحلة ، وكان فتح طنجة ودخول أمير المسلمين اياها عنوة فى شهر ربيع الأول من سنة اثنين وسبعين وستمئة .

ولما فرغ أمير المسلمين من فتح طنجة بعث ولده الامير يوسف الى سبتة فحاصر بها العزفى أياما فبايعه وصالحه على مال يؤديه فى كل سنة ، فقبل ذلك منه وارتحل عنه .

وفى شهر رجب من سنة اثنتين وسبعين المذكورة خرج أمير المسلمين يعقوب لغزو مدينة سجلماسة ، وكانت بيد يغمراسن بن زيان وعرب المنبات ، وكان يغمراسن يبعث اليها فى كل سنة ولدا من أولاده لضبطها وجباية خراجها مع المنبات الذين قاموا بأمرها ، فسار أمير المسلمين يعقوب اليها فى جيوش بنى مرين وقبائل العرب ، فحاصرها وشرع فى قتالها وضيق عليها وبالغ فى حربها ونصب عليها المجانيق والرعدادات وضاق أهلها من شدة الحصار والقتال ، فكانوا يصعدون على الأسوار فيسبون ويلعنون بالقبيح ، فهتك المنجنيق من سور لها برجا ومسافة ، فانهد البرج والمسافة ، فدخلها من هنالك عنوة بالسيف على عاملها عبد الملك ابن حنينة العبد الوادى ، فقتل هو ومن كان معه بها من بنى عبد الوادى وعرب المنبات ، وكان فتحها يوم الجمعة ثالث ربيع الأول من سنة ثلاث وسبعين وستمئة (٧ شتنبر سنة ١٢٧٤ م) ، وقيل كان فتحها آخر يوم من صفر من السنة المذكورة ، فأمن أمير المسلمين أهلها وعفا عنهم وأصلح أحوالهم وأقام بها أياما حتى تهدنت أحوازها وأوديتها وتأمنت سبلها وراتحل عنها وترك بها عامله .

ولما رجع أمير المسلمين من فتح سجلماسة سمت به همته العلية الى

الجهاد ، اذ لم يبق له منازع بالبلاد ، فورد عليه فى أثناء ذلك كتاب ابن الأحمر يستنصره ويسأله اعانة الأندلس ويخبره بما فيه المسلمون بها من القتل والأسر وكثرة الغارات مع الأحيان والساعات ، فوجده عازما على الجهاد حريصا على الجواز ، فتتابعت عليه رسل ابن الأحمر يقول له يا أمير المسلمين أنت ملك الزمان ، والمنظور اليه فى هذا الأوان قد وجب عليك نصر المسلمين ، واعانة المستضعفين ، فان لم تنصر الاسلام فمن ناصره ؟ وكان الشيخ أبو عبد الله ابن الأحمر قد أوصا ولده عند وفاته ان يستدعي أمير المسلمين للجهاد ، ويعطيه مايريد من البلاد ، فلما أمير المسلمين دعوته ، وبادر الى اجابته ونصرته ، وخرج من مدينة فاس برسم الجواز رحمه الله .

الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد وهي أولا غزواته إلى بلاد الشرك

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما تواترت الرسل وتتابعت الكتب على أمير المسلمين من ابن الأحمر يستدعيه للجواز ويستنصره ، خرج من مدينة فاس فى أول يوم من شوال من سنة ثلاث وسبعين المذكورة (السبت ٣٠ مارس سنة ١٢٧٥ م) حتى وصل الى طنجة فبعث الى الفقيه ابى القاسم العزقى ، وأمره بتعمير الاساطيل لجهاد المشركين ، واصلاح الأجفان واعادها لجواز المجاهدين ، وأمره بالتعاون على البر والتقوا ، وعقد لولده الأمير ابى زيان على جيش من خمسة آلاف فارس من أنجاد بنى مرين وفرسان العرب ، ودفع له رايته المنصورة ، وأوصاه بتقوا الله تعالا فى السر والعلانية ، ودعاه وانصرف الى قصر المجاز ، فوجد الفقيه أبى القاسم العزقى قد جهز له عشرين جفنا وأعداها هنالك لجواز المجاهدين ، فركب الأمير أبو زيان البحر فى جميع جيشه من قصر المجاز ، فنزل بطريف من بلاد الأندلس ،

وذلك فى السادس عشر من ذى قعدة سنة ثلاث وسبعين المذكورة ، فأقام بطريف ثلاثة أيام حتى استراح الناس والخيل من هول البحر ، فخرج الى البحيرة فغنمها وبعث بالمغنم الى الجزيرة ، ووالا السير فى بلاد العدو يقتل ويسبى ويخرب القرا والحصون ويحرق الزرع ويقطع الثمار وينسف الأثار حتى وصل الى شريش ، ولم يقدر أحد من الروم ان يخرج اليه ثم قفل الى الجزيرة بالمغنم والسبي والعلوج فى القطائن يفرح به أهل الأندلس ان كانت بلادهم لم تنصر بها للمسلمين راية من غزاة العقاب التى هزم بها الناصر الموحدى فى سنة تسع وستمئة الى هانده انغاية ، وألقا الله تعالا الرعب فى قلوب أهلها من الروم ، فكانوا لا يستطيعون قتالهم ولا يبرزون اليهم ولا يوافقونهم ، فملك الروم بلادها وحصونها وقواعدها الى أن جازت راية المنصور أمير المومنين يعقوب فأعز الله تعالا بها الاسلام ونصر بها الايمان ، وأذل بجوازا عبدة الأوثان ولما انصرف الأمير أبو زيان براية والده المنصورة الى الأندلس بعث أمير المسلمين يعقوب حفيده الأمير تاشفين بن عبد الواحد السى يغمراسن بن زيان يطلبه فى الصلح واجتماع كلمة الاسلام لكي يجوز الى الجهاد ، ويزيل الروعة من البلاد ، فتم الصلح بينهما بفضل الله تعالا على المراد ، واجتمعت كلمة أهل الاسلام وألف الله تعالا بين قلوبهم ، فوصل الأمير تاشفين من تلمسان وقد تم صلحه مع يغمراسن ، فسر أمير المسلمين بذلك سرورا عظيما ، وتصدق بمال جليل شكرا لله تعالا ، ثم كتب الى أشياخ مرين وقبائل العرب والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكناسة وجميع قبائل العرب يستنفرهم الى الجهاد ، فخرجت الكتائب الى القبائل والبلاد ، وارتحل أمير المسلمين الى قصر المجاز ، فأخذ فى تجهيز الجيوش والخيل والسلاح والعدد وتجويزهم الى الأندلس وتجويز المجاهدين ، فكان رحمه الله يجوز كل يوم قبيلة من بنى مرين ، وطائفة من المجاهدين ، فكان الناس يجوزون أفواجا أفواجا ، وقبيلا قبيلا ، وأفرد أجفانا لجواز الموطوعين لايجوز فيها غيرهم ، فلما كمل الناس بالجواز واستقروا بسواحل الأندلس وانتشرت محلات المسلمين من طريف

الى الجزيرة الخضراء جاز أمير المسلمين أخرجهم على حين غفلة من الناس ، فنزل بساحل طريف ، وكان جوازه رحمه الله فى ضحوة يوم الخميس الحادي والعشرين لصفرة من سنة أربع وسبعين وستمئة (١٥) غشت سنة ١٢٧٥ م) فصلا الظهر بطريف وانصرف الى الجزيرة الخضراء من حينه ، فوجد بها الأمير ابن الأحمر وابن أشقيلولة سلطاني الاندلس بعساكرهما وحشودهما ينتظرانه بها ، فالتقا بهما وسلما عليه ، وكان بين ابن الأحمر وابن أشقيلولة منافسة وشحناء ، فأزالها وأصلح بينهما واجتمعت الكلمة وتآلفت القلوب بحول الله وتفاوضوا فيما يصلح المسلمين وكيف يكون العمل فى جهاد المشركين ، ثم ودعه ابن الأحمر وابن أشقيلولة وانصرفا الى بلادهما ، فسار ابن الأحمر الى غرناطة ، وابن أشقيلولة الى مالقة ، وارتحل أمير المسلمين يعقوب بجميع جيوش المجاهدين تقاصدا الى غزو الكافرين لم يقعد ولم يتلبث ، ولم يبال بمن قعد او تخلف ، ثم تستطب جفونه مناما ولم يلتذ شرايا ولا طعاما ، حتى وصل الى الوادي الكبير مخافة أن يشعر الروم بقدومه او ينذرهم به نذير ، فعقد هنالك لولده الأمير يوسف على مقدمته وقدمه بين يديه فى جيش من خمسة آلاف فارس ، وأعطاه طبولا وبنودا ، فانتشرت الجيوش فى أرض الوادي الكبير كأنها السيل العر الغزير او الجراد المنتشر ، لايمرون بشجرة الا قطعوها ، ولا بقرية الا خربوها ، ولا بمال الا غنموه ، ولا بزرع الا حرقوه فغنموا مايتلك الناحية من الأموال ، وقتلوا من وجدوه بها من الرجال ، وسبوا الذرية والعيال ، وسار حتى بلغ حصن المدور من أحواز قرطبة يقتل ويسبى ويحرق الزروع ، ويخرب القرا والربوع ، حتى هتك جميع أحواز قرطبة وأبذة وبياسة ونواحيها ، وقتل فيها من الروم أنوفا لاتحصى وسبا نساءهم وذراريهم كذلك ودخل حصن بلنسية بالسيف ، وغنم المسلمون جميع ماكان به من الأموال ، وامتلات أيدي بنى مريين بالغنائم ، فأمر امير المسلمين بجمع المغنم ، فجمع البقر والغنم والخيل والدواب والعلوج والروميات والذراري والثياب والعدد فتألف منها ماملاً السهل والوعر ، ولا يحويه عد ولا حصر ، ثم أمر بها فقدمت بين يديه ،

وأفسد بالحرق والقطع والتخريب جميع مامر عليه ، وأضرم النيران فى تلك الجهات ، حتى صار البلد كالشفق فى الظلمات ، واجتمع السبي على شنيل ، وفاضت الغنائم هنالك فيض النيل ، ثم ارتحل أمير المسلمين والغنائم تساق أمامه وتقاد الروم بين يديه فى الأصفاد مقرنين ، حتى قربوا من مدينة استجة فأثا بها النذير الى أمير المسلمين ، فأخبره ان جميع النصرانية قد تألفت على كبيرهم وزعيمهم دون نونيودي لارا ، وانه قد خرج فى طلبه فى جيوش عظيمة ، وجنود كثيرة جسيمة ، وهو لاحق بك فى يومك هذا ، مستعد الى قتالك ورد المغانم واستنقاذها من يدك .

الخبر عن غزاة أمير المومنين يعقوب

إلى دون نونيو دى لارا

لما وصل أمير المسلمين الى أستجة برز عليها بجيوشه المنصورة وبما أفاء الله تعالا عليه من الغنائم ، فوافاه النذير باقبال دون نونيودي لارا (١٧٧) اليه بجيوش الروم ، فدعا بأشياخ بنى مريـن يشاورهم كيف العمل فى لقاء الكافرين اذ نظر الناس الى طلائع خيل الروم مقبلة نحوهم ألوقا الوفا ، والرجال أمامهم صفوفا صفوفا ، وزعيم النصرانية دون نونيودي لارا فى وسط الجيوش كان ألفونسو لعنه الله قد قدمه على جيوشه وحروبه ، وفوض له فى جميع بلاده وأموره ، وكان النصرارا قد سعدوا به لانه لم يهزم قط ، وكان وبالا على بلاد الاسلام شديد الوطاة عليها قد أباد أكثرها لايفتر عنها بالغاررات على مدى الايام، فأقبل اللعين الى حرب أمير المسلمين بالأبواق وتحت ظلال البنود تخفق على رأسه فى جيش كأنه الليل الداج يـموج كالبحر اذا هاج ، والخيل

177) فى الاصل ذى نونه ، ويكتبه المؤرخون المغاربة ذ نونه أيضاً ، واسمه الحقيقى

هو ما اثبتناه .

والرجال تأتي على أثره زمرا وأفواجا بعد أفواج ، قد أعدوا للحرب أوزارها ، وزعموا أنهم أصبحوا حماتها وانصارها ، وتدرعوا هم وخيولهم بالزرد النضديد ، ومصفحات الحديد .

فلما عاين ذلك أمير المسلمين من أمرهم وشاهد عزمهم في اقبالهم أمر بالغنائم فقدمت بين يديه وبعث معها ألف فارس من أنجاد بنى مرين ، وتأخر هو بجميع جيوش المجاهدين ، للقاء أعداء الله الكافرين ، ثم نزل عن جواده ، فأسبغ وضوءه وصلا ركعتين ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء والمسلمون يؤمنون على دعائه ، فكان في آخر دعائه مادعا به النبي صلا الله عليه وسلم يوم بدر للصحابة : اللهم انصر هاذة العصاية وسلمها وأعنها على جهاد عدوك وعدوها وأيدها ، فقبل الله تعالا دعاءه ورحم تضرعه وابتهاهله .

ولما فرغ من دعائه قام فركب على جواده ، وعبأ جيوشه واستعد لجهاده وجلاده ، وعقد لولده الأمير يوسف على مقدمته ، ثم أقبل على أشياخ بنى مرين وأمراء العرب ورؤساء القبائل ، فقال : يامعشر المسلمين وعصاية المجاهدين ان هاذا يوم عظيم ، ومشهد جسيم ، ألا وأن الجنة قد فتحت لكم أبوابها ، وزينت أترابها ، فجدوا في طلبها ، فان الله تعالا اشترا من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، فشمروا عن ساعد الجد معاشر المسلمين في جهاد المشركين ، فمن مات منكم مات شهيدا ومن عاش عاش غانما ماجورا حميدا ، (فاصبروا وصابروا ورباطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) .

فلما سمع الناس منه هاذة المقالة تآقت أنفسهم إلى الشهادة ، وعانق بعضهم بعضا للوداع ، والقلوب لها وجيب وانصداع ، وقد طابت نفوسهم على الموت ، وباعوها من ربهم بالجنة قبل الفوت ، وارتفعت أصواتهم بالشهادة والتكبير ، وكلهم يقول عباد الله اياكم والتقصير ، فتسابقت أبطال المسلمين نحو جيوش انروم ، فالتقا الجمعان والتحم القتال ، واشتد النزال ، فلاترا الا السهام تهوي في الروم كأنها الشهب الثواقب،

وتفعل فى أعداء الله تعالا فعل العذاب الواصب ، والسيوف بالدماء ترعف ورؤوس الكفرة عن أجسادهم تقطع وتقطف ، ودارت بهم أبطال بنى مرين ، كأساد العرين ، يحكمون فيهم السيوف ، ويذيقونهم مرارة الحنوف ، قد صبروا صبر الكرام ، فى حرب السفلة اللئام ، فنصر الله تعالا جنده ، وأظهر أوليائه وأيد حربه ، فقتل زعيم الكفرة دون: ونيو وهزمت جيوشه وعساكره ، وقتلت جموعه ولم يكن الا كلمح البصر حتى لم يبق السيوف منهم من يخبر الخبر ولم تبق الرماح منهم باقية ، ولم تق السدروع منهم واقية ، وأمر أمير المسلمين بقطع رؤوس الروم الذين قتلوا فى المعركة واحصائها فقطعت وأحصيت ، فكانت ثمانية عشر ألف رأس ونيف ، طلعت كأنها الجبال ، فصعد المؤذنون عليها فأذنوا للصلاة ، فصلا المسلمون صلاة الظهر والعصر فى وسط المعترك بين القتلا مختضبين فى دمائهم ، فلما فرغ المسلمون من صلاة العصر افتقد أمير المسلمين جيوشه ونظر من استشهد فى تلك الغزاة من المسلمين ممن سبقت له من الله الحسناء وختم له بالشهادة ، فوجد تسعة نفر من بنى مرين ، وخمسة عشر من العرب والأندلس وثمانية من المتطوعين ، فواراهم بالتراب ، ثم حمد الله تعالا وتمكره ، وأطال الثناء عليه كما أمره ، وكانت هاذ الغزاة الكريمة والنعمة الجسيمة التي أعز الله تعالا بها الاسلام وانزل بها عبدة الاصنام فى الخامس عشر من شهر ربيع الأول المبارك شهر مولد سيدنا محمد صلا الله عليه وسلم الذي هو من سنة أربع وسبعين وستمئة (٨ شتنبر سنة ١٢٧٥ م) ، وكتب أمير المسلمين بالفتح الى جميع بلاد المسلمين بالأندلس والعدوة ، فقرئت كتبه على المناير ، وعملت المفرجات فى سائر بلاد المغرب والأندلس ، وأخرج الناس الصدقات وأعتقوا الرقاب شكرا لله تعالا ، ووصل أمير المسلمين الى الجزيرة الخضراء بالغنائم والأسرا والسبي ، فدخلها فى الخامس والعشرين من ربيع الأول (١٨ شتنبر) من السنة المذكورة فى احتفال عظيم وزى عجيب وابطال الروم وزعمائهم يقادون بين يديه فى القطن والحبال ، مصفدين فى السلاسل والأغلال ، ويعث أمير المسلمين برأس دونونيو دى لارا الى ابن الأحمر ليرا فعل

الله تعالا بأعدائه ، ونصره لأولياته ، فأخذ ابن الأحمر الرأس وجعله فى المسك والكافور وبعث به الى القونسو يستخدمه بذلك ، ويتحجب اليه به ، وأقام أمير المسلمين بالجزيرة الخضراء لقسيمة ما أفاء الله تعالا عليه من المغنم ، فأخرج الخمس منه لبيت المال وقسم الباقي فى المجاهدين ، وكان عدد البقر فى هاذة الغنيمة مئة ألف رأس وأربعة وعشرين ألف رأس ، وأما الغنم فعجز عنها الحصر لكثرتها ، بيعت الشاة منها فى الجزيرة الخضراء بدرهم .

وكان عدد الأسارا من الرجال والنساء والذرية سبعة آلاف وثمانمئة وثلاثين نفسا وعدد الخيل والبيغال والحمير أربعة عشر ألف رأس وستمئة ألف رأس .

وأما الدروع والسيوف والعدد فمالها عدد من كثرتها فامتلات أيدي المسلمين ، وصلحت أحوالهم ، وأعطا أمير المسلمين حظه القوي والضعيف والملوك والشريف ، وأقام أمير المسلمين بالجزيرة الخضراء بقية الشهرين ربيع الأول والثانى .

فلما كان فى أول يوم من جمادا الاول (الاربعاء ٢٢ اكتوبر) خرج من الجزيرة الخضراء غازيا الى أشبيلية ، ولما وصل أمير المسلمين الى الخضراء كتب اليه الرئيس أبو محمد ابن أشقيلولة كتابا يهنئه فيه بالفتح وفى اخره هاذة القصيدة (١٧٨) .

هبت بنصركم الرياح الأربع	وجرت بسعدكم النجوم الطلوع
وأنت لعونكم الملائك سبقا	حتى لضاق بها الفضاء الأوسع
واستبشر الفلك الأثير تيقنا	أن الأمور الى مرادك ترجع
وأمدك الرحمان بالفتح الذي	ملا البسيطة نوره المتشعشع
لم لا وأنت بذلت فى مرضاته	نفسا تفديها الخلائق أجمع

178) هاذة القصيدة انما تمثل بها ابن أشقيلولة فقط ، وهى من شعر الأمير الموحد سليمان بن عبد الله بن عبد المومن بن عل ، نظمها مهنئا ابن عمه الخليفة يعقوب المنصور بفتح قصة ، وهى مثبتة فى ديوانه المطبوع بطوان ص 20 .

بعزيمة كالسيف بل هي أقطع
أمر إذا أمضيته لا يرجع
والخيل تجري والأسنة تشرع
ما إن له إلا التوكل مفزع
يوما إذا أضحا الجوار يضيع

فجهله قد ظن ما لا ينفع
والأرض تنشر في يدك وتجمع
فتح يمد به سواه ويشفع
ولبست منه أنت ما لا يخلع
جعل الخلافة فيكم لاتنزع
والله يعطى من يشاء ويمنع
ومن ادعاه يقول ما لا يسمع
فأليك يا يعقوب يومى الأصبع
أنت المقدم والخلانق تبع
وجه الزمان بوقتها يتطلع
من قلب صدق لم يشنه تصنع
والمدح من غيري إليك تطبع
فعساه يحسدها أنسماك الأرفع
أنت الملاذ لها وأنت المفزع
وكفأك ما تخشا وما تتوقع
يقنا الزمان وعرفها يتضوع

وأتيت تنصر دينه متوكلا
وكتائب منصوره يحدو بها
لله جنك والصوارم تنتضا
من كل من تقوا الآلاه سلاحه
لا يسلمون إلى النوائب جارهم
ومنها يصف انهزام العدو :

ان ظن أن فراره منج له
أين المفر ولا فرار لهارب
أخليفة الله المرضا هنثته
فنفد كسوت الدين عزا شامخا
ان الذي سماك خير خليفة
هيات سر الله أودع فيكم
لكم الهدا لا يدعيه سواكم
ان قيل من خير الخلائف كلها
ان كنت تتلوا السابقين فانما
فالنتم نخر الخلافة والذي
خذها أمير المؤمنين مدائحا
فالمدح مني في علاك طبيعة
حزها ملاءة مدحة منسوجة
واسلم أمير المؤمنين لأمة
وحماك من يحمى بسيفك دينه
وعليك يا أسنا الملوك تحية

الخبر عن غزاة أمير المسلمين يعقوب

رحمه الله الثانية في جوازه الأول

قال المؤلف عفا الله عنه :

خرج أمير المسلمين يعقوب الى غزاته الثانية من الجزيرة الخضراء أول يوم من جمادا الاول من سنة أربع وسبعين المذكورة (الثلاثاء ٢٢ أكتوبر سنة ١٢٧٥ م) فقصد الى أشبيلية فسار بجيوش المسلمين حتى نزل عليها بموضع يعرف بالماء المفروش ، فشن الغارات على أحوازها ، وجالت جيوشه في أقطارها ، وغنموا ماكان في أنحائها ، وركب في اليوم الثاني حتى أشرف على بابها ، وبرز عليها تهدر طبوله وتخفق راياته ، وركب الروم الأسوار ، واعتمدوا على الحصار ، ولم يكن في ملوكهم من يقدم عليه ، ولم يستطع زعيم منهم ان يخرج اليه ، فلما غنمها وهتك أحوازها وأحرق قراها وخرب حصونها ارتحل عنها الى شريش ، ففعل بها كفعله في اشبيلية ، وأقام عليها ثلاثة أيام وارتحل الى الجزيرة الخضراء فدخلها في اليوم السابع والعشرين لجمادا الاول المذكور فقسم ماجاء به من الغنائم والسبي ، بيعت الرومية في هذه الغزاة بمثقال ونصف لكثرتهم ، ودخل فصل الشتاء ، فبقي أمير المسلمين زمن الشتاء كله ساكنا بمحلته على وادي النساء بقرب الجزيرة الخضراء ، واحترم الروم الحراثة فغلت أسعارهم ، وضعفت بلادهم ، وقنط بنو مريين من المقام بالأندلس وتشوقوا الى أولادهم وديارهم .

فلما علم أمير المسلمين ذلك منهم جاز الى العدو ، فنزل بقصر المجاز وذلك في آخر يوم من رجب من سنة أربع وسبعين المذكورة (الاحد ١٩ يناير سنة ١٢٧٦ م) ، وكانت مدة إقامته بالأندلس ستة أشهر ، وسار الى مدينة فاس فدخلها في النصف من شعبان من السنة المذكورة ، وعند وصوله الى مدينة فاس ناقق عليه طلحة بن محلى البطوئي أحد أخواله وتمنع بجبل أزرو من بلاد فازان فخرج اليه أمير المسلمين من فاس فنزل

عليه بعساكره وحاصره فراً ما لا قبل له به ، فنزل اليه بأمانه فعفا عنه وذلك فى نصف شهر رمضان المعظم من سنة أربع وسبعين المذكورة (الثلاثاء ٣ مارس ١٢٧٦ م) .

وفى ثانى شوال من هاذه السنة قتل اليهود بفاس ، قامت عليهم العامة فقتل منهم أربعة عشر الف يهودي ، ولولا ماركب أمير المسلمين فكف العامة عنهم ونادا مناديه لايتعرض لهم أحد لم تبقى منهم باقية .

وفى اليوم الثالث من شوال المذكور (٢١ مارس) أمر أمير المسلمين يعقوب ببناء البلد الجديد ، فأسس على وادي فاس ، وشرع فى بنائسه وحفر أساسه فى ذلك اليوم ، وركب أمير المسلمين فوقف عليه حتى حد وأسس وأخذ له الطالع الفقيه المعدل علي ابن القطان ، والفقيه محمد ابن مبارك ، وكان تأسيسه فى طالع سعيد ووقت ميمون مبارك ، ومن بركته وسعادة طالعه أنه لايموت فيه خليفة ولم يخرج قط لواء منه الا نصر ، ولا جيش الا ظفر .

وفى شوال المذكور أمر أمير المسلمين ببناء قسبة مكناسة وجامعها وفى شهر محرم من سنة خمس وسبعين خرج الأمير يعقوب من مدينة فاس الى مراكش فوصلها فى نصفه ، فأقام بها الى أول شهر ربيع الأول المبارك من السنة المذكورة ، وخرج الى بلاد السوس ثم رجع الى مراكش ، فأقام بها أياما وخرج منها الى رباط الفتح ، فدخله فى أول يوم من شعبان فأقام به وكتب الكذب منه الى الأشياخ والقبائل من بني مرين وسائسر العرب وسائسر قبائل المغرب يستنفرهم للجهاد ، فتناقلوا عليه ، فلم يزل يحرضهم وهم يلوذون بالأعدار ، ويتناقلون الى ان دخلت سنة ست وسبعين فلما رأوا تتأقل الناس عن الجهاد وتثبطهم عن الجواز ، جد بنفسه وخاصته ، فخرج من رباط الفتح فى أول يوم من شهر محرم من سنة ست وسبعين وستمئة (الجمعة ٤ يونيو سنة ١٢٧٧ م) فسار حتى وصل قصر المجاز ، فجاز منه الى طريف وذلك فى الخامس والعشرين من محرم المذكور (٢٨ يونيو) .

الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب رحمه الله إلى الأندلس برسم الجهاد وهو الجواز الثاني

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما رأى أمير المسلمين يعقوب تتأقل الناس عن الجهاد خف إليه بخاصته ، ونهض إلى الجواز وسار نحوه بعزيمته ، فخرج من رباط الأنفج في أول يوم من محرم مفتح عام ستة وسبعين وستمئة (الجمعة ٤ يونيو سنة ١٢٧٧ م) ، فوصل إلى قصر المجاز وقد تلاحق به الناس حين رأوا عزمه ، وعلموا جده ، فتداركت في أثره قبائل بني مرين والسعرب والمتطوعة من قبائل المغرب من المصامدة وصنهاجة وأوربة وغمارة ومكناسة وغيرهم ، فأخذ في تجويز الجيوش حتى فرغ منها ، ثم جاز هوفى أثرهم فنزل بساحل طريف وذلك في اليوم الثامن والعشرين من المحرم المذكور (الخميس ١ يوليو) ثم ارتحل عنها إلى الجزيرة فأقام بها ثلاثة أيام ، وخرج إلى رندة فوصلها ونزل بخارجها وأتاه هنالك بنو أشقيناولة وهم الرئيس أبو اسحاق صاحب وادي ألس ، والرئيس أبو محمد صاحب مالقة ، فسلموا عليه وساروا معه تحت لوائه إلى غزو اشبيلية ، فارتحل عن رندة في أول يوم من ربيع الأول المبارك من سنة ست وسبعين المذكورة (الاثنين ٢ غشت سنة ١٢٧٧ م) ، فوصل اشبيلية فنزل قريبا منها ، وكان بها الفونسو العاشر الملقب بالعالم والحكيم ملك النصرانية ، فلما سمع بنزول أمير المسلمين عليه لم يمكنه إلا الخروج إليه ، فخرج بجنوده وجيوشه ، ووقف حول المدينة بعساكره وحشوده ، واصطفت عساكر الروم على ضفة الوادي الكبير في استعداد عظيم ، وعدد كثير جسيم ، وكلهم في الدروع السابغة ، والبيضات اللامعة ، والسيوف البواتر ، والجواشن والحرايب والمغافر ، شعاعها يذهب بالأبصار ، ويدهش الأذهان والافكار ، فزحف إليه أمير المسلمين بجيوش المجاهدين ، وأبطال بني مرين وذلك يوم مولد سيدنا محمد صلا الله عليه وسلم ، فلما تقارب الجمعان

والتقا العيان بالعيان ، نزل أمير المسلمين رحمه الله فضلا ركعتين على عادته ، ودعا الله تعالا فى نصره ومعونته ، ثم قال يامعشر بنى مريـن ، جاهدوا فى الله حق جهاده واشكروه اذ جعلكم مسلمين ، فوالله لايبصر حر النار ، من جاهد أعداء الله الكفار ، وقد قال رسول الله صلا الله عليه وسلم الحق وهو قائله : (لايجتمع فى النار كافر وقاتله) ، فطويا لمن يكثر السواد ، وان لم يباشـر طعانا ولاجلاد ، أما والله ان أجر الجهاد لكبير ، وقدره عند الله تعالا عظيم ، من مات فيه فهو حي يرزق وهانـه مرتبة عالية لاتلحق ، فلما سمع المسلمون منه الموعظة ، وعانـت أبطال مريـن جيوش الكفرة ، عاد الجبان منهم قسورة ، والضعيف كعمرو وعنزرة ، فدفعت عليهم كتائب المسلمين ، يقدمها النصر والسعد والتمكين، وتقدم الأمير يوسف برايته السعيدة فى ألف فارس من انجاد بنى مريـن ، أمام أبيه أمير المسلمين ، فاقتحم جيوش الروم ، فارتفعت الغبارات ، وضج المسلمون بالتكبيرات والشهادات ، فكان بينهما قتال شديد عظيم ، وموقف كريم ، ثم أقبل أمير المسلمين على أثر ولده بساقته وجيوشه وطبوله وبنوده ، فلما سمع الروم هدير طبوله ، وعانينا اشراق رايته المنصورة وبنوده ، ولوا منهزمين ، ونكصوا على أعقابهم مدبرين ، كأنهم حمر مستنفرة ، فرت زاهلة أمام قسورة ، فالجأهم بنو مريـن الى السوادي ، وحكموا فيهم السيوف والصفاد ؟ فكل من تاه منهم فى البرية قتل فى التيه ، ومن اقتحم الوادي غرق فيه ، ومن بقي فى المعترك مستمرا للمقتال قتل أو أسر ، فمات منهم فى الوادي ألوف كثيرة ، واقتحم المسلمون الماء يعومون فى أثارهم فيقتلونهم فى لجته الغزيرة ، حتى صار الوادي من دمائهم أحمرأ ، وطلعت جيفهم على وجه الماء فكان منظرهم عبـرة للورا ، ومزقت جيوشهم تمزيقا ، وفرقت كتائبهم تفريقا ، وحالت جيوش المسلمين فى تلك النواحي تقتل فريقا وتأسر فريقا ، وتحرق وتخرب الى الليل ، وبات أمير المسلمين تلك الليلة راكبا على جواده ، واقفا على باب اشبيلية والطبول تضرب والنيران تضرم ، حتى عاد الليل كالنهار والروم يضربون قرونها ويحترسون بالأسوار ، فلما ولا الليل بظلمته ، واصبح

الصبح بغرته ، صلا أمير المسلمين تلك الصلاة الوسطا مغلسا ، وارتحل الى جبل الشرف فلم يزل فى أنحائه راحلا ومعرسا ، وتفرق المجاهدون فيه يقتلون ويأسرون ويضرمون النيران ويخربون ، ودخل أمير المسلمين حصن قطنيانة ، وحصن جليانة ، وحصن القليعة بالسيف وقتل جميع رجاله وأسركافة نسائهم وأولادهم ، وغنمت أموالهم ، وخربت حصونهم ، وحرقت ديارهم ، ومر الحريق والتخريب على جميع قرا الشرف وحصونه ورجع أمير المسلمين بالغنائم والسبي الى الجزيرة الخضراء ، فدخلها فى ثامن وعشرين من ربيع الأول المبارك المذكور من سنة ست وسبعين المذكورة (الاحد ٢٩ غشت سنة ١٢٧٧ م) فأقام بالجزيرة حتى قسم الغنائم على المجاهدين واستراح الناس ثم خرج غازيا الى شريش .

وفى جمادا الأول من هاذه السنة توفي الرئيس أبو محمد ابن أشقيلولة بمالقة عند انصرافه من هاذه الغزوة المباركة .

الخبر عن غزوة أمير المومنين الرابعة

لما رجع أمير المومنين يعقوب من غزو اشبيلية وجبال الشرف أقام بالجزيرة حتى قسم المغانم واستراح الناس ثم خرج غازيا الى شريش وذلك فى الخامس عشر من شهر ربيع الآخر من سنة ست وسبعين وستمئة (الاربعاء ١٥ شتنبر سنة ١٢٧٧ م) ، عزم على هلاكها واستئصالها فسار حتى نزل عليها فحاصرها وشد فى قتالها وشرع فى قطع الزيتون والعنب والشجر وحرق الزروع وفسادها ، وهدم القرا والبروج وتخريبها ، وكان أمير المسلمين رحمه الله يقطع الثمار ويحرق الزرع بيده ، فأبصره الناس فجدوا فى فعلهم ، فكان فعله ذلك من الرشاد وأفضل الجهاد ، حتى صارت تلك البلاد خاوية على عروشها ، وقتل من بها من فرسان الروم وجيوشها ، وبلغت من الروم النكاية ، الى غاية النهاية ، فلما دوح تلك البلاد وهتكها بعث ولده الأمير الأسعد يوسف فى سرية من ثلاثة آلاف

فارس الى غزو حصون الوادي الكبير ، فسار اليها فغنم حصن روطه وشلوقة وغليانة والقناطر وسار مع الوادي يخرب ويفسد ويقتل حتى وصل اشبيلية فغنمها ودوخ أحوازاها ورجع بالغنائم والسبي الى والده فوجده ينتظره بمقربة من شريش ، فسر بقومه وارتحل الى الجزيرة ، فقسم بها المغانم على بنى مرين وقبائل المجاهدين ، ثم رجع أشياخ القبائل من بنى مرين والعرب والأغزاز والأندلس فندبهم الى الجهاد وقال يامعشر المجاهدين ان اشبيلية وشريش وأحوازمها قد ضعفا وبادا ، وان قرطبة وأعمالها بلاد حصينة عامرة وعليها اعتماد الروم واتكاهم ، وبها قوتهم ومعاشهم ، فان غزوناها وقطعنا ثمارها وأفسدنا زروعها فنيت الروم جوعا ، وضعفت جميع بلاد النصرانية ، وقد عزمتم على غزوها ، فما ترون فى ذلك ؟ فقالوا يا أمير المؤمنين وفقك الله تعالا فيما رأيت ، وأعانك وأثابك على مانويت ، نحن تبع لك فى رأيك ، سامعون لأمرك ونهيك ، لو خضت بنا البحر لخصناه ، ولو سرت بنا الى برك الغماد لقاتلناه ، فشكرهم ودعا لهم ، وفرق فيهم الخلع والأموال وأحسن اليهم وزادهم ، وكتب الى ابن الأحمر صاحب غرناطة يخبره أنه أراد غزو قرطبة ويدعوه فى المسير معه اليها ، ويقول ان خرجت معي اليها تكن لك مهابة فى قلوب الروم ماعشت ، وأجر عظيم عند الله تبارك وتعالا .

الخبر عن غزوة أمير المسلمين يعقوب

رحمه الله الخامسة وهي غزوة قرطبة

قا المؤلف عفا الله عنه :

خرج أمير المسلمين يعقوب الى غزو قرطبة من الجزيرة الخضراء فى جيوشه الموفرة ، وكتائبه المنصورة المظفرة ، وذلك فى أول يوم من جمادا الأخرى من سنة ست وسبعين المذكورة (السبت ٣٠ اكتوبر سنة ١٢٧٧ م) ، وخرج أيضا الأمير ابن الأحمر بجنوده من غرناطة ، فالتقا الجمعان بخمار الورد من بلاد شدونة فأقبل عليه أمير المسلمين وفرح

به ، وجمع الله تعالا كلمة الاسلام وألف بين قلوب أهله ، فطابت نفوس المسلمين على القتال ، وقويت نياتهم ، فاستعدوا للجهاد ، فنزلوا على حصن بني بشير ، والفتح والنصر اليهم يشير ، فدخلوه فى حينه عنوة بالسيف ، وقتل جميع رجاله وسببت نساءهم وأولادهم ، وغنمت أموالهم ، وهدم الحصن حتى لم يبق له أثر ، وأطلق أمير المسلمين الغارات فى كل ناحية من بلاد الكفرة وكل من والا من المسلمين مكانا دمره ، وغنموا بتلك الجهات من الغنم والبقر والمز والخيل والبغال والحمير والزيت والعسل والقمح والشعير مالا يوصف ، فكثرت الخيرات ، وامتألت أيديهم بالغنائم ، ثم ارتحلوا حتى نزلوا قرطبة ، فنزل أمير المسلمين عليها بالساقات والجيوش ، وضرب عليها الطبول وارتفعت أصوات المسلمين بالتكبير ، فتحصن الروم بالأسوار والرماة ، وسار أمير المسلمين تحت ظلال بنوده ، وقدم بين يديه الرؤساء من أبطاله وجنوده ، حتى وقف على بابها ، ثم دار بأسوارها ، ينظر كيف الحيلة فى قتالها ، ووقف ابن الأحمر بعساكر الأندلس أمام محلة المسلمين يحرسونها خوفا لما يحدث من قبل الروم ، فتفرقت قبائل بنى مرين والعرب فى أحواز قرطبة وحصونها وقرائها ومدنها يقتلون ويأسرون ويفسدون ويخربون ، ودخلوا حصن الزهراء بالسيف ، فأقام أمير المسلمين على قرطبة ثلاثة أيام حتى هتكها وخرب قرأها وأحرق زروعها ودوخ أرضها ، وارتحل عنها الى بركونة ، فدخل أرياضها بالسيف وخربها وقطع ثمارها ، وارتحل الى أرجونة ففعل بها كفعله فى بركونة ، وبعث الجيوش الى مدينة جيان وبث السرايا فى كل جهة فانتشرت فى تلك البلدان

فلما رأى الفونسو ماتال بلاده من الفساد والدمار وماحل برعيته من القتل والأسر والتبار ، جنح الى الصلح ورجب فيه ، وبعث بالأقسة والرهبان الى أمير المسلمين ليسأله ويعفيه ، فوصلوا الى بابه يرغبون فى السلم صاغرين ، ويتضرعون اليه داخرين ، فقال لهم أنا ضيف ، ولا أصالحكم الا ان صالحم ابن الأحمر ، فساروا الى ابن الأحمر وقتلوا له ان أمير المسلمين قد رد الأمر اليك ، ونحن أتيناك لتصالحنا صلحا مؤبدا

يدوم على توالى الأعصار ، ويبقى ماتعاقب الليل والنهار ، وأقسموا له بصليانهم ان لم يرضه الفونسو خلعه من سلطانهم ، لانه لم ينصر الصلبان ، ولاحما الثغور ولاضبط البلدان ، وقد ترك رعيته نهبا للعدا ، وان تمادت بهم الحال لم تبق منهم أحدا ، فأتا ابن الأحمر أمير المسلمين فبين له الأمور وأخبره ان الأندلس لاتسكن الا بالصلح على قديم الدهر ، وقد سما الله تعالا الصلح خيرا ، فانعقد الصلح بين ابن الأحمر والرهبان وقال لهم تصلون فى أمرنا الى حضرة أمير المسلمين فيكون بها تمام الصلح والاشهاد به علينا وعليكم ان شاء الله تعالا ، فارتحل أمير المسلمين عن أرجونة قاصدا الى الجزيرة الخضراء ، وأخذ على طريق غرناطة ، فأعطا المغانم كلها لابن الأحمر احسانا اليه وفضلا منه وايثارا له ، وقال له يكون حظ بنى مريـن من هاذة الغزاة الأجر والثواب ، فسار ابن الأحمر بالمغانم الى غرناطة ، وسار أمير المسلمين على مالقة حتى دخل الجزيرة الخضراء وذلك فى العشر الاول من شهر رجب من سنة ست وسبعين المذكورة ، فنزل بمحلته خارجها ، وعند وصوله اليها مرض ، فبقي مريضا سبعين يوما ، وذلك أنه مرض يوم الحادي عشر من شهر رجب فبقي عشرين يوما من رجب وشعبان بأسره وعشرين يوما من رمضان حتى تحدث الناس بموته فى بلاد العدو ، فبعث ولده الأمير يوسف يهدن الناس ويسكن روعاتهم ، فلما وجد أمير المسلمين الراحة من مرضه أئته أرسال الروم مع الرهبان والاقسة لتمام الصلح فصالحهم وذلك فى آخر شهر رمضان المذكور (الخميس ٢٤ يبرابر سنة ١٢٧٨ م) وفى شهر رمضان من السنة المذكورة بعث الرئيس ابن أشقيلولة الى أمير المسلمين يرغب منه أن يأخذ منه مالقة ، وقال له اني عجزت عن ضبطها فان لم تصل اليها وتقبضها من يدي أعطيتها الروم ولا يملكها ابن الأحمر ابدا ، وكان ابن الاحمر قد أعطى عليها لألفونسو من البلاد والحصون عددا كثيرا ، وكذلك أعطى عليها ابن أشقيلولة ، فبعث اليها أمير المسلمين ولده الأمير أبا زيان فقبضها منه وحل فى قبضتها وذلك فى العشر الأواخر من شهر رمضان المذكور ، فأقام أمير المسلمين بعده

بالجزيرة الخضراء حتى انقضا شهر رمضان وعيد عيد الفطر بها ثم خرج الى مالقة فى ثالث شوال ، فدخلها في اليوم السادس منه ، فتلقاه أهلها ببروز عظيم ، وفرحوا به ، وتهدنت روعاتهم ، وتأمنت بلادهم ، فأقام بها بقية شوال وشهر ذي قعدة وثمانية عشر يوما من شهر ذي حجة ، وارتحل الى الجزيرة الخضراء برسم الجواز الى العدو بعد ان رتب فيها ألف فارس من بني مرين والعرب ، وسكن فى قصبتها عمر بن علي وقدمه عليها وعلى جيشها ، وجاز الى العدو ، وذلك فى العشر الأول من المحرم سنة سبع وسبعين وستمئة (يونيو سنة ١٢٧٨ م) فوصل مدينة فاس فأقام بها أياما ثم خرج الى مدينة مراكش ، ولما تحقق الفونسو لعنه الله جواز أمير المسلمين الى العدو واستقراره بحضره مراكش نقض صلحه ورفض الايمان ، ونكث العهود ونسي الاحسان ، وهاذه صفة المشركين ، التي وصفهم الله تعالا بها فى كتابه المبين ، فقال وقوله الحق: (الذين يلقون عهدهم فى كل مرة وهم لايتقون) ، فبعث اللعين الافروطة لحصر الجزيرة الخضراء وقطع المجاز ، فلما رأى ذلك عمر بن علي قائد أمير المسلمين على مالقة غدر وقام بها وراسله ابن الأحمر فى شأنها فباعها منه بخمسين ألف دينار ، وحصن شلوبانية ، وذلك فى نصف رمضان من سنة سبع وسبعين وستمئة ، وأتا ابن الأحمر بجيشه حتى دخل مالقة وملكها ودخل عمر بن علي على ماكان أمير المسلمين تركه بها من العدد والمال برسم المرتبات والانفاق على الأجفان والغزاة ، واتصل بأمر المسلمين غدر عمر بن علي وبيعه مالقة لابن الأحمر ، فبلغ ذلك منه كن مبلغ ، وخرج من فوره عن مراكش قاصدا الى الأندلس وذلك فى ثالث شوال من سنة سبع وسبعين المذكورة (الجمعة ١٧ يبرابر سنة ١٢٧٩ م) فوصل قرية مكول من بلاد تامسنا فتوالت عليه الأمطار والرياح والسيول، ولم تزل الأنواء مصطخبة لايفتر المطر ليلا ولا نهارا فلم يستطع الرحيل لأجل ذلك ، ووردت عليه الأخبار وهو بهاذن المنزل أن النصارا دمرهم الله قد نازلوا الجزيرة الخضراء برا وبحرا ، المحلات فى البر والأجفان فى البحر ، وكان نزول الافروطة عليها فى نصف ربيع الأول من سنة سبع

وسبعين المذكورة ، ونزلها الفونسو بعساكره فى البر سادس شوال من السنة بعينها فأمر امير المسلمين بالرحيل الى طنجة لينظر فى الجواز الى الأندلس واستنقاذ الجزيرة الخضراء فبينما الناس يرتحلون اذ تواترت الأخبار فى المحلة أن أمير عرب سفيان مسعود بن كانون قد نافق ببلاد نفيس من أحواز مراكش وباعه جميع عرب سفيان ، فأسرع أمير المسلمين الرجوع الى مراكش ، فلما وصلها فر مسعود بن كانون أمامه الى جبل سكسيوة وتمنع منه هنالك وترك جميع أمواله وأمتعته ، فأخذها أمير المسلمين ففرقها فى بنى مرين ، ونزل عليه فحاصره بجبل سكسيوة وأقسم أن لايرتحل عنه حتى ينزل على حكمه او يموت دون ذلك ، وكان نفاق مسعود بن كانون المذكور يوم الأحد الخامس من ذي قعدة من سنة سبع وسبعين المذكورة ، فأقام محاصرا له وبعث ولده الأمير أبا زيان الى بلاد السوس فدخلها وهدنها وقمع ثوارها وجبا خراجها ورجع الى والده فوصله فى آخر يوم من ذي الحجة من السنة المذكورة (السبت ١٣ ماي سنة ١٢٧٩ م) ، ولما طال مقام امير المسلمين على حصار الثائر مسعود ابن كانون تواترت عليه الاخبار بما هي عليه الجزيرة الخضراء من شدة الحصار ، وتوالى القتال والأسر بالليل والنهار ، وكان جملة من نازلها من البحر من أجفان العدو أربعمئة جفن بين قراقر وقطائع كبارا وصغارا ، ونزلها فى البر الفونسو لعنه الله فى ثلاثين الف فارس من الروم وثلاثمئة ألف راجل ، فشدوا عليها الحصار ، ودارت محلاتهم بالاسوار ، وأحرقوا بها كما يحرق بالمعصم السوار ، ونصبوا عليها المجانيق والرعدات وضيقوا عليها تضيقا عظيما حتى لايدخل اليها أحد ولايخرج منها ، وكان أهلها لايسمعون خبرا الا ما يأتهم به الحمام من جبل الفتح يحمل انهم الكتاب ويرد عليهم الجواب ، وفنى أكثر أهلها بالأسر والجوع والقتل وسهر الليل فى الأسوار ، والحراسة والقتال بالليل والنهار ، حتى أشرف من بقي بها على الهلاك ، وقطعوا بأسهم من الحياة ، فجمعوا صبيانهم وطهروهم خوفا عليهم من التحويل ، واتقاء أن تدخل عليهم المدينة فيدعوهم الروم الى التبديل ، فلما سمع أمير المسلمين ما آل اليه أمر

الجزيرة الخضراء ، وقد كان سبق يمينه ان لايرتحل عن ابن كانون حتى يظفر به أو ينزل اليه على حكمه ، دعا بولده الأمير الأجل يوسف وأمره أن يسير الى طنجة يرسم النظر فى استنقاذ الجزيرة وعمارة الأجناف لجهاد الأفروطة المحاصرة لها ، فخرج الأمير يوسف من حضرة مراكش قاصدا الى طنجة ، وذلك فى شهر المحرم من سنة ثمان وسبعين وستمئة فوصل طنجة فى غرة صفر التالي للمحرم المذكور ، فأمر بعمارة الأجناف بمدينة سبتة وطنجة وبادس ومدينة سلا ، وقرق الأموال والعدد على الغزاة والمجاهدين ، وكان من أهل سبتة فى هاذه العمارة وغزو هاذه الافروطة جد عظيم ، فان الفقيه أيا حاتم العزفى رحمه الله لما وصله كتاب الامير يوسف يأمره بالعمارة جمع أشياخ سبتة وقوادها ورؤساءها فندبهم للجهاد وحضهم على نصرة أهل الجزيرة الخضراء واستنقاذها مما هي فيه من الهلاك والجلاد ، فبادر جميع من فيها وسارعوا خفافا وثقالا الى ركوب الاجفان فأعد أهل سبتة خمسة وأربعين جفنا مابين كبار وصغار ، وركب فيها تطوعا يرسم الجهاد جميع من بسبتة من الفقهاء والصلحاء والطلبة والتجار والسوقة ومن لامعرفة له بالحرب كل قد باع نفسه من الله تعالا ، ولم يبق بسبتة الا النساء والزمناء والشيوخ الذين لا قوة لهم والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ، وعمر ابن الأحمر فى المنكب وألمرية ومالقة اثني عشر جفنا ، وعمر الأمير يوسف بطنجة وسلا وبادس وأنفا خمسة عشر جفنا نض فى الجميع اثنتان وسبعون قطعة ، واجتمعت أجفان المسلمين كلها بسبتة ثم أقلعوا عنها الى طنجة ليراهم الامير يوسف فوصلوها فى أحسن زي وأكمل استعداد ، فركب فيها جماعة من أنجاد بنى مرين ممن رغب فى الجهاد ، وعقد لهم الأمير يوسف رايته السعيدة المنصورة ، وقال سيروا على بركة الله ويمنه ، فارتفعت أصوات المجاهدين بالشهادة ، وضج الناس بالدعاء لهم والابتهاال الى الله تعالا فى نصرهم وتأييدهم على عدوهم ، فأقلعوا من طنجة ثامن ربيع الأول المبارك من سنة ثمان وسبعين المذكورة (٢٠ يوليوز سنة ١٢٨٠ م) ، والناس يبكون ويتضرعون ، فأقام أهل طنجة وسبتة وقصر المجاز أربعة

أيام بلياليها لم ينم منهم أحد ولا غلق فيه باب ، ومن كان بقي بها من الشيوخ والصبيان ركبوا الأسوار ، وأقبلوا على الدعاء والتضرع لهم بالليل والنهار ، وانتشرت قلاع المسلمين فى البحر وقدموا المناطح ، وصار الموج لهم كالأباطح ، وسكنت يمين الله تعالا الرياح ، ليطيب لهم الحرب والكفاح ، وإذا سكنت البحار الزواجر ، قدمت على حربها القراقر ، فقصدت أجفان المسلمين جبل الفتح فباتوا فيه تلك الليلة مرابطين ، وبات المجاهدون بأجفانهم ما بين تال لكتاب الله تعالا وذاكر ، ومتهجد وداع ، فلما انفجر الصبح من يوم الأربعاء العاشر من ربيع الاول المذكور صلوا صلاة الصبح لأول وقتها ، فقام فيهم بعض الفقهاء الصلحاء خطيبا وذكرهم بما أعد الله تعالا للمجاهدين من الأجر العظيم ، والثواب الجسيم ، حتى ذرفت عيونهم ، وطابت قلوبهم ، وقويت نفوسهم ، وخلصت نياتهم ، واشتاقوا الى الشهادة وتوادعوا وعانق بعضهم بعضا وتغافروا فيما بينهم ثم أقبلوا قاصدين نحو أجفان المشركين ، فلما أبصر الروم قلوب المسلمين قاصدة نحوهم وقد سدت المسالك ، قاصدة للحروب والمهالك ، قذف الله تعالا الرعب فى قلوبهم ، والتحم بعضهم ببعض ليكون أمنع لهم فى حروبهم ، وصعد قائدهم الملند الأكبر على ظهر قرقورة ليعد أجفان المسلمين ، فعد ألفا وظن الباقي أكثر ، وعدها قواد الروم فأجمعوا على أنها ألف ونيف ليس فيها عندهم خلاف ولاريب ، فسقط فى أيديهم ، وكثرها الله تعالا فى أعينهم ، وأيقنوا بالهلاك والدمار ، وعزموا على الهروب والفرار ، وأقبلت أجفان أنجاد المسلمين أنجدهم الله تعالا فاصطفت أمامهم مثل السور ، متوكلين على الله تعالا فى جميع الأمور ، وكلهم قد وطن نفسه على الموت ، وباعها من الله تعالا بالجنة قبل الفوت، فبرز اليهم الملند قائد الأفروطة فى قرقورة كان قد أعدها وبرزها جماعة من قواد الروم وغزاتها فى مقاطع وقرقر هائلة ، وكلهم قد لبس الحديد وأظهر العدة والعديد ، واكبر جفن من أجفان المسلمين وهو الغراب ترتفع عليه القرقورة ارتفاع الجبل الشاهق وإذا نشرت شرعها صيرته لها أرضا وجرت عليه جري الجواد السابق ، فالتحم الحرب بين الفريقين ،

وتشهد المسلمون وقالوا لا أثر بعد عين ، وأقبلت سهام المسلمين عليهم صائبة كأنها القطر الواكف ، أو الريح العاصف ، تنفذ التراس والدروع ، وتفرق الكتائب والجموع ، ونصر الله تعالا عباده المومنين فخرجوا بثلاث قطع من أجفان الكفار ، وكثر فيما بقي من الأجفان القتل والجراح ، وتوالا رشق السهام وطعن الرماح ، فلما رأوا الكفرة مانالهم من البوار ، ولوا الأديار ، وأخذوا فى الفرار ، وقالوا هاذة سفرة دائرة ، وكرة خاسرة ، فتراما المسلمون معهم فى الاجفان ، فقتلوا منهم عددا لا يحصا وتراما اكثرهم فى البحر يعومون كالضفادع ، ويتساقطون فيه تساقط الفراش فى الشهاب الساطع ، فقتلهم المسلمون بالرماح الذوابل والسيوف القواطع ، حتى لم تبق منهم باقية ، واضحت أجفانهم خالية خاوية ، فملكها المسلمون واحتوا على ما فيها من العدد والأزواد ففرح المجاهدون واستبشر المسلمون الذين بداخل الجزيرة الخضراء بفساد الأفروطة وهلاكها وقتل جماعتها وأخذها ، وايقنوا بالحياة بعدما أشرفوا على الوفاة ، وأتاهم من الله تعالا الأمان بعد الذعر ، واليسر بعد العسر ، والنصر بعد الصبر ، والرخصاء بعد الشدة ، والسرء بعد الضراء ، والضياء بعد الظلام ، والصحو بعد الغمام ، ودخلت أجفان المسلمين الجزيرة الخضراء على من بها من الروم عنوة بالسيف وقتلوا جميع من وجدوه بها وأسر قائدهم الملند وجماعة من قواد الروم منهم ولد أخت ألفونسو وكبير بيونة واحتوا المسلمون على جميع ماكان بالجزيرة وفي الأجفان من العدد والسلاح والأسلاب والنخائر التى جاء بها التجار من الحلبي والثياب والجواهر والعدد ، فاحتملوا من ذلك ما لا يصفه لسان ولا يحويه عدد .

ولما رأوا أهل المحلة التي فى البر محاصرين للجزيرة الخضراء ما أصاب أهل البحر من الأسر والقتل والفساد خافوا من فجأة جواز الأمير يوسف اليهم ، اذ كان مقيما بساحل طنجة مستعدا للجواز ، فأخذوا فى الرحيل والفرار ، وخلفوا جميع ماكان معهم من الأثقال والأزواد فى تلك الدار ، فخرج الناس من الجزيرة الخضراء رجالا ونساء فانتشروا

فى مضاربهم ، وجالوا فى منازلهم ، يقتلون ويغنون ، فوجدوا بها من الأموال والأسلاب والفواكه والادام والشعير والدقيق مالا يحصى كثرة ، فانتهبوا ذلك كله وأدخلوه المدينة فبيع الدقيق القرطبي بالجزيرة فى عشي ذلك اليوم ربعا بدرهم ، بعد أن كان فى غدوته معدوما بالكلية لا يوجد غالبا ولا رخيصة ، ومن فضل الله تعالى وتأييده لأوليائه فى هاذه الغزاة أن أجفان المسلمين كانت نيفا وسبعين جفنا ، وأفروطة الرومى زادت على أربعمئة قطعة ، فغلبتها وسارع البشير الى الأمير يوسف فأعلمه بما سناه الله تعالى لعباده المسلمين من الفتح الجليل والصنع الجميل ، فحمد الله تعالى وأثنا عليه وكتب فى الحين الى والده بالفتح ، وكانت هاذه الفغنية العظيمة والمنة الجسيمة فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول المبارك يوم مولد نبينا محمد صلا الله عليه وسلم من سنة ثمان وسبعين وستمئة (الاحد ٢٣ يوليوز سنة ١٢٧٩ م) فورد كتاب الفتح على أمير المسلمين وهو محاصر لسعود بن كاثون بجبل سكسيوة فخر لله تعالى ساجدا ، ولم يزل لله تعالى شاكرا وحامدا ، ثم أمر باخراج الصدقات وتسريح السجون وعمل المفرجات وضرب الطبول فى جميع بلادهم ، وكان رحمه الله من حين اتصل به حصار الجزيرة الخضراء لم يستلذ منا ما ، ولم يستطع طعاما ، ولم يقرب امرأة ولا غيرها ولم يصف له عيش الى أن وصله خبر الفتح وفساد الأفروطة وفرار المحلة واقلاعها عن الجزيرة الخضراء ، وجاز الأمير يوسف باثر هاذا الفتح الى الجزيرة الخضراء وذلك فى غرة ربيع الثانى (الجمعة ١١ غشت) فخافت الروم فى جميع الاقطار وعملوا على الحصار فى جميع الأمصار ، فعاقه عن غزو بلادهم تنافسه مع ابن الأحمر فى أخذ مالقة فصالح الأمير يوسف الفونسو على أن يترك معه غرناطة وجاز الى العودة وجوز معه زعماء الروم وسار بهم الى أبيه ليتم لهم الصلح بين يديه ، وظن ان فعله ذلك مما يرضي أباه ، فلما سمع أمير المسلمين بذلك غضب له ولم يرضه ، وسار الى بلاد السوس وأقسم ان لا يرا واحدا من الزعماء الذين أتا بهم ولده الا ان رأهم فى بلادهم ، فانصرف الزعماء خائبين ورجع أمير المسلمين من بلاد السوس فنخل

حضرة مراكش وأقام بها أياما وخرج الى مدينة فاس فوصلها واستقر بحضرته من المدينة البيضاء منها ، وانفذ الكتب الى قبائل بني مرين والعرب يستنفرهم للجهاد ، ثم خرج من حضرة المدينة البيضاء قاصدا الى الأندلس برسم اصلاح أحوالها وتسكين فتنها وجهاد عدوها ، وذلك في غرة رجب من سنة ثمانية وسبعين المذكورة (الثلاثاء ٧ نونبر) فوصل طنجة في وسط رجب المذكور ، فنزل قصبته واستشرف على أحوال الأندلس منها فوجدها قد اضطرت نارا وعظم النفاق في جميع أقطارها بين المسلمين والروم ، واغتنم العدو فرصته فيها بغية أمير المسلمين عنها وتغيره على ابن الأحمر بسبب مالقة ، فبعث رسوله الى ابن الأحمر ليرد عليه مالقة ويصالحه فامتنع ابن الأحمر من صلحه وأغلظ له في القول ، وكان ابن الأحمر قد صالح يغمراسن بن زيان ، وبعث اليه أموالا جليلة وهدية عظيمة على أن يشغل عنه أمير المسلمين ويشغل عليه نار الحروب ويشن الغارات على بلاده حتى يمنعه الجواز الى الأندلس ، فأخبر أمير المسلمين بخبرها فبعث رسوله الى يغمراسن يسأله عن الذي بلغه ويطلب منه تجديد الصلح ، فقال للرسول لاصح بيني وبينه أبدا ، وليس له عندي ما عشت الا الحرب وكل ما وصله من صلحي مع ابن الأحمر فهو حق ، فقل له يتأهب للقائى ويستعد لقتالى ونزالى فأبلغه الرسول المقالة ، فاسترجع أمير المسلمين وقال اللهم انصرنى عليهم ياخير الناصرين ، ثم خرج من طنجة راجعا الى مدينة فاس فدخلها في الآخر شوال من سنة ثمان وسبعين المذكورة فكانت مدة اقامته بطنجة ثلاثة أشهر وسبعة أيام ، فأقام بمدينة فاس وبعث رسوله ثانية الى يغمراسن ليقم عليه الحجة ، ويبين له المحجة ، ويقول له يامغرور ، الى متى هذا الضلال والغرور ؟ أما أن أن تنشرح الصدور ، وتنقضي هذه الشرور ؟ أما علمت ان السن قد انتها وذهب الشباب وجاوزت معترك المنايا ، فهل الى الصلح الذي جعله الله تعالا خيرا للعباد ، واسلك منهاج التقوا وبادر الى التعاون على البر والتقوا والجهاد :

واعمل على الجهاد والرباط وكن بغزو الروم ذا اغتباط

متى متى لاترعوي حتى متى
فان آييت السير للجهاد
فلتترك الناس الى جهادهم
واقعد ولا تنهض الى تجين
لابد من كأس الحمام للفتنا
وحصدت عن مناهج الرشاد
مؤمنين فى حما بلادهم
فانهم فى العهد مع مريز

فوصلته الرسل وبلغته الرسالة ، وأدوا اليه الموعظة والمقالة ، فلما
سمع ذكر تجين فى اثناء اللفظ ، قام بمنزعجا وقعد وكاد يتميز من الغيظ ،
وقال والله لاكففت عن تجين ، ولو رأيت النفس فى سجين ، فليصنع
مابدا له ، وليتأهب للحرب قهبي أولا له ، فلما قطع المنصور من صلحه
الاياس ، خرج الى قتاله من مدينة فاس ، وذلك فى شهر ذي الحجة سنة
تسع وسبعين وسبعمئة ، فسار حتى وصل فج عبد الله ، فاجتمع هناك
بولده الأمير يوسف ، ثم ارتحل الى رباط تازة فأقام به أياما ، ثم خرج
فنزل وادي ملوية وليس فى جيشه خمسمئة فارس ، فأقام عليه أياما
فتلاحقت به الجيوش والأبطال ، وتوافدت عليه قبائل مريز الأقبالي ، وقدمت
العساكر كالسيول ، حتى ملأت محلاته الربا والسهول ، فارتحل حتى وصل
تافنا فتوفي هناك ولده ابراهيم ، ثم سار حتى نزل وادي تافنا وآتوا
يغمراسن فنزل أمامه بالمال والعيال والنكير والقطمير ، وقدمت معه قبائل
العرب بالشاة والبعير ، فمنع أمير المسلمين الناس من القتال فاشتاقت
بنو مريز الى الحرب والنزال ، فخرج جماعة منهم متصيدين ، وعلى محلة
يغمراسن مشرفين ، فأدت بهم لذة الصيد الى أن وصلوا أطراف محلة
يغمراسن فخرجت لهم بنو عبد الوادي ، وبادرت اليهم الأعراب كالجراد
فكسروهم حتى وصلوا شفير الوادي ، فلما رأى أمير المسلمين بنى عبد
الوادي فى أثر خيله وكان كما سلم من صلاة الظهر ركب جواده وركب
الجيوش من مريز والعرب وسائر الأجناد وأقبلوا نحوهم كالأساد ، ومرت
الخيال على قسمين نصف قصد محلة يغمراسن ، ونصف سار الى محلة
العرب الين أقبلوا معه ، وتأخر أمير المسلمين هو ولده الأمير فى الفي
فارس من أنجاد بنى مريز فالتحم القتال ، وحى الوطيس ، واشتد الحرب
بين الفريقين وصرخ ابليس ، ولم يزل القتال يشتد بينهم الى صلاة العصر

فأقبل أمير المسلمين في نحو ألف فارس من بنى مريين وأقبل ولده الأمير يوسف كذلك من ناحية أخرى وكل واحد منهما بطبوله وبنوده فأحدقوا بهم من كل جانب ، وأحاطوا بهم كالعذاب الواصب ، فرأى يغمراسن ما لا يقدر عليه فولا هارباً مهزوماً وخلف القباب والأموال ، والمضارب والعيال ، وفر في البيداء كمواثده ، ولم يفكر في أمواله ولا في نواهده ، فقتلت جنوده ، وكسرت بنوده ، ودخل إلى حضرته ، ونحسه باد على غرته ، وانتهب الناس جميع محلته ، ولم يزل الناس طول ليلتهم إلى الصباح ينتهبون سائر البلاد والفواحي وباتت طبول أمير المسلمين في محلته تضرب في الخيام وأخذت أموال العرب بأسرها ، وامتلأت أيدي مريين من شاتها وبعيرها ، ووصل الأمير أبو زيان بن عبد القوي إلى أمير المسلمين يعقوب فبايعه وأقام معه ببلاط يغمراسن هو وقبيلته من بني تجين يدمرون ويخربون ويفسدون ، فلما استأصل جميع بلاده ، وأكل زروعها ، ونهبها وخرّب ربوعها ، أمر بنى تجين بالرجوع إلى بلادهم وأعطاهم أموالاً جزيلة في جهازهم وأقام هو على تلمسان حتى وصلت تجين إلى بلادها ثم ارتحل راجعاً إلى المغرب فوصل مدينة فاس فدخلها في شهر رمضان من سنة ثمانين وستمئة ، فأقام بها إلى آخر شوال وارتحل إلى مدينة مراکش في أول شهر ذي قعدة من سنة ثمانين المذكورة (الأربعاء ١١ يبرابر سنة ١٢٨٢ م) فدخلها في غرة المحرم من سنة احدى وثمانين وستمئة (السبت ١١ ابريل سنة ١٢٨٢ م) فبنا بها بامرأة مسعود بن كانون ، وبعث ولده الأمير يوسف إلى بلاد السوس ، وأقام هو بمراكش ، فوصله بها رسول الفونسو العاشر وكتابه يدعوه فيه إلى نصرته ويقول له أيها الملك المنصور ان النصرا نقضوا عهدي ، وثاروا علي مع ولدي (١٧٩) وقالوا شيخ

(١79) كان الفونسو العاشر ملك قشتالية الملقب بالعالم والحكيم (الساييو) كثير الاستغال بالعلوم والآداب ، والحجة لجيرانه المسلمين والتقدير لعلمهم وثقافتهم والرغبة في مهادنتهم ، فسخطه رعيه التي كانت ترا أن الممالك لا تنهض إلا بالسياسة والحروب ، فثار عليه في الأول أخوه الأنفانت فيليب مع جماعة من النبلاء سنة 1270 م (669 هـ) ، ثم ولده سانشو سنة 1282 م (681 هـ) فحدثت بين الأب والابن حروب أهلية استمرت عامين وانتهت بوفاة الفونسو العاشر طريداً مهزوماً سنة 1284 م (683 هـ) والتاج الذي رهنه الفونسو العاشر بقى محفوظاً بالقصر الملكي بفاس إلى عهد ابن خلدون .

كبير قد ذهب رأيه وفني عقله ، فأعنى عليهم ، ويكون سيرى معك اليهم ، فاعتنم المنصور هاذه الحال ، وجعل جوابه الارتحال ، فارتحل عن مراكش فى ربيع الاول ، فلم يدخل بلدا ولاثبت ولا أمهل حتى وصل الى قصر المجاز فجاز منه الى الجزيرة الخضراء وذلك فى ربيع الثانى من سنة احدا وثمانين المذكورة ، فوجد النصارا فى غاية الضعف وغاية الشتات ، فآتته حصص بلاد الأندلس فسلموا عليه ، وارتحل فنزل بصخرة عباد ، فآتاه بها الفونسو العاشر خاضعا ذليلا فأكرمه أمير المسلمين وأعظم قدره ، فشكا اليه بقله ذات يده ، وقال مالي غياث سواك ، ولا ناصر الاك ، ولم يبق لى الا التاج ، وأنا فى هاذه الحركة محتاج ، وهو تاج أبى واجدادي فخذه رهنا فى المال ، واعطني ماانفقه فى الحال ، فأعطاه أمير المسلمين مئة الف دينار ، وسار معه يغزو فى بلاد الروم حتى وصل الى قرطبة فنزل عليها وقتلها أياما وولد الفونسو محصور بها وبعث سراياه الى جيان فأفسد زروعها ثم ارتحل أمير المسلمين الى أحواز طليطلة يقتل ويسبى ويخرب الغرس والحصون حتى وصل الى مجريط من أحواز طليطلة ، وقد امتلات أيدي المسلمين بالسبى والغنائم ، فرجع لأجل ذلك الى الجزيرة الخضراء ، وكانت غزوة عظيمة لم يكن مثلها فى سالف الدهر ، فدخل الجزيرة فى شعبان من السنة المذكورة ، وهى وخرج فى أول المحرم من سنة اثنتين وثمانين وستمئة (الخميس ١ ابريل سنة ١٢٨٢ م) ، فنزل مالقة وفتح بأحوازا حصونا كثيرة منها حصن قرصة وذكوان وسهيل .

وفى هاذه السنة اصطلح ولد الفونسو العاشر مع ابن الأحمر لأجل صلح والده مع أمير المسلمين يعقوب رحمه الله ، فاشتعلت الأندلس نارا ، وأصل ذلك مالقة وضافت الدنيا على ابن الأحمر ، فبعث رسله الى الأمير يوسف ببلاد العدو يسأله الجواز ليصلح هاذه الخطوب ، فجاز الغزوة السادسة ، فأقام بالجزيرة الى آخر ذي الحجة من العام المذكور الأمير يوسف الى الأندلس فى شهر صفر من سنة اثنتين وثمانين وستمئة بعد ان دام النفاق بينهما مدة ، فأصلح الله تعالا على يديه بين المسلمين

ورفع ببركته علم الدين ، واجتمعت كلمة الاسلام ، ورجع الغزو لعبيدة الأصنام ، وبث أمير المسلمين سراياه فى بلاد الكفرة ، فغنموا وسبوا ، ثم خرج من الخضراء غازيا الى قرطبة وهي غزاة البرت .

الخبر عن خروج أمير المسلمين الى غزاة البرت

خرج اليها من الجزيرة الخضراء فى أول يوم من ربيع الثانى من سنة اثنتين وثمانين وستمئة (الثلاثاء ٢٩ يونيو سنة ١٢٨٢ م) فسار حتى وصل الى قرطبة ، فغزا بلادها وغنم حصونها وخرب معموها وارتحل نحو البرت ، وترك محلته على بياسة بالمغانم والأنفال ، وترك بها خمسة آلاف فارس من حماة الأبطال ، وكان فى ذلك ذا رياسة وسياسة ، فانها دارت بها بلدانهم ، فجد أمير المسلمين السير الى البرت ، فسار يومين بأرض خالية حتى وصل الى العمران ، فأغارت الخيل حتى وصلوا الى أحواز طليطلة ، ولم يبق بين أمير المسلمين وبينها غير مرحلة واحدة ، وماصده عن غزوه الا كثرة ما بأيدي المسلمين من الأموال والسبي ، وقتل فى هاذه الغزاة من الروم ألوف لاتحصى ، ورجع أمير المسلمين على طريق آخر يحرق ويخرب ويسبى ويقتل ، حتى وصل الى مدينة أبذة ، فقاتلها ساعة من النهار ، فرماه علج من سورها بسهم أصاب فرسه الذي كان عليه ، وسلم الله تعالا أمير المسلمين منه ، فارتحل عنها الى محلته التى تركها على بياسة ، فأقام بها ثلاثة أيام حتى استراح الناس ، وارتحل عنها بعدما دمرها وانتسف أثارها ، فسار الى الجزيرة الخضراء ، وقدم بين يديه من السبي والأموال والكرام مايعجز عنه الوصف ، فدخلها فى شهر رجب من سنة اثنتين وثمانين المذكورة ، وقسم بها المغانم بين المسلمين وجاز الى العودة فى أول يوم من شعبان (الاثنين ٢٥ اكتوبر) فأقام بطنجة ثلاثة أيام وارتحل الى مدينة قاس ، فدخلها فى العشر الأواخر من شعبان المذكور ، فصام بها رمضان وعيد بها عيد الفطر ، وارتحل الى مراكش ،

فوصل رباط الفتح فأقام به شهرين ، ثم ارتحل الى حضرة مراكش فدخلها فى المحرم من سنة ثلاث وثمانين وستمئة ، وبعث ولده الأمير يوسف الى بلاد السوس برسم غزو العرب ومن بها من القبائل الخارجة ، ففرت العرب أمامه الى الصحراء ، فتبعهم حتى بلغ الساقية الحمراء ، ومات أكثر العرب جوعا ، ومرض أمير المسلمين يعقوب بمراكش حتى أشرف على الموت ، وكتب الى ولده الأمير يوسف أن يسرع الوصول قبل ان يعاجله الموت ، فارتحل نحو مراكش ، ولما وصل الى والده فرح به وسر الناس بقدمه ، ووجد أمير المسلمين الراحة ، واستقل من مرضه ، وعاد الى صحته ، فارتحل عن مراكش برسم بلاد الأندلس عازما على الجهاد ، وذلك فى آخر جمادى الآخرة من سنة ثلاث وثمانين (الثلاثاء ١٢ شتنبر سنة ١٢٨٤ م) فدخل رباط الفتح فى نصف شعبان من سنة ثلاث وثمانين المذكورة ، فصام به رمضان المعظم فتوفيت هنالك الحرة المباركة أم العز بنت محمد بن حازم والدة الأمير يوسف فكان موتها فى سابع وعشرين من رمضان المعظم من سنة ثلاث وثمانين المذكورة ، ووفد عليه برباط الفتح أشياخ بلاد المغرب وفقهاؤها برسم السلام عليه والتهنئة بصحته وكان فى ذلك العام قحط شديد ولم ير الناس ماء الا فى آخر رمضان المعظم يوم موت الحرة المذكورة .

وفى آخر شوال من هاذه السنة ارتحل أمير المسلمين من رباط الفتح الى قصر المجاز ، فكتب الى قبائل المغرب يستنفرهم للجهاد ، ثم شرع فى تجويز الجيوش الى الأندلس بقية سنة ثلاث وثمانين وستمئة .

فلما كان فى أول يوم من صفر سنة أربع وثمانين وستمئة (الاحد ٨ أبريل سنة ١٢٨٥ م) وقد تكامل الناس بالجواز جاز الى الأندلس فنزل بطريف ثم سار منها الى الجزيرة الخضراء .

الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب رحمه الله إلى الأندلس وهو الجواز الرابع

قال الملف عفا الله عنه :

جاز أمير المسلمين يعقوب الى الأندلس برسم الجهاد وهو الجواز الرابع ، وذلك فى يوم الخميس خامس يوم من صفر سنة أربع وثمانين المذكورة ، فنزل بجزيرة طريف ، ثم سار منها الى الجزيرة الخضراء ، فأقام بها أياما ، ثم خرج منها غازيا الى بلاد الروم ، فسار الى أن وصل وادي لك ، فوجد الزروع فى اقبالها ، والخيرات فى تناهيها ، فبث الغارات فى بلاد الروم ، ثم ارتحل فنزل مدينة شريش فحاصرها وشرع فى افساد زروعها وقطع مرافقها وافساد أعنابها وأشجارها ، وعزم رحمه الله على أنه اذا دمر بلاد شريش ينتقل الى غيرها من بلاد الروم حتى يأتي على آخر بلدان النصرارا التى تولها المسلمون قديماً وانتزعها الروم من أيديهم ، وينزل على كل قاعدة من قواعدهم حتى يفني مرافقهم وأقواتهم بالتدمير والفساد ، ثم عزم على تفريق الجيوش على قواعدهم لتحاصرها حتى يقضي الله تعالا فى ذلك مايشاء ، فكانت هاهه نيته أيده الله تعالا ونفعه بقصده ، وكان نزوله مدينة شريش المذكورة فى الموفى عشرين من صفر من سنة أربع وثمانين المذكورة (٢٧ أبريل سنة ١٢٨٥ م) ، فكان من يوم نزوله اياها اذا صلا الصبح ركب وركب جميع المجاهدين فيقف على باب مدينة شريش ، ثم تفترق الجيوش فى أحوازها لافساد الزروع وقطع الثمار وتخريب القررا ، فلايزال رحمه الله واقفا من أول النهار الى صلاة العصر فاذا صلا العصر رجع الى بيته ورجع المسلمون الى محلاتهم ، فكان لايفتر عن تحريض المسلمين ولا عن الوقوف عليهم ، وسبب مداومته على هازا الحال أنه علم ان النصرارا دمرهم الله قد فرغت مخازنهم من الزروع ، والغلاء قد عم بلادهم ، والجوع قد استولا على جميع أقطارهم ، فخاف ان يتمكنوا من هاهه الصائفة فيرتفقون بها ويكون

لهم فيها بلغة عيش ، فداوم على افساد الزرع لأجل ذلك ، ودأب على قطع المرافق عنهم بالكلية ، وفى اليوم الرابع والعشرين من شهر صفر المذكور (الثلاثاء ١ ماي) وصل الى المحلة من كان بقي على بحير ؟ وأقطارها من بني مرين والعرب بعدما أفسدت طول اقسامتها هنالك جميع ماكان على بحير من زرع وجنات وكروم وأشجار ، ومروا الى مدينة ابن السليم فافسدوا زروعها وقتلوا منهم وأسروا ، وفى هاذه الأيام وصل من كان من فرسان المسلمين بطريف ، ووصل الرجال الذين كانوا مرتبين فى حصون الأندلس بعددهم وأسلحتهم ، فاجتمعت الجيوش المنصورة ، وفى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر صفر المذكور بعث أمير المسلمين عياد العاصمى الى حصن شلوقة فأغار عليه وقتل هنالك جملة من الروم ، وفى يوم الخميس السادس والعشرين من الشهر المذكور ركب أمير المسلمين فى جموع المجاهدين فوقف على مدينة شريش ، وبعث الخيل والبيغال الى حصاد الزرع ونقله الى المحلة ، فلم يبق فى المحلة دابة الا جاءت موقورة بالقمح والشعير ، فرغد عيش المحلات منه وبعث أمير المسلمين وزيريه الشيخ محمد بن عطو ومحمد بن عمران يرسم التطلع الى حصن القناطر وحصون روطة ، فركبا وسارا اليها فى نحو الخمسين فارسا فداروا بأسوارها من كل جهة فعانوا من ضعف من بها من النصارا ماسرت به نفوسهم ، ثم رجعوا فأخبروا بذلك أمير المسلمين، وفى يوم الجمعة السابع والعشرين منه قعد أمير المسلمين فى محلته ولم يركب ، وكان قعوده فيها حيلة على النصارا حتى اطمأنوا وعلموا أنه لايركب اليهم فى ذلك اليوم ، فخرجوا ببقرهم وغنمهم يرعونها حول المدينة ، فكمن لهم الأمير أبو علي منصور بن عبد الواحد فى الزيتون فى نحو ثلاثمئة فارس من المسلمين مفترقة فأغاروا عليهم فقتلوا الرجال وغنموا الأموال ، ومع اقامة أمير المسلمين فى ذلك اليوم بالمحلة لم يقعد المجاهدون عن الغارات .

وفى يوم السبت الثامن والعشرين من الشهر المذكور ركب أمير المسلمين وركب معه سائر المجاهدين ، فسار حتى وقف على مدينة شريش

فقاتلها ساعة ثم انصرف عنها وأمر الناس بقطع الأعناب وأشجار التين ،
فقطع منها شيء كثير ورجع في عشي النهار الى محلته .

وفي يوم الأحد التاسع والعشرين من الشهر المذكور عقد أمتيز
المسلمين لحفيده الأمير أبي علي منصور بن عبد الواحد راية على الف
فارس وبعثه الى اشبيلية ، وركب هو على عادته الى شريش ، فوقف
عليها وأمر الناس أيضا بفساد الزروع وقطع الكروم والزيتون ، وسار
أبو علي منصور بالف فارس من بني مريث وعرب العاصم والخط والأبج
والأغزاز غدوة الأحد المذكور الى نصف النهار فنزل على جبل أبريز فضلا
هنالك العصر وركب الناس وساروا حتى غربت لهم الشمس على القنطرة
من تحت الأقواس ، فنزل هنالك حتى أكلت الخيل يسيرا من علفها وأسرا
بالخيل حتى أصبح بين جبال الرحمة وبين اشبيلية ، وكمن هنالك حتى
ارتفعت الشمس فاستدعا الأمير أبو علي منصور برؤوس الجيش من
المسلمين وأخذ معهم في المشورة فيمن يغير على اشبيلية ومن يبقا معه ،
فاتفق رأيهم على أن تغير خمسمئة فارس منهم وتبقا خمسمئة مع الأمير
أبي علي تمشي في أثرهم على مهل ، فاطلقوا الأعنة نحو اشبيلية ، فلما
أشرفوا عليها طمع فيهم الروم لقلتهم فخرجوا نحوهم ، والتقا الجمعان ،
وصير الفريقان ، وتكاثر جموع الكافرين ، وراموا استئصال المؤمنين ،
فبينما هم كذلك وقد ضاقت من المسلمين الصدور إذ أقبل الأمير أبو علي
منصور ورايته تشرق وطبوله تخفق ، فلما عاين الكفرة طلعة الجيوش
المظفرة ولوا الأديار ، واعتصموا بالفرار ، فتبعهم المسلمون يقتلون
ويأسرون ويسبون ويخربون حتى أدخلوهم المدينة وقد قتلوا منهم نحو
الآلاف وأسروا جماعة وافرة ، وأغارت طائفة من المسلمين من بني هوجع؟
وبني عفجوم وبعض برغواطة فصادفوا جمعا وافرا من النصارا فقاتلوهم
قتالا شديدا حتى منحهم الله تعالا أكتافهم فقتلوهم وأسروا منهم جملة ،
 واجتمع سائر الجيش الى الأمير أبي علي منصور ، فسأل الشيخ أبا علي
ابن يوسف بن يزجان وقال له على أي طريق يكون رجوعنا ؟ فقال أبو
الحسن الرأي المبارك أن شاء الله تعالا في أخذ الطريق التي بين قرمونة

والقلعة ، فأمر الأمير أبو علي بالفنائم فجمعت وجعلها فى يد أمين وقدمها بين يديه وانصرف الى قرمونة ، فاشتد الحر على المسلمين والعطش ، فبعث الأمير أبو علي الفارس أباسمير وأمره أن يتقدم ويتطلع على أخبار قرمونة ، فمر أبو سمير مغيرا فلقى جمعا من المسلمين ممن خرج الى الاغارة فى أول النهار وهم قد جدوا السير محتفزين ومستوفزين ، فقال لهم أبو سمير ما بالكم ؟ فقالوا أجرينا الخيول نحو قرمونة فخرجت علينا منها الخيل والرجال ، وهامم فى أثرنا خلف هذه الربوة ، فوقف أبو سمير هنالك مع المسلمين حتى وصل أبو علي بالخيول والمغنم ، فأعلموه بذلك فقصد نحو النصارا ففروا أمامه فأدركهم قريبا من الباب فقتل منهم جماعة وتحصن الباقون بالمدينة ، ثم امر بحرق زرع قرمونة وقطع ثمارها فأقام كذلك الى العصر وإرتحل ولحق بغنيمته مع غروب الشمس ، فبات بها بوادي لك ، ورحل منه الى الأقواس ، فأفسد ما هنالك من الزروع ، وأقام الى أن صلا العصر فارتحل بغنائمه الى وادي الملاحه ، ثم ارتحل منه الى الحلة فوصلها غدوة النهار سالما غانما .

وفى يوم الاثنين الموفى ثلاثين من صفر المذكور ركب أمير المسلمين وأمر سائر المجاهدين بقطع الكروم والزيتون واحراق الزروع فأفسد المسلمون من ذلك شيئا كثيرا ، وأقام رحمه الله تعالا يحرض المسلمين على تدمير أموال النصارا الى ان صلا العصر ، وكان يوما شديد الحر ، فأمر رحمه الله تعالا سعيد بن يخلف وجماعة من العرب باحضار زقاق الماء العذب والوقوف بدوات الماء خلف المجاهدين ليتناولوا من شاء أن يشرب منهم ، فلم يزلوا على ذلك طول مدة الحصار .

وفى يوم الثلاثاء غرة شهر ربيع الأول المبارك من السنة المذكورة ركب أمير المسلمين ونادا مناديه فى الناس بالخروج الى افساد الزرع وقطع الأشجار ، فلم يرجع أيضا الى بيته حتى صلا العصر .

وفى هذا اليوم أمر رحمه الله عرب العاصم أن يطوفوا على أبواب شريش برسم أخذ من فر منها وقتل من أراد الدخول فيها وأمرهم بالاغارة

على حصن شلوقة فأغاروا عليه فالفوا أهله مطمئنين وقد خرجوا بجميع أموالهم من البقر والغنم والبغال فغنموها وأسروا منهم أربعة عشر رجلا فأتا عياد العاصمي وجمعه ورجع بالغنيمة الى المحلة .

وفى يوم الأربعاء الثانى من ربيع المذكور عقد أمير المسلمين رحمه الله لحصة من خمسمئة فارس وبعث بها الى غزو استجة وأحوازا .

وفى هذا اليوم وصل الأمير عمر بن عبد الواحد الى المحلة من العدو ومعهم جمع كثير من المجاهدين والمتطوعة خيلا ورجالا بالعدد الصافية والأسلحة الوافية .

وفى هذا اليوم وصل الفقيه قاسم ابن الفقيه أبى قاسم العزفى بغزاة سبته وهم خمسمئة رام مقاتلة ففرح أمير المسلمين بقدومه .

وفى هذا اليوم أمر أمير المسلمين رحمه الله الأمير مهلهل بن يحيى الخلطى أن يختار من عرب الخلط ألف فارس يقيمون على شريش يحرسون أهلها ليلا يخرج منهم أحد وليقطع عنهم الميرة فلم يزل عرب الخلط يطوفون عليها ليلا ونهارا .

وفى يوم الخميس الثالث من شهر ربيع المذكور عقد أمير المسلمين رحمه الله رايته لحفيده الأسعد عمر بن عبد الواحد على ألف فارس من المسلمين برسم الاغارة على بلاد الكفرة فخرج من المحلة عند طلوع الشمس بعد أن ودع جده بخباء الساقة وسار بالجيش فجد الى العصر فنزل فى مرج الملاحه حتى علفت الخيل ثم أسرا من أول الليل فأصبح على قلعة جابر ، فكمن دونها الى المغرب ، ثم أسرا بهم الى ثلث الليل الأول ، ونزل بوائجى لك ، فأقام به حتى أصبح ، وكمن به الى الظهر طلبا لانتشار النصارا فى الأرض ، فلما صلا الظهر قسم الجيش على فرقتين ، فرقة أمرها بالاغارة على النصارا ، وفرقة أمرها أن تبقا عنده ، ثم انقسم المغيرون على فرقتين ، فرقة أغارت على مرشانة ، وفرقة أغارت على قرمونة ، فجدت الفرقة المغيرة على مرشانة حتى وقفوا على بابها ، ثم انتشروا فى نواحيها فقتلوا خلقا كثيرا من النصارا وغنموا نساءهم

وأولادهم ممن وجدوه في الطرقات وفي الأرحية والجنات وفي أندر الزرع
وبقوا في تلك النواحي إلى آخر النهار فأوصلوا غنيمتهم إلى وادي لك

وأما الفرقة المغيرة من المجاهدين على جهة قرمونة فتوجهت إليها
وسار الأمير عمر في أثرها حتى وقف على برج هنالك فيه من النصرار
نحو الثلاثين رجل ، فقاتلهم قتالا شديدا حتى فتح الله تعالى له في أخذ
البرج واحتوا المسنونون على جميع ما فيه من الأسلحة والأمتعة والأموال
والروميات ، وقتل جميع من وجد به من الرجال ، وهدم البرج ، وانصرف
بالغنيمة سالما منصورا حتى وصل بها إلى وادي لك فاجتمع بالفرقة
التي أغارت على مرشانة وياتوا جميعا بغنائمهم هنالك ، فلما أصبح قدم
الغنيمة بين يديه ، وسار فبات بالأقواس ، وسار إلى المحلة ففرح به أمير
المسلمين ودعا له بخير

وفي يوم الخميس المذكور أغارت رماة سبنة على حصن من حصون
الروم فسبوا منه ثمانين نفسا بين رجال ونساء وأولاد ، وقدموا بها إلى
المحلة فصرف عليهم أمير المسلمين خمسة منها فاقسموا غنيمتهم فيما
بينهم

وفي يوم الجمعة الرابع من شهر ربيع الأول المذكور ركب أمير
المسلمين وسار معه جميع من بالمحلة من المجاهدين ، فامرهم بإفساد الزرع
وقطع الثمار على حسب عادته فوصل المسلمون إلى فدادين الزرع
وأخذوا في حصاده ودرسه وسار أمير المسلمين إلى زيتون شريش
وقعد به ليلا يخرج من النصرار من يضر بالمسلمين فأقام هنالك رحمه
الله تعالى حتى صلا المغرب وعلم أن جميع المجاهدين قد رجعوا إلى
منازلهم فانصرف إلى محلته

وفي يوم السبت الخامس من الشهر المذكور ركب أمير المسلمين بعد
أن صلا الظهر فوقف على مدينة شريش فقاتلها قتالا شديدا حتى دخل
المسلمون أرباضها وحرقوها وقتل بها خلق كثير من النصرار ما يزيد على
سبعين رجل ولم يمت فيها من المسلمين حاشا رجلا واحدا

وفى يوم الأحد السادس من ربيع الأول المذكور ركب أمير المسلمين أيضا الى شريش ، فوقف عليها وأمر الناس بالمسير الى حصاد الزرع ودرسه ونقله ، فخرج الناس من المحلة بالبيغال والحمير والجمال فشرعوا فى الزرع ، وأقام هو رحمه الله بالزيتون حتى صلا المغرب حياطة على المسلمين ان يخرج اليهم العدو من البلد ، ورجع الى المحلة بعد ان علم أن المسلمين قد فرغوا من حصاد الزرع ونقله .

وفى هذا اليوم خرج علي بن عجاج الأستجى فى سبعين فارسا من اخوانه فأغاروا على روضة فغنمها وقتل بها عددا من الروم ورجع الى المحلة بغنيمته .

وفى يوم الثلاثاء الثامن من ربيع المذكور بعث أمير المسلمين سرية من خمسمئة فارس من المجاهدين فأغاروا على أركش فغنموها وسبوا منها ثمانين امرأة من الروميات وبقرا وغنما ودواب وقتلوا رجالا كثيرين وأتوا الى المحلة بغنيمتهم .

وفى يوم الأربعاء التاسع من ربيع المذكور عقد أمير المسلمين لولده الأمير محمد (أبى معرف) على ألف فارس من المجاهدين وأمره بتخريب اشبيلية والاغارة على أحوازها فساروا اليها .

وفى هذا اليوم أغار بعض عرب الخلط على برج من أحواز شريش فغنموا منه ثمانية علوج وثلاثمئة رأس من الغنم ومئة وسبعين رأسا من البقر والبيغال والرمك ، وقدموا بها الى المحلة .

وفى هذا اليوم أغار رماة سبته وغزاتها على بعض حصون الروم فقتلوا به خلقا كثيرا وسبوا منه ثلاثة عشر علجا ورومية واحدة وقسيسهم وشماسهم ووجدوا مع القسيسين ذهبا كثيرا من ضرب المسلمين ، فصرف لهم أمير المسلمين خمسه منها .

وفى هذا اليوم أغار بعض قواد الأندلس على برج من بروج الروم فدخلوه بالسيف وقتلوا من به وسبوا به ستة أعلاج وأربع روميات ومئة رأس من البقر وقسيا وسلاحا كثيرا فأتوا بها الى المحلة فصرف عليهم

أمير المسلمين خجسته من ذلك كما فعل بأهل سبته ، وانصرف الأمير محمد (أبو معرف) في جيشه الذي عقد له عليه وركب معه والده أمير المسلمين مشيعا له حتى ودعه ودعا له وأوصاه بتقوا الله تعالى في السر والعلانية والصبر والثبات ، ثم انصرف عنه فجد الأمير أبو معرف السير يومه ذلك حتى وصل جبل ابريل فأقام به حتى صلا العصر وركب وجد السير الى المغرب فعلق الخيل بوادي لك ثم أسرا طول الليل حتى أصبح على حصن عين الصخرة فكمين هنالك الى العصر وركب وسار بجيشه الى وقت المغرب فنزل وعلقت الخيل ثم أسرا فأصبح وقد قارب القلعة فجمع الأمير محمد (أبو معرف) أشياخ المجاهدين فشاروهم فيمن يغير من المسلمين ومن يبقا معه فاختراروا للأغارة خمسمئة فارس فأطلقت اعنتها في اثر المغيرين ، وكان النصارا قد خرجوا من اشبيلية خيلا ورجالا في عدد كثير لقتال المغيرين ، فلما عاينوا العلم المنصور والجيش على أثره بادروا الى المدينة فدخلوها وغلقت الأبواب وتمنعوا بالأسوار والسهم فوقف الأمير محمد (أبو معرف) قريبا منها بحيث لا تلحقه السهام ، وأمر المجاهدين بالغازات في انحاءها وتخريق زروعها وتخریب قراها وقطع أشجارها ، ولم يزل واقفا أمام بابها الى الليل حتى اجتمع اليه جميع المسلمين الذين اجتمعوا للغازات والطبول تضرب على رأسه ترهيبا للعدو ، فغنم المسلمون غنيمة عظيمة وقتلوا من النصارا ما يزيد على ثلاثة الاف رجل ، وذلك يوم مولد نبينا ومولانا محمد صلا الله عليه وسلم وكان جملة ماغنموا فيها من الروميات والأولاد ثلاثمئة وثمانين نفسا ومن الرمك والبيغال والحمير ألف رأس وخمسمئة وستين رأسا ومن البقر والغنم شيئا كثيرا ولم يأسر فيها رجلا الا القتل ورجع الى المحلة بغنائمه سالما

وفي يوم الثلاثاء الخامس عشر من ربيع الأول المذكور بعث أمير المسلمين حفيده الأمير أبا علي منصور بن عبد الواحد في جملة من المجاهدين ، بعث معه مئة من رماة سبته وألف رجل من متطوعة المصامدة، وبعث معهم بالبيغال تحمل جواليق السهام والمساحي والقوس والمعاول

الى برج كان بينه وبين المحلة نحو الثمانية أميال كان به جمع من النصارا يقطعون الطرق على من خرج من المحلة منفردا او فى قلة ، فسار المسلمون الى البرج فشرعوا فى قتاله واطهر من كان فيه من النصارا من الصبر على الحرب مالا يوصف ، ورتبوا الرجال والرماة فى أعلاه وفى أسفله ، فنزل الأمير منصور عن فرسه وأخذ درقته بيده ، وزحف الى البرج على قدميه ، وتولا القتال بنفسه ، ونزلت معه فرسان العرب ففعلوا كفعله ، وتبعهم رماة سبته ورجال المصامدة فدخلوا عليهم البرج عنوة بالسيف فقتلوا فيه ثمانين علجاً وأسروا من بقي من الرجال والنساء المسبيلات ، ووجدوا فيه من السلاح والأمتعة والادام والدقيق شيئا كثيرا ، فأوصلوه الى المحلة فى عشي يومهم بعد ان هدموا البرج ونسفوا آثاره .

وفى يوم الثلاثاء المذكور ركب أمير المسلمين فى سائر جيوش المجاهدين فوقف على شريش وقاتلها قتالا عظيما وخرج لقتاله فى ذلك اليوم جميع من كان بها من الخيل والرجال والرماة ، فتقدم الأغزاز ورماة المسلمين الى جهادهم فرشقوهم بالنبال ثم وجفت عليهم خيل بنى مرين والعرب فهزم النصارا وقتل منهم خلق كثير بباب المدينة .

وفى يوم الخميس السابع عشر من ربيع المذكور ركب أمير المسلمين وسائر المجاهدين فسار الى برج كان بينه وبين المحلة نحو اثني عشر ميلا يعرف بمشقریط ، كان فيه من زعماء النصارا وأشرارهم خلق كثير ، فتشمر المسلمون لحربه ، وتحصن الكفرة بالبرج واستعدوا للقتان ، فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا وأحدقت بهم رماة المسلمين فقتلوا منهم نحو الستين رجلا ، وانضم الرجال تحت البرج ، فدخلوا عليهم فى أسفله وملاؤه حطبا وأضرموا فيه النيران وخرجوا عنه فبقيت النار تعلق يرومها ذلك والليل كله ويوم الجمعة الى نصف النهار ، فلما رأى النصارا مالا طاقه لهم به من النار والسهم استسلموا وألقوا بأيديهم الى الأسر ، فأسر منهم مئة وتسعون علجاً وأربع وتسعون امرأة ، وغنم المسلمون جميع أموالهم ودوابهم وأسلحتهم وهدموا البرج وقطعوا ماحوله من الأشجار ورجع أمير المسلمين الى المحلة .

وفى يوم السبت التاسع عشر من ربيع المذكور وصل الى المحلة عبد الرزاق البطويى ، فاخبر امير المسلمين بقدوم ولده الأمير يوسف رحمه الله من بلاد العدو ، وأنه تركه بمحلته على مدينة ابن السليم وأنه وصل بجيش عظيم من المسلمين يغص بهم الفضاء وتضيق بهم الأرض ، وأنه قاتل أهل مدينة ابن السليم قتالا شديدا فقتل منهم خلقا كثيرا ، ففرح المسلمون بقدومه وخرج الى لقائه الشيخ على بن جدار فى جماعة من بنى عسكر .

الخبر عن قدوم الامير يوسف من العدو

برسم الجهاد

لما خرج الأمير يوسف من بلاد العدو الى الأندلس فى جيوش وافرة من المجاهدين والمتطوعة سار حتى قرب من محلة والده أمير المسلمين وبعث الى والده يخبره بقدومه ، فركب أمير المسلمين الى لقائه وركب معه جميع من فى محلته من المسلمين ، وانضاف كل واحد من بنى مريين والعرب والأغزاز الى قبائلهم ، ولزموا رايتهم ، واحتفل الناس للبروز ، وبرزت كل قبيلة بما عندها من العدد ، وتقدمت الرجال والرماة أمام الخيل ، وميزت قبائل المتطوعة من المصامدة فى ذلك اليوم فى ثلاثة عشر الف رجل ، وميزت قبائل المغرب من أوربة وغمارة وصنهاجة ومكناسة وصدراتة ولطة وبنى وارثين وبنى يازغة وغيرهم فى ثمانية آلاف رجل ، وأقبلت الجيوش والقبائل كل قبيلة منها ممتازة عن الأخرى ، ولما قرب الأمير يوسف من والده أمير المسلمين يعقوب ترجل أمير المسلمين عن فرسه فوقف بازائه تواضعا منه لله تعالا ، وترجل الأمير يوسف فمشا على قدميه أداء لحق والده وتواضعا وأدبا ، فلما وصل اليه قبل يديه وسلم عليه ، ثم ركب أمير المسلمين وأمر ولده الأمير يوسف بالركوب ، فركب وأقبل الناس يسلمون بعضهم على بعض ، واجتمعت الجيوش وضربت

الطبول حتى ارجبت الأرض- وساروا الى المحلة فنزل أمير المسلمين
بخباء الساقة ، ونزل معه ولده يوسف وأشياخ بنى مريش والعرب ، فأتي
بالطعام ، فأكل الناس وانصرف الأمير يوسف الى محلته ، وانصرف معه
الرماة الذين توجه معهم للملاقاتة ، وكانوا مئتي رام

وفى يوم الاثنين الحادي والعشرين لربيع المذكور ركب أمير
المسلمين فى جميع جيوشه وقدم بين يديه الرجال والرماة فساروا الى
حصن القناطر ، فقاتله المسلمون حتى دخلوا روضه بالسيف وأضرموا فيه
النيران وقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرية وغنموا جميع ما وجدوه
فيه من الغنم والبقر والدواب

وفى يوم الأربعاء الثالث والعشرين منه ارتحل أمير المسلمين
بجميع محلته فبذل المنزل لأنه استقره لطول إقامة الناس به فعمروا
وادي لك ، ونزل الناس فى وسط الكروم والجنات بقرب شريش وقاتلها
فى ذلك اليوم من وقت الضحا الى صلاة الظهر

وفى يوم الخميس الرابع والعشرين منه ركب أمير المسلمين بجميع
المجاهدين الى شريش فقاتلها أيضا من طلوع الشمس الى صلاة الظهر
وانصرف الى بيته

وفى يوم الجمعة الخامس والعشرين منه عقد أمير المسلمين لولده
الأمير يوسف على جيش من خمسة الاف فارس وأمره أن يتوجه بهم
الى غزو اشبيلية ، ويجوز الوادي الكبير فيغزو ما فى عدوته من البلاد
فخرج بعد صلاة الظهر من يومه ذلك وتبعه أمير المسلمين الى طرف
المحلة وأوصاه بتقوا الله تعالا ودعا له وودعه ورجع عنه ، فوقف على
باب شريش فقاتلها الى العصر ثم دار بأسوارها ورجع الى المحلة

وفى يوم السبت التالى له أمر أمير المسلمين ولده الأمير محمد
(أبا معرف) أن يركب فى جيش المجاهدين فيقاتل شريشا ويلازمها
بالحروب فى كل يوم ، فسار اليها وقاتلها النهار كله الى الليل ، ولم يزل
الأمير محمد يتردد بجيوش المسلمين الى شريش فى كل يوم يقاتلها من أول

النهار الى الليل فكان يقتل كل يوم منهم خلقا كثيرا ويسبى النساء والأولاد، وسبب لزومه لقتالها والوقوف عليها ليمنعهم عن الخروج الى مرافقهم وليتأمن المسلمون الذين انتشروا في الأرض لحصاد الزرع ودرسه ، فكان الناس في هاذه الأيام كلها يخرجون من المحلة بالدواب فيحصدون الزرع ويدرسونه ويحملونه الى المحلة ، فكثرت الخيرات بها وتوفرت الأرزاق ، فكان القمح والشعير والفواكه والادام لايباع ولايشترا والمجاهدون فيها في رغد من العيش ، فصارت المحلة بمنزلة قواعد المدن ، اجتمع فيها جميع أصناف الصنائع والتجارة ، فأخبر من تفقد أسواقها من أهل البحث أنه رأ فيها أصناف الصناعات ، كل قد تلبس بصناعته واحترف بحرفته ماعدا الحياكة خاصة ، وأما سوق الغزل والكتان فقد كانا بها إذ أخذ سوق المحلة السهل والوعر اذا غاب عنك رفيقك أو من تعرفه لاتكاد تلقاه الا بعد اليومين والثلاثة لكثرة الخلق .

ولما خرج الأمير يوسف من المحلة الى غزو اشبيلية في خمسة آلاف من أهل الديوان والفي فارس من المتطوعة وثلاثة عشر الف رجل من المصامدة واثني قبائل المغرب وألفين من رماة قبائل بلاد المغرب وحمل معه البغال والأخبية والجمال عليها السلاح والأزواد فعل فعل من لايعبأ بالروم ولايكثر بكثرتهم ولايهوله ماعزم عليه من الدخول في أقطارهم والتوغل في بلادهم ، فدخل بجيوشه المظفرة المنصورة حتى نزل جبل أبريد ، فعلق به ، ثم أسرا الى الأقواس فارتفعت هنالك أصوات المسلمين بذكر الله سبحانه والتكبير والتهليل حتى ارتجت الأرض من أصواتهم ، فسار بالمجاهدين من تلك الليلة وهم على حال نكرهم حتى أصبح لهم على عين الصخرة ، فصلا الناس بها صلاة الصبح ، وأقاموا بها الى العصر ، ثم ارتحل وسار بالناس حتى أظلم عليهم الليل بوادي لك ، فصادف المسلمون هنالك الطرق الوعرة والشوك وأماكن الحجارة فجد الأمير يوسف السير في تلك الأوعار والناس خلفه يتقاطعون ، فانقطع عنه أكثر الجيش وتفرقوا في ظلام الليل لايسدري أحد أين سار صاحبه ، ففتقد الأمير يوسف المسلمين فعلم أنه تقدمهم بمسافة طويلة ، فوقف وأمر الخيل بالرجوع الى

من تأخر من المجاهدين وأمر بضرب الطبول لسمعها من ضل عن الطريق فيقصد نحوها ويهتدي إليها ، فضربت الطبول فسمعها المجاهدون فأتوا نحوها من كل ناحية ، والأمير يوسف واقف في موضعه لا يزال عنه حتى اجتمع إليه كل من تأخر من المسلمين ، فسار بالجميع حتى أصبح فصلا الصبح قريبا من الوادي الكبير ، وسار بالمسلمين يسيرا حتى طلعت الشمس ، فنزل عن قريب وتدرج وتأهب الناس وجددوا نياتهم للجهاد وضجوا بالدعاء الى الله تعالاهم ركب الأمير يوسف ومن معه من المجاهدين فعبروا الوادي وأمر الناس بالاغارة والانتشار في بلاد المشركين فأغارت كل فرقة من المسلمين على ناحية ، فخرج بنو عسكر وعرب الخلط الى ناحية فلم يكن الا ساعة واذا هم قد قدموا على الأمير يوسف بغنائم لاتحصا من البقر والغنم والدواب والعلوج والنساء وأغارت عرب سفيان على حصن من حصون الروم فدخلوا عليهم بالسيف وأضرموا النيران في أبوابه ، فقتلوا الرجال وسبوا النساء والذرية وغنموا الأموال وقدموا بغنيمتهم على الأمير يوسف وانتشرت طوائف المجاهدين في تلك البلاد يقتلون الروم ويأسرون ويفسدون ويحرقون ويقدمون بالغنائم على الأمير يوسف وهو رحمه الله يمشى في اثر المغيرين على مهلة في جماعة من وجوه بنى مرين وأشياخ العرب ، وخرج شيخ الأغزاز في مئة فارس الى قلعة الوادي فأغار عليها وقتلها ، فقتل على بابها مايزيد على سبعين علجا وأسروا منهم كذلك ، وشرع المسلمون في حرق الزرع وافساد المرافق الى العصر فرجع الناس وقدموا بالغنائم من كل ناحية ، وشرع الناس في ذبح الغنم فذبح منها نحو العشرة الاف رأس ، ثم أمر الأمير يوسف باحصاء الغنم وجمعها فأحصى عددها في زمام ، وجعلت في أيدي الأمانة وبات المجاهدون هنالك في غبطة وسرور ، وأمر الأمير يوسف بثلاثمائة فارس من المجاهدين يحرسون المسلمين تلك الليلة فباتوا طول ليلتهم يطوفون بعساكر المسلمين حتى أصبح ، فصلا الأمير صلاة الصبح وأمر بضرب الطبول فضربت وركب الناس واجتمعوا فبخل بهم في قرا الغاية وقرا الشرف ، فأقبل المسلمون عليها بالحرق والنهب والتخريب والفساد

وتحريق الزروع وقطع الثمار وهدم الديار ، وقتلوا بها من الروم ألوفسا كثيرة ، وأسروا من النساء والرجال والأولاد كذلك ، فأقام بالغابسة والشرف يومين حتى لم يترك بهما للنصارا ما يتصرفون فيه ، وارتحل راجعا حتى وصل الوادي الكبير فجازاه وجوز الغنائم بين يديه ودخل هنالك حصنا بالسيف وقتل جميع من كان به من الروم وغنمت أموالهم ، فبات المجاهدون تلك الليلة هناك ، فلما أصبح ارتحل الأمير يوسف وسار بالغنائم على مهل ، فبات قريبا من قرمونه ، ثم ارتحل من الغد فسار طول يومه حتى نزل بالأقواس وجبل أبريد فأقام هنالك الى الثلث الأخير من الليل ، فارتحل وأسرا بقية ليلته فأصبح قريبا من المحلة ، فاتصل الخبر بأمر المسلمين يعقوب فركب فى جيوشه الى لقائه فالتقا الجمعان فى جرف شريش ، وذلك يوم الاحد الخامس من ربيع المذكور ، وقدم بغنائم ملأت الأرض طولاً وعرضاً ، وجاءت جيوش المجاهدين بغنائمهم والرجال فى الأغالل والنساء مقرنين فى الحبال ، وبرزوا بها عليها نكايه لمن بها من الروم وارهابا لهم ، ووقف أمير المسلمين على باب المدينة بجيوشه الوافرة ورايته المنصورة والغنائم تسير أمامه ، فضربت الطبول وضج الناس بالتكبير ، فكان يوما عظيما ابتهجت به نفوس المجاهدين وانبسطت آمال المسلمين .

وفى يوم الإثنين السادس من ربيع الثانى وصل الأمير أبو زيان من طريف فى جيش عظيم من المسلمين ، فيه الرماة والمتطوعة وخمسمئة فارس من عرب بنى جابر ، فبرز بجميع من قدم معه على شريش وقتلها ذلك اليوم قتالا شديدا .

وفى يوم الثلاثاء التالى له عقد أمير المسلمين لولده الأمير أبى زيان على ألف فارس من المجاهدين وأمره بالاغارة على اقليم الوادي الكبير ، فخرج الأمير أبو زيان من خباء الساقية بعلم أبيه ومعه ألف فارس ، منهم ثلاثمئة فارس من عرب بنى جابر عليهم يوسف بن قيطون ، وسبعمئة فارس من قبائل بنى مرين ، فسار النهار كله الى الليل ، فبات قريبا من الأقواس ، ثم ارتحل وقدم بين يديه خمسين فارسا وأمرهم بالاغارة على

قرمونة ، فأغاروا عليها وقتلوا بها جملة من الروم وسبوا النساء والأموال ، فخرجت عليهم الخيل من قرمونة وتواترت عليهم الرجال ، فلم يزالوا يقاتلونهم حتى لحق بهم الأمير أبو زيان فهزم الروم وقتل منهم خلقا كثيرا ، ثم سار الى برج هنالك فيه جمع كثير من الروم بنسائهم وأموالهم وقتلهم فيه ساعة من النهار ، وترجلت جماعة من عرب بنى جابر فأخذوا درقهم فى أيديهم واقتحموا السهام حتى دخلوا البرج عنوه بالسيف ، فقتلوا رجاله وسبوا نساءه وغنموا أمواله ، ثم شرع الأمير أبو زيان فى تحريق الزرع وقطع الثمار وتخریب القرا وسار مابين قرمونة واشبيلية يخرّب القرا ويقطع الثمار ويسبى ويقتل حتى وصل الى برج فى قبلة اشبيلية ، فقاتله المسلمون وأوقدوا حوله النيران حتى دخلوه بالسيف ثم اختار الأمير أبو زيان من جيشه خمسمئة فارس فأغار بها على اشبيلية ، فسبوا من خارجها مئة وخمسين امرأة وأربعمئة عالج ، وقتلوا فى فدان واحد مايزيد على خمسمئة نصرانى وجدهم يحصدون زرع الفونسو فلم يبق منهم أحد ، وغنموا من الخيل والبغال والبقر والغنم مالا يوصف ، ثم جمع الغنيمة وقدمها الأمير أبو زيان أمامه وسار فى اثر محلته ، فوصلها فى وقت المغرب فبات بها وارتحل من الغد الى محلة أبيه وفى يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الثانى المذكور ركب الأمير يوسف فى ثلاثة آلاف من المجاهدين وثلاثة آلاف من الرجال والرماة الى جزيرة كبتور التى بازاء قصر البرت بعد أن بعث اليها القطائع فى البحر ، فأغار المسلمون فوصلوا اليها وأتت الخيل فاقتحمت الوادي فدخلوا الجزيرة وقتلوا جميع من وجدوا فيها من الرعاة والناس ، وغنموا ما فيها من الأموال والخيل والبقر والغنم وسبوا النساء والذرية وأبلا فى هذه الغزوة رئيس الأغزاز وابن عمه بلاء حسنا .

وفى يوم الخميس السادس عشر من الشهر المذكور توجهت قطائع المسلمين من جزيرة كبتور الى الجزيرة الخضراء لياتوا منها بالمجانيق والسهام وألة الحرب لينصب ذلك كله على شريش .

وفى يوم الجمعة أغار عرب سفيان على بعض الحصون فغنموا منه

ثلاثمئة رأس من البقر وأربعة آلاف رأس من الغنم وثلاثين رومية وستة عشر علجا وقتلوا منهم عددا كثيرا وقدموا الى المحلة بالغنائم .

وفى يوم الثلاثاء الحادي والعشرين منه بعث أمير المسلمين حصة من ثلاثمئة فارس فأغارت على قرمونة وأحوازها ، فسبت مالا كثيرا من الدواب والبقر والغنم والنساء والذرية وقدمت بها الى المحلة .

وفى يوم الخميس الموفى ثلاثين من ربيع الثانى المذكور أغار عياد ابن أبى عياد العاصمى فى جماعة من اخوانه على حصن من حصون الوادي ، فدخل ريبضه بالسيف ، وحرقه وقتل فيه ماينيف على ثلاثمئة رجل من المشركين ، وسبا منه ستا وسبعين امرأة وعشرين علجا فقدم بهم الى المحلة .

وفى يوم الجمعة غرة جمادا الأولا خرج النصارا من شريش برسم الارتفاق والاحتطاب ، فحال عرب سفيان بينهم وبين المدينة فقتلوا منهم نيفا وخمسين علجا .

وفى يوم السبت الثانى منه عقد أمير المسلمين للحاج طلحة بن علي على منتى فارس وأمره ان ينصرف بهم الى اشبيلية فيخربها ويطلع على أخبار سانشو ملك النصارا فان أخباره قد انقطعت عنه ، فبعث هاذه الحصة لتغير وتطلع على أحوال البلاد وتسمع الأخبار ، وبعث معه الجواسيس من الأندلس واليهود .

وفى يوم الاثنين الرابع منه ركب أمير المسلمين فى جميع جيوش المجاهدين خيلا ورجالا وسار الى حصن شلوقة فقاتله حتى دخله بالسيف وأحرق أرباضه ودياره ، وقتل رجاله وسبا نساءه ، وغنم الأموال ، ولم يبق فى هاذا اليوم بالمحلة أحد من المجاهدين الا عرب سفيان ، فانهم أقاموا يحرسون المحلة .

وفى يوم الخميس السابع من جمادا المذكورة كمن عياد العاصمى مع جيش من اخوانه فى حفير شريش ، ثم سار فى أربعة نفر منهم وبيده راية حمراء حتى وصل الى باب المدينة ، وترك باقي اخوانه فى الكمين ،

فأبصر به الروم فخرجوا اليه من شريش خيلا ورجالا شعلة واحدة ، وطعموا في أخذه ، فجرهم حتى جاز بهم الحفير فخرج عليهم الكمين فقطعهم عن البلد فقتلوا منهم ثلاثا وسبعين علجا ، وكان عياد رحمه الله من أشد المسلمين نكاية في الروم لا يغفل عن الاغارة على بلادهم ليلا ولا نهارا ، ولم يترك الجهاد ساعة واحدة من يوم نزول المسلمين على شريش الى يوم رحيلهم عنها ، ولم يزل أمير المسلمين يعقوب رحمه الله من يوم ارتحاله عن طريف ونزوله عين الشمس وذلك يوم السبت السابع من شهر صفر من سنة أربع وثمانين وستمئة ، ويطول اقامته على حصار شريش الى أن ارتحل في الثامن والعشرين لجمادا الأول من السنة المذكورة في كل يوم يشن على بلاد العدو الغارات شرقا وغربا ويبيت فيها سرايا فتكثر في أنحاء قتلا ونهبا ويعقد الرايات لبنيه وحفدته وبيعتهم في الجيوش العظيمة الى الغزوات ، فكان رحمه الله أيام حصاره لشريش المذكورة اذا صلا الصبح دعا بأحد بنيه او حفدته أو أحد أشياخ بنى مريم فيعقد له راية وبيعه في مئتي فارس سرية ، ويأمره بالتوجه والاغارة على الناحية التي يريد غزوها من بلاد العدو حتى انتسف جميع ما قرب منها وما بعد ، وكانت سراياه رحمه الله تقطع مسافة الايام الكثيرة وتغير على قواعد البلاد الخطيرة كبلبة واشبيلية وقرمونة واستجة وجيان وجبال الشرف وغيرها ، فلما أفنا تلك البلالاد ودمرها وأكل زروعها وغنم أموالها وقطع ثمارها ولم يبق للنصارا شيئا يرتفقون به وأقبل فصل الشتاء وقل العلف في المحلة وغلّت أسعارها ارتحل عنها الى بلاده ، فاتصل به وهو بالطريق ان النصارا دمرهم الله قد عمروا أفروطة ونزلوا بها الزقاق (١٨٠) ليقطعوا بها المجاز ، فأسرع السير بالرجوع الى طريف، فنزل بها وأمر بعمارة الأبقان ، فعمرت في الحين بسبنة وطنجة ورباط الفتح وبلاد الريف وبالنجزيرة وطريف والمنكب ، فاجتمع منها ستة وثلاثون جفنا غزوية معدة للرماة والغزاة والعدد الكاملة ، فلما عُمّت أفروطة

الروم بعمارة أجفان المسلمين وقدموها الى حربها وتحققت وفودها عليها وقصدها نشرت شرايعها وفرت امامها خوفا أن تلقاها ففتني حماتها ، فأقبلت أساطيل المسلمين المظفرة حتى وافقت حضرة أمير المسلمين بالجزيرة ، فبرزت أمامه بالمرسا وهو جالس بمشور قصره من البلد الجديد ، فلبوا أمامه فى البحر وتناطخوا قدامه كفعلهم فى حربهم ، فأمر رحمه الله لكافتهم بالاحسان الجزيل ، وصرقهم الى وقت الحاجة اليهم فيامرهم بالاتيان ، فلما رأوا سانشو ملك النصارا أن بلاده خربت وحماته قتلت وأموال رعيته نهبت وغنمت ونساءهم سبيت وأفروطته التى كان بعثها لقطع الجواز فرت وهزمت جنح الى السلم والطاعة ، وأخذ فى التذمم والضراعة :

الخبر عن وصول الرهبان والاقسة من الروم

إلى حضرة أمير المسلمين يرغبون فى الصلح

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما ارتحل أمير المسلمين عن شريش ورجع الى بلاده لأجل زمان الشتاء الذي أقبل خرج سانشو ملك النصارا من اشبيلية الى شريش فرأى من أثر عيث المجاهدين فى بلاده وما فعله المسلمون من التخريب والتحريق والقتل والسبي والتمزيق فى نجوده ووهاده ، ما أشعل النار بفؤاده ، وبدل نومه بسهاده ، فبعث ثقته الزند غرسية فى جماعة من الأقسمة والرهبان والزعماء المجريين الى حضرة أمير المسلمين فأنقلبوا اليها صاغرين ذاخرين متذللين ضارعين فى السلم راغبين ، فلم يسمع منهم أمير المسلمين قولا ولارد عليهم صرفا ولاعدلا ، فرجعوا الى مرسلهم خائبين ، فأعادهم ثانية وقال ارجعوا اليه فعساه ان يلين ، فاتوه الثانية وقالوا له أيها الملك المنصور ، جئناك بقلوب منكسرة ، وأفئدة متقطعة ، نرجو عفوك ، ونطلب صلحك ، فالصلح خير ، فلاتخبب قصدنا،

ولا ترد سؤلنا ، فقال لهم لا أصالح سبطانكم الا على شروط اشتراطها عليه مع رسول أبعثه اليه ، فان قبلها سألته ، وان حاد عنها نابذته ، ثم دعا بالشيخ عبد الحق الترجمان وقال له تسير الى هذا اللعين وتقول له يقول لك أمير المسلمين لأسالك ولا أترك حريك وغزو بلادك الا على شروط منها أن لاتتعرض بعد هذا لبلد من بلاد المسلمين ، ولا لجفن من أجفانهم ولا تصلهم بأذية فى بر ولا بحر ، كان ذلك من أهل طاعتى او غيرهم ، وتكون أنت لى بمنزلة الخديم فيما أمرك به وأنهاك عنه ، وان يكون المسلمون يسيرون فى بلادك لتجارتهم وطلب معاشهم بالليل والنهار لايتعرض لهم بشر ، ولا يلزمهم درهم ولا دينار ، ولاتدخل بين سلاطين المسلمين بلفظة واحدة ، ولاتعقد مع أحد منهم محاربة ، فسار اليه عبد الحق ليبلغه الرسالة ، ويشترط عليه ما ذكر أمير المسلمين من المقالة ، فوصله وهو بحضرة اشبيلية أعادها الله للإسلام ، فدخل عليه وأبلغه رسالة أمير المسلمين فاحتملها وأعلمه بالشروط التي اشتراطها عليه فالتزمها ، فقال له عبد الحق ياسلطان أما الشروط فقد قبلتها ، فاسمع منى مقالة اقولها ، قال تكلم بما شئت ، قال ياسلطان قد صبح عند الملتين ، وثبت فى قلوب الفريقين أن أمير المسلمين يعقوب أيده الله صاحب دين وأمانة وعهد ووفاء ، فى النيثاق ، فانه اذا عاهد وفا ، واذا قدر عفا ، وأنت لانعلم لك مذهبا فانك فعلت مع والدك ما فعلت ، وخرجت عليه ظلما ونكثت ، فسار الناس ينفضون عنك لكثرة اسائكك لهم ، فقال له سانشو لو علمت أن الملك يعقوب يرضا أن أكون من جملة خدامه لبادرت اليه ممتثلا ، فقال له عبد الحق الترجمان أما والله لوخدمت مولانا أمير المسلمين وظهر له منك النصح فى الخدمة لتجدنه كما تريد ، فقال سانشو فأى أثر أصنع أولا مما يرضيه ؟ قال أول أمر تصنعه أن لاتدخل نفسك فى أمور المسلمين بكلمة واحدة ، وتترك التضريب بينهم ، ولا تتعرض لبلادهم ، وان كان بينك وبين ابن الأحمر كلام او ربط فارتكه واخرج من أموره بالكلية ، واصرف رسله اليه ، فبهذا يرضا عنك أمير المسلمين ويصالحك ويأمن بلادك ، وكان ابن الأحمر قد بعث رسله اليه يعقدون معه

الصلح على بلادهم ، وتكون أيديهم واحدة على حرب أمير المسلمين ، وكانت عند سانشو أجفان حربية معدة للسفر بالوادي ، فلما فرغ عبد الحق من كلامه قال له سانشو غدا تسمع ما أقول ، وترا ما أفعل ، فلما كان من الغد ركب سانشو الى شاطيء الوادي فوقف عليه وأقبلت رسل ابن الأحمر فقعدها بين يديه ، فلما استقر بهم المجلس بعث الى عبد الحق رسول أمير المسلمين ، فأقبل اليه فأجلسه الى جانبه وأخذ معه فى الحديث الى أن ظهرت الأجفان وهي مقلعة ، فقال له رسل ابن الأحمر ماهاذه الأجفان المقلعة أيها الملك ؟ فقال لهم سانشو هاذه الأجفان أعدناها لخدمة أمير المسلمين يعقوب تتصرف فى حوائجه وقضاء أغراضه حيث كانت ، فلما سمعوا ذلك منه سقط فى أيديهم ونظر بعضهم الى بعض ، ثم قالوا له ونحن أيضا بأي شيء نذصرف عنك أيها الملك ؟ فقال لهم أما ما جئتم اليه من الصلح مع ابن الأحمر فلا أعرف له وجهها كيف أصلحه أو عى أي شيء أعاديه ، أهو كفو لى أو قرينى حتى أعقد معه الصلح وما جرت عادة بهاذا مع الصغير والكبير ، وهاذا الملك أمير المسلمين يعقوب هو ملك المسلمين بالعدوتين ، وصاحب حضرة مراكش وقاس ، ملك المسلمين بالمغرب ، وقهر جميع الملوك بصدق نيته وسعده ، وغلبهم بقوته وكثرة جنده ، وأفنا ملوك بنى عبد المومن وسلب ملكهم وقطع دولتهم ، وليس فى الأرض ملك أخشاه سواه ، وقد علمتم أنه قهرنى وقهر أبى من قبلى ، واستولا على بلادنا ، وقتل رجالنا وأبطالنا ، وسبا حريمنا وغنم أموالنا ، وليس لنا طاقة بقتاله ، ولا قدرة لحربه ونزاله ، ومع هذا كله فقد كاتبه جميع ملوك الانصراية يرغبون فى مسالته ومهادنته ، فكيف أترك صلح أمير المومنين وأتكلم مع من هو دونه فى القدرة والقوة والحرب ؟ فأبلغوا ابن الأحمر كلامى وقولوا له لاكلام بينى وبينه أبدا ، فانى رأيت ذلك مصلحة لى ولبلادي ولرعيتى ، وأعلموه انى لأقدر على مدافعة أمير المسلمين عن نفسى فكيف عن غيرى ، والمال الذى أخذته منكم هو مصروف اليكم على رغم انفى بسبب أمير المسلمين يعقوب فانصرفت أرسال ابن الأحمر وقد يسوا من نصرة سانشو آياه ، فقال له

عبد الحق هاذه ارسال ابن الأحمر قد انصرفت وانا بأي شيء انصرف الى مولانا أمير المسلمين ؟ فقال سانشو انا اخذ بخدمته ممثل لأمره ونهيه ، مبادر الى مايرضيه ، فقال عبد الحق يرضيه أن تصل اليه فتجتمع معه ، فقال سانشو نعم وكرامة ، فلما عزم سانشو على الخروج ليجتمع مع أمير المسلمين اجتمعت عليه النصارا وغلقوا أبواب اشبيلية دونه ومنعوه من السير والخروج ، وقالوا انا نخاف عليك من ملك المسلمين ، فقال لهم انى أليت على نفسى أن أصل اليه واخذ معه مشافهة فيما يقع الصلح بينى وبينه عليه ، فدعوه يصنع بى ماشاء ، فلما رأوا عزمه خلوا سبيله ، فسار حتى بعد عن اشبيلية بمرحلة ، فأدركه الخوف وداخله الجزع ، وقال يا عبد الحق ما أظن أصحابى فى منعمهم اياي الا على بصيرة ولكنى أريد ان تعاهدنى وتحلف لى أنى أامن منه ولا أرا منه الا مايسرنى ، فحلف له عبد الحق على ذلك فى تهليل (١٨١) كان عنده ، فاطمأن قلبه فى الظاهر ، ثم سار حتى وصل مدينة شريش ، فازداد جزعا وقال لعبد الحق انى لأقدم على أمير المسلمين يعقوب حتى اجتمع بولسي عهده يوسف فيؤمننى ويسكن خاطري بأن أقدم معه الى والده فى ندمته وأمانه وأسير معه .

فلما سمع ذلك عبد الحق خاف ان يكون قد دبر مكيدة على المسلمين ، فقال له نعم تصل اليه ، ولكنه ملك كبير ، وسلطان عظيم ، اذا وصل اليك فى جيشه وأنت فى بلد من بلادك وتطلب منه ان يشفع لك عند أبيه وجب عليك ان تخرج عن ذلك البلد ، فان المملكة توجب ذلك ، ولا يمكنك الا الخروج له عن شريش اذا دخلها ، وان لم تفعل كنت مقصرا فى حقه ، وخافضا من قدره ، فاعمل رأيك فى أي الأمرين أوفق ، وأما وصوله اليك فأنا الكفيل به ، فلما سمع سانشو مقالة عبد الحق قال أنا أخرج للقاءه ، فألقاه خارج المدينة ، فسار عبد الحق الى الأمير يوسف

(١٨١) طرف من جلد أو ملف مطروز بالحرير فى الغالب يوضع فيه مصحف أو شبهه - مثل دليل الخيرات - يعلق على الجنب تعوذا .

فعرفه بخبر سانشو واستجارته به وميله الى جانبه وأعلمه برضاه
بعمده ، وأنه يركب فى ذمته حتى يصل به لأمر المسلمين ، فأجابه الأمير
يعقوب الى ذلك وأسجفه فسار مع عبد الحق الى لقاء سانشو فى
جيش عظيم من أنجاد بنى مرين وشجعانها ، وأهل الباس والفتك منها .
فتلقاه سانشو على مسيرة أميال من شريش ، فسلم عليه وأظهر له
السرور والفرح والبشاشة فأخرج له الضيافة ولجميع الحلة قامر
الأمير يوسف بالنزول بخارج البلد ، فضربت قبابه ومضاربه ، ونزل فيها
ونزل سانشو فدخل معه فى خبائه ، وقال له أيها الأمير الأصعد ، والسلطان
المبارك الأصعد انى اردت أن أكون دخيلك وفى وفاء ذمتك ومتقيًا بظل
خدمتك حتى اجتمع مع أمير المسلمين والدك ، فأعطاه الأمير يوسف أمانه ،
والتزم له مايرضيه من والده وتكفل له بقضاء جميع أغراضه وشؤونه
عنده فقال له سانشو الآن طابت نفسى ورجعت الي فلما كان فى
عشي النهار ركب الأمير يوسف الى خارج محلته ، فوقف بها وخرج جميع
من بشرىش ينظرون اليه فركبت ابطال بنى مرين تلعب بين يديه وركب
سانشو ووقف بازائه وبنو مرين فى لعبها ، فقال سانشو وأنا ايضا لعب
سرورا بما من الله عز وجل به علي من اقبالكم الي واسعادكم لى بالصلح
والمهادنة ، فانا اولاً الناس بالسرور ثم أخذ الرمح والترس فلعب مع
رعمائه بين يدي الأمير يوسف فلما غربت الشمس رجع الأمير يوسف
الى منزله ودخل سانشو الى شريش ومن الغد سار الأمير يوسف
وسانشو الى لقاء أمير المسلمين فاجتمع به فى حصن عين الصخرة
على مقربة من وادي لك . واستعد أمير المسلمين للقائه فى ذلك اليوم
وأمر جميع جيوشه بلباس الأبيض والعدة الكاملة فسايبضت الأرض
ببياض المسلمين ، وأقبل سانشو فى عقدة من المشركيين مسودة فكان
ذلك عبرة للمعتبرين . فسلم على أمير المسلمين وقعد بين يديه تأديبا
معه ثم قال يا أمير المسلمين ان الله أسعدنى بلقائك وشرفنى فى هذا
اليوم برويتك ، وانى لأرجو أن انال طرفا مما اعطيت من السعادة لأقهر
بها ملوك النصرانية ، ولاتظن أنى جئتك رضا منى ، ولأطوعا من نفسى

بل والله ما قدمت لحضرتك الا على رغم انفي ، لأنك خربت بلادنا وهتكت
حرمتنا وسبيت نساءنا وحريمنا وأولادنا ، وقتلت جماعتنا ، ولا طاقة لنا
بحريك ولا مقدرة على معاندتك ، فكل ما تأمرني به أمثله ، وكل ما تشترط
علي التزمه وأحمله ، وبيك الباسطة على جميع بلادى ورعيتى تحكم فى
الكل بما شئت ، ثم قدم له هدايا نفيسة ، وتحفا عظيمة ، وكذلك لولده
الأمير يوسف استجلابا لمرضاتهما فكافاه أمير المسلمين بأضعافها ليخرج
عن أيديه ، وتم الصلح بينهما وذلك يوم الأحد الموفى عشرين لشعبان
المعظم من سنة أربع وثمانين وستمئة (٢١ اكتوبر سنة ١٢٨٥ م) .

ولما صرفه الى بلاده أمره رحمه الله ان يبعث اليه بما يجده فى
بلاده بأيدي النصارا واليهود من كتب المسلمين ومضاهفهم فبعث اليه منها
ثلاثة عشر حملا فيها جملة من الكتب ككتاب الله العزيز وتفسيره كابن
عطية والثعالبي ، ومنها كتب الحديث وشروحها كالتهذيب والاستذكار ،
وكتب الأصول والفروع واللغة والعربية والأدب وغيرها ، فأمر رصمه الله
بها فحملت الى قاس فحبسها على طلبة العلم بالمدرسة التي كان بناها
نفعه الله بقصده .

وبعد انصرف سانشو الى بلده رجع أمير المسلمين الى الجزيرة
الخصراء ، فدخلها فى السابع والعشرين من شعبان المذكور ، فوجد
القصر الذي بني له بالمدينة الجديدة والمشور والجامع قد تم ذلك كله
وفرغ منه ، فنزل بالقصر المذكور ، وأقام به شهر رمضان وصلا الجمعة
بجامعها المكرم ، وصلا بمشورها صلاة الاشفاع ولم يتخلف عنه ليلة
واحدة ، فكان رحمه الله لا يزال قائما من أول الصلاة الى آخرها مواظبا
على ذلك حتى تقضا شهر رمضان المعظم ، وقد قضا حقه صياما وقياما
على قدر طاقته ، وكان الفقهاء يبيتون عنده فى كل ليلة منه فيذاكرهم فى
قنون العلم ، فإذا كان ثلث الليل الأخير قام الى ورده ومناجاة ربه يسأله
خلاص نفسه وعتق رقبته رحمه الله حتى انصرف شهر رمضان ، فلما
كان يوم عيد الفطر وصلا صلاة العيد وانصرف من الصلا الى قصره
وقعد بالمشور المبارك دخل عليه اشياخ بنى مرين والعرب ، فقعدها بين

يديه يأكلون الطعام ، فلما فرغوا من أكلهم رفع اليهم الفقيه الأديب البارع عبد العزيز المكناسي الدار المزوزي النجار قصيدة نذكر فيها غزوات أمير المسلمين في تلك السنة وغزوات بنيه وحفدته ، وامتدح فيها قبائش بني مرين ورتبهم على منازلهم ، وذكر فضائلهم وقيامهم بالجهاد وأمر الدين ، وذكر قبائل العرب على اختلافها وبناء البلد الجديد الذي على الجزيرة والدار وحلول أمير المسلمين بها وصلاته بجامعها وذكر منبرها الشريف والتهنئة بعيد القطر والشكر له على قيامه بأمر الدين واهتباله بأمر العلم فأنشدها بين يديه بمجلسه ذلك قارئه الفقيه عبد الرحمان الفاسي الدار المعروف بالغرابلی وأمير المسلمين يصغى الى انشادها وجميع أشيخ بني مرين والعرب يستمعونها حتى آتا على آخرها وقبل يده الكريمة فأمر للقارئ بمثي دينار ، وأمر للناظم بألف دينار وخلع له ثيابا ومركوبا وهاذا مطلع القصيدة :

بحمد الله افتتح الخطابا	وأبدأ في النظام به الكتابا
لعل الله يبلغني الأمانی	ويفتح بالسرور علي بابا
ويرشدني السی نقل صحیح	ويرزقني من القول الصوابا
هو الملك الذي خلق البرایا	وصورهم وقد كانوا ترابا
الإه واحد حي مرید	عليم قادر بالجود حابا
یرا أثر النملة حين تمشی	وتقطع في الدجا الصم الصلابا
ويسمعها اذا دبت عليه	وجنح الليل قد أمسا غرابا
تقدس عن صفات الخلق طرا	وان يعزا له الوصف اكتسابا
يحيط بعلم ما تحوي عليه	طباق السبع ان دعي استجابا
ويعلم في الأراضی السبع علما	يحيط بعد حصباها حسابا
ولم لا وهو أنشأنا امتنانا	وواعدنا على الحسنات المتابا
وانشأ في السماء لنا بروجبا	والبسها بزینتها ثيابا
وأجرا الشمس ثم البدر فيها	وسخر بالرياح لنا سحابا
لتسقي بلدة ميتا بغيث	همول بالحياة هما وصابا
وأجرا في بسیطتها عيوننا	مدفقة وأودية عذابا

وأرسل في الورا منهم رسولا
محمد النبي المجتبا من
وقد أسرا به مولاه ليلا
دنا من حضرة العليا تدلا
عليه صلاة رب العرش تترا
وماسحت بماء لمزن سحبي
هو المبعوث بشرنا ببشرا
وحرضنا على قتل الأعادي
ونبذل في جهاد الكفر نفسا
فصدقه أبوبكر عتيق
وتالثهم أبو عمرو ، ووفيا
هم الخلفاء أربعة تواصلوا
وباقى العشرة المرضي عنهم
سعيد وابن جراح وسعد
هم قد بايعوا المختار طوعا
وأن تفنا نفوسهم لاحتماء
وهم قد جاهدوا في الله حقا
عليهم رحمة الرحمان تملأ
فمذ بانوا وبان من اقتفاهم
وعاد الدين بعدهم حقيرا
وصار بغربنا الأقصا غريبا
ولم يعلم جهاد للأعادي
السي أن فتح الرحمان فيه
لمولانا أمير العدل ملك
فهناه الإله السعد فيه
دعا لله دعوة مطمئن
قلبنا لله دعوته وسنا
شفيعا مصطفا يتلو الكتابيا
سلالة هاشم فالأصل طابا
وجبريل له أخذ الركابيا
وحاز القرب منه فكان قابيا
مدا الأيام تورثنا الثوابيا
فحلا الزهر بالزهر الهضابيا
من المولا وأنزنا العقابيا
تضييق بهم تلالا او شعابيا
ومالا قد جمعناه اكتسابيا
وثانيه أبو حفص أجابيا
أبو حسن طعانا او ضرابيا
على الاسلام صونا واحتجابيا
سموا وعلا ابن عوقم المشهابيا
زبير ، طلحة ، كرموا صحابيا
على أن لايضام ولا يصابيا
لدين الله بعدا واقترابيا
وسلوا في عداتهم الذبابيا
بنور من قبورهم الرحابيا
خفا نور بدا منهم وغابيا
ومنسحقا وممتنها مصابيا
فيالليدين يغترب اغترابيا
بهاذي الأرض يحسب احتسابيا
ليعقوب بن عيد الحق بابيا
أرانا في العدا العجب المعجابيا
ونية صدقه برا اثابيا
لمولاه دعاء مستجابيا
له الحسنات وجنبه الصعابيا

فجاز البحر مجتهدا مرارا
فألبس ملكهم ذلا فصار
أبعد جواز أرض البيرت فخر
هو القطب الذي دارت عليه
بنوه نجومه والبير فيهم
أبو يعقوب مولانا المرجا
هو الملك الذي أعطا وأغنا
وأبناء الامارة ترتجيهم
أوفى حقهم فردا ففردا
وأذكر غزو هذا العام حتى
وأشهر من فخر مرين بردا
وأروى مدحهم في الدين شعرا
ليبقا نكرهم في الأرض يتلا
فعزهم مكين في المعاني
سأودع غزومهم في الروم نصا
وأذكر من وقائعهم أمورا
فهل من سامع خيرا لبابا
فيصغى سمعه نحوي امتنانا
وذلك أن مولانا أناخت
فجاز البحر في صفر خميسا
وحل طريقا المولا بجمع
وفي غد يومه ضريت لديه
زهت حسنا وجملها سناها
ولم ير مثلها في الحسن لكن
فحل بها كأن الشمس لاحت
فيالك قبة يحكى سناها
وخلف عامرا وأنا قريبا

يقود الى العدا الخيل الغرابا
به الاملاك ترتب ارتهايا
تزيد به منالا واعتجابا
نجوم السعد لاتخشا اضطرابا
ولي العهد من بالفضل حابا
لدفع الخطب ان أرسا وئابا
وصير طعم عيش مستطابا
وأحفاد العلا اعتصبوا اعتصابا
كما جعلوا الجهاد لهم نصابا
أذكر كل شخص ما أطابا
كما احتزبوا لدينهم احزابا
أدونه وأودعه الكتابا
يراه الركب زادا واحتقبا
وعز سواهم أضحا سرايا
نظاما لاخاف به اضطرابا
يصير بهن طعم الشرك صابا
يرد علي بالصدق الجوابا
يقول اذا أصبت نقد أصابا
عزائم بطجة الركابا
بخامس شهره ركب الغرابا
كسا شم المعائل والهضابا
هنالك قبة تسبى القبايا
لها اختاروا من الحبر اثيابا
قد انتخبت بسبقة انتخابا
بطلعته ازدهاء واعتجابا
سنا الفلك المحيط بها انتسابا
من ارکش ثم رام به احتلابا

ورام نكاية الأعداء فيه فأوسعه احتراقا وانتهابا
ومنه آتا شريشا فى جموع ووافته محلته ايايا
فأوسعت الزروع بها احتصادا وأوسعت الغروس بها احتطابا
أذاقت من شلوقة كل ربع وروض من قناطرها عذايا
مدينتها وقلعتها بخير أشاعوا فى نواحيها الخرايا
وجهاز للعدا منصور جيش ليترك دارهم فقرا ييايا
على اشبيلية أجرا خيولا فأوسع من بساحتها انتهابا
سبا منهم وغادر الف عالج تطارد عنهم الطير الذئابا
وأب مظفرا وابو علي أخوه آتا وقد حمدوا الايايا
وجهاز جيشه عمرو ووافا نرا قرمونة يحكى العقابا
ولم يترك بها أحدا سوى من بها ينكب فى الأرض انكيايا
آتا بغنائم ملات عديدا بسيط الأرض بل غطت شعابا
وجيش أبى معرف المعلا على اشبيلية حط القيايا
لمولد سيد الثقلين يشهد له فيما سباه وما أصابا
آتا بغنيمة فيها سبايا وأوصل من مراكبهم ليايا
فذاك اليوم سار أبو علي الى برج فصيره خرابا
وغزوة مشقريط ليس تخفا فضائلها لقد حسنت مآيا
ولا أنسا البروز على شريش فأهل البرج قد ذاقوا العذابا
فذاك اليوم أعظم يوم حرب رأيناه اذا ذكروا المضرابا
ويوم وصول مولانا المرجا أبى يعقوب أشرق واستطابا
هناك بروز أهل الدين ردت محاسنه على البهر الشبابا
ولا أنسا القناطر حين دارت بها الإسلام توسعا انتهابا
وأهل شريش لما أن تراءا ولى العهد قد فرقوا ارتعابا
هنالك خصص المولا بجيش أبا يعقوب مولانا وحابا
بأربعة من الآلاف خيلا مسومة مظفرة عربا
وأجرا الخيل من كل النواحي على اشبيلية شرفا وغابا
فلم يترك بتلك الأرض خلقا أسارا أو سبايا أو سلابا

فتلك غنيمة ما ان سمعنا
وبعد اتا أبو زيان وافنا
بهاذا اليوم جهزه بألف
وجاء بزرعها وانحاز عنها
وقتل أهلها وسبا وولا
ومولانا أبو يعقوب وافنا
الى كتور أعمل حد عزم
أحاط بربعها برا وبحرا
وخلف أرضها غربا وأضححت
ولما دوخ المولا النصارا
ولم يترك بأرضهم طعاما
وأعوزه بها علف وظالت
وقد ظهرت لأسطول الاعادي
يؤم الى الجزيرة رام منه.
الى اشبيلية ليبيد منها
وينزلها يقيم بها شتاء
فلما حل ربع طريف والا
فيامر أن يجهز للاعادي
فجهزها ووافت باحتفال
هنالك سانشو وافي شريشا
فوجه منه إرسال النصارا
يطلبه بعقد الصلح يعطى
ولم يقبل لهم قولا وأبت
ولم يرددهم المولا سوى من
فقرب جيشه المنصور بحرا
فلما يرز الأسطول فرت
وما ألوت على متبعيها

بهاذا العام أكثرها انجلابا
شريشا بالبروز وما استرابا
الى قرمونة وافي الصوابا
الى اشبيلية ولها استتابا
حميدا فى سرور من استتابا
شلوقة ثم خربها خرابا
لو أن الهند مس به لذابا
فدمرها وصيرها يبابا
حمامة حسن معناها غرابا
والبسهم من الذل النيابا
ولا عيشا هنيئا مستتابا
بها حركاته قصد الايابا
علامات تزيدهم ارتيابا
يجدد غزوة تدى الثوابا
طغاة طالما عبدوا الصلابا
يهدمها ويبقيها خرابا
الى أجفانه الغر الكتابا
أساطيله فأسرعت الجوابا
ويأس منه رأس الكفر شابا
ليل ثم عاين ما أرابا
الى المولا ليسعه الطلابا
له ماذا أراد وما استجابا
له الأرسال حائرة خيابا
حديث البحر لايربو ارتيابا
الى أفروطة الكفر انسيابا
جيش الكفر فى البحر انرابا
ولو سئلت لمأردت جوابا

فجاز الى الجزيرة فى سرور
فوافته بها الأرسال تبغى
فأسعفهم بها جازاه ربى
ويجعل فيه للاسلام طرا
وذلك من أمور قد حكاها
فبادر سانشو فى الصلح حتى
وجاء لقيه الاعلا واعطا
فكان هناك بينهما أمور
واسرع سانشو للعدد حرصا
فتم الصلح بينهما لعذر
فهاذى جملة والشرح عندى
هنيئا يامرین لقد علوتم
وقاخرتم بمولانا البرايا
أبعد الفئش وابن الفئش يبقا
فحزب مرین حزب الله يحمى
اذا سلوا السيوف ترا الاعادي
هم اشغار عين الملك تدرى
وهم مثل الأنامل حيث مدت
انظم فيهم مدحى ففيهم
فمن اولاد عبد الحق أبدا
هم الأمراء ان ذكرت علامهم
ومنهم تجتلا شمش المعالى
وهم أساد حرب ، من يوازي
وهم للجود بحرقه تلفى
فما قدرت من كرم ففيهم
وفخر بنى حمامة ليس يخفا
سموا قدرا وعز بهم حماهم

يجدد غزوة تبنى العجبا
بعطفته من الصلح اقترابا
على أرائه الحسن الصوابا
مصالحها التى ترد الطلابا
لنا المولا وأحصاها حسابا
تقرب من مدينته اقترابا
هديات لمولانا رغابا
يتسني السرور بها الخطابا
وأظهر فيه للمولا ارتعابا
مبين واضح والسر غابا
ساوضحه بايضاح كتابا
بنى الأملاك بأسا وانتجابا
فأعطوكم قيادا وانقلابا
رضاكم لا يخاف به الغيابا
حما الاسلام لا يخشا عقابا
وقد حل الريا مدت رقابا
عن الملك القتام او الترابا
يد الأمر التى تعطى المرغابا
أناس طالما نظموا المقبابا
بدمج عرفه يحكى المرضابا
ترا الأعمار تنتسب انتسابا
لدار الملك تحتط المرقابا
مقامهم اذا ما الخطب نابا
نفس الدر أو تجد المسحابا
أصخ تسمع لى لهم جوابا
كنور الشمس يرتقب ارتقابا
فجارهم عزيز لن يصابا

فانهم القراية حين يعزوا
وعترته السراة بنو علسي
هم الفضلاء والشرفاء حقا
وهم احوال مولانا المرجيا
وسادة عسكر قوم احاطوا
شجاعتهم وجودهم استفاضوا
بنو ونجاسن افتخروا افتخارا
اذا لبسوا الحديد ترا اسودوا
ونجدة تربعين قد استقرت
فمنهم ابتدى بينى وراغ
بنو سوخم اراهم خير قوم
وسائير تربعين اذا تداعوا
بنو يابان ان ذكروا تجدهم
سيوفهم تقد الهام طولا
وناس بنى تنالفت استمرت
اذا حضروا الحروب ترا عداهم
بنو وطاس فازوا بالمعالي
بنو ورتاج اعتزوا قباها
بنو الخير اناس من تساما
بنو وارئين ارتفعوا فعالوا
وسائيرهم متى ذكروا تواليت
بنو قودود والحشم استمروا
وقربهم وصيرهم لديه
واذكر خدمة العرب التي قد
فحازوا عنده اعلا مكان
اذا نصح الخديم ينل مناه
فانتم ايها العرب انتصرتهم
لمولانا وقد عزوا جنابا
لانهم ابوا ذمنا وعابا
فسل تجد العلاء والانتسابا
ابى يعقوب ، فخرنا بن يعابا
باوصاف العلا وسموا طلابا
تدفق كفههم يحكى العبابا
يعزم علم السيف الضرابا
تميد الارض ان كانوا غصابا
فزادوا فى علوهم انصابا
وباسهم اذا سيموا الضرابا
اذا حضروا الوغا البتهب انتهابا
لحرب فرت الروم ارتهابا
اسودا تورث الاعداء ارتيابا
وماء سخائهم يهيمى انسابا
مريرتهم فبلغنا الطلابا
بغات الطير ابصرت العقابا
فلم يخشوا لمجدهم انتكابا
فخارهم عداتهم احتجابا
ورام بهم حلول الضيم خابا
بعزمهم وباسهم الرقابا
شجاعتهم اذا البطل استرابا
على نصح لمولانا فحابا
من الرهط الذى نال اقترابا
اعزتهم لدى المولا جنابا
مكين لمن يرام ولن يصابا
ويحرز من نوى العليا احتسابا
لعزكم فالزمكم منابا

ليس لحمير لكم انتساب
وانتم اخوة نسبا وصهرا
وجسد جميعكم سببا وقيس
ولم لا والرضا عنكم توالا
فسفيان سموا قدرا ففهم
لهم ايام صدق ليس تخفا
بنو جرمون انجمهم وفيهم
سيوف العاصم اشتهرت وصارت
سما عيادهم قدرا ووافيا
لقد نصحوا ويشهد في علام
وللخلط السيوف سيوف حنف
هبيرة من لجدهم افتخار
مقدمهم تقدم في المعالسي
جماعة جابر قوم كرام
فجروا منه يوم الحرب نبلا
بيوسف ابن قيطون تساموا
وقل للابنجي دامت عبلاه
سيوفكم تدير على الاعادي
فلابن عجاج الارضا علي
لئن اخرتم في الارض يشهد
فهذا سعد مولانا المرجا
فقد حل الجزيرة والاماني
اقام بها والقا الرحل منها
مكان القرية المشهور منها
وقد ذكروا الجدار بها وفيها
فصدق قولهم عنها فلوس
لها الف من الاعوام زادت
كذاك مرين ان رفعوا انتسابا
فما حدثم عن الفخر اجتنابا
من الاعلام في العرب انتصابا
من المولا به ملا القبايا
سراة العز يولون الرغابا
لها حس تعالا ان يعابا
هلال بدرهم يجلو السحابا
بارض الروم تغدما الرقابا
باخوته مولانا اعتصابا
يما فعلوا الذي كتب الكتابا
تصير هام اعداهم قرابا
أخطب هاج او حرب ارابا
بهم ومهتل اصبا الذبابا
كسوا من صدق نصمهم ثيابا
على الاعداء تسحب انتسابا
فعرزوا جانبنا وسموا جنابا
فكم ساقاتكم تدنو اقترابا
كؤوس ردا سفوا منها شرابا
نخار يورث الشرك اكتسابا
لكم في سبقكم من حل زابا
ونيقه التي تدني الطلابا
تساعده وقصد الشرك خابا
لبلدته الجديدة حين ابنا
على ما اودع الله الكتابا
مكان الصخرة انتصب انتصابا
يها وجدت مصورة عجابا
من المثين اربعة حسابا

وقد دثرت رسوم الربيع منها
وجددتها وشاد السور منها
بطالع سعده فسى خير دار
قواعدما على السعد استقرت
ومشورها البهيج يروق حسنا
تطالعه نجوم السعد منها
ومسجدها المبارك قد تلالا
ومنبره الرقيق يقوم فيه
ويدعو الله مبتها عساه
ويجعل من تمادى الخير فيها
بنى الدار السعيدة للأمانى
بعزمة مخلص بر صفى
أناس دأبهم نشر المعالى
هم خدموا لمولانا فوفوا
وقد ورخت نولتكم وصارت
وكل منظم شعرا سيفنا
أمير المسلمين بقيت تعلقو
وابقاكم الاله العرش عزا
فهاذا العام عام الفتح بيدى
وماذا العيد عيد الفطر وافقت
فعمرك الاله سنين عدا
فانك قد رفعت العلم قدرا
وبالصحاء قد زدت اعتناء
وزدتهم احتفالا وارثقاء
قدم فسعود ملكك فى ازدياد
سلام الله متصلا يوافسى

فأحياما وقد كانت خرابا
وانشأ فى جوانبها القبابا
مؤسسة بها تولى الرغابا
تقابل من جبال الفتح بابا
تحلا من حلا البحر الحبابا
قريبا تورث الشرك التبابا
سنا أنواره يحكى الشهابا
أمامكم فيخطب اختطابا
يزيدكم السعادة والثوابا
بشائر والفتوحات العجابا
بنو العزفى وشادوها قببا
محب لنوفاء قد استنابا
فهاهم قد كسوا منها ثيابا
لماحكم يبيعهته الثوابا
حلا يحبو بها الحادي الركبا
ويبقا فيكم مدحي كتابا
سعودكم التى ترضى اصطحابا
تنال بكم أمانها الرغابا
بتاريخ السعود لك الحسابا
يه اسراء كالنظر انسابا
نبلغنا الاماذي والطلابا
وصنت ذويه كي تحوي ثوابا
وبرا واعتلاء واقترابا
به للخلد تنقلب انقلابا
وجمع عدانك انتكبوا انتكابا
مقامكم كعرف المسك طابا

قال المؤلف عفا الله عنه :

وفى العشر الأواخر من شهر رمضان المعظم من سنة أربع وثمانين وستمئة المذكورة (نونبر ١٢٨٥ م) بعث أمير المسلمين ولده الأمير ابا زيان فى جيش ليقف على الحد بين بلاده وبلاد ابن الأحمر ، وأمره أن لا يحدث فى بلاد ابن الأحمر حدثا ولا يتوصل لها بأذية ولا مضرة ، فانصرف الى حصن ذكوان بالقرب من مالقة فسكن بخارجه .

وفى شهر رمضان المذكور توفى الوزير المرحوم أبو علي يحيى بن أبى مندبل العسكري بالجزيرة الخضراء .

وفى آخر شوال من السنة المذكورة أمر أمير المسلمين عياد بن أبى عياد العاصمى أن يرتحل بجميع اخوانه الى اسطبونة فيسكن هنالك ، فارتحل اليها فنزلها فى غرة ذي قعدة من السنة المذكورة .

وفى يوم الاثنين السادس عشر لذي قعدة المذكورة جاز الأمير يوسف من الجزيرة الخضراء الى العدو يتفقد أحوالها فى غراب القائد المجاهد محمد ابن القائد أبى القاسم الرجراجى رحمه الله ، فنزل بقصر الجاز .

وفى هذه السنة بنيت زاوية تافرطست على قبر الأمير المرحوم عبد الحق وتصدق عليه أمير المسلمين ولده بمحرث أربعين زوجا .

وفى آخر شهر ذي قعدة من السنة المذكورة ابتداء أمير المسلمين مرضه الذي توفي منه ، فلم يزل ألمه يشتد وحاله يضعف الى أن توفي رحمه الله بقصره ببلدته الجديدة من جزيرة الأندلس ، وذلك فى ضحا يوم الثلاثاء الثانى والعشرين لمحرّم من سنة خمس وثمانين وستمئة (١٩ مارس ١٢٨٦ م) فحمل رحمه الله الى رباط الفتح من بلاد العدو ، فدفن بمسجد شالة منها ، فكانت أيامه فى الخلافة تسعا وعشرين سنة ، وذلك من حين بويج له بحضرة مدينة فاس بعد وفاة أخيه أبى بكر ، ومن حين ملك حضرة مراکش وقطع ملك بنى عبد المومن وخلص له أمر المغرب سبع عشرة سنة وعشرين يوما ، فانا لله وانا اليه راجعون ، فلقد انصدع

بموته الاسلام ، ورزيء بوفاته جميع الأنام ، تلقاه الله عز وجل بالروح والريحان ، والمغفرة والرضوان ، وجبر الله صدع الاسلام فيه ، وأبقا خلافته وبركته مؤيدة فى حفدته وبنيه ، وصلا الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

الخبر عن دولة أمير المسلمين يوسف

ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق عفا الله عنهم ورحمهم

هو عبد الله يوسف أمير المسلمين ، ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق .

كنيته : أبو يعقوب .

لقبه : الناصر لدين الله .

أمه حرة علوية تسما أم العز بنت محمد بن حازم العلوي .

مولده : فى شهر ربيع الأول من سنة ثمان وثلاثين وستمئة .

بويغ له بالخلافة بالجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس يوم وفاة أبيه ، وكان غائبا ببلاد العدو فأخذ له البيعة الوزراء والأشياخ وبعثوا اليه ، فاتصل به الخبر وهو ببعض أحواز مدينة فاس فجد السير الى طنجة فوجد الأسطول هنالك ينتظره ، فجاز الى الجزيرة وبها جميع قبائل مرين وقبائل العرب فجددت له البيعة بها واجتمع على بيعته كافة قبائل مرين وقبائل العرب وجميع من بالعدوة والأندلس من المسلمين ، وذلك فى غرة صفر من سنة خمس وثمانين وستمئة (الجمعة ٢٩ مارس ١٢٨٦ م) وسنه يوم بويغ خمس وأربعون سنة وثمانية أشهر .

ولما تم له الأمر واستقامت له الخلافة فرق الأموال على جميع قبائل مرين والعرب والأندلس والأغزاز وسائر الأجناد ، وأحسن السى الفقهاء والصلحاء ، وأخرج الصدقات الى الضعفاء ، وسرح السجون فى جميع

بلاده ، وتصدق بترك الفطرة (١٨٢) على الناس ، وقال من وجب عليه أداؤها يتصدق بها لنفسه حيث شاء ، ورفع الأنزال عن ديار الرعية ، وكف أيدي الظلمة والعمال عن الناس ، وأزال المكوس ، وأمر بهدم المروس ، وقمع البغاة ، وأباد الطغاة ، وأمن الطرقات ، وأزال أكثرالرتب والقبالات التى كانت بالمغرب الا ما كان منها بالبلاد الخالية والمفازات العالية ، فخضعت مدين تحت قهره وصلح أمر الناس فى أيامه .

صفته : كان رحمه الله أبيض اللون حسن القد مليح الوجه أفنا الأنف ، مهيبا لا يكاد أحد يبتدئه بالكلام من مهايته ، ذا أناة وسياسة ، فاذا عزم بطش ، واذا أخذ أفنا ، يستبد برأيه دون وزرائه ، قاهرا فى سلطانه ، اذا أعطا أغنا ، واذا صال أفنا ، شفيقا بالضعفاء ، متفقدآ لأحوال رعيتيه وبلاده ، غليظ الحجاب ، لا يكاد يوصل اليه الا بعد الجهد .
حاجبه : عتيق مولاه ، ثم عنبر مولاه .

وزرائه : أبو علي عمر بن السعود الحشمى ، وأبو سالم ابراهيم بن عمران الفودودي ، وتوزر له فى آخر عمره يخلف بن عمران الفودودي
كتابه : الفقيه عبد الرحمان بن الحرار ، والفقيه محمد العمرانى ، ثم القيه الأجل المرحوم عبد الله ابن أبى مدين ، وهو القائم بأمر المملكة كلها وعلى يديه تتصرف أحوالها ، ومن كتابه الفقيه البارع محمد المغيلى كان يتولا العرض والانشاء وبيده العلامة الى أن مات رحمه الله فولى العلامة بعده الفقيه محمد ابن أبى مدين ، ومن كتابه الفقيه الأجل أوحد عصره ونخبة دهره أبو علي بن رشيد ، كان يتولا التنفيذ .

قضاته : بحضرة فاس الفقيه الصالح المبارك أبو حامد ابن البقال ، ثم الفقيه الخطيب محمد بن أيوب (أبى الصبر) ثم الفقيه محمد المغيلى ، وقضاته بحضرة مراكش الفقيه أبو فارس العمرانى ، والفقيه محمد السقطى ، ثم الفقيه أبو عبد الله بن عبد الملك ، وقاضيه بحضرة تلمسان

الجديدة الفقيه الأجل المحدث المشاور علي بن أبي بكر المليلى .

شعراؤه : الفقيه البارع مالك ابن المرحل (١٨٢) والفقيه الأديب أبو فارس الكناسى ، والفقيه أبو العباس الفشتالى ، والفقيه أبو العباس الحميشى ، هاؤلاء الشعراء الذين كانوا ملتزمين بخدمة بابيه الكريم تجري عليهم المرتبات والاحسان .

أطبأؤه : الوزير الطبيب محمد ابن الغليظ الاشيبلى ، والوزير عمار الكناسى .

قال المؤلف عفا الله عنه :

لما تمت البيعة لأمير المسلمين يوسف خرج من الجزيرة الخضراء الى مريالة ، فنزل بظاهرها وبعث رسوله الى ابن الأحمر ليجتمع به ، فبادر اليه فى احتفال عظيم وعسكر جسيم ، فاجتمع به هنالك ، فعزاه عن أبيه وهنأه بالخلافة ، فصالحه يوسف وصرف عليه جميع ماكان بيده مما كان أخذ له والده من بلاد الأندلس ، ولم يحبس منها حاشا الجزيرة الخضراء ورندة وطريف ووادي أش وأحوازا ، وكان اجتماعه به وصلحه اياه فى العشر الأول من شهر ربيع الأول من سنة خمس وثمانين المذكورة ، ورجع الى الجزيرة الخضراء فأقام بها بقية ربيع الأول .

وفى يوم الأحد الثانى من شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة قدم عليه ارسال سانشو فجدد معه الصلح على ماكان عقد معه والده رحمه الله ، فلما فرغ من اصلاح بلاد الأندلس وهدنها وسكن دهماها دعا بأخيه الأمير أبى عطية فعهد له ماكان بقي بيده من بلاد الأندلس وأوصاه بتقوا الله تعالا وضبط ثغوره ، والحزم فى جميع أموره ، ثم دعا بالشيوخ المجاهد المرحوم علي بن يوسف بن يرتاجن فعهد له على أعنة خيل الأندلس وجندها ، وقلده أمر حربها وغزوها ، وترك معه ثلاثة آلاف فارس من بنى مرين والعرب ، وجاز الى العدة يوم الاثنين سابع ربيع

183) ينظر عن مالك ابن المرحل الاطاحة (غير مطبوع) وجذوة الاقتباس ص 221
وسلوة الأنفاس 3 : 99 وذكريات مشاهير المغرب ع 8 .

الأخر من السنة المذكورة ، فنزل بقصر المجاز ثم سار الى مدينة فاس
فدخلها فى ثمانى عشر من جمادى الأولى من العام المذكور ، فلما استقر
بحضيرته من فاس الجديدة خرج عليه ابن عمه محمد بن ادريس بن عبد
الحق فى جماعة من بنيه بجبال ورغة من أحواز فاس فسار اليهم الأمير
أبو معرف محمد ابن أمير المسلمين يعقوب فتابعهم فى خلافهم وانضموا
الى جملتهم ، فلم يزل أمير المسلمين يوسف يبعث اليهم بالجيش ويدير
عليهم السياسة حتى نزل اليه أخوه بأمانه وأتاب الى طاعته ، وفر محمد
ابن ادريس وبنوه الى تلمسان فقبض عليهم فى الطريق فقيدوا فى الحديد
وأتى بهم الى رباط تازة فبعث أمير المسلمين أخاه الأمير أبا زيان لقتلهم
فقتلوا بخارج باب الشريعة منها وذلك فى شهر رجب من سنة خمس
وثمانين المذكورة .

وفى هاذه السنة خرج عليه الأمير عمر بن عثمان بن يوسف
الهسكوري بقلعة فندلاوة من جبال بنى يازغة ، وأمر أمير المسلمين يوسف
قبائل بنى عسكر ومن بتلك الجهات من قبائل البربر من سدراته وبنى
وارثين وبنى يازغة وبنى سيتان وغيرهم بحصاره وقتاله ، فحاصروه مدة
من شهر ثم خرج أمير المسلمين اليه بنفسه ، فسار حتى وصل قرية
سدوره من بلاد بنى وارثين وقدم بين يديه الرماة والمنجنيق والآلات الحرب،
فعلم عمر بن عثمان بقدومه وعلم أنه لاطاقة له بالحصار ولا مقدرة له
على مدافعة أمير المسلمين ، فبعث اليه الصلحاء يأخذون له الأمان منه ،
فأمنه ونزل اليه فبايعه وصرفه الى تلمسان بجميع أهله وماله .

وفى شهر رمضان من السنة المذكورة ارتحل أمير المسلمين يوسف
من مدينة فاس الى حضرة مراكش ، فدخلها فى شوال من السنة المذكورة،
فأتام بها الى يوم الخميس الثالث عشر لذي قعدة من العام المذكور ،
فهرب الحاج طلحة بن علي البيطوى الى بلاد السوس فأقام بها ودعا لنفسه،
فأتصل خبره بأمير المسلمين فدعا ابن أخيه الأمير منصور بن الأمير عبد
الواحد فعمد له على بلاد السوس وأمر له بالأموال والجيش وأمره بقتال
طلحة بن علي الخارج بها ومن وافقه ببلاد السوس فغزا بها عرب بنى

حسن فقتل بها خلقا كثيرا ، وذلك فى شهر ذي حجة من العام المذكور ،
ثم سار الى قتال طلحة وحصاره .

ثم دخلت سنة ست وثمانين وستمئة ، وفى يوم الاثنين الثالث عشر من
جمادا الأخرى قتل طلحة ابن علي الثائر ببلاد السوس فى المعترك ،
وقطع رأسه فبعث به الأمير منصور الى عمه أمير المسلمين يوسف فأمر ان
يطاف به فى جميع بلاده ويعلق على باب رباط تازة ، فلم يزل عليها طول
أيام خلافته معلقا فى شبكة من نحاس .

وفى شهر رمضان منها خرج أمير المسلمين يوسف لغزو العرب ببلاد
قبلة درعه الذين كانوا يقطعون فى طريق سجلماسة فخرج اليهم من حضرة
مراكش فى اثني عشر ألف فارس من بني مرين ، فجد السير على جبال
هسكورة حتى خرج الى بلاد درعة ، ثم سار حتى أدركهم فى القبلة مما
يلي الصحراء فصبحهم فقتل منهم خلقا كثيرا وسبا أموالهم ونساءهم
وأمر بقطع رؤوسهم وحملها الى مراكش وفاس وسجلماسة وتعليقها فى
الأسوار ، ثم وصل الى مراكش فدخلها فى أواخر شوال من سنة ست
وثمانين المذكورة ، فأقام بها بقية عامه ، وعيد بها عيد الأضحا .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين وستمئة فى نصف ربيع الآخر منها
خرج أمير المسلمين يوسف رحمه الله من حضرة مراكش الى حضرة
مدينة فاس وفيها وافته أرسل ابن الأحمر مع ابنة الأمير موسى بن رحو
فأعرس بها بحضرة فاس .

وفيها أعطا أمير المسلمين لابن الأحمر مدينة وادي أش وحصن
رانجة وحصن بليانة وحصن الدير ، والأبتير وغور ، وغورب ، وذلك
فى شهر صفر من سنة سبع وثمانين المذكورة .

وفى نصف ربيع الثانى منها تحرك أمير المسلمين من مراكش الى
فاس كما قدمنا فأقام بها الى أن خرج عليه ولده الأمير أبو عامر ، فسار
الى حضرة مراكش وذلك يوم السبت الرابع والعشرين من شوال ، فثار
بها مع واليها محمد بن عطو البربري الجناتي ، وكان دخوله لمراكش

وقيامه بها فى أول يوم من ذي القعدة من سنة سبع وثمانين المذكورة ، فانتها الخبر الى أمير المسلمين يوسف فبادر الى مراكش ، وذلك فى زمن الشتاء فوصلها ونزل بظاهرها فخرج ولده الأمير أبو عامر الى حربه، فرجع مهزوما فدخل لمراكش وغلقها فى وجه أبيه ، فأقام بقصرها الى الليل ، وقتل مشرقها ابن أبى البركات ، وحمل ماكان فى بيت مالها وخرج منها فى نصف الليل فارا الى بلاد القبلة وأسلم انبلد فدخلها أمير المسلمين من الغد ، وهو اليوم التاسع من ذي الحجة من السنة المذكورة، فعفا عن أهلها وسار الأمير أبو عامر مع ابن عطو الى بلاد القبلة ، فأقام بها مدة من ستة أشهر ، ثم سار الى تلمسان فوصلها للثانى عشر من رجب من سنة ثمان وثمانين وستمئة ، ثم رجع الأمير أبو عامر الى والده أمير المسلمين فعفا عنه .

وفى كتب أمير المسلمين الى عثمان بن يغمراسن أمير تلمسان ان يسلم اليه عامله ابن عطو الذي نجا اليه ، فامتنع عثمان من ذلك وقال والله لاأسلمه أبدا ولا أبيع حرمتى واترك من استجار بى حتى أموت ، فليصنع ماابدا له وأغلظ للرسول فى القول ، وتكلم بالقبيح وثقفه فى الحديد ، فأنف لذلك أمير المسلمين يوسف وعمل على غزوه فسار اليه . وفى سنة تسع وثمانين وستمئة فى السابع والعشرين من ربيع الثانى منها خرج أمير المسلمين يوسف من حضرة فاس الى غزو تلمسان ومن بها من بنى عبد الوادي ، وهي أولا غزواته فسار نحوها وبقي يرتحل فى أحوازها ويأكل زروعها ويسبي ويغتم أموالها ويخرب قراها ، فلم يخرج اليه أميرها ، فلما رأا عجزه عنملاقاته قصد الى حصاره ، فنزل عليه فى أول يوم من رمضان من سنة تسع وثمانين المذكورة ، فحاصره وضيق عليه بالقتال ، ونصب عليه المنجنيق ، فأقام عليه ستة عشر يوما وارتحل عنه راجعا الى المغرب ، فدخل رباط تازة فى ثالث ذي القعدة من العام المذكور .

ثم دخلت سنة تسعين وستمئة فيها انفسد الصلح بين أمير المسلمين وسانشو فكتب أمير المسلمين الى قائد أعنته ببلاد الأندلس وهو الشيخ

علي بن يوسف بن يزجائن يأمره ان ينازل مدينة شريش وان يشن الغارات على بلاد النصرارا شرقا وغربا فसार علي بن يزجائن بمن معه من المجاهدين حتى نزل مدينة شريش ، وذلك في ربيع الآخر من السنة المذكورة وشرع في قتالها وشن الغارات على أحوازها •

وفي شهر ربيع الآخر المذكور خرج أمير المسلمين يوسف من حضرة فاس الى قصر المجاز برسم الجواز الى الأندلس والجهاد وكتب الى قبائل المغرب يستنفرهم ، فوصل الى قصر المجاز في جمادى الأولى من السنة المذكورة ، فشرع في تجويز المجاهدين من بنى مرين والعرب فسمع سانشو لعنه الله بقدمه فأراد قطع المجاز عليه فعمر الأبقان وبعثهم الى الزقاق فنزلوا به فتشبث أمير المسلمين عن الجواز بقصر المجاز وأمر بتعمير أبقان تقابل أبقان الروم •

وفي شعبان من هاذه السنة انفسدت قطائع المسلمين في الزقاق فقتل قوادها وقطع غزاتها فأقام أمير المسلمين بقصر المجاز حتى عمر الأبقان واستعد للجواز فجاز فنزل بطريف وذلك في العشر الأواخر من شهر رمضان من السنة المذكورة ، ثم خرج الى غزو بلاد الروم فنزل على حصن يحيا فأقام محاصرا له مدة من ثلاثة أشهر ، وجيوشه تخرج كل يوم من المحلة فتغير على شريش وأحوازها وحصن الوادي حتى هتك جميع البلاد ودخل فصل الشتاء فأقلع عنه ورجع الى الجزيرة الخضراء ، فجاز منها الى العدو في أول شهر محرم من سنة احدا وتسعين وستمئة وقد انفسد ما بينه وبين ابن الأحمر •

وفي سنة احدا وتسعين اصطلح ابن الأحمر مع الانفونش وتواطأ معه ان ينازل بلدة طريف حتى يملكها ليقطع جواز أمير المسلمين يوسف الى الأندلس وشرط له ان ينفق عليه وعلى محلته طول اقامته عليها فنزلها الانفونش في أول يوم من جمادى الآخرة من سنة احدا وتسعين المذكورة ، فأقام اللعين يقاتلها ليلا ونهارا وابن الأحمر يبعث اليه الميرة والعدد والسهام ، وكل ما يحتاج اليه حتى ملكها صلحا من أهلها فدخلها في آخر يوم من شوال من السنة المذكورة ، وكان قد اتفق مع ابن الأحمر

أنه إذا أخذها يسلمها إليه فئما ملكها تمسك بها فأعطاه ابن الأحمر بسببها حصن شكبيش وطلبيرة ونقلة وبلدس وقشتل والمسجير ، وهب ذلك كله في حق طريف ولم ينض له منها شيء ، وذلك في سنة احدا وتسعين المذكورة .

وفي شهر شعبان من السنة المذكورة أقبل عمر بن يحيى الوزير الوطاسى الى حصن تازوطة من قلاع الريف فدخله ليلا غدرا من أهله ، وكان به الامير منصور بن عبد الواحد ، فخرج منه فارا بنفسه في جوف الليل فلحق برياط تازة ، فأخذت أمواله وقتل رجاله ، وملكه عمر بن يحيى الوزير بجميع ماكان به من المال والسلاح والأمتعة وأعشار الروم التي كانت مخزونة به فكان كما قال المتنبي :

تملكها الآتى تملك سالب وفارقها الماضى فراق سليب

فاتصل الخبر بأمير المسلمين يوسف فبعث إليه من حينه وزيره أبا علي عمر بن السعود ، فسار في جيش عظيم حتى نزل به فحاصره هو والامير أبو علي منصور بن عبد الواحد فأقام الأمير أبو علي أياما ، ثم مرض فمات فمما رحمه الله ، ودفن بجامع تازة .

وفي شهر شوال من السنة المذكورة خرج أمير المسلمين يوسف من مدينة فاس الى حصار تازوطة ومعه عامر بن يحيى الوزير أخو عمر الثائر بها ، فضمن له اخراج أخيه عنها ، واستأنذه في الدخول إليه ، فأذن له فدخل الحصن وتكلم مع أخيه فيما أحب ، فأخذ عمر كل ماكان فيه من المال والمتاع ، فخرج به ليلا على حين غفلة من الناس وتوجه به الى تلمسان وأسلم الحصن لأخيه عامر ، فبلغ عامر أن أمير المسلمين يوسف عزم على قتله بآبن أخيه منصور ولافلات عمر أخيه الجاني عليه ، فتمسك بالحصن وامتنع من الهبوط وأقام به الى أن قدم الرئيس أبى سعيد بن اسماعيل ابن الأحمر صاحب مالقة بهدية من الأندلس الى أمير المسلمين يوسف راغبا في الصلح مع ابن الأحمر فنزل بأجفانه في مرسا غساسة ، فبعث إليه عامر ابن يحيى الوزير وسأله أن يشفع له عند أمير

المسلمين يوسف فشفع له فأظهر له أمير المسلمين الاسعاف بذلك فله يطمئن عامر بنفسه وبعث بعض خدامه الى المرسا نهارا فطلع أكثرهم فر أجفان الرئيس ابي سعيد ليدخلوا فيها الى الأندلس ، وبقي عامر السرى جوف الليل ، فخرج من القلعة كأنه يريد التوجه الى المرسا ففر السرى تلمسان فخرجت الخيل فى أثره فركض فرسه فنجا وقبض على ولده ابر الخليل فقتل بفاس وصلب وأهبط رجاله من أجفان الرئيس ، فضربت أعناقهم وظفر بمن كان فى الحصن من المقاتلة فقتلوا عن الأخرم ، وحمل نسائهم وأولادهم الى رباط تازة فثقفوا بها .

وفى هذه السنة قدم على أمير المسلمين وهو بتازوطة رومى جنوى من صاحب جنوة بهدية جليلة ، فيها شجرة مموهة بالذهب عليها أطيار تصوت بحركات هندسية مثل التى صنعت للمتوكل العباسي .

وفى هذه السنة رفع عن أولاد الأمير ابي بكر بن عبد الحق غدر ففروا الى تلمسان وأقاموا بها الى أن أذن لهم أمير المسلمين فى الرجوع فأقبلوا الى مدينة فاس فسمع بذلك الأمير أبو عامر وهو ببلاد الريف فجعل العيون عليهم فأتاه الجاسوس فأخبره بقدمهم ، فخرج الى الفتك بهم فوافقهم بصبرة (١٨٤) من بلاد ملوية ، فقتلهم ورجع الى المزمة ، وهو يرا أنه وافق غرض أبيه فى قتلهم ، فاتصل الخبير بأمر المسلمين يوسف فأظهر البراءة من فعل ولده ابي عامر وأبعده وأقصاه ، فلم يزل طريدا فى بلاد الريف وبلاد غمارة الى أن مات فى بلد بنى سعيد من بلاد غمارة ، وحمل الى مدينة فاس فدفن بها فى الزاوية التى بداخل باب الفتوح ، وذلك فى شهر ذي حجة من عام ثمانية وتسعين وستمئة وخلف ثلاثة من الولد ، وهم عامر وسليمان وداوود ، كفلهم جدهم أمير المسلمين يوسف الى أن مات فولي عامر الخلافة بعد جده ، ثم ولي سليمان بعد وفاة أخيه عامر ، وسيأتى ذكر أيامهما بعد ان شاء الله تعالا .

وفى شهر ذي القعدة من سنة احدا وتسعين المذكورة أعطا ابن الأحمر حصن الابط الى شانسو .

وفيهما أمر أمير المسلمين يوسف بعمل المولد وتعظيمه والاحتفال له فى جميع بلاده ، وذلك فى شهر ربيع الأول المبارك من السنة المذكورة ونفذ الأمر به عنه رحمه الله وهو بصيرة من بلاد الريف فى آخر شهر صفر من السنة المذكورة ، فوصل برسم اقامته بحضرة فاس الفقيه الخطيب أبو يحيى ابن أيوب (أبى الصبر) .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وستمئة فيها وفد على أمير المسلمين رسول ولد الرنك ملك برتغال ورسول ملك بيونة ورسول ملك تلمسان ورسول ملك تونس ، وذلك فى جمادا الأول من سنة اثنتين وتسعين المذكورة .

وفيهما فتح حصن تازوطة وذلك يوم الجمعة الحادي عشر لجمادا الأخرى من السنة المذكورة وانصرف إرسال ابن الأحمر ، وهم الرئيس أبو سعيد ، وأبو سلطان الراضي من حضرة أمير المسلمين يوسف بفاس الى الأندلس فى العشر الأوسط من رجب عام اثنين وتسعين المذكورة ، وخرج الأمير أبو عامر الى قصر المجاز برسم النظر فى أمر الأندلس يوم الاثنين الرابع والعشرين من رجب من السنة المذكورة ، وجاز السلطان أبو عبد الله ابن الأحمر برسم لقاء أمير المسلمين يوسف والاعتذار ايه عما فعل فى أمر طريف ويرغب منه فى نصرة بلاد الأندلس ، فخرج لساحل بلاد بليش من حوز مدينة سبنة ، ثم ارتحل الى طنجة وقدم بين يديه هدية عظيمة منها المصحف العزيز الذي كانت ملوك بنى أمية يتوارثونه بقصر قرطبة ، يقال أنه بخط أمير المومنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكان وصوله الى طنجة فى يوم السبت الثانى والعشرين لذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين المذكورة ، فتلقاها بها الأميران أبو عبد الرحمان يعقوب وأبو عامر ، وخرج أمير المسلمين برسم لقاءه من مدينة فاس ، وذلك بعد صلاة العصر من يوم الابعاء الثانى والعشرين لذي القعدة المذكورة ، وخرج معه جميع بنيه فتوفي ولده الأمير عبد المومن

فى طريقه ذلك ببلد ازاجن (١٨٥) وذلك يوم الأحد الموفى ثلاثين لذي القعدة ، وحمل الى مدينة فاس قدفن بالحصن الذي يقبله الجامع بالمدينة الجديدة ، ووصل أمير المسلمين يوسف الى طنجة ، فاجتمع بها مع ابن الأحمر فأراه من القبول فوق ما أمله ، وبالمخ فى بره واکرامه ، وأسعفه بجميع مطالبه ، ولم يعدد عليه شيئاً مما سلف منه ، وبذل له هدية عظيمة أضعاف ماقدم به ، وانصرف ابن الأحمر الى الأندلس وذلك يوم السبت الموفى عشرين لذي الحجة من السنة المذكورة .

وفى هاذه السنة بذل أمير المسلمين يوسف الى ابن الأحمر الجزيرة ورندة وماوالاهما من الحصون مثل حصن يامننت وابدونة ورنش والصخيرات وبيغ والقار ونشيط وقردلة ومشغور وطيط وحصن المدور والشيطيل والطشاش وابن الدليل واسطبونة ومجلوش وشمينة والنجور وتنبول ووادير وقمارش .

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين فيها جاز جيش أمير المسلمين يوسف مع وزيره ابى علي عمر بن السعود الى الأندلس لحصار مدينة طريف ، فنزل عليها وحاصرها مدة .

وفىها كانت المجاعة الشديدة بالمغرب والوباء العظيم ، فكان الناس يحملون من الموت اربعة وثلاثة واثنين على نعش ، وبلغ القمح فيها عشرة دراهم للمد والدقيق ستة أواقى بدرهم .

وفىها أمر أمير المسلمين يوسف بتبديل الصيعان وجمعها على مد النبي صلا الله عليه وسلم ، وذلك على يد الفقيه عبد العزيز المزوزي المكناسى .

ثم دخلت سنة أربع وتسعين فيها صلح أمر الناس وانجبرت أحوالهم ورخصت الأسعار فى جميع الأقطار ، فبيع القمح بعشرين درهما للصحفة ،

(185) لعلها أسجن التى ينطق بها أزجن أيضاً قرية ببطن بنى زكون من قبيلة رهونة بدائرة وزان .

والشعير بثمانية دراهم .

ثم دخلت سنة خمس وتسعين فيها خرج أمير المسلمين يوسف لغزو بلاد تلمسان ، فنزل بجانب حصن تاوريرت ، وكان نصفه لعثمان بن يغمراسن ونصفه لأمير المسلمين ، لأنه كان الحد بين بلادهما ، فطرد عنه عمال عثمان بن يغمراسن المذكور ، ثم أخذ في بناء الحصن فابتدأ ببناء سورته في أول يوم من شهر رمضان من سنة خمس وتسعين المذكورة ، ففرغ من تشييده وبنائه ، وركبت أبوابه مصفحة بالحديد وذلك يوم الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة ، فكان رحمه الله يصلى الصبح ثم يقف على بنائه بنفسه ، ثم رجع الى رباط تازة ، فعيد عيد الفطر على وادي ملوية بعد أن أسكن بحصن تاوريرت المذكور قبيل بني عسكر ، وقدم عليه أخاه الأمير أبا يحيى ابن أمير المسلمين يعقوب رحمه الله .

وفى سنة ست وتسعين وستمئة غزا أمير المسلمين يوسف بلاد تلمسان خرج اليها من حضرته بفاس فسار حتى نزل مدينة ندرومة فحاصرها وشد في قتالها أياما ثم ارتحل عنها فنزل على وجدة فأمر ببنائها فبنيت وحصنت أسوارها ، وبنى بها قسبة ودارا ومسجدا وحماما ، ونقل اليها قبيل بني عسكر مع أخيه الأمير أبى يحيى وأمره بالاغارة على مدينة تلمسان وأحوازها مع الساعات والأحيان ورجع الى مدينة فاس .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين فيها غزا أمير المسلمين يوسف أيضا مدينة تلمسان فنزل عليها وحاصرها .

وفيها نكب أمير المسلمين جماعة من خدلمه ، منهم عبد العزيز المزورزي الشاعر ، ومحمد الكنانى ، والفقير أبو يحيى ابن أيوب (أبى الصبر) وفيها قتل أشياخ مراکش عبد الكريم ابن عيسا وعلي بن محمد الهنتاتي قتلهم ولده الأمير علي المعروف بابن زيحة بكتاب لبس به عليه كاتب أبيه أحمد المليانى .

--
وفيها مات الأمير أبو زيان .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وستمئة فيها نزل أمير المسلمين يوسف مدينة تلمسان النزول الأخير الذي لم يقلع منه الا ميتا رحمه الله .

الخبر عن حصار تلمسان

حرسها الله تعالى

قال المؤلف عفا الله عنه :

كان أصل حصار تلمسان وفناء بني عبد الوادي ان ابن عطو لما فعل ما فعل وفر الى عثمان بن يغمراسن ملكها كتب اليه أمير المسلمين يوسف ان يسلمه اليه ، فامتنع من ذلك ، فغزاه بسببه ولم تزل العداوة تتركب بينهما الى ان غزاه ثانية فى شهر رجب من سنة سبع وتسعين ، فوصل الى تلمسان ، فخرج اليه عثمان ملكها فقاتله بخارجها فانهزم عثمان المذكور ودخل المدينة وسد أبوابها واعتمد فيها على الحصار ، فحاصره بها أياما ، ثم أقلع عنه ورجع الى مدينة فاس وترك أخاه الأمير أبا يحيى مع قبيلة بنى عسكر بمدينة وجدة ، وأمره بحرب تلمسان وأحوازها وندرومة وماوالاها ، فكان لايرفع عنها يدا بالغارات ، فضاق أهل ندرومة بذلك ذرعا ، فأقبل أشياخها الى الأمير أبى يحيى فبايعوه وطلبوا منه الأمان ، فأمنهم ومكنوه من البلد فقبضه وبعث بالفتح والأشياخ الى أخيه أمير المسلمين يوسف ، فوصلوا الى مدينة فاس فبايعوه بها وذلك يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر رجب سنة ثمان وتسعين وستمئة وسأله التوجه الى بلادهم ليريحهم من عدوهم ، فاتحل من فوره الى مدينة تلمسان فنزلها فى شهر شعبان من السنة المذكورة ، وكان نزوله عليها فى يوم الثلاثاء وقت الضحا ثاني يوم من شعبان المذكور ، فملك ندرومة وهنين ووهران وتاوانت ومزغران ومستغانم وتنس وشرشال وبرشك والبطحاء ومارونة وونشريس ومليانة والقصبات والمدية وتازجدت ، وجميع بلاد بنى عبد الوادي وبلاد تجين وبلاد مغراوة ، وبيايعه صاحب الجزائر ،

وفدت عليه رسل أمير تونس بالهدايا ، وخدمه أهل بجاية وقسنطينة وهو مع ذلك محاصر مدينة تلمسان ، وقد أحذفت بها محلاته وجيوشه ، ورتب قواده لقتالها ، فكانوا يخرجون إليها فى كل يوم مناوبة الى ان دخل فصل الشتاء ، فابتدأ أمير المسلمين ببناء قصره فبناه فى موضع نزوله حيث ضرب قبابه ، ثم بنا جامعا كبيرا ، وأقام فيه الخطبة بازاء قصره ، وأمر الناس بالبناء فانتشر الناس فى البنيان بالمحلة يمينا وشمالا ، فأدار السور على قصره وعلى الجامع الذي بازائه .

وفى سنة اثنتين وسبعمئة أمر أمير المسلمين يوسف ببناء السور الأعظم على تلمسان الجديدة ، فابتدأ ببنائه فى الخامس من شوال من سنة اثنتين وسبعمئة المذكورة ، وتوفي عثمان بن يغمراسن فى الحصار قولي بعده ولده محمد المكنى بأبى زيان فضبط بلده وقام بأمره .

وفى سنة احدا وسبعمئة توفي ملك الأندلس أبو عبد الله ابن الأحمر ، وولي بعده ولده محمد الخلوع ، فكتب بالبيعة الى أمير المسلمين يوسف ، وبعث اليه بهدية عظيمة ، وتوفي الأمير أبو عبد الرحمن بتلمسان الجديدة فحمل الى رباط تازة فدفن بصحن جامعها ، ووفد على أمير المسلمين يوسف وهو محاصر لمدينة تلمسان وقد أهل الحجاز ورسل الملك الناصر صاحب مصر والشام بهدية عظيمة ، ووفد عليه رسل ملك أفريقية بهدايا جليلة ، وينا تلمسان الجديدة وهذبها ، وينا بها الحمامات العظيمة والفنادق والمرستانات وجامعا كبيرا للخطبة أقامه على الصهرج الكبير ، وينا به منارا عظيما وجعل على رأسه تقافيج من ذهب بسبعمئة دينار ، وأمر صلحاء المغرب بالمشي الى الحجاز ، وبعث معهم مصحفيا مكللا بالجواهر والياقوت أهدها الى الكعبة ، وبعث أموالا كثيرة برسم التفريق على أهل مكة والمدينة ، وبعث الى الملك الناصر بأربعمئة جواد من عتاق الخيل بجهازاتها برسم الجهاد وغير ذلك من النفائس والذخائر، وأضعف أهل تلمسان بشدة الحصار حتى أشرفوا على الهلاك ، وبلغه هناك غدر أهل الأندلس بأهل سبته فى السابع والعشرين من شهر شوال من سنة خمس وسبعمئة ، وكان قد فسد حال أهلها عند أمير المسلمين

يوسف وقطع عنهم جميع المرافق ، وغدر بها الرئيس أبو سعيد فدخلها وملكها وثقف بها بنى العزفى وحملهم الى الأندلس ، واحتوا على جميع أموالهم ، فاتصل الخبر بأمير المسلمين يوسف وأن الرئيس أبنا سعيد قد تملك سبئة بدعوة المخلوع ، فعظم عليه الأمر وبعث ولده الأمير ابراهيم فى جيش عظيم الى حصارها ، وحشد اليها جميع قبائل الريف وبلاد تازة فلم يغن بها شيئاً ، وأقلع عنها مهزوما ، فهجره لذلك والده أمير المسلمين فبقي مهملًا ، وقتل أمير المسلمين يوسف غيلة بقصره من حضرة تلمسان الجديدة فى يوم الأربعاء السابع لذي القعدة من سنة ست وسبعمئة ، وجأ فى بطنه وهو نائم خصي من فتياه اسمه (للسعادة) كان لأبى علي المليانى ، فتوفي من تلك الضربة قريبًا من عصر ذلك اليوم ، فحمل الى رباط شالة (١٨٦) من رباط الفتح ودفن به ، والبقاء لله وحده .

(١٨٦) شالة : اسم حاضرة مغربية عتيقة وافعة على نهر أبى رقران غير بعيدة عن مصبه فى المحيط الأطلسى حيث المدينتان التاريخيتان : الرباط وسلا ، كانت فى الأصل قرية بربرية وأنشأ بها القرطاجيون متجراً عرف فى عهدهم باسم سلفيس . ثم احتلها الرومان وسموها سلا - كولونيا ، وكانت فى نهاية ما امتد اليه نفوذهم وانسط عليه حكمهم من أرض المغرب الأقصى ، واستمرت شالة مستعمرة رومانية مدة تقرب من خمسمئة عام الى أن ضعف أمر الرومان فتهورت وخربت ، يقال ان الواندال هم الذين خربوها وذلك غير صحيح لان أقدامهم لم تطأ المغرب الأقصى ، ولما فتح عقبة بن نافع المغرب أسلم أهلها على يديه ثم ارتدوا بعد استشهاده فى تهودة الى أن أسلموا مرة ثانية على يد موسى بن نصير ، فتحها الامام ادريس وتداول أبنائه ملكها من بعده الى أن انتزعها منهم موسى ابن أبى العافية سنة 3١7 هـ وفى أواخر القرن الرابع الهجرى صارت عاصمة لليفرنيين ، وخربت بعد ذلك خلال الحروب التى جرت بين برعواطة والمرابطين ، وفى هذا التاريخ زارها الشريف الادريسي الجغرافى المغربى الشهير ، ووصفها بأنها حراب وبها بقايا بنيان وهياكل سامية ، ولا أسس الموحدون الرباط أفقرت شالة لما انتقل اليه أهلها وحرفها وصنائها ، وحاول المرينيون بعدهم تجديد بنائها فسوروها وبنوا بها مدارس ومساجد واتخذوها مدفناً لملوكهم وأعيانهم . ولكن ذلك لم يعد اليها الحياة ، وقد بدأ العمل فى أوز هذا القرن فى رفع أنقاضها وترميم آثارها ثم توقف ليستأنف فى السنين الأخيرة .

الخبر عن دولة أمير المسلمين عامر

ابن الأمير عبد الله بن أمير المسلمين يوسف

هو أمير المسلمين عامر ابن الأمير عبد الله ابن أمير المسلمين يوسف ابن أمير المسلمين يعقوب ابن عبد الحق .
كنيته أبو ثابت .

أمه حرة اسمها بزوا بنت عثمان بن محمد بن عبد الحق .
مولده في غرة رجب من سنة ثلاث وثمانين وستمئة .

أيامه ببيع بعد وفاة جده بحضرة تلمسان الجديدة باجماع من الناس واتفاق من أشياخ مرين وأشياخ العرب على بيعته ، وذلك في صبيحة يوم الخميس الثامن من ذي القعدة عام ستة وسبعمئة ثاني يوم وفاة جده ، وتوفي رحمه الله بقصبة طنجة في يوم الأحد الثامن من شهر صفر من سنة ثمان وسبعمئة ، فأيامه سنة واحدة وثلاثة أشهر ويوم واحد ، وسنه يوم توفي أربع وعشرون سنة وسبعة أشهر عدا أسبوع .
وزرأوه : ابراهيم بن عبد الجليل الونجاسي ، وابراهيم بن عيسا اليرناي .

كاتبه الضابط لأمره والقائم بأمر ملكه الفقيه عبد الله بن أبي مدين حاجبه فرج مولاد ، ثم عبد الله الزرهوني .
قاضيه الفقيه أبو غالب المغيلي .

لما ولي رحمه الله وتمت بيعته جمع أشياخ مرين والعرب ورؤساء الناس ، فاستشارهم في أمر تلمسان هل يقيم على حصارها أم يرذل عنها الى المغرب ؟ فكلهم أشار عليه بالرحيل والانصراف ، وقالوا له أدرك بلاد المغرب وسكنه فان عثمان بن علي بن أبي العلاء بسببة وقد سمع بموت جدك وخرج قاصدا الى مدينة فاس وقد دخل قصر كتامة ومدينة أصيلة ، وان الناس قد قنطوا في هاذة البلاد ولهم بها عن أولادهم وعيالاتهم أربع

عشرة سنة ، فسر الى بلادك حتى تؤمنها وتسكن جأش أهلها ، وبعد ذلك تنظر فيما تريده ان شاء الله تعالا ، فلما رأوا اجماع الناس على الرحيل بعث الى أبي زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن فصالحه وصرف عليه جميع البلاد التي كان أخذها جده لهم ، حاشا تلمسان الجديدة التي اختطها أمير المسلمين يوسف في أيام الحصار ، فانه اشترط عليه ان لايدخلها وأن يبقياها على حالها وأن يتعاهد مساجدها وقصورها بالاصلاح وما تحتاج اليه ، ومن أراد الاقامة بها من أهل المغرب فما لأحد عليه من سبيل ، فاشترط له ذلك كله (١٨٧) وبعث الى جيوش جده وجنوده ورماته وحصصه التي كانت متفرقة في بلاد المشرق تضبط ثغورها فأتوه وأسلموا البلاد الى أهلها ، وكتب الأوامر الى قواعد المغرب يخبرهم بوفاة جده وبيعته ، وقدم الى مدينة فاس ابن عمه الأمير أبا علي ابن الأمير عامر بن عبد الله بن أمير المسلمين يعقوب رحمه الله في جيش عظيم ، وأممره بضبطها وتسريح سجونها ورد مظالمها ، وتفريق الأموال على الخاصة والعامّة ، ففعل ذلك ، وقتل عم أبيه الأمير أبا يحيى ، ثم قتل عمه الأمير أبا سالم ابن أمير المسلمين يوسف ، وارتحل الى المغرب عن مدينة تلمسان في أمم لاتحصى ، وذلك في غرة ذى الحجة من سنة ست وسبعمئة ، فعيد عيد الأضحا بالطريق بين مدينة وجدة ومدينة تلمسان ، ثم ارتحل الى مدينة فاس فدخلها في المحرم من سنة سبع وسبعمئة ، فأقام بها الى السابع من رجب ، فاتصل به أن يوسف بن محمد ابن ابي عياد قائده على مدينة مراکش قد خرج عليه بها ودعا لنفسه وقتل عاملها الحاج المسعود ، فخرج الى حربه وقدم له بين يديه يوسف بن عيسا الحشمى ويعقوب ابن أزنك في جيش من خمسة آلاف فارس ، فالتقوا بعدوة وادي ام الربيع فهزموه فرجع الى مراکش مهزوما ، فقتل جمعا من الروم الذين بها وسبا ديارهم وخرج منها الى أغمات ، فلم يستقر بها ، ففر الى جبال هسكورة ،

(187) ما كاد الجيش المغربي ينسحب عن تلمسا حتى خرج العبد الواديين منها كأنما نشروا من القبور ، وكان أول شيء فعلوه تخريب تلمسان الجديدة في ظرف وجيز .

فنزل على مخلوف بن هنو من أشياخ الهسكرة دخيلا عليه ، فغدر بسه وثقفه بالحديد ودخل أمير المسلمين عامر حضرة مراکش فى غرة شعبان من سنة سبع المذكورة ، فسيق له يوسف بن محمد بن أبى عياد يرسف فى القيود ، فقتله بالسوط ثم قطع رأسه وبعث به الى مدينة فاس ، فطيف به فيها ، وقتل ممن كان معه ووازره على فعله نيفا على ستمئة رجل وعلق رؤوسهم من باب الرب أحد ابواب مدينة مراکش الى برج دارالحررة عزونة ، وقتل فى أغمات كذلك ، ثم خرج فى الخامس من شعبان المذكور الى بلاد تامزورت فنزل بها ، فبعث اليه السكسيوي وقبائل زكنة بالبيعة والهدية والضيافة ، وبعث قائده يعقوب ابن أزنك فى جيش من ثلاثة الاف فارس الى بلاد حاحة برسم قبائل زكنة ، ففروا بين يديه حتى دخلوا بلاد القبلة ، فكر راجعا الى بلاد تامزورت فوجد أمير المسلمين عامر ينتظره بها ، فأعلمه بهدنة البلاد وسكونها ، فارتحل أمير المسلمين الى مراکش ، وذلك يوم السبت مهل شهر رمضان المعظم من سنة سبع المذكورة ، فدخل لمراكش واقام بها الى الخامس عشر من رمضان المذكور ، وخرج الى رباط الفتح فاخذ على بلاد صنهاجة وجاز وادي أم الربيع من مجاز كتامة فى القوارب الكثيرة ، ثم ارتحل فى بلاد تامسنا ، فتلقتة بها وفود العرب من الخلط والعاصم وبنى جابر وغيرهم من بنى جوشم برسم السلام عليه والوداع له ، فلم يأذن لأحد منهم فى الانصراف ، وسار حتى نزل بظاهر مدينة أنفا ، ثم دعا بأشياخ العرب ، فثقف منهم ستين شيخا بسجن أنفا ، وضرب أعناق عشرين رجلا من اشرارهم الذين كانوا يقطعون الطريق بتلك الجهات وصلبهم على أسوار أنفا ، وارتحل الى رباط الفتح فدخلها فى اليوم السابع والعشرين من رمضان المعظم المذكور ، فعيد هنالك عيد الفطر وقتل به ثلاثين رجلا من اشرار العرب وفتاكهم وصلبهم على أسوار العدوتين ، وارتحل برسم عرب رياح الذين هم بأبى الطويل والجزائر وفحص أزغار (١٨٨) وذلك فى الخامس عشر من شوال من سنة سبع

وسبعمئة المذكورة ، فغزاهم وقتل منهم خلقا وسبا ذراريهم وأموالهم وارتحل الى مدينة فاس فدخلها فى نصف ذى القعدة من العام المذكور ، فأقام بها حتى عيد عيد الأضحا ، فخرج برسم حصار سبته ، وذلك فى رابع عشر ذى الحجة ، فسار حتى وصل قصر عبد الكريم ، فأقام عليه ثلاثة أيام حتى استوفت عليه قبائل مرين والعرب ورماة البلد ، وارتحل الى قلعة علودان ، فدخلها بالسيف ، ودخل قلعة دمنة ، فقتل الرجال وسبا النساء والذرية والأموال ، وسبب فعله ذلك بهم أنهم كانوا قد بايعوا عثمان ابن أبى العلاء ودلوه على الطريق وجوزوه على بلادهم وبالغوا فى تضييفه وإكرامه ، ودخلوا قصر عبد الكريم وبلد أصيلة ونهبوا كثيرا من أموالهما ، ولما فرغ من أهل جبل علودان ارتحل فدخل مدينة طنجة فى أول المحرم عام ثمانية وسبعمئة ، ثم أخذ فى بعث الجيوش الى أحواز سبته ، وشرع فى بناء مدينة تطوان وبعث الفقيه أبا يحيى ابن أيوب (أبى الصبر) رسولا الى ابن الأحمر يطلب منه ان يتخلا له عن سبته ، وأقام هو بقصبة طنجة ينتظر ما يأتى به رسوله ، فعاجله الموت ، فتوفي بها فى يوم الأحد الثامن من شهر صفر سنة ثمان وسبعمئة المذكورة ، وحمل الى شالة من رباط الفتاح ، فدفن بها مع سلفه رحمهم الله ورضي عنهم ، فولى بعده أخوه سليمان ابن الأمير عبد الله .

الخبر عن دولة أمير المسلمين سليمان

ابن الأمير عبد الله ابن أمير المسلمين يوسف

هو الأمير سليمان ابن الأمير عبد الله ابن أمير المسلمين يوسف

ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق .

كنيته : أبو الربيع .

أمه : أم ولد مولدة من تالد العرب اسمها زيانة .

كاتبه : كاتب أخيه الفقيه عبد الله ابن أبى مدين ، وهو المدير لدولته الى أن قتله ، فاستكتب مكانه أخاه الحاج الفقيه محمد ابن أبى مدين وزراؤه : ابراهيم بن عيسا اليباني ، وعبد الرحمان بن يعقوب الوطاسي .

بُوع له بقصبة طنجة بإدارة كاتب أخيه ووزرائه ، وذلك يوم الاثنين التاسع من شهر صفر سنة ثمان وسبعمئة ، وسنه يوم بوع تسع عشرة سنة وأربعة أشهر ، فتقف عمه علي المعروف بابن أبى زريحة ، فانه كان قد دعا لنفسه وبإيعه كثير من الناس ، فقبض عليه وثقفه وبعث الى من فى محلة تطوان الذين كانوا بها فأقبلوا اليه ، ففرق الأموال فى قبائل بني مَرين والعرب والأندلس والأغزاز والرماة ، وارتحل الى مدينة فاس، فخرج ابن أبى العلاء من سبتة فى جمع عظيم من رجاله وبنيه وأخوانه ليضرب على محلته ليلا ، فأخبر بذلك أمير المؤمنين سليمان ، فارتحل تلك الليلة فى نصف الليل فالتقا به وهو راحل ، فكانت بينهما حروب شديدة فر فيها ابن أبى العلاء وأسر ولده وجماعة من عسكره وقتل الآخرون وسار أمير المسلمين سليمان الى مدينة فاس فدخلها فى اليوم الحادي عشر من ربيع الاول من سنة ثمان المذكورة ، فأقام بها مولد النبي صلا الله عليه وسلم وفرق الأموال وتهدنت البلاد واستقامت له الأحوال وخدمته الملوك ، وجدد الصلح مع أصحاب تلمسان .

وفى آخر يوم من ذي القعدة قتل أمير المؤمنين سليمان كاتبه القائم بأمره الفقيه عبد الله ابن أبى مدين فكانت أيام كتابته له وقيامه بأمره تسعة أشهر وواحدا وعشرين يوما .

وفى غرة ذي الحجة من سنة ثمان المذكورة بعث أمير المسلمين سليمان قائده تاشفين بن يعقوب الوطاسي الى حصار سبتة ، فسار اليها فى جيش عظيم من بني مَرين ففتحها عنوة بأمر أشياخها وموافقة عامتها، فانهم كرهوا امارة أهل الأندلس عليهم ، وكان فتحها يوم الاثنين العاشر من صفر سنة تسع وسبعمئة ، وكتب تاشفين بالفتح الى أمير المسلمين

سليمان ، وبعث اليه بأشياخها وقبض على قائدها متولى حربها الشيخ
ابى علي عمر بن رحو بن عبد الحق .

وفى شهر جمادا الأول فى أول يوم منه عزل أمير المسلمين قاضيه
أبا غالب المغيلي عن قضاء مدينة فاس ، وقدم على قضائها الفقيه المشاور
أبا الحسن علي المعروف بالصغير (١٨٩) .

وفى شهر جمادا المذكور صالح أمير المسلمين سليمان ابن الأحمر
على أن أعطاه الجزيرة الخضراء ورندة وأحوازهما ، وطلب منه العروسة
أخت ابن الأحمر فأنعم له بذلك كله ، وبعث اليه الأموال والخيل برسوم
الجهاد مع ثقته عثمان بن عيسا اليرنيانى .

ثم دخلت سنة عشر وسبعمئة فى شهر جمادا الأول منها هرب وزيره
عبد الرحمان بن يعقوب اللوطاسى وابن رحو وقائد الروم غنصالو الى
رباط تازة ، وكانوا قد اتفقوا مع جماعة من بنى مرين على خلع سليمان
وتولية عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق ، ولما استقروا برباط
تازة بعثوا الى عبد الحق فاتاهم فبايعوه وتسموا بأمير المسلمين وأخذ فى
جمع الجيوش ، وكتب الى خاصته من بنى مرين والعرب والأشياخ يدعومهم
الى بيعته ، فاتصل الخبر بأمير المسلمين سليمان فخرج نحوه الى رباط
تازة ، وقدم بين يديه يوسف بن عيسا الحشمى وعمر بن موسى الفودودى
فى جيش كثيف من بنى مرين ، وسار هو فى أثرهم ، فلما اتصل خبر
قدومه بعبد الحق القائم وابن رحو وابن يعقوب علموا أن ما لهم بحربه
من طاقة ، وكانوا يظنون أنه لا يخرج اليهم ، ففروا ليلا عن رباط تازة
وساروا الى تلمسان ، ثم جازوا منها الى الأندلس ، فدخل أمير المسلمين
سليمان رباط تازة ، فقتل فيها ناسا ممن كان بايع عبد الحق وتابعه على
أمره ، وأقام بها فاعتراه مرض ونفذ الأجل ، فتوفي بها ليلة الأربعاء بين
العشاءين منسلخ جمادا الآخر من سنة عشر وسبعمئة المذكورة (٢٢)

(189) على بن عبد الحق الزرويلى ، المعروف بابى الحسن الصغير ، ينظر عنه جدوة

نوفمبر سنة (١٣١١ م) ، ودفن في ليلته تلك بصحن جامعها ، فكانت أيامه سنتين وخمسة أشهر ، وكانت كلها غالية ، لم يزل السعر بها مرتفعا ، الا أنها كانت ممعشة ، وغلت في أيامه الاملاك فبيعت الدار في أيامه بألف دينار ذهباً ، واتخذ الناس في أيامه الدواب والكسا والحلي ، وتائقوا في في البنيان بالزليج والرخام والنقوش .

قال المؤلف عفا الله عنه :

بل كان هروب الوزير ابن يعقوب وابن رحو وغيرهما من حضرة فاس يوم السبت الثالث والعشرين من ربيع الثاني من سنة عشر وسبعمئة المذكورة خلافا لما نلقتهاه عن البعض والله أعلم .

الخبر عن دولة ملك الزمان ، وسراج الأوان

الامام السعيد ، والخليفة الرشيد ، أمير المسلمين أبي سعيد عثمان

هو الخليفة في وقتنا هذا ، وهو سنة ست وعشرين وسبعمئة ، أطال الله أيامه ، وخذل ملكه ونصر أعلامه ، وأمضا في الأعادي سيوفه وأقلامه ، وهو عثمان أمير المسلمين المنصور بالله ، ابن أمير المسلمين المنصور بالله القائم بالحق ، يعقوب بن عبد الحق .

كنيته : أبو سعيد

لقبه : السعيد بفضل الله .

أمه : حرة اسمها عائشة بنت أمير عرب الخلط أبي عطية مهلهل بن يحيى الخلطي .

مولده : يوم الجمعة التاسع والعشرين لجمادا الأخرى من سنة خمس وسبعين وستمئة (٨ دجنبر سنة ١٢٧٦ م) .

صفته : أبيض اللون أزهره ، معتدل القد ، مليح الوجه ، جميل الصورة ، حسن القبول ، وطيم الأكتاف ، لم يزل متواضعا في ذات الله

تعالا ، شديدا فى حدود الله تعالا ، شقيقا رفيقا جوادا كريما ، متوقفا فى سفك النماء ، ذا أناة ودهاء وسياسة وعقل ، وهو أحد السواس من الملوك ، اذا أعطا أغنا ، واذا قدر عفا ، لايقدر على عطائه أحد من الملوك وزرأؤه : فى أول دولته يوسف بن عيسا الحشمي ، وأبو علي عمر

ابن موسا بن عمران الفودودي ، ثم توفي فاستوزر بعدهما أبا عبد الله ابن أبى بكر بن علي ، وابراهيم بن عيسا اليرينائى .

كتابه : الحاج الفقيه محمد بن أبى مدين ، ومنديل الكنانى ، ثم توفي فكتب له بعدهما الفقيه الأجل ، الكاتب الأبرع الأحفل ، عبد المهيم ابن الفقيه العالم الأوحد المشاور المجتهد القاضى الأعلل محمد الحضرمي ، والفقيه الكاتب صالح ابن حجاج ، والفقيه الكاتب أحمد ابن القواق .

قضاته الفقيه القاضي أبو عمران الزرهونى ، ثم الفقيه الأجل العالم الأوحد المشاور المجتهد قاضى الجماعة محمد ابن الشيخ الفقيه العالم المحدث المجتهد الصالح الورع المبارك قاضى الجماعة أبى الحسن بن أبى بكر المليلى .

أطبأؤه : أبو عبد الله ابن الغليظ الاشبيلى ، ثم ولده الوزير أبو الحسن ، والوزير أبو محمد غالب الشقوري .

بويغ له بالخلافة ليلة الأربعاء منسلخ جمادا الاخرا من سنة عشر وسبعمئة بقصبة رباط تازة ، بايعه الوزراء والكتاب والاشياخ والخاصة، وكتب الأوامر فى تلك الليلة وصرف بها البريد للبلاد يخبر بوفاة سليمان وبيعته ، وبعث ولده الأمير الأجل ، المبارك الأسعد الاكمل ، أبا الحسن علي الى مدينة فاس ، فوصلها فى وقت العصر من يوم الأربعاء غرة شهر رجب من سنة عشر وسبعمئة المذكورة (٢٤ نونبر سنة ١٢١١ م) ، فدخل المدينة الجديدة دار ملكهم وقرار سلطانهم ، فملكها وضبط أمرها ، وحاز القصر وبيوت الأموال والخزائن والسلاح ، وأمر بضرب الطبول وعمل المفرحات ، ولما أصبح أمير المسلمين يوم الأربعاء غرة رجب المذكور ركب من قصر رباط تازة الى خارج المدينة فى زي عجيب ، واحتفال عظيم ،

فجددت له البيعة هنالك ، وبايعه جميع قبائل مرين وكافة العربب والأندلس والاعزاز وقواد الروم ، ثم بايعه الفقهاء والقضاة والخطباء والصلحاء وأشياخ المدينة ببيعة عامة من جميع الناس عن رضا من قلوبهم وطيب من نفوسهم اختيارا له على من سواه ، وذلك لما جمع الله عز وجل فيه من الخلال السنية ، والأخلاق السرية المرضية ، والشيم المحمودة ، والمناثر الجميلة المشهودة ، والحزم والدين ، والشفقة على جميع المسلمين ، والفضائل الواغية ، والسياسة الشافية التى لاتصلح الخلافة الا بها ، فكان كما قيل :

أنته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها

ولما تمت له البيعة واستقام له الأمر فرق الأموال على قبائل بنى مرين والعرب والأجناد ، ووصل الفقهاء والصلحاء ، وأحسن الى الخاصة والعامه ، وجلس للنظر فى أمور بلاده ورعيته ، وباشرها بنفسه فرفع المظالم عن الناس وحط المغارم ، وسرح أهل السجون الا أهل الفساد فى الأرض منهم وأصحاب الدماء ومن حبس فى حق شرعى ، وأمر بتفريق الصدقات فى الضعفاء وأهل الستر من البيوتات ، ورفع عن أهل مدينة فاس ماكان يلزم رباعهم من الوظائف المخزنية فى كل سنة ، فصلح حال الناس فى أيامه وكثرت الخيرات فى أيديهم ، فالأيام بدولته مشرقة ، والخيرات بها متتابعة متسقة ، والرعية بحمد الله بها فى جنات ذات منزل رحب ، ومشرب عذب ، وظل ظليل ، وحرز كفيل ، وخير كامل ، وصلح شامل ، فلياليهم مشرقة بواسم ، وأيامهم أعياد ومواسم ، وذلك بيمن خلافة أمير المسلمين وبركة امامته التى اتخذ الحق فيها امامه ، ومثك يده زمامه ، وأجرا عليه فى القوي والضعيف أعماله وأحكامه ، ورفع لدعوة المظلوم حجابيه ، وفتح على الضعفاء بالخير بابيه ، ووطأ الرعية بالحلم أكنافه ، وأفاض عليهم عدله وبذل انصافه ، أطال الله عمره وخذ ملكه .
وفى العشر الاواخر من شهر رجب خرج أمير المسلمين أبو سعيد

عثمان من رباط تازة الى مدينة فاس ، فدخلها وقدمت عليه وفود البلاد بها وفقهاؤها وقضاتها واشيائها للسلام والتهنئة بالخلافة ، فاقام بمدينة فاس وعيد بها عيد الفطر .

وفى شهر ذي القعدة خرج أمير المسلمين عثمان من مدينة فاس الى رباط الفتح يرسم التفقد لأمر رعيته والنظر فى احوال بلاد الأندلس وانشاء الأجفان لغزو العدو ، فوصلوها فى اخر ذي القعدة (الثلاثاء ٢٠ ابريل سنة ١٣١٢ م) فعيد بها عيد الأضحى وأصلح احوالها وأمر بانشاء الأجفان فى بحرها ، ورجع الى مدينة فاس .

وفى سنة احدا عشرة وسبعمئة ولا أمير المسلمين عثمان أخاه الأمير يعيىش الجزيرة ورندة وأحوازهما من بلاد الأندلس ، وأمر بانشاء الأجفان بدار صناعة مدينة سلا يرسم غزو الروم ، وكان بهانه السنة قحط ، فاستسقا الناس له ، فخرج أمير المسلمين عثمان الى اقامة سنة الاستسقاء ، فمشى على قدميه حتى وصل المصلا والفقهاء والصلحاء والقراء بين يديه بالذكر ، كل ذلك خضوعا لله تعالا وتواضعا لجلاله واقامة لسنة نبينا محمد صلا الله عليه وسلم ، وقدم بين يدي نجواه الصدقات ، وفرق الأموال فى ذوي الحاجات ، وكان خروجه للاستسقاء المذكور فى يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان المكرم من سنة احدا عشرة وسبعمئة المذكورة (٥ يناير سنة ١٣١٢ م) ، ثم سار فى يوم السبت السابع والعشرين من شعبان المذكور فى جميع جيوشه حتى وصل الى جبل الكندرتين لزيارة قبر الشيخ الصالح أبى يعقوب الأشقر (١٩٠) نفع الله به ، فدعا الله تعالا هنالك ، فقبل المولا دعاءه ، ورحمه ورحم بلاده ، وأغاث عباده ، ولم يرجع من هنالك الا بالمطر العام بجميع البلاد . ولم يزل أمير المسلمين أبو سعيد عثمان أطل الله أيامه من أول

(190) هو يعقوب بن الأشقر البهلولى المنسوبة اليه حمة مولاى يعقوب قرب فاس توفى سنة 689 هـ والمعروف أن الجبل المدفون فيه يسا جبل بنى بهلول ، وقد سماه المؤلف هنا جبل الكندر ، وسماه فى محل آخر يأتى جبل الكندرتين . فاثرتنا التسمية الثانية حتى لا يلبس بجبل كندر الواقع جنوبى فاس حيث مصطفى موزار الحال .

خلافته الى الآن يعود المرضا ويشهد جنازات الصلحاء ويعطي الشرفاء والفقهاء والصلحاء فى كل سنة الأموال والخلع والزرع وجميع ما يحتاجون اليه .

وفى سنة ثلاث عشرة وسبعمئة خرج على أمير المسلمين عدي بن هو الهسكوري ببلاد هسكورة ، فخرج اليه أمير المسلمين حتى نزل على قلعتة ، فأمكن الله تعالا منه ، فدخل بلده ونهبت أمواله وثقف فى الحديد وقدمه بين يديه موثقا مغلولا الى مدينة فاس فثقفه بها .

وفى سنة أربع عشرة وسبعمئة خرج أمير المسلمين أبو سعيد عثمان من مدينة فاس الى غزو تلمسان ، فسار حتى وصل وادي ملوية (١٩١) فى أمم لاتبصا وجيوش عظيمة لايعلم لها عدد ، فقدم بين يديه ولديه الأميرين أبا الحسن علي وأبا علي عمر بمحلتها وجيوشهما ، وسار هو بمحلته خلفهما فى بلاد يغمراسن يأكلون زروعها وينهبون أموالها ويقتلون حماتها ، فسار حتى وصل مدينة وجدة فزلها وقاتلها قتالا شديدا ، ثم ارتحل عنها نحو تلمسان حتى نزل بالمغرب ، فبعث ولده الأجل أبا الحسن علي حتى وقف على بابها ، فلم يخرج له أحد من بنى عبد الوادي ، ولا ظهر له أحد فى ذلك الوادي ، واعتمد أميرها موسى بن عثمان فيها على الحصار ، وترك بلاده ورعيته للدمار ، ولما هتك أمير المسلمين أبو سعيد عثمان جميع أحواز تلمسان وهتك جبال بنى يزناسن وفتح معاقلها رجع الى رباط تازة فأقام بها .

وفى سنة أربع عشرة وسبعمئة ، فى شهر ذي الحجة منها ، عقد أمير المسلمين لولده الأمير الأجل أبى علي عمر على بلاد القبلة ومدينة سجلماسة وبلاد درعة وما والا ذلك الى الصحراء ، وفوض له الأمر فى خراجها وجميع أمورها .

وفى هذه السنة ولا أمير المسلمين أبو سعيد القائد يحيى ابن الفقيه

(191) فى الأصل مدينة ملوية ، ولعلها خطأ من المؤلف أو من النسخين ، إلا أن يكون عنا بمدينة ملوية قرية كرسيف الحالية .

أبى طالب العزفى مدينة سبته وفوض له فى جميع أمورها وعقد له على
أسطولها .

وفى سنة خمس عشرة وسبعمئة أمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان
ببناء الباب أمام القنطرة من مدينة الجزيرة الخضراء ، ثم بعد ذلك أدار
الستارة بالمدينة المذكورة .

وفىها سار أمير المسلمين الى حضرة مراکش فأقام بها مدة حتى
أصلح أحوالها وعاد الى مدينة فاس .

وفى سنة ست عشرة وسبعمئة نزل القائد يحيى (ابن أبى طالب
العزفى) بجبل الفتاح وحاصره أياما حتى دخل ربهضه .

وفىها أفسد يحيى المذكور أجفان الروم ببحر الزقاق وقتل قائدها
جزماق ، وكان اذاية على المسلمين فروح الله منه .

وفى شوال من هاذه السنة ثار القائد يحيى العزفى بسبته وتمنع عن
الوصول الى حضرة أمير المسلمين أبى سعيد عثمان ، فبعث أمير المسلمين
الى حصاره وزيره ابراهيم بن عيسا اليرنيانى ، فسار اليه فى جيش عظيم
وحاصره مدة .

وفى سنة تسع عشرة وسبعمئة خرج أمير المسلمين أبو سعيد عثمان
من مدينة فاس الى طنجة برسم النظر فى أمر سبته وبلاد الأندلس .

وفىها أمر ببناء الجيوب فى رأس قبور الأغزاز فبنيت ، وأقام أمير
المسلمين بمدينة طنجة أياما ثم رجع الى مدينة فاس .

وفى شعبان من سنة عشرين وسبعمئة خرج أمير المسلمين الى
مراكش فأقام بها مدة حتى سكن أحوالها وتفقد أمورها وضبط ثغورها
واستخلف عليها كندوز ابن عثمان ورجع الى مدينة فاس فدخلها فى
الخر سنة عشرين .

وفى سنة احدا وعشرين وسبعمئة تحرك أمير المسلمين عثمان الى
رباط تازة فأقام به مدة من ثلاثة أشهر ، وأمر ببناء حصن تاوريرت

وشحنه بالرجال والرماة والخيل ، وفي هاذه السنة أمر ببناء سور مدينة كرسيف .

وفي ربيع الثاني من سنة اثنتين وعشرين وسبعمئة خرج أمير المسلمين الى مراكش فوصلها وأقام بها مدة حتى سكن أحوالها وهدن انحاءها وضبط ثغورها ورجع الى مدينة فاس .

وفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة كان القحط الشديد بالمغرب فاستسقا الناس وخرج أيضا أمير المسلمين الى اقامة سنة الاستسقاء ، وقدم بين يديه الصدقات .

وفي سنة أربع وعشرين وسبعمئة وصدر من سنة خمس وعشرين كانت المجاعة بالمغرب ، وارتفع السعر فى جميع البلاد ، وغلت الأسعار فى جميع الامصار ، فوصلت صحيفة القمح تسعين دينارا ، ومد القمح خمسة عشر درهما ، والدقيق أربع أواقى بدرهم ، واللحم خمس أواقى بدرهم ، والزيت أوقيتان بدرهم ، والعسل كذلك ، والسمن أوقية ونصف بدرهم ، وعدمت الخضر بأسرها ، دام ذلك من أول سنة أربع وعشرين الى شهر جمادا الأول من سنة خمس وعشرين ، فأغاث الله عز وجل بلاده ، ورحم عباده ، وصنع أمير المسلمين فى هاذه الشدة والمجاعة مع رعيته من الخير ما لا يقدر واحد على وصفه ، فتح لهم أهراء (١٩٢) الزرع وأخرجه للبيع ، فبيع أربعة دراهم للمد ، والناس يبيعونه بخمسة عشر درهما ، وأمر بالصدقات ، فلم يزل يفرقها بطول أيام الشدة ، يمر بها الثقات على حارات المدينة فيعطونها أهل التستر والبيوتات وذوي الفاقات والحاجات كل على قدر حاله وضعفه ، فكانوا يأخذونها من دينار ذهب الى ربع دينار ، ولم يزل من يوم ولايته الى الآن يأمر بالجباب والأكسية فى زمن الشتاء والقر للضعفاء والمساكين ، وأمر بمن مات من الغرباء أن يجهز ويكفن فى الثياب الجديدة ويقام بحق دفنهم أحسن قيام ، نفعه الله تعالا بفعله ، وأيقا على المسلمين أيامه بمنه وفضله ، أنه سميع مجيب

(192) جمع هرى : مخزن الزرع ونحوه ، والكلمة لاتينية معربة ، ما زالت مستعملة بهذا المعنى الى الآن فى عامية المغرب .

الخبر عن الأحداث التي كانت بالمغرب

من سنة ست وخمسين وستمئة إلى سنة ست وعشرين وسبعمئة

فى سنة ست وخمسين وستمئة بويح أمير المومنين يعقوب رحمه الله
بمدينة فاس .

وفى سنة ثمان وخمسين وستمئة غدر النصارا بمدينة سلا فدخلوها
بالسيف فكان بها الحادث العظيم وذلك ثانى يوم من شوال .

وفى سنة تسع وخمسين كانت وقعة أم الرجلين بين أمير المسلمين
يعقوب رحمه الله وجيش المرتضا .

وفى سنة احدا وستين وستمئة توفي الامير عبد الله ابن أمير
المسلمين يعقوب على مدينة مراكش .

وفيهما كان ظهور النجم أبى الذوائب ، وذلك يوم الثلاثاء الثانى
عشر من شعبان من السنة المذكورة ، وبقي يطلع كل ليلة فى وقت السحر
مدة من شهرين .

وفى هاذه السنة جاز المجاهدون من بنى مرين الى الأندلس برسم
الجهاد تطوعا ، وكان رئيسهم عامر ابن ادريس والحاج التاهرتي .

وفى سنة اثنتين وستين توفي أبو العلاء ابن طلحة عامل أمير
المسلمين على بلاد المغرب .

وفى سنة ثلاث وستين وستمئة هدم الفقيه العزفى سور مدينة أصيلة
وقصبتها .

وفى سنة أربع وستين وستمئة قدم أبو دبوس على أمير المسلمين
يعقوب بحضرة فاس مستنصرا به .

وفى سنة ست وستين وستمئة سرق بيت المال من قصبة مدينة
فاس ، سرق منه اثنا عشر ألف دينار وثلاثمئة قلادة .

وفى سنة ست وستين المتقدم ذكرها كانت غزاة أمير المسلمين يعقوب
ليغمراسن بن زيان بمدينة مليانة (١٩٣) فملكها .

وفى سنة سبع وستين وستمئة توفي الشيخ الصالح أبو مروان
الونجاسي بمدينة سبتة .

وفيها غزا أمير المسلمين محمد بن يحيى الخفصى الملقب بالمستنصر
ملك أفريقية عرب رياح فقتلهم وغنم أموالهم وسبوا نساءهم ورجع الى
تونس .

وفيها وصلت هدية المستنصر ملك أفريقية الى أمير المسلمين يعقوب
رحمه الله مع أبي زكرياء ابن صالح .

وفى شهر صفر من سنة ثمان وستين وستمئة دخل الروم مدينة
العرائش فقتلوا رجالها وسبوا نساءها وأموالها وأضرموها نارا وارتحلوا
عنها فى أجفانهم .

وفيها قتل طلحة بن علي يعقوب بن عبد الله .

وفى يوم عيد الأضحا منها ولد الأمير مسعود ابن أمير المسلمين
يوسف ابن أمير المسلمين يعقوب وتوفي بطنجة فى ذي الحجة سنة
اثنتين وتسعين .

وفى غرة محرم من سنة ثمان وستين وستمئة (السبت ٣١ غشت
سنة ١٢٦٩ م) ملك أمير المسلمين يعقوب حصن مراکش فدخلها .

وفى يوم الأربعاء بعد صلاة العصر وليلة الخميس الخامس
والعشرين لذي الحجة من سنة ثمان وستين وستمئة (١٩٤) نزل لؤيس

193) كذا بالأصل ، والحقيقة أن النصر الذى حققه يعقوب بن عبد الحق المرينى فى
السنة المشار إليها على خصمه يغمراسن بن زيان كان بوادى تلاغ القريب من قرية كرسيف
لا بمليانة التى لم يصل إليها يعقوب المرينى قط بعدها ، انظر ص 305 من هذا الكتاب .
194) كذا بالأصل ، والذى عند العلامة المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب الصمادى فى
خصلات تاريخ تونس أن نزول الفرنسيين بإطلال قرطاجنة وقع فى آخر ذى القعدة عام 668 (21)
يوليوز سنة 1270 م) .

التاسع الملقب بالمقديس ملك الافرنسيس الرومى مدينة تونس فى مراكب
لاتحصا فتنزلوا فى البر وملكوا حصن القعلة ، وهم فى أمم لايعلم لها عدد
ومددهم فى البحر متصل ، فكانت الروم فى أربعين الف فارس ، ورماتها
مئة ألف رام ، ورجالها مئة ألف راجل (١٩٥) .

وفى الخامس والعشرين من ربيع الثانى من سنة تسع وستين توفى
لويس التاسع ملك الافرنسيس المحاصر لتونس فأقلعوا عنها بسبب
وفاته (١٩٦) .

وفى سنة تسع وستين غزا أمير المسلمين يعقوب العرب ببلاد درعة .
وفىها نافق محمد ابن ادريس وموسا ابن رحو بجبل أمركو من
أحواز فحاصره به أمير المسلمين يعقوب ثلاثة أيام فأذعنوا للطاعة
فغفا عنهم .

وفى رجب من سنة سبعين وستمئة غزا أمير المسلمين يعقوب بلاد
يفمراسن بن زيان فهزمه بوادي ايسلى وفر الى تلمسان مهزوما فحاصره
بها مدة .

وفى سنة اثنتين وسبعين وستمئة فتح أمير المسلمين مدينة طنجة ،
وفىها نزل الأمير يوسف سبتة .

وفى سنة ثلاث وسبعين وستمئة فتح أمير المسلمين يعقوب مدينة
سجلماسة .

وفى ثالث شوال من سنة أربع وسبعين وستمئة (السبت ٢١ مارس
سنة ١٢٧٦ م) أسست المدينة الجديدة على وادي فاس .

وفى ثانى شوال المذكور قتل العامة من اليهود لعنهم الله بمدينة
فاس مايزيد على اثني عشر ألفا ، فكفهم أمير المسلمين عنهم .

(١95) هذه من مبالغات ابن أبى زرع ومؤرخى العصر الوسيط على العموم ، والمحقق
تاريخيا أن عدد جيش لويس التاسع النازل معه بتونس لم يتجاوز أربعين ألفا .
(١96) الذى عند الأستاذ المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب أن لويس التاسع توفى يوم
عاشوراء عام 669 هـ (3١ غشت ١270 م) .

- وفيها جاز أمير المسلمين الجواز الأول الى الأندلس برسم الجهاد .
- وفيها ملك من بلاد الاندلس الجزيرة الخضراء ومدينة طريف ورندة
- وفيها كانت غزاة دون نونيو دي لارا
- وفيها بنيت قسبة مكناسة .
- وفي سنة خمس وسبعين وستمئة جاز أمير المسلمين يعقوب الى
- الجهاد الجواز الثانى .
- وفيها توفي الرئيس عبد الله ابن أشقيلولة بمالقة .
- وفي ربيع الأول من سنة سبع وسبعين وستمئة نزلت افروطة الروم
- على الجزيرة الخضراء .
- وفيها وصلت هدية يحيا الوثائق ملك أفريقية .
- وفي شعبان منها غدر عمر بن علي عامل أمير المومنين على مالقة
- وباعها لابن الأحمر .
- وفي شوال منها نافق مسعود ابن كانون السفينانى .
- وفيها بني الجامع بالمدينة الجديدة .
- وفي سنة ثمان وسبعين أفسد المسلمون الأفروطة المحاصرة
- للجزيرة الخضراء .
- وفي سنة تسع وسبعين وستمئة توفي أبوزيان بن عبدالقوي التجينى .
- وفيها كان الجراد ببلاد المغرب ، أكل جميع زروعها فلم يترك بها
- مخضرا ، وفيها كانت المجاعة وصل القمح فيها عشرة دراهم للنصاع .
- وفيها علقت الثريا فى الجامع الجديد بفاس ، وذلك يوم السبت
- السابع والعشرين لربيع الأول من العام المذكور ووزنها سبعة قناطر
- وخمسة عشر رطلا ، وعدد كؤوسها مئة كأس وسبعة وثمانون كأسا .
- وفيها نزل الرئيس ابو الحسن ابن اشقيلولة وألفونسو العاشر
- مدينة غرناطة .

- وفى سنة ثمانين وستمئة غزا أمير المسلمين يعقوب يغمراسن بن زيان
فهزمه بالمعلب من أحواز تلمسان .
- وفيها توفي عبد الواحد السكسيوي الثائر بأحواز مراکش .
 - وفى شهر ذي القعدة بنيت قنطرة وادي النجاة وقنطرة ماريز .
 - وفيها توفي مسعود بن كانون السفيناني .
 - وفى سنة احدا وثمانين وستمئة توفي القائد الرنداحي بسببة .
- وفيهما جاز أمير المسلمين يعقوب الى الأندلس برسم الجهاد ، وهو
الجواز الثالث ، فاجتمع مع ألفونسو العاشر على صخرة عباد ، وأعطاه
ألفونسو تاجه رهنا فى مئة ألف دينار .
- وفيها هرب الملند الرومي من قصبية فاس .
- وفيهما دخل أحمد ابن مرزوق الشهير بابن أبى عمارة مدينة تونس
وذلك فى أول شهر ذي القعدة .
- وفيها قتل الأمير أبو اسحاق بالقرب من قسنطينة .
 - وفيها توفي يغمراسن بن زيان .
- وفى سنة اثنتين وثمانين وستمئة نزل أمير المسلمين يعقوب مالقة .
- وفى شهر محرم منها مات ألفونسو الأحول أخزاه الله (١٩٧) .
- وفى ربيع الثانى منها خرج أمير المسلمين من الجزيرة الخضراء
حتى جاز البرت وغزا أحواز طليطلة .
- وفيها توفي الأمير تاشفين بن عبد الواحد ببلاد الأندلس .
- وفى سنة ثلاث وثمانين وستمئة وصل ماء عين غبولة الى قصبية
رباط الفتح بأمر أمير المسلمين يعقوب على يد علي ابن الحاج المهندس .
- وفيها ملك ابن الأحمر حصن قمارش .

- وفيها مات ابن أبي عمارة بتونس فتولا أبو حفص (عمر ابن أبي
زكرياء يحيا الملقب بالمستنصر الثاني) .
- وفي العشر الأول من شعبان منها توفي الأمير عيسا بن عبد الواحد
على شريش بسهم مسموم .
- وفي السادس من شهر رمضان منها توفيت الحرة أم العز بنت محمد
ابن حازم برباط الفتح فدفت بشالة .
- وفي سنة أربع وثمانين وستمئة جاز أمير المسلمين يعقوب رحمه
الله الى الجهاد وهو الجواز الرابع
- وفي محرم من سنة خمس وثمانين وستمئة توفي أمير المسلمين
يعقوب رحمه الله .
- وفيها بنيت قصبة تطوان .
- وفيها عملت الناعورة الكبرى بوادي فاس ، بنىء بالعمل فيها فى
شهر رجب من سنة خمس وثمانين ودارت فى شهر صفر من سنة ست
وثمانين .
- وفي سنة ست وثمانين غزا أمير المسلمين يوسف العرب بقيلة بلاد
درعة .
- وفي شهر رمضان منها بني سور قصر المجاز وركبت أبوابه .
- وفيها غرست المصارة (١٩٨) وبنيت السدار البيضاء من البلاد
الجديدة .
- وفيها دخلت جزيرة ميورقة من بلاد شرق الأندلس دخلها انعدى
دمرد الله وذلك فى شهر ذي الحجة منها
- وفيها قتل طلحة بن محلى الثائر بسوس .
- وفي سنة سبع وثمانين فتح الملك المنصور صاحب الديار الصرية

مدينة طرابلس الشام .

وفيها أعطا أمير المسلمين يوسف وادي الأش وجميع أحوازها الى
ابن الأحمر .

وفيها توفي الرئيس أبو الحسن ابن اشقيلولة بقصر كتامة من
بلاد العدو .

وفيها أخرج الفقيه أبو حامد البقال عن قضاء مدينة فاس وولي القضاء
مكانه الخطيب محمد ابن أيوب (أبي الصبر) .

وفيها ثار الأمير أبو عامر بحضرة مراکش .

وفي سنة سبع وثمانين وستمئة غزا أمير المؤمنين يوسف مدينة
تلمسان وحاصرها ونصب عليها المجانيق .

وفي الآخر سبع وثمانين المذكورة كانت الريح الشرقية المتواليّة
والقحط الشديد ، وتوالا ذلك الى الآخر عام تسعين ، ولم ينزل مطر الى
شهر ابريل من سنة تسعين ، فحرث الناس عند ذلك وحصدوا ماحرثوه
من زرع عن أربعين يوما .

وفيها توفي الشيخ الفقيه أبو يعقوب الأشقر بالكندرتين من بلاد بني
بهلول (١٩٩) وانفسدت قطائع المسلمين في شعبان سنة تسعين .

ونزل علي بن يوسف بن يزكاتن مدينة شريش في عام تسعين .

وفي رمضان منها جاز أمير المسلمين يوسف برسم الجهاد ، فنزل
حصن يحيى ، وفيه بني جامع تازة ، وفيه نزل سانشو مدينة طريف
فحاصرها حتى ملكها في آخر شوال منه (عام ٦٩١ - الاثنين ١٣ اكتوبر
١٢٩٢ م) .

وفي فتح الملك الأشرف مدينة عكا .

- وفيه بنيت قبة مكناسة ورباعها .
- وفي شعبان منه نافقت تازوطة .
- وفيه أعطا ابن الأحمر الحصن الأبيض لسانشو الباسل .
- وفيه أمر أمير المسلمين يوسف بعمل المولد وتعظيمه في جميع بلاده .
- وفي سنة اثنتين وتسعين فتح حصن تازوطة .
- وفي سنة ثلاث وتسعين وستمئة فرغ من بناء جامع تازة ، وعملت الثريا بالجامع وزنتها اثنان وثلاثون قنطارا من النحاس ، وعدد كؤوسها خمسمئة كأس وأربعة عشر كأسا ، وأنفق في بناء الجامع وعمل الثريا من المال ثمانية آلاف دينار ذهبا .
- وفيها جاز ابن الأحمر الى العدو برسوم لقاء أمير المسلمين يوسف والاعتذار اليه مما صنعه في أمر طريف .
- وفيها كسفت الشمس فغاب ثلثا قرصها ، وذلك يوم الأحد قرب الزوال في التاسع والعشرين من رجب ، وصلا بالناس صلاة الكسوف الخطيب محمد بن أيوب (أبى الضبر) بجامع القرويين حتى انجلت ، فخرج من المحراب ولم يبق منه غير خمسة عشر رجلا من أهل العدالة وكانوا أربعة وتسعين ، وذلك يوم الاثنين الحادي عشر من شوال .
- وفيها توفي الأمير عبد المؤمن ابن أمير المسلمين .
- وفي سنة ثلاث وتسعين بعث أمير المسلمين يوسف وزيره ابن السعود فجاز الى الأندلس ونزل مدينة طريف .
- وفيها كانت المجاعة الشديدة والوباء العظيم بالمغرب وأفريقية ومصر ، هلك فيها خلق كثير وبلغ القمح فيها عشرة دراهم للمد والدقيق ست أواقى بدرهم .
- ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمئة فيها صلح أمر الناس ورخصت الأسعار ، وفيها كسف بالشمس الكسوف العظيم الذي غاب القرص كله ورجع النهار ليلا كما يكون بين العشائين ، بدت نيرات النجوم وعظم

الأمر لولا ماتدارك الله سبحانه بسرعة الانجلاء ، وذلك بعد صلاة الظهر من يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ذي الحجة من سنة أربع وتسعين المذكورة .

وفى سنة خمس وتسعين وستمئة بنا أمير المسلمين يوسف حصن تاويرت .

وفى سنة ست وتسعين وستمئة نزل مدينة ندرومة .
وفىها أمر ببناء وجدة .

وفى سنة سبع وتسعين وستمئة نزل أمير المسلمين يوسف مدينة تلمسان فأقام عليها أياما ورجع الى مدينة فاس .

وفىها قتل أشياخ مراکش عبد الكريم ابن عيسا ، وعلي ابن يحيى الهنتاى .

وفى سنة ثمان وتسعين وستمئة ملك أمير المسلمين يوسف مدينة ندرومة .

وفىها نزل مدينة تلمسان برسم الحصار لها وأن لا يرتحل عنها حتى يفتحها أو يموت دون ذلك .
وفىها فتح هنين وتاونت (٢٠٠) .

وفى سنة تسع وتسعين وستمئة فتح مدينة وهران ومستغانم وتنس ومليانة .

وفى سنة سبعمئة أسس مدينة تلمسان الجديدة وبنا سورها وحصنها وهو محاصر للقديمة .

وفىها فتح القصبات وبرشك ووشريس ومازوننه والبطحاء وتامزجدرت وبنا المسجد الجامع .

(200) تاونت : اسم حصن بقنة الجبل المثل على مرسا الغزوات ، وهنين اسم مرسا يقع الى الشرق منه ، ولا يزال الاسمان معروفين الى الآن .

وفى سنة احدا وسبعمئة مات محمد بن محمد بن يوسف ابن الأحمر
ملك الأندلس .

وفى شوال من سنة خمس وسبعمئة غدر الرئيس أبو سعيد مدينة
سبنة فملكها .

وفيهما وقد على أمير المسلمين أمراء الترك من بلاد مصر بالهدية .
وفى سنة ست وسبعمئة توفي أمير المسلمين يوسف رحمه الله وولي
بعده حفيده عامر بن عبد الله ابن أمير المسلمين .

- وفى سنة سبع وسبعمئة نافق يوسف بن محمد بمراكش .
- وفيها غزا أمير المسلمين أبو ثابت العرب بأبى طويل .
- وفيها غزا قلعة علودان وقلعة الدمنة من أحواز طنجة .

وفى سنة ثمان وسبعمئة فى صفر منها توفي أمير المسلمين أبو
ثابت بقصبة طنجة وولي أبو الربيع سليمان .

وفى صفر من سنة تسع وسبعمئة فتحت مدينة سبنة وملكها أمير
المسلمين أبو الربيع سليمان .

وفى جمادا الأول من سنة عشر قام عمر بن عثمان برباط تازة ودعا
لنفسه فلم يتم له أمر .

وفى منسلخ جمادا الأخرى منها توفي أمير المسلمين سليمان برباط
تازة وولي أمير المسلمين السعيد بفضل الله أبو سعيد عثمان ابن أمير
المسلمين يعقوب بن عبد الحق .

وفى يوم السبت السابع من شهر رمضان من سنة ست عشرة
وسبعمئة توفي الصالح الشيخ المبارك أبو عمران التسولى فدفن فى
قبلة مسجد الصابرين من داخل عدوة الأندلس .

وفى سنة عشرين وسبعمئة أمر أمير المسلمين أبو سعيد أيده الله
ببناء مدرسة بحضرته من فاس الجديد فبنيت أتقن بناء ، ورتب فيها
الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم ، وأجرا عليهم المرتبات

والمؤونة فى كل شهر ، وحبس عليها الرباع والمجاشر ، كئ ذلك ابتغاء وجه الله ورجاء مغفرته .

وفى سنة احدا وعشرين وسبعمئة أمر الأمير الأجل الموفق أبى الحسن علي ابن أمير المسلمين أبى سعيد عثمان ابن أمير المسلمين يعقوب ابن عبد الحق رضى الله عنه ببناء المدرسة غربى جامع الأندلس بفاس ، فبنيت على أتم بناء وأحسنه وأتقنه ، وبنا حولها سقاية ودار وضوء وفندقا لسكنا طلبة العلم ، وجلب الماء الى ذلك كله من عين بخارج باب الحديد من أبواب مدينة فاس ، وأنفق فى ذلك أموالا جليئة تزيد على مئة ألف دينار ، ورتب بها الفقهاء للتدريس ، وأسكنها بطلبة العلم وقرأ القرآن ، وأجرا عليهم الانفاق والكسوة وحبس عليها رباعا كثيرة نفعه الله بقصده .

وفى سادس عشر ذى القعدة من سنة اثنتين وعشرين وسبعمئة هبت ريح شديدة بمدينة مكناسة وفاس ورباط تازة وأحوازها استمر هبوبها يومين بليتيهما هدمت الديار وقلعت الأشجار ومنعت الأسفار وأقعدت من زيتون مكناسة وزيتون القرمدة شيئا كثيرا .

وفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة كانت أمطار عظيمة ببلاد المغرب وثلوج كثيرة فعدم فيها البياض (٢٠١) والحطب فبيع البياض بمدينة فاس بدرهمين للرطل .

وفى شهر محرم منها جرت العين الموالية للمشرق من عيون صنهاجة بدم عيبط من نصف وقت العصر الى ثلث الليل وعادت الى حالها .

وفى مهل شعبان منها أمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان أيداه الله ونصره ببناء المدرسة العظيمة بأزاء جامع القرويين شرفه الله تعالا بذكره، فبنيت على يد الشيخ المبارك عبد الله بن قاسم المزوار ، ووقف أمير

(201) الفهم من باب تسمية الشىء بضمه ولا يزال هذا الاطلاق شائعا على السنة العامة لاسيما بالارياض الى الآن .

المسلمين على تأسيسها ومعه الفقهاء والصلحاء حتى أسست وشرع في بنائها نفعه الله بذلك وأجزل ثوابه عليه ، فجاءت آية في الدهر لم بين مثلها ملك قبله ، وأجرا بها ماء العين الغزير ، ورتب فيها الفقهاء لتدريس العلم ، وأسكنها بالطلبة ، وقدم فيها اماما ومؤذنين وخدمة يقومون بأمرها وأجرا على الكل منهم المرتبات والمؤون ، واشترا الأملاك ووقفها عليها احتسابا لله تعالا ورجاء ثوابه .

وفى شهر جمادا الأول من السنة المذكورة احترق سوق العطارين الكبير من مدينة فاس ، فأمر أمير المسلمين أيده الله بينائه وتجديده ، فبني وجدد من باب المدرسة المذكورة الى رأس عقبة الجزارين ، وعمل عليه هناك بابا عظيما مصفحا بالحديد ، وبنا على رأسه سورا مشرقا ، فجاء كأنه باب مدينة ، وأسكن السوق المذكور بالعطارين من الباب المذكور الى المدرسة لا يشاركون فيه غيرهم .

وفيهما كان القحط واستسقا الناس وارتفع السعر وبدأت المجاعة . وفى سنة أربع وعشرين وسبعمئة كان الغلاء العظيم والمجاعة الشديدة بالمغرب .

وفى يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة بعد صلاة العصر منه نشأ بخارج مدينة فاس من جهة جوفها سحب وظلمة شديدة ورياح هائلة واعصار عظيم أعقب ذلك برد عظيم كبير الجرم ، زنة الحجر منه أربع أواقى وأقل وأكثر ، ونزل منه أمثال الجبال ، وفى خلاله مطر وابل ، فجاء منه السيول الطاغية ، فحملت الناس والدواب والمواشى والبقر والغنم والخيل والابل والدواوير ، وجاء وادى سد رواغ بسيل عظيم هلك فيه بشر كثير من الناس ما يزيد على مئة وخمسين نفسا ، وأهلك جميع ما بزalg (٢٠٢) من الكروم والزيتون والشجر .

وفى ليلة الجمعة السادس والعشرين من جمادا الأول من السنة

المعروفة بخمس وعشرين وسبعمئة موافق العاشر من مايو أتا سيل بوادي مدينة فاس أول الليل منها لم يعهد قبله مثله ، فهدم السور وحمل الشباك وخرب الجنات وقلع الأشجار العظيمة وهدم القناطر والديار وخرب جزاء ابن برقوقة ودور الرصيف وبعض دور برزخ (٢٠٢) وسوق الصباغيين وسوق الرصيف وهدم القنطرة الكبيرة التي عليها سوق باب السلسلة وهدم سوق الرميطة ، وكان جملة من هلك فيه من الناس المعروفين بأسمائهم دون من لم يعرف سبعمئة وثلاثين نفسا ، ومن الديار ألف دار ومئة دار ، ومن المساجد خمسة ، ومن الأرحاء ثمانية بيوت ، ومن الأفران اثنين ، ومن الحوانيت أربعة وتسعون حانوتا .

وفى شهر رجب من سنة خمس وعشرين وسبعمئة أمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان أيده الله تعالا ببناء القنطرة الكبرى التي عليها سوق باب السلسلة ، فبنيت وبنيت الحوانيت التي عليها من الجانبين ، وبني سوق الصباغيين ، فعادت أحسن مما كانت ، وجاءت آية فى الزمان نفعه الله بذلك وأجزل ثوابه .

وفىها أمر أمير المسلمين ببناء جامع جزاء ابن برقوقة وجامع السمارين فبنيا أتم بناء .

وفى سنة ست وعشرين وسبعمئة أمر أمير المسلمين أبو سعيد عثمان أيده الله تعالا ونصره ببناء القنطرة الأخر سوق الصباغيين ، فشرع فى بنائها يوم الأحد التاسع عشر لشعبان المكرم من السنة المذكورة ، نفعه الله تعالا بذلك وأبقا أيامه وخلد ملكه وأبده ، وأمتع ببقائه المسلمين وأسعده ، ولازال سعده متصلا وملكه فى ازدياد واعتلاء ، ماتعاقب الجديدان ، وأشرق النيران ، بمنه وطوله .

وصلا الله على سيدنا ومولانا محمد النبي المصطفى الكريم ، وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكا التسليم ، والحمد لله رب العالمين .

الفهارس (1)



- 1) فهرس موضوعات الكتاب
- 2) فهرس أسماء الرجال والنساء
- 3) فهرس أسماء الأجناس والقبائل والبطون والجماعات
- 4) فهرس أسماء الأقطار والبلاد والأمكنة
- 5) فهرس أسماء الكتب

I رتبت الفهارس ترتيب الألفبائية المغربية وهي : أ - ب - ج - د - هـ - ز - ح - خ - د - ذ - ر - ز - ط - ظ - ك - ك - ل - م - ن - ص - ض - ع - غ - ف - ف - ق - س - ش - هـ - و - ي -

فهرس موضوعات الكتاب

- هـ - هاذا الكتاب ٥
- ١٢ - مقدمة المؤلف
- الخبر عن ملوك المغرب من الأدارسة الحسينيين وتكر قيامهم
وبنيانهم مدينة فاس دار ملكهم وقرار سلطانهم رضي الله عنهم ١٥
- الخبر عن بيعة الامام ادريس الحسني رضي الله عنه ٢٠
- الخبر عن دولة الامام ادريس بن ادريس الحسني رضي الله عنه ٢٥
- الخبر عن بناء الامام ادريس بن ادريس رضي الله عنهما مدينة
فاس ، وتكر ماخصت به من الفضائل والمحاسن التي تفوق بها
جميع المغرب ٣٢
- الخبر عن دولة الأمير محمد ابن الامام ادريس بن ادريس الحسني
رضي الله عن جميعهم ٥١
- الخبر عن دولة الأمير علي بن محمد بن ادريس الحسني رحمهم
الله تعالا ورضي عنهم ٥٣
- الخبر عن دولة الأمير يحيى بن ادريس بن ادريس الحسني رحمهم
الله ٥٣
- الخبر عن جامع القرويين وصفته ، ومازيد فيه في كل زمان من
حين أسس إلى وقتنا هاذا وهو عام ٧٢٦ ٥٤
- الخبر عن بناء صومعة القرويين شرفها الله بذكره ٥٦
- الخبر عن خطباء القرويين في الدولة الموحدية والدولة المرينية
العبد الحقيبة اطالها الله وخلصها ٧١

- ٧٦ - جامع الأندلس
- ٧٨ - الخبر عن دولة الأمير علي بن عمر بن ادريس الحسني بمدينة فاس وأعمال المغرب
- ٧٩ - الخبر عن دولة الأمير يحيى بن القاسم بن ادريس الحسني المعروف بالمقدم
- ٨٠ - الخبر عن دولة الأمير يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس بن ادريس الحسني
- ٨٢ - الخبر عن دولة الأمير الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس ابن ادريس الحسني المعروف بالحجام
- ٨٣ - الخبر عن دولة موسى بن أبي العافية بفاس وكثير من أعمال المغرب
- ٨٧ - الخبر عن دولة الأمير القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس ابن ادريس الحسني الملقب بكنون
- ٨٧ - الخبر عن دولة الأمير أبي العيش أحمد بن القاسم كنون الحسني
- ٨٩ - الخبر عن دولة الأمير الحسن بن كنون
- ٩٦ - الخبر عن الأحداث التي كانت بالمغرب في أيامهم إلى انقضاءها
- ١٠٢ - الخبر عن دولة زفانة المغراويين واليفرنينين بالمغرب وقيام ملكهم
- ١٠٨ - الخبر عن دولة الأمير المعز بن زيدي بن عطية المغراوي بفاس وبلاد المغرب
- ١٠٩ - الخبر عن دولة الأمير حمامة بن المعز بن عطية الزناتى المغراوي
- ١٠٩ - الخبر عن دولة الأمير تميم اليفرنى بمدينة فاس وأعمالها وهي الدولة الأولى له بها

- ١١١ - الخبر عن دولة الأمير دوناس بن حمامة
- ١١١ - الخبر عن دولة الأخوين الأميرين الفتوح وعجيسة ابني الأمير دوناس بن حمامة
- ١١٢ - الخبر عن دولة الأمير معنصر بن حماد بن معنصر بن المعز بن زيري بن عطية المغراوي بمدينة فاس
- ١١٤ - الخبر عن الأحداث التي كانت بالمغرب في أيام زفانة من مغراوة وبنى يفرن وذلك من سنة ٣٨٠ الى سنة ٤٦٢
- ١١٩ - الخبر عن ظهور الدولة المرابطية الممتونية وقيامها بالمغرب والقبلة وبلاد الأندلس وذكر ملوكهم ومدة أيامهم الى انقضائها ودمارها
- ١٢٢ - الخبر عن دولة الأمير يحيى بن إبراهيم الكدالي وقيامه بأمر صنهاجة
- ١٢٤ - الخبر عن دخول الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي صنهاجة وقيامه بها مع لتونة والمرابطين من قبائل صنهاجة
- ١٢٧ - الخبر عن دولة الأمير يحيى بن عمر بن تلاكين الصنهاجي الممتوني
- ١٢٨ - الخبر عن دولة الأمير أبي بكر بن عمر الممتوني المرابط
- ١٣٠ - الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين مجوس برغواطة وذكر مذهبيهم السخيف وديانتهم الخسيصة
- ١٣٣ - الخبر عن دولة الأمير أبي بكر بن عمر الصنهاجي الممتوني
- ١٣٦ - الخبر عن دولة الأمير يوسف بن تاشفين الممتوني أمير المسلمين وسيرته وغزواته
- ١٤٥ - الخبر عن جواز الأمير يوسف بن تاشفين الى الأندلس برسم الجهاد وذكر غزاة الزلاقة
- ١٤٥ - الخبر عن دولة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين بالمغرب

- ١٥٧ - وبلائه الأتلس
- ١٦٥ - الخبير عن دولة أمير المسلمين تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الممتونى رحمه الله
- ١٦٦ - الخبير عن سيرهم والأحداث التي كانت في أيامهم رحمهم الله تعالى بمئه وكرمه
- ١٧٢ - الخبير عن الدولة الموحدية المومنية وقيامها على يد محمد بن تومرت المسما بالمهدي
- ١٧٨ - الخبير عن فتوات المهدي وحروبه مع ثتوتة
- ١٧٩ - الخبير وفاته رحمه الله
- ١٨١ - الخبير عن صفته وسيرته وثبذ من أحواله
- ١٨٣ - الخبير عن الخليفة أمير المومنين عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي
- ٢٠٣ - الخبير عن صفة أمير المومنين عبد المؤمن بن علي وسيرته وفضله رحمه الله
- ٢٠٥ - الخبير عن دولة أمير المومنين يوسف ابن أمير المومنين عبد المؤمن بن علي
- ٢٠٨ - الخبير عن بيعته وأيامه رحمه الله
- ٢١٦ - الخبير عن دولة أمير المومنين يعقوب ابن أمير المومنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي رحمه الله
- ٢٢٠ - الخبير عن غزاة الأراك وهزيمة الروم بها وهي غزاة المنصور الثانية بالأندلس
- ٢٢١ - الخبير عن تولة أمير المومنين محمد الناصر ابن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي رحمهم الله تعالى
- ٢٢١ - الخبير عن تولة أمير المومنين يوسف المنصور بالله ابن محمد

- الناصر بن يعقوب المنصور ، ابن يوسف ، بن عبد المؤمن ، بن علي
رحمهم الله
٢٤١
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الواحد المخلوع رحمه الله ٢٤٢
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الله العادل ابن يعقوب المنصور
رحمه الله
٢٤٥
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين يحيى بن محمد الناصر ومزاحمته
لعمه ادريس المأمون
٢٤٧
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين ادريس الملقب بالمأمون ابن يعقوب
المنصور
٢٤٩
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الواحد الرشيد رحمه الله ٢٥٤
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين علي السعيد رحمه الله تعالا ٢٥٦
- الخبر عن دولة أمير المؤمنين عمر المرتضا ٢٥٨
- الخبر عن دولة ادريس الملقب بأبي دبوس آخر ملوك بني عبـد
المؤمن رحمهم الله
٢٥٩
- الخبر عن الأحداث التي كانت في أيامهم من أولها إلى آخرها ٢٦٢
- الخبر عن الدولة السعيدة المرينية العبد الحقية اطلالها الله وخلد
ملكها
٢٧٨
- الخبر عن نسب مرين الصريح وحسبهم العالئ الصحيح ٢٧٨
- الخبر عن دخولهم المغرب وظهور ملكهم السنئ المعجب ٢٨١
- الخبر عن دولة الأمير المبارك عبد الحق بن محبوب بن أبي بكر
ابن حمامة
٢٨٤
- الخبر عن دولة الأمير عثمان بن عبد الحق ٢٨٧
- الخبر عن دولة الأمير أبي معرف محمد بن عبد الحق ٢٨٩
- الخبر عن دولة الأمير أبي بكر بن عبد الحق رحمه الله ٢٩١

- الخبر عن دولة أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق المريني ٢٩٧
- الخبر عن سيره الجليلة وما أثره الجميلة ٣٠٠
- الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد وهي أولا غزواته التي بلاد الشرك ٣١٣
- الخبر عن غزاة أمير المؤمنين يعقوب إلى درن تونيو دي لارا ٣١٦
- الخبر عن غزاة أمير المسلمين يعقوب رحمه الله في جوازه الأول ٣٢١
- الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب رحمه الله إلى الأندلس برسم الجهاد وهو الجواز الثاني ٣٢٣
- الخبر عن غزاة أمير المؤمنين الرابعة ٣٢٥
- الخبر عن غزوة أمير المسلمين يعقوب رحمه الله وهي غزوة قرطبة ٣٢٦
- الخبر عن خروج أمير المسلمين إلى غزاة البرت ٣٣٩
- الخبر عن جواز أمير المسلمين يعقوب رحمه الله إلى الأندلس وهو الجواز الرابع ٣٤١
- الخبر عن قدوم الأمير يوسف من العدو برسم الجهاد ٣٥٠
- الخبر عن وصول الرهيان والأقسة من الروم إلى حضرة أمير المسلمين يرغبون في الصلح ٣٥٨
- الخبر عن دولة أمير المسلمين يوسف بن أمير المسلمين يعقوب ابن عبد الحق عفا الله عنهم ورحمهم ٣٧٤
- الخبر عن حصار تلمسان حرسها الله تعالى ٣٨٦
- الخبر عن دولة أمير المسلمين عامر ابن الأمير عبد الله بن أمير المسلمين يوسف ٣٨٩
- الخبر عن دولة أمير المسلمين سليمان ابن الأمير عبد الله ابن

- ٣٩٢ أمير المسلمين يوسف
- الخبر عن ملك الزمان ، وسراج الأوان ، الامام السعيد ،
والخليفة الرشيد ، أمير المسلمين أبي سعيد عثمان ٣٩٥
- الخبر عن الأحداث التي كانت بالغرب من سنة ست وخمسين
وستمئة الى سنة ست وعشرين وسبعمئة ٤٠٢
- فهرس ٤١٧
- فهرس موضوعات الكتاب ٤١٨
- فهرس أسماء الرجال والنساء ٤٢٥

فهرس أسماء الرجال والنساء

- أ -

- ابراهيم ابن الأعلب : ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٧
- ابراهيم ابن همشك ١٩٦
- ابراهيم بن اسحاق اللبتوني : ١٥٥
- ابراهيم بن اسماعيل الهزرجي : ١٧٦
- ابراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين : ١٦٥
- ابراهيم بن عبد الجليل الونجاسي : ٣٨٩
- ابراهيم بن عبد الله الكامل الحسني ١٥ - ١٦
- ابراهيم بن عبد المؤمن بن علي الكومي ٢٠٣
- ابراهيم بن عمران الفوودي (الوزير الميرني) ٣٧٥
- ابراهيم بن عيسا الياباني : ٣٩٣
- ابراهيم بن عيسا الميرنياني : ٣٨٩ - ٣٩٦ - ٤٠٠
- ابراهيم بن يحيى بن ابراهيم الكدالي ١٢٢ - ١٢٤
- ابراهيم بن يوسف بن تاشفين : ١٣٨
- ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي : ٢٠٦ - ٢١٤
- ابن أبي البركات (مشرف مراكش) : ٣٧٩
- ابن أبي زرع : أحمد : ٥ - ٦ - ٧٦
- ابن أبي زرع : محمد : ٥ - ٦
- ابن أبي زرع علي بن عبد الله (مؤلف القرطاس) : ٥ - ٦ - ٧

- ابن أبي طاطو ٢٩٥
- ابن أبي مدين : محمد (الكاتب) : ٣٧٥ - ٣٩٣ - ٣٩٦
- ابن أبي مدين : عبد الله (الكاتب) ٢٩٩ - ٣٧٥ - ٣٨٩ - ٣٩٣
- ابن أبي مطر ٣٧
- ابن أبي الضمير انظر محمد ابن ايوب وابو يحيى ابن ايوب
- ابن أبي العافية ابو الحسن : ٢٩٢
- ابن أبي عمارة (أحمد ابن أبي مرزوق) ٤٠٦ - ٤٠٧
- ابن أبي قريش ادريس (عامل فاس) : ٤١ - ٣٠٣
- ابن الأحمر (محمد بن محمد بن يوسف) ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٣٠٩
- ٣١٣ - ٣١٥ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩
- ٣٣١ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٧٣
- ٣٧٦ - ٣٧٨ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٧ - ٤٠٥
- ٤٠٦ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠
- ابن الأحمر محمد المخلوع ٣٨٧ - ٣٨٨
- ابن أزنك يعقوب ٣٩١
- ابن الأمين (عامل طنجة) ٣١١
- ابن الأغلب ابراهيم ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٧
- ابن الأفطس ١٤٦ - ١٥٦
- ابن أسباط أبو محمد (كاتب السلطان علي بن يوسف بن قاشفين) ١٥٧
- ابن اشقيلولة ٣١٥ - ٣١٩ - ٤٠٥
- ابن اشقيلولة أبو اسحاق ٣٢٣
- ابن اشقيلولة أبو الحسن ٤٠٥ - ٤٠٨
- ابن اشقيلولة : أبو محمد ٣١٥ - ٣١٩ - ٣٢٣ - ٣٢٨

- ابن الأشبيري : الحسن (الشاعر المؤرخ) : ١٨٥
- ابن باديس ١٤٦
- ابن البان ٨٧
- ابن بركان عبد الرحمان ٢٤٢ - ٢٤٤ - ٢٤٨
- ابن بركان عبد الله بن عبد الرحمان ٢٤٨
- ابن برون الأزدي انظر علي بن محمد ابن برون الأزدي
- ابن بطلال : أبو الحكم : ١٩٥
- ابن البقال أبو حامد (قاضي فاس) ٣٧٥ - ٤٠٨
- ابن تاحميسث أبو عبد الله بن جرير ٢٧٢
- ابن تافلوت : أيوبكر بن ابراهيم : ١٦١
- ابن تسميث أبو القاسم الأغماتي ٢٠٥
- ابن جامع أبو سعيد (حاجب الخليفة محمد الناصر الموحد)
٢٣١ - ٢٣٦ - ٢٣٨ - ٢٣٩
- ابن جامع ادريس (وزير الخليفة عبد المؤمن الموحد) ٢٠٥
٢٠٦
- ابن الجير محمد ٢٨٣
- ابن الجد : أيوبكر : ١٩٢ - ٢٠٧
- ابن الجد : أبو عامر ١٩٥
- ابن جدار علي ٣٥٠
- ابن جنون : أبو القاسم (المؤرخ) : ٥٥ - ٦٠ - ١٦٦ - ١٩٨
- ابن جشار (مشرف فاس) ٢٩٥
- ابن الحاج : أبو عبد الله (والي قرطبة) ١٥٧ - ١٥٩
- ابن الحاج : أبو القاسم ١٩٢

- ابن حبوس (صاحب غرناطة) ١٤٦ - ١٥٦
- ابن حبيش ابوبكر الباجي ١٩٤
- ابن الحرار عبد الرحمان (الكاتب) ٣٧٥
- ابن حرزهم : علي بن اسماعيل ٢٦٥ - ٢٧٠ - ٢٧١
- ابن حزم : علي ١١٦
- ابن حكم : يوسف (القاضي) ٣٠٨
- ابن حمد علي (خطيب مسجد القرويين) ٦
- ابن حمدين أبو القاسم ١٦٤
- ابن حمدين حمدين (أبو جعفر القاضي الثائر بقرطبة) ١٧١
٢٦٢
- ابن حنيئة عبد الملك العبد الوادي ٣١٢
- ابن حوط الله : عبد الله : ٢٣٢
- ابن حيون أبو مروان ٧٣
- ابن الحنا ٢٩٥
- ابن الخطيب : محمد السلماني الملقب بلسان الدين : ٥ - ٢٩٢
- ابن خلدون عبد الرمان (التأريخ) ٥
- ابن الخشاب ٢٠٨
- ابن ذي النون ١٤٦ - ١٥٦
- ابن راشد : أحمد بن محمد ٧٦
- ابن الريب أبو عبد الله (الكاتب) ٢٩٩
- ابن رحو ٣٩٤
- ابن رذمير أنظر القونسو الأول ملك أراكون
- ابن الرند علي بن عبد العزيز المعروف بالطويل : ٢١٢

- ابن رشد ١٦٤
- ابن رشد أبو الوليد ٢٠٧
- ابن رشيد أبو علي الكاتب ٣٧٥
- ابن رشيق المويسي (المؤرخ صاحب ميزان العمل) : ١٨٠ - ٢٥٨
- ابن زريق ٢٦٢
- ابن زهر : أبوبكر : ٢٠٧
- ابن طفيل أبو بكر ١٩٤ - ٢٠٧
- ابن الكتاني محمد بن علي بن عبد الكريم الفندلاوي (صاحب المستفاد) ٢٧٠
- ابن الكلبي ١١٩
- ابن اللبابة : ١٥١
- ابن اللجى (شيخ الرعاة بطانجة) ٣١٢
- ابن المالقي عبد الله (شيخ الطلبة) ٢٦٨
- ابن مبارك محمد ٣٢٢
- ابن محفوظ شعيب ٢٧٦
- ابن محسود عبد الله ١١٦
- ابن محشرة ٢٠٦
- ابن المرغل مالك (الشاعر) ٣٠٨ - ٣٧٦
- ابن مردنيش محمد بن سعد ١٩٣ - ١٩٦ - ٢٠٩ - ٢١١
- ٢٦٦
- ابن مرزوق محمد بن أحمد (الخطيب) ٥
- ابن مزين ١١٥
- ابن مطروح (المؤرخ) ١٧٢ - ١٨٧ - ١٩٦ - ٢٠٩ - ٢١٥

- ابن الملجوم أبو القاسم ٦٧
- ابن منقذ (صاحب شاطبية) ١٥٦
- ابن منشا ٢٣١
- ابن مضا أحمد القرطبي (القاضي) ٢٠٦ - ٢١٦ - ٢٦٨
- ابن معطى : أبو عبد الله ٢٦٩
- ابن معيشة عبد الحق (قاضي فاس)
- ابن مسونة محمد (أبو القاسم) ٧٦ - ٧٧
- ابن النحوي : يوسف : ٣٣ - ٣٤
- ابن نمير أبو محمد ٧٤
- ابن صاحب الصلاة (المؤرخ صاحب المن بالامامة) ١٨٠ - ١٨٤
- ١٩٦ - ٢٠٢
- ابن صمادح معز الدولة (صاحب المرية) ١٥٥ - ١٦٩
- ابن صناديد : أبو عبد الله ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧
- ابن الصقر أبو عبد الله : ٢٠٧
- ابن عائشة : داوود (القائد المرابط) : ١٤٢ - ١٤٦ - ١٤٧ -
- ١٤٨ - ١٥٦
- ابن عباد اسماعيل ١١٨
- ابن عبد الملك محمد (القاضي) ٣٧٥
- ابن عبد العزيز (صاحب مرسية) ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٦
- ابن عجاج علي : ٣٧١
- ابن العجوز عبد الرحيم ١١٨
- ابن عذارى : أحمد (المؤرخ) ٧
- ابن العربي : أبو بكر : ١٩٠

- ابن عطوش (والى ازموار) ٢٦٠ -
- ابن عطية : أحمد (الكاتب الوزير) : ١٩٢ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦
- ٣٠٥ - ٣٠٤
- ابن عمران محمد (قاضي فاس) ٢٩٨
- ابن عياش : عبد الملك : ١٩٤ - ١٩٦ - ٢٠٤ - ٢٠٦
- ابن غالب (المؤرخ) ٤٢ - ٤٩
- ابن غالب علي ٢٧٠
- ابن غانية ١٩١
- ابن غانية علي المعروف بالمبورقي ٢٦٩
- ابن غانية يحيى ٢٦٣
- ابن الغليظ محمد (الطبيب) ٣٧٦ - ٣٩٦
- ابن الغليظ علي بن محمد (الطبيب الوزير) ٢٩٦
- ابن فرحون ١٨٩
- ابن الفياض (المؤرخ) ٩٤ - ١١٥
- ابن القزاز علي بن أحمد (قاضي فاس) ٢٩٨
- ابن القطان علي ٣٢٢
- ابن قشوش محمد بن علي (عامل فاس) ٩٢ - ١٠١ - ١٠٣
- ابن قشوش علي ١١٥
- ابن القواق أحمد (الكاتب) ٣٩٦
- ابن السعود عمر (الوزير) ٣٨١ - ٣٨٤
- ابن الشهيد ٢٣١
- ابن هارون (الحاج الفقيه) ٥٨
- ابن همشك ابراهيم : ١٩٦

- ابن هود : ٢٥١ - ٢٥٣ - ٢٧٥ - ٢٧٦
- ابن هود : المتوكل على الله : ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦
- ابن وانودين أبو علي ٢٨٣
- ابن الودون : عبد الله : ٢٨٧
- ابن الودون يوسف ٢٨٧
- ابن يبورك ٢٧٤
- أبو أمية الدلائى (قاضي فاس) ٤٣ - ٢٩٨
- أبو اسحاق (الأمير) ٤٠٦
- أبو بردعة النصراني انظر سانشو خيمينو
- ابوبكر ابن تافلوت ١٢٢
- أبو بكر ابن الجد ١٩٢ - ٢٠٧
- ابوبكر ابن جيبش الباجى ١٩٤
- أبو بكر ابن زهر ٢٠٧
- أبو بكر ابن طفيل ١٩٤ - ٢٠٧
- ابوبكر ابن الطيب (القاضي) ١٢٢
- ابوبكر ابن العربى ١٩٠
- ابوبكر بن عبد الحق المريتى ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٩ - ٢٧٧
- ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٩
- ٣٩٣
- ابوبكر بن علي بن يوسف بن تاشفين : ١٥٧ - ١٧٩
- أبو بكر بن عمر اللمتونى ١١٨ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٢ - ١٣٣
- ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٥٦
- ابوبكر بن يوسف بن تاشفين : ١٣٨ - ١٥٢

- ابوبكر بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي : ٢٠٦ - ٢١٢
- ابو بكر الصديق : ٣٦٥
- ابو البهار بن زيري بن مناد : ١٠٢ - ١٠٣
- ابو بياش (بطوت المغراوي) : ١٠٢
- ابوثابت بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب المريني انظر عامر ابن عبد الله المريني (السلطان)
- ابو جبل (بعلا الفاسي) ١٧٠
- ابو جعفر المزدغي (قاضي فاس) ٢٩٨
- ابو جعفر المنصور العباسي : ١٥ - ١٦
- ابو جهور (الشاعر) ١٥١
- ابو الجيوش عساكر ٢٣٦
- ابو حاتم العزفي ٣٣١
- ابو حامد ابن البقال (قاضي فاس) ٣٧٥ - ٤٠٨
- ابو الحجاج ابن قاسم ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩
- ابو الحكم ابن بطال : ١٩٥
- ابو الحكم هرمس ١٩٤
- ابو الحسن ابن ابي العافية : ٢٩٢
- ابو الحسن ابن عطية ٧١
- ابو الحسن المريني انظر علي بن عثمان المريني
- ابو الحسن الصغير ٢٩٤
- ابو الحسن القابسي ١٢٢
- ابو خزر : يخلف الأوربي : ٢٩٨ - ٢٧١
- ابو الخليل بن عامر بن يحيى ٣٨٢

- أبو فر الخشني ٧٥
- أبو ديبوس الموحد : انظر ادريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن
ابن علي الآخر خلفاء الموحدين
- أبو الربيع التلمساني : ٢٧١
- أبو زيان بن محمد بن عثمان بن يغمراسن بن زيان العبدالموادي
٣٨٧ - ٣٩٠
- أبو زيان بن يعقوب بن عبد الحق المريني ٣١٣ - ٣١٤ - ٣٢٨
٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٦٨ - ٣٧٣ - ٣٧٧ - ٣٨٥
- أبو زيان محمد بن عبد القوي التجيني (أمير تجين) : ٣١١-٤٠٥
- أبو زيد ابن يكيث ١٩٥
- أبو طالب مكي (صاحب السوق بقرطبة) ١٦٨
- أبو الطيب سعد الكناني (الكاتب) ٢٩٩
- أبو الليث الصفار ٢٢٩
- أبو محمد ابن زيدان ٦٢
- أبو محمد ابن حامد (الفقيه) ١٣٧
- أبو محمد التادلي (قاضي فاس) ٦٧
- أبو محمد عبد الحق ١٩٤
- أبو محمد عبد الغفار (خطيب مسجد القرويين) ٧٥
- أبو محمد القضاءي ٧٤ - ٧٥
- أبو مدين (شعيب بن الحسين الانصاري) ٢٧٠
- أبو مروان ابن حيون ٧٣
- أبو مروان الونجاسي : ٤٠٣
- أبو مزكيدة (الثائر) ١٩١

- أبو معرف المريني انظر محمد بن عبد الحق المريني
- أبو موسى بن يعقوب المصور الموحد : ٢٧٥
- أبو عامر ابن الجند ١١٦٥
- أبو عامر بن يوسف بن يعقوب المريني : انظر عبد الله بن يوسف المريني (الامير)
- أبو العباس (أمير موحد) : ٢٩٣
- أبو العباس الحميشي (الشاعر) ٣٧٦
- أبو العباس الفشتالي ٣٧٦
- أبو عبد الرحمان (الأمير المريني) ٣٨٧
- أبو عبد الرحمان المغيلي (قاضي فاس) ٢٩٤ - ٢٩٥
- أبو عبد الله ابن تاخميست ٢٧٢
- أبو عبد الله ابن الريبب (الكاتب) ٢٩٩
- أبو عبد الله ابن معطى ٢٦٦
- أبو عبد الله ابن صنديد ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧
- أبو عبد الله بن أبي بكر بن علي ٣٩٦
- أبو عبد الله التاودي ٢٦٩
- أبو عبد الله اللبفاق ٢٧٠
- أبو عبد الله المغيلي ٣٤
- أبو عبد الله العمراني (الكاتب) ٢٩٩
- أبو عبد الله الشريف (قاضي مراکش) ٢٩٨
- أبو عبيدة : ١١٦
- أبو عثمان بن يخلف (صاحب محمد بن تومرت) ١٧٦
- أبو عثمان الوريانكلي ٢٩٧

- أبو عطية بن يعقوب بن عبد الحق المريني ٣٧٦
- أبو العلاء بن طلحة : ٤٠٢
- أبو علي ابن أبي الحسن (الفقيه) ٦١
- أبو علي ابن أبي منديل العبكري (الوزير) : ٢٩٨
- أبو علي ابن وانودين ٢٨٢
- أبو علي ابن رشيد (الكاتب) ٣٧٥
- أبو علي بن رشيق المويسي (المؤرخ صاحب ميزان العمل) ١٨٠
- أبو علي الملباني ٢٧٨ - ٣٠٨
- أبو علي بن عامر بن عبد الله بن يعقوب المريني ٣٩٠
- أبو علي بن يوسف ابن يزكانن : ٣٤٣ - ٣٤٤
- أبو عمران (قاضي فاس) : ٦٨
- أبو عمران ابن عبد المؤمن بن علي : ٢٠٣
- أبو عمران القميمي ٣٠٨
- أبو عمران التسولي ٤١١
- أبو عمران الزرهوني (القاضي) : ٣٩٦
- أبو عمران الفاسي ١١٨ - ١٢٢ - ١٢٣
- أبو عيسا الترمذي ٢٧٠
- أبو العيش ابن القاسم الادريسي انظر احمد بن القاسم كنون الادريسي
- أبو غالب المغيلي (القاضي) ٦٨ - ٣٨٩ - ٣٩٤
- أبو الغمر ١٨٨
- أبو فارس الكناسي : انظر عبد العزيز الملزوزي
- أبو فارس العمراني (قاضي مراکش) : ٢٩٨ - ٣٧٥

- أبو الفتح التوسلى (قائد. موسى ابن أبي العافية) ٨٤
- أبو الفضل ابن طاهر ابن محشرة (الكاتب) ٢٠٦
- أبو القاسم ابن تسميت (من أهل أغمات) ٢٠٥
- أبو القاسم ابن الحاج : ١٩٢
- أبو القاسم ابن حمدين (قاضى قرطية) : ١٦٤
- أبو القاسم ابن الملجوم (ابن رقية) ٦٧
- أبو القاسم (محمد) ابن مسوثة ٧٦ - ٧٧
- أبو القاسم ابن حميد ٦٨
- أبو القاسم العزفى : ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٥
- أبو القاسم الشيعى ٨٦
- أبو قرن (خادم علي ابن حرزهم) ٢٦٥
- أبو سالم ابن يوسف المرينى ٢٩٠
- أبو سمير ٣٤٤
- أبو سعيد (السلطان) : انظر عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى
- أبو سعيد ابن اسماعيل ابن الأحمر : ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٨ - ٤١٠
- أبو سعيد ابن جامع (حاجب الخليفة الموحد محمد الناصر)
٢٣١ - ٢٣٦ - ٢٣٨ - ٢٣٩
- أبو شامة الجيباس ٧٧
- أبو شعيب (أيوب بن سعيد الصنهاجى دفين أزمور) : ٢٦٥
- أبو يحيى ابن أبى حفص : ٢٢٦ - ٢٢٧
- أبو يحيى ابن أيوب (أبى الصبر) : ٣٨٢ - ٣٨٥
- أبو يحيى ابن قاشفين (صاحب قرطية) ١٦٣
- أبو يحيى ابن يكيث (صاحب محمد بن نومرت) ١٧٦

- أبو يحيى ابن يعقوب : ٣٨٥ - ٣٨٦
- أبو يحيى العباد : ٦٢
- أبو يحيى القطرائى (عامل سجلماسة) ٢٩٦ - ٢٩٧
- أبو يعزى اليزميرى (مولاي بوعزة) ٢٦٧ - ٢٧١
- أبو يعقوب الأشقر (مولاي يعقوب) ٣٩٨ - ٤٠٨
- أبو يوسف ججاج (القاضى) : ٢٦٧
- الأثير بن فطر بن يتلوتان اللمتونى : ١٢١
- أحمد بن أبى بكر الزناتى (عامل قاس) : ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٨٥
- ٨٦ - ٨٨ - ٩٠ - ٩١
- أحمد ابن أبى زرع ٥ - ٦ - ٧٦
- أحمد ابن الجبر ٢٨٣
- أحمد بن محمد ابن راشد ٧٦
- أحمد ابن مضا القرطبى (القاضى) ٢٠٦ - ٢١٦
- أحمد ابن عطية (أبو جعفر) ١٩٢ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦
- ٣٠٤ - ٣٠٥
- أحمد ابن القواق (الكانب) ٣٩٦
- أحمد بن أبى مرزوق المعروف بابن أبى عمارة ٤٠٦ - ٤٠٧
- أحمد بن اندريس بن اندريس الحسنى ٥١
- أحمد بن القاسم بن اندريس بن اندريس الحسنى ٨٢
- أحمد (أبو العيش) بن القاسم (كنون) بن محمد بن القاسم بن اندريس بن اندريس الحسنى ٨٧ - ٨٨ - ٨٩
- أحمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومى ٢٠٦
- أحمد الجيائى (العريف) ٧٧

- أحمد المقندر (صاحب سرقسطة) : ١٦٨
- أحمد المقرئ (صاحب نفتح الطيب) ٥
- أحمد الفاضل الإدريسي الحسني انظر أحمد (أبو العيش) بن القاسم (كنون) الإدريسي الحسني
- أحمد المكياني ٣٨٥
- ادريس ابن أبي قريش (عامل فاس والغرب) : ٤١ - ٢٠٣
- ادريس ابن جامع (وزير عبد المؤمن) ٢٠٥ - ٢٠٦
- ادريس بن ادريس بن عبد الله الحسني : ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨
- ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤٢
- ٤٤ - ٤٦ - ٤٩ - ٥٠ - ٥٤ - ٥٧
- ادريس بن ادريس الثاني بن ادريس بن عبد الله الكامل الحسني ٥١
- ادريس بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن بن علي الكومي (أبو دبوس الآخر خلفاء الموحدين) ٤٠٢
- ادريس بن عبد الله الكامل الحسني : ١٣ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨
- ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٩٢ - ٩٤
- ادريس بن عمر بن ادريس الثاني الحسني : ٥٢ - ٨١
- ادريس (المأمون) بن يعقوب (المنصور) بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي (الخليفة الموحد) ٢١٦ - ٢٤٢ - ٢٤٤ - ٢٤٦
- ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥١ - ٢٥٤ - ٢٧٤ - ٣٧٥
- ادريس بن عبد الحق المريني ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٧٧ -
- ٢٨٦ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦
- ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٦
- الأزدي : عمير بن مصعب : ٢٧ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١
- اكلثوم الأحول (قائد مرابطي) : ١٧٧

- البار رودريكيز (الأقرع النصراني) : ١٩٦
- البار فانيث ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٦٢
- الفونسو الأول ملك أراكون (ابن رذمير) ١٤٥ - ١٤٧ - ١٦٢
- ١٦٣
- الفونسو الثامن ملك قشتالية ٢٢٠ - ٢٢٢ - ٢٢ - ٢٢٨
- ٢٢٩ - ٢٣٣ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٥٥
- الفونسو الثاني ملك البرتغال : ٢٤٣ - ٢٧٣
- الفونسو العاشر : ٣٠٩ - ٣١٦ - ٣٢٣ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩
- ٣٣٠ - ٣٣٤ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٤٠٥ - ٤٠٦
- الفونسو السابع ملك قشتالية (السلطان) ١٩٣
- الفونسو السادس (ملك قشتالية) : ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦
- ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٥
- ١٦٠ - ١٦٨
- أمة الله بنت أبي إسحاق بن عبد المؤمن (أم الخليفة محمد
الناصر) ٢٣١
- أم البنين فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني : ٥٥
- أم العز بنت محمد بن حازم العلوي والدة السلطان يوسف بن
يعقوب المريني : ٣٤٠ - ٣٧٤ - ٤٠٧
- أم اليمن بنت علي البطوي الزناتي أم السلطان يعقوب المريني ٢٩٧
- أفريقيش الحميري ١١٩
- الأقرع النصراني انظر البار رودريكيز
- إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ١٩
- إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين : ١٨٩
- إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٦

- اسماعيل ابن عباد : ١١٨
- اسماعيل بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٣
- الأوربي : اسحاق بن محمد بن عبد الحميد : ١٩
- الأوربي : داوود بن القاسم بن عبد الله بن جعفر : ٢٦
- الأوربي : يخلف بن خزر (أبو خزر) ٢٦٨ - ٢٧٥
- أيوب بن سعيد الصنهاجي : انظر أبو شعيب الصنهاجي دفين زمو

- ب -

- الباجي : أبو الوليد ١٧١
- باديس بن منصور بن بلكين : ١٠٧
- بتس دي لاكروا : ٨
- بر بن قيس عيلان : ٢٧٩ - ٢٨٠
- البرمكي : يحيى بن خالد : ٢١ - ٢٢
- البرنسي (المؤرخ) : ٢٤ - ٢٨ - ٣٨ - ٥٠ - ٦٦ - ١٨٠ - ١٨٨
- ١٩٨
- البرهانس انظر الفار قانيث
- بزو بنت عثمان بن محمد بن عبد الحق الميريني ٣٨٩
- بطي بن اسماعيل (قائد مرابطي) ١٥٤
- البطيوي عبد الرزاق : ٣٥٠
- بكار ابن ابراهيم (عامل فاس) ١٣٦
- البكري : أبو عبيد ٢٤ - ٢٨
- بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي : ٩٦ - ٩٣ - ١٠١

- البهاء بنت دهمان : ٢٧٩
- بهلول بن عبد الواحد المدغرى : ٢٦ - ٢٧
- البياسى : انظر عبد الله بن محمد بن ادريس بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي

- ت -

- تاليت عمه حاميم المتنبي الغمارى ٩٩
- تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب المرينى ٣١٤ - ٤٠٦
- تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتونسى ١٥٧ - ١٦٤
- ١٦٥ - ١٦٦ - ١٨٨
- تاشفين بن يعقوب الوطاسى : ٣٩٣
- تجاليدن الهسكورى ٢٢٥
- التجينى : أبو زيان محمد بن عبد القوي (أمير تجين) : ٣١٠-٣١١
- تكاتيون بنت مناد أم المعز بن زيرى بن عطية المغراوى ١٠٨
- تماضر بنت قيس عيلان : ٢٨٠
- تميم بن الأثير اللمتونى ١٢١
- تميم بن بلكين (صاحب مالقة) ١٥٤
- تميم بن زيرى بن يعلا اليفرنى الزناتى ١٠٩ - ١١٠
- تميم بن معنصر ١١٣ - ١١٤ - ١٤٠
- تميم بن يوسف بن تاشفين : ١٣٨ - ١٤٢ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠
- ١٦٣ - ١٦٤
- تميم الصنهاجى صاحب المهديّة ١٤٩
- التميمى : أبو عمران : ٣٠٨

- ث -

- ثعلبة بن محارب بن عبد الله : ٧٩

- ج -

- جرمون بن رياح : ٢٧٥ - ٢٢٦

- الجزنائي علي ٥ - ٦

- جزماق (قائد الاسطول القشتلي) ٤٠٠

- جعفر بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٥١

- جورجى الانطاكى ١٩٧

- جوهر الرومى : ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ١٠٠

- ح -

- الحاج التاهرتى ٤٠٢

- الحاج الكافر انظر علي بن غازى بن محمد ابن عانية

- الحاج الكافى انظر علي بن غازى بن محمد ابن عانية

- الحاج المسعود (عامل مراكش) ٣٧٠

- حامد بن حمدان الهمداني ٥٥ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥

- حاميم المتنبي الغمارى : ٩٨

- حباب أم الخليفة الموحد عبد الواحد الرشيد ٢٥٤

- حجاج بن يوسف القاضى : ٢٠٣ - ٢٠٥ - ٢٠٦
- الحدودى : انظر محمد الحدودى وعلي الحدودى
- الحكم بن هشام المروانى : ٤٧
- الحكم المستنصر المروانى : ٩١ - ٩٣ - ١٠١
- حمامة بن المعز بن عطية المخرومي : ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠
- حمزة بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٥٥
- حميد بن يصيلتين الكتامى : ٨٤ - ٨٥
- حنة اليهودية : ٧٧
- الحسن بن ابي العيش بن عيسا بن ادريس بن سليمان بن عبد الله الكامل ٨٤
- الحسن بن معاوية : ١٦
- الحسن بن عبد المؤمن بن علي الكومى ٢٠٣ - ٢٦٧
- الحسن بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنا ١٦
- الحسن بن علي الصنهاجى : ١٩٧ - ١٩٨
- الحسن بن القاسم (كنون) بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسنى ٨٩ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥
- الحسن بن قاسم اللواتى (عامل فاس) : ٨٥ - ٨٦ - ٨٧
- الحسين بن عبد المؤمن بن علي : ٢٠٣
- الحسن الحجاج بن محمد بن قاسم بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٨١ - ٨٢ - ٨٣
- حسن حسنى عبد الوهاب الصمادى ٤٠٣ - ٤٠٤
- الحيونى (القاضى) : ٦٧

- خ -

- خالد بن الوليد ١٩٠
- خوسي دي سانطو انطونيو : ٨

- د -

- داوود بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٥١
- داوود ابن عائشة (القائد المرابط) : ١٤٢ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨
- ١٥٦
- داوود بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٣
- داوود بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب المريني : ٣٨٢
- دراس بن اسماعيل : ٣٧ - ١٠١
- دوتاس بن حمامة بن المعز بن عطية الغراوي : ٤١ - ٤٣ - ١١٠
- ١١١ - ١١٧
- دون فونيو دي لارا ٣١٦ - ٣١٨ - ٤٠٥

- ذ -

- ذننه : انظر دون فونيو دي لارا

- ر -

- راشد مولا ادريس بن عبد الله الكامل الحسنى ١٧ - ١٨
- ١٩ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٨
- رباب زوجة عمر بن ادريس بن ادريس الحسنى ٥٢ - ٥٣
- رباح بن عثمان المري (عامل المدينة المنورة) ١٦
- ربيع بن سليمان ٧٩
- رذمير : ١٦١
- الرنداحي (قائد الأسطول) ٤٠٦
- رقية بنت اسماعيل بن عمير الأزدي ٥٢
- رقية بنت يوسف بن تاشفين ١٣٨
- الرشيد (الخليفة الموحد) انظر عبد الواحد
- روجار الثاني (ملك صقلية) ١٩٧
- ربحان المكناسي (عامل فاس) ٨١ - ٨٢

- ز -

- زاننا بن جانا ٢٧٩
- الزبير بن بكار ١١٩
- زكرياء بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي ٢١٨
- الزند غرسية ٣٥٨
- زيانة أم السلطان سليمان المريني ٣٩٢
- زيري بن عطية المغراوي ٥٠ - ٩٢ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣
- ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١١٦
- زينب بنت اسحاق الهواري : ١٣٤ - ١٣٨

- زينب بنت القاسم الجعدي : ٥٢ -

- ط -

- طلحة بن محلي ٤٠٧

- طلحة بن علي (الحاج) : ٣٥٦

- طلحة بن علي البطيوي (هل هو انتقدم ؟) (٣٢١ - ٣٧٢ - ٣٧٨
٤٠٣

- طوال بن أبي يزيد (عامل فاس) ٨٤

- طورنبرك ٨

- ك -

- كانون بن جرمون السفيناني ٢٥٤

- الكفاني أبو الطيب سعد ٢٩٩

- الكفاني : محمد (الكاتب) : ٢٩٩ - ٣٨٥

- كندوز بن عثمان (خليفة السلطان بمرالكش) ٤٠٠

- كنزة زوجة ادريس بن عبد الله الكامل ٢٥ - ٥١

- كوتة بنت يوسف بن تاشفين : ١٣٨

- كوندى : ٨

- (3) -

- كنون : انظر القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسيني

- ل -

- لقمان المغراوي ١٠١
- لقوط بن يوسف بن علي المغراوي ١٢٩
- لويس التاسع ملك فرنسا ٤٠٣ - ٤٠٤
- ليفي بروفانصال ٧

- م -

- مادنجيس الأيتز ٢٨٠
- مالك ابن المرحل السبتي (الشاعر) ٢٠٨ - ٢٧٦
- مالك بن انس (الامام) ٢٩
- المامون ابن المعتمد ابن عباد ١٥٤
- المامون الموحد انظر ادريس بن يعقوب (المنصور) بن يوسف ابن عبد المؤمن بن علي الكومي (الخليفة الموحد)
- المتنبي ٣٨١
- المتوكل العباسي ٣٨٢
- محارب ابن عبود الأزدي ٧٩
- محمد ابن أبي زلفي ١٥٨ - ١٧٠
- محمد ابن أبي مدين (الكاتب) ٣٧٥
- محمد (المنصور) ابن أبي عامر ٥٨ - ٩٤ - ١٠٢ - ١٠٣

- محمد ابن ابي عمران (قاضي فاس) : ٢٩٨
- محمد ابن ابي القاسم الرجرجي (قائد البحر) ٣٧٣
- محمد ابن ابي شعيب (قاضي فاس) : ١١٧
- محمد بن يوسف ابن الأحمر : ٢٧٥
- محمد ابن ابيع المعروف بابن مناصف ١٦٨
- محمد ابن تيفاوت (تارشنا) الملمتوني : ١٢١ - ١٢٢
- محمد ابن الحاج ١٦٠ - ١٦١
- محمد ابن داوود (قاضي فاس) ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣
- ٦٧
- محمد ابن الطلاع ١٦٩
- محمد ابن مزدلي ١٦٢
- محمد (ابو القاسم) ابن مسونة ٧٦ - ٧٧
- محمد ابن المولز ٣٧
- محمد ابن عائشة (قائد مرابط) ١٥٥ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٩
- محمد ابن عباد (القاضي المعتضد) ١٦٧
- محمد ابن عبد الملك (قاضي مراكش) ٣٧٥
- محمد ابن عطو الجاناتي (الوزير) : ٣٤٢ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٦
- محمد ابن عمران (الوزير) ٣٤٢
- محمد ابن الغليظ الاشبيلي (الطبيب) ٣٧٦
- محمد ابن فاطمة (قائد مرابط) ١٦٢
- محمد بن ابراهيم بن القاسم بن ادريس الحسنى ٨٤
- محمد بن ابراهيم المهدي ٢٧٠
- محمد بن احمد الخولاني (العريف) ٦٣

- محمد بن سعد ابن مردئيش : ٢١١
- محمد ابن فرج : ١٦٩
- محمد بن علي ابن قشوش (عامل فاس) : ٩٢ - ١٠١
- محمد بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٥١ - ٥٢
- محمد بن ادريس بن عبد المحق المريشى : ٣٠٨ - ٣٧٧ - ٤٠٤
- محمد بن ابى اسحاق : ٢١٢
- محمد بن أيوب (أبى الصبىر) : ٥٧ - ٦٥ - ٦٧ - ٧١ - ٧٦
- ٣٧٥ - ٤٠٨ - ٤٠٩
- محمد بن تميم الجدالى : ١٣٨
- محمد بن تومرت (مهدي الموحدين) : ١٦٧ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٧
- ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٤ - ١٨٥
- محمد بن ثعلبة بن محارب بن عبيد الازدى : ٨٤
- محمد بن حسن بن زيادة الله المزينى (خطيب مسجد القرويين) : ٧٢
- محمد بن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى : ١١٩
- محمد بن خزر بن صولات المغراوي : ٢١
- محمد بن الخير بن محمد اليفرنى (عامل فاس) : ٨٨
- محمد بن زيادة الله المزينى : ٧٦
- محمد بن الطيب العلمى : ٥
- محمد (أبو القاسم) بن محمد بن يوسف المزدغى : ٧٥ - ٧٦
- محمد بن منغفاد الغمارى : ٢٢٥
- محمد بن مقاتل العكى : ٢٧ - ٢٨
- محمد بن ميمون الهوارى (قاضى فاس) : ٧٢
- محمد بن عامر المكتاسى (عامل فاس) : ١٠١ - ١٠٢

- محمد بن عبد الرحمان بن الحكيم : ٩٧
- محمد بن عبد الرحمان الشلمى (خطيب مسجد القرويين) ٧٥
- محمد (التقوس الزكية) بن عبد الله الكامل النحسى : ١٥
- محمد بن عبد الله بن ابراهيم بن موسى ابن ابي العافية : ٨٦
- محمد بن عبد الله بن هود (الثائر) ١٩٠
- محمد بن عبد المؤمن بن علي الكومى ١٩٤ - ١٩٥ - ٢٠٢
- ٢٥١ - ٢٠٩
- محمد بن عبد القوي التجيني ٣١٠ - ٣١١
- محمد بن علي بن ابي بكر الليلي : ٣٩٦
- محمد بن عمر بن ادريس بن ادريس الحسنى ٥٢
- محمد (ابو الفضل) بن يحيى بن محمد المزدغى ٧٦
- محمد بن يوسف المزدغى ٧٥ - ٧٦
- محمد (الناصر) بن يعقوب (المنصور) بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومى (الخليفة الموحد) ٤٠ - ٤٢ - ٤٧ - ٤٩ - ٧٣
- ٧٤ - ٧٦ - ٧٧ - ٩١ - ٢١٦ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣
- ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٣١ - ٢٤٢
- محمد بن الفتح الخارجي : ٩٠ - ٩١
- محمد بن القاسم : ٩١
- محمد بن يحيى المستنصر الحفصى ٢٥٦ - ٤٠٣
- محمد (أبومعرف) بن يعقوب بن عبد الحق المريني : ٢٨٩ - ٢٩٠
- ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٥١ - ٣٧٧
- محمد بن يوسف (والى قرطبة) : ٢١٩
- محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومى : ٢٠٦
- محمد البورى (عامل تلسان المرباط) ١٦٦

- محمد المغيلي (الكاتب - قاضي فاس) : ٣٧٥
- محمد العمراني (الكاتب) : ٣٧٥
- محمد السقطي (قاضي مراكش) : ٣٧٥
- مخيو ابن أبي حمامة : ٢٢٥
- مخلد بن كيداد (أبو يزيد) : ٨١ - ١٠٠
- مخلوف بن منو الهسكوري : ٣٩١
- مدرك التلكاتي : ١٣٨
- مدين بن موسى ابن أبي العافية : ٨٤ - ٨٥
- المرتضا الموحد انظر عمر
- مرزدغ الصنهاجي (الثائر) : ٢٠٩ - ٢٦٤
- مرقسيل (قائد الروم) : ٢٥٤
- مريم بنت محمد الفهري القروي (بانية مسجد الأندلس بفاس) : ٥٥
- مرين بن وزتاجن (جد بني مرين) : ٢٧٨
- مزدي (قائد مرايطي) : ١٤٣ - ١٥٩ - ١٦٢ - ١٦٨
- المزدي أبو جعفر (قاضي فاس) : ٢٩٨
- المزدي : محمد بن يحيى بن محمد : ٧٦
- المزدي : محمد بن يوسف
- المزدي : يحيى (أبو الحسن) بن محمد : ٧٦
- المظفر انظر عبد الملك بن محمد بن أبي عامر (الحاجب المظفر)
- المكيدى (القاضي) : ٢٥٢
- الملزوي : انظر عبد العزيز الملزوي (الشاعر)
- الملك الأشرف : ٤٠٨
- الملند الرومي : ٤٠٦

- الميثاني أبو علي ٢٧٨
- الميثاني أحمد ٣٨٥
- منادر البربري ٨٨
- منديل الكثاني (الكاتب) ٣٩٦
- منديل المغراوي ٢٢٥
- المنصور ابن أبي عامر النظر محمد ابن أبي عامر (المنصور)
- منصور ابن حزنون ٢٥٧
- منصور بن بلكين ١٠٢ - ١٠٣
- منصور بن عبد الواحد بن عبد الحق المريسي ٣٤٣ - ٣٤٨
- ٣٤٩ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٨١
- منهل بن موسى ابن أبي العافية ٨٢ - ٨٣
- مصالة بن خبومن ٨٠ - ٨١
- المعتمد ابن عباد ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧
- ١٤٨ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٧ - ١٦٩
- معد بن اسماعيل العبيدي ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ١٠١
- المعز بن عطية المغراوي : ١٠٣ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٦
- ١١٧ - ١١٨
- المعز بن يوسف بن تاشفين : ١٣٨ - ١٤٤
- معلا بن يعلا المغراوي : ١٤٣
- معنصر بن حماد بن معنصر بن المعز بن عطية المغراوي ١١٢-١١٣
- معنصر بن المعز بن عطية المغراوي : ١٠٨ - ١١٧
- المغراوي محمد بن خزر بن صولات : ٢١
- المغيلي : أبو عبد الرحمان (قاضي فاس) : ٢٩٤ - ٢٩٥

- المغيلي : أبو عبد الله : ٣٤
- المغيلي على ٣٠٨
- المقرئ : أحمد ٥
- المستعين ابن هود : ١٤٤
- مسعود بن سلطان الرياحي (أبو مسعود) ٢١٢
- مسعود ابن وانودين المغراوي : ١٢٧ - ١٢٨
- مسعود بن كانون السفينسي ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٤ - ٣٣٧
- ٣٧٨ - ٤٠٥ - ٤٠٦
- مسعود بن يوسف بن يعقوب المريني ٤٠٣
- المهدي بن كلانو ابن توالي ١١٩
- مهدي بن عيسا (خطيب مسجد القرويين) ٦٢ - ٧١
- المهدي بن يوسف الجزنائي (صاحب مكناسة) ١٤٠
- مهلهل بن يحيى الخلطي ٣٤٥
- موسى ابن أبي العافية ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥
- ٨٦ - ٨٧ - ٩٨ - ١٠٠
- موسى بن تمارا (صاحب محمد بن تومرت) : ١٧٦
- موسى بن حسن ابن أبي شامة (المهندس) ٦٤
- موسى بن رحو بن عبد الحق المريني : ٣٠٨ - ٤٠٤
- موسى بن عبد الله الكامل الحسنى ١٥
- موسى بن عبد الله ابن سداب ٦٩ - ٧٠
- موسى بن عيسا بن عمران (قاضي يعقوب المنصور) ٢١٦
- موسى بن سعيد (قائد موحد) ١٨٩
- موسى بن سهل ؟ (قاضي عبد المؤمن) ٢٠٥

- موسى بن يحيى الصديقي ١١٦
- موسى بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٦
- موسى المعلم (خطيب مسجد القرويين) ٧٢ = ٧٣ = ٧٥
- ميمون بن علي ابن حمدون : ١٩٣
- ميمون الهواري (كاتب عبد المؤمن) ٢٠٥
- ميسور الفقا (قائد أبي القاسم الشيعي) : ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٩٩
- الميورقي علي ابن غانية : ٢٦٩
- الميورقي : يحيى بن اسحاق بن محمد ابن غانية : ٢١٨ - ٢١٩

- ن -

- الناصر الموحد انظر محمد الناصر ابن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي (الخليفة)
- نزار بن معد الفاطمي : ٩٣

- ص -

- صالح ابن حجاج (الكاتب) ٣٩٦
- صالح بن طريف البرغواطي ١٣٠٠
- صالح بن عبد الحكيم ٥
- صالح بن عمران (قائد مرابط) : ١٤٢ - ١٤٣
- الصحراوي (المرباط) ١٩١
- صخر بن مسعود البناي : ٦٢ - ٦٣

- الصديقي : موسى بن يحيى : ١١٦
- صفية أم أبي بكر بن عمرو اللطوني : ١٣٣
- صفية بنت محمد بن سعد ابن هريش (زوجة يوسف بن عبد المومن) ٢١٢ - ٢٤٩
- صفية بنت عبد المومن بن علي الكومي ٢٠٣
- صولات بن وزمار العفري : ٨٨

- ض -

- ضوء الصباح أم تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين : ١٦٥

- ع -

- عائشة بنت أبي عطية مهلهل بن يحيى الخطي أم السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب المريني ٣٩٥
- عائشة بنت عبد المومن بن علي الكومي ٢٠٣
- عائشة بنت القاضي موسى التيملي (زوجة عبد المومن) ٢٠٥
- عاتكة بنت علي بن عمر بن ادريس الحسنى ٧٧ - ٧٨
- العادل الموحد انظر عبد الله بن يعقوب المنصور (السلطان)
- عامر ابن القاسم (قاضي فاس) ١١٥
- عامر بن ادريس بن عبد الحق المريني ٣٠٣ - ٤٠٢
- عامر بن محمد بن سعيد القيسي ٢٧ - ٣٢
- عامر بن عبد الله بن يوسف المريني (السلطان أبو ثابت) ٧٧

- عبد الرحمان بن قاسم الشعبي المالقي ١٦٩
- عبد الرحمان بن يعقوب الوطاسي : ٣٩٣ - ٣٩٤
- عبد الرحمان بن يوسف بن عبد المؤمن ٢٠٦
- عبد الرحمان الغرابلي ٣٦٤
- عبد الرحمان الناصر المرواني : ٥٥ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٨ - ١٠٠
- عبد الرحيم ابن العجوز ١١٧ - ١١٨
- عبد الرزاق البطيوي ٢٥٠
- عبد الرزاق الفهري الخارجي : ٧٨ - ٧٩
- عبد الكريم بن ثعلبة ٩٢ - ١٠١
- عبد الكريم بن عيسا ٣٨٥ - ٤١٠
- عبد الله ابن ابراهيم بن موسى ابن أبي العافية ٨٦
- عبد الله ابن أبي حفص ٢٠٠ - ٢٤٢
- عبد الله ابن أبي مدين العثماني (الكاتب) ٢٩٩ - ٣٧٥
- عبد الله ابن اشقيلولة ٤٠٥
- عبد الله ابن جبل (كاتب عبد المؤمن) ٢٠٥
- عبد الملك ابن حنينة العبد الوادي (عامل سجلماسة) ٣١٢
- عبد الله ابن حوط الله ٢٣٢
- عبد الله ابن المالقي (شيخ طلبة الحضرة) ٢٦٨
- عبد الله ابن محسود الهواري ١١٧
- عبد الله ابن الودون : ٢٨٧
- عبد الله بن أبي عبيد محمد بن مقلد بن اليسع بن صالح بن طريف : ١٣٢
- عبد الله بن ادريس بن ادريس الحسيني : ٥١

- عبد الله بن بكر (صاحب جيان) ١٥٦
- عبد الله (عبود) بن ثعلبة بن محارب الأزدي : ٧٩ - ٨٤
- عبد الله بن حسن الجوهري ١٧٠
- عبد الله بن مالك المالكي الأنصاري : ٢٧ - ٣٢
- عبد الله بن محمد ابن قاطمة : ١٦٠
- عبد الله (البياسي) بن محمد بن ادريس بن يوسف بن عبد المومن
ابن علي الكومي ٢٤٦ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥
- عبد الله بن مزدلي ١٦٢ - ١٦٣
- عبد الله بن موسى المعلم ٦٦ - ٧٣
- عبد الله بن ميمون القرطبي (القاضي) ٢٠٥
- عبيد الله بن صالح بن عبد الحكيم : ٧
- عبد الله بن عبد الرحمان ابن بركان ٢٤٨
- عبد الله بن عبد المومن ١٩٤ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٨ - ٢٠٩
- عبد الله بن علي الفارسي (خطيب مسجد القرويين) ٥٥
- عبد الله بن عمر بن ادريس الثاني ٥٢ - ٥٣
- عبد الله بن قاسم ازوار ٤١٢
- عبد الله بن سليمان ١٩٤
- عبد الله بن ياسين الجزولسي ١١٩ - ١٢٣ - ١٢٥ - ١٢٦
- ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣
- عبد الله بن يعقوب المريني ٣٠٣ - ٤٠٢
- عبد الله (العاقل) بن يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المومن
ابن علي الكومي (الخليفة الموحد) ٤٩ - ٢١٦ - ٢٤٢ - ٢٤٤
- ٢٤٥ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٥٠ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٨٤
- عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني (أبو عامر)

٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٢ - ٤٠٨

- عبد الله بن يوسف بن عبد المؤمن : ٢٠٦
- عبد الله الأشتر بن محمد النفيس الزكية الحسنى ١٦
- عبد الله البجلي الرافضي ١٢٦
- عبد الله البشير (صاحب محمد بن تومرت) ١٧٦ - ١٧٧
- عبد الله الزرهوني (الحاجب) ٣٨٩
- عبد الله العباسي ١٣٨
- عبيد الله المعتزلي ١٣٠
- عبيد الله الشيعي ٥٥ - ٨٠ - ٨٥ - ١٢٩
- عبد الملك ابن بيضاء القيسي (قاضي قاس) ٦٢
- عبد الملك ابن عياش : ١٩٤ - ٢٠٤ - ٢٠٦
- عبد الملك بن محمد ابن أبي عامر (الحاجب المظفر) ٥٨ - ٩٤
١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١١٦
- عبد الملك بن قاسم القرطبي ٢٠٧
- عبد الله الغشقالى ٢٦٣ - ٢٩٦
- عبد الملك الوراق ٤٢ - ٥٠
- عبد المهيمن الحضرمي ٣٩٦
- عبد المؤمن بن علي الكومي (أول خلفاء الموحدين) ٤٠ - ٤٢
٦٢ - ١٦٥ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٦ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨٤
١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٩ - ١٩١ - ١٩٣ - ١٩٥ - ١٩٩
٢٠٠ - ٢٠٤
- عبد المؤمن بن يوسف بن يعقوب المريني : ٣٨٣ - ٤٠٩
- عبد العزيز المنزوي (الشاعر) ١١٩ - ٢٨٠ - ٢٨٢ - ٣٠٠
٣٠٣ - ٣٠٨ - ٣٦٤ - ٣٧٦ - ٣٨٤ - ٣٨٥

- عبد العزيز (أخو المهدي بن لومرات) : ١٩٥ -
- عبد العزيز بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٦
- عبد العزيز العمراوي (أبو فارس - قاضي مراکش) : ٢٩٨ - ٣٧٥
- عبد السلام بن محمد الكومي (وزير عبد المؤمن بن علي) ٢٩٦
٢٠٠ - ٢٠٥
- عبد الواحد بن أبي بكر ابن أبي حفص : ٢٣٣
- عبد الواحد (الرشيد) بن ادريس (المامون) بن يعقوب المنصور
ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي (الخليفة الموحد)
٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٧٦ - ٢٧٧
- عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق المريني ٢٠٦ - ٢٤٣
٣٠٧ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١
- عبد الواحد (المخلوع) بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي
(الخليفة الموحد) : ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٨ - ٢٧١
- عبد الواحد الحضري ١٧٦
- عبد الواحد السكسيوي ٤٠٦
- عتيق (حاجب يعقوب المريني) ٢٩٩ - ٣٧٥
- عثمان بن عبد الحق المريني : ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩
- عثمان بن عبد المؤمن بن علي الكومي ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٦
١٩٨ - ٢٠٢ - ٢٠٩
- عثمان بن علي بن ادريس المريني ٣٨٩ - ٣٩٢ - ٣٩٣
- عثمان بن عفان ٢٥٠ - ٣٦٥
- عثمان بن عيسا البرنياني : ٣٩٤
- عثمان بن يعقوب المريني (السلطان أبو سعيد) ٣٩٩ - ٤٠٠
- عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني (السلطان أبو سعيد)

- ٨ - ١٢ - ١٢٨ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٤١١ - ٤١٤
- عثمان بن يغمراسن بن زيان : ٣٧٩ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧
- عثمان السلاجي ٢٦٦
- عجاج الاستجي ٣٤٧
- عجيسة بن دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية المغراوي ٤٢
٤٣ - ١١١ - ١١٢
- عدى بن همو الهسكوري ٣٩٩
- العزقي : أبو القاسم : ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣
- عطية ابن عطية ٢٠٤
- العكي : محمد بن مقاتل ٢٧ - ٢٨
- العلمي محمد بن الطيب ٥
- علون ٣٩
- علي والد عيد المومن ١٨٢
- علي ابن جندار ٣٥٠
- علي ابن الحاج ٧٥
- علي ابن الحاج (المهندس) ٤٠٦
- علي ابن حرزهم ٢٦٥ - ٢٧٠ - ٢٧١
- علي ابن حزم ١١٦
- علي ابن حمد ٧٦
- علي ابن عجاج : ٣٧١
- علي ابن غانية المعروف بالمبورقي ٢٦٩
- علي ابن القزاز (قاضي فاس) ٢٩٨
- علي بن أبي بكر الليلي (قاضي تلمسان) ٢٧٦

- علي بن ابي زريحة : ٢٨٥ - ٢٩٢
- علي بن ابي طالب : ٢١ - ٢٦
- علي بن ادريس بن ادريس الحسنى ٥١
- علي (السعيد) بن ادريس بن يعقوب المنصور (الخليفة الموحد)
٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٧٥ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٧
- علي بن حمود الحسنى ٩٣ - ٩٤
- علي بن محمد النفس الزكية ١٦
- علي بن محمد بن ادريس بن ادريس الحسنى (السلطان) ٥٢
- علي بن محمد بن يرون الأزدي ٦٠
- علي بن محمد الأزرق العطار ٦١
- علي بن محمد الحدودي (عامل فاس) ٦٦ - ٧٨
- علي بن محمد الصدفى (الخطيب) ٥٥
- علي بن محمد الفشتالى : ٢٨٥
- علي بن عبد المؤمن : ١٩٨ - ٢٠٣
- علي بن عثمان المرينى (السلطان أبو الحسن) ٣٩٩ - ٤١٢
- علي بن عمر (عامل سجلماسة) ٢٩٧
- علي بن عمر بن ادريس بن ادريس الحسنى ٥٢ - ٧٨ - ٧٩
- على بن عمر الأوسى (مشرف فاس) ٤٩
- علي بن عيسا بن ميمون اللامتونى ٢٦٢
- علي بن غازى بن محمد ابن غانية (الملقب بالحاج الكافر والحاج الكافى) ٢٣٢ - ٢٣٣
- علي بن سليمان الهاشمى : ١٧ - ١٨
- علي بن يحيى الهنتاتى : ٤١٠

- علي بن يوسف بن قاشفين اللمتوني (السلطان) ٥٩ - ١٥٦
١٥٧ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٤ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٧
١٧٨ - ١٧٩
- علي بن يوسف بن يزكاتن ٢٧٦ - ٣٨٠ - ٤٠٨
- علي المغيلي : ٣٠٨
- علي السجلماسي ٦٤
- عمار الكناسي (الطيب) : ٣٧٦
- عمران بن يعقوب المنصور الموحد ٢٥٣
- العمراني : أبو عبد الله ٢٩٩
- عمر أصناك ١٧٦
- عمر بن ادريس بن ادريس الحسني ٥١ - ٥٢ - ٧٨
- عمر (الارتضيا) بن اسحاق بن يوسف بن عبد المومن بن علي
الكومي (الخليفة الموحد) ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٩٥ - ٢٩٦
٢٩٧ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤
- عمر بن تفراكين (عامل مراكش) ١٩٥
- عمر بن الخطاب : ٥٩
- عمر بن رحو بن عبد الحق المزيني ٣٩٤
- عمير بن مصعب الأزدي : ٢٧ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١
- عمر بن موسى بن عمران الفودودي ٣٩٤ - ٣٩٦
- عمر بن عبد الله ابن أبي عامر (أبو الحكم) : ٩٤ - ١٠١
- عمر بن عبد المومن بن علي الكومي : ١٩٤ - ٢٠٢ - ٢٠٥ - ٢١١
- عمر بن عبد الواحد بن عبد الحق الميرني : ٣٥٤ - ٣٤٦
- عمر بن عثمان بن يوسف الهسكوري : ٣٧٧
- عمر بن عثمان (أبي سعيد) الميرني : ٣٩٩ - ٤١١

- عمر بن علي (والى مالقة) ٣٢٩ - ٤٠٥
- عمر بن سليمان المسوقى : ١٤٨
- عمر بن يحيى (المستنصر الثاني الحفصى) ٤٠٧
- عمر بن يحيى الوطاسى (الوزير) ٣٨٠
- عمر بن السعود الحشمى (الوزير) ٣٧٥ - ٣٨١ - ٤٠٩-٣٨٤
- عمر بن يحيى الهنتاتى (أبو حفص أبتى جد الحفصيين سلاطين تونس) : ١٧٦ - ١٩٠ - ١٩٣ - ١٩٨ - ٢٠١
- عمر بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومى : ٢١٨-٢٠٦-٦١
- عنبر (حاجب يوسف المرينى) ٣٧٥
- عقبة بن نافع ١٢٥
- عسكلاجة (قائد زيري بن عطية المغراوي) ١٠٢
- عسكلاجة : انظر عمر بن عبد الله ابن أبي عامر
- عياد ابن أبي عياد العاضى : ٣٥٦ - ٣٤٢ - ٣٤٥ - ٣٧١-٣٧٣
- عياض (القاضى) ١٩١
- عيسا ابن عمران (قاضى الجماعة بمرانكش) : ٢٠٦ - ٢٦٨
- عيسا بن ادريس بن ادريس الحسنى ٥١ - ٥٢
- عيسا بن قومرت (أخو محمد المهدي) ١٩٥
- عيسا بن موسى بن علي العباسى ١٦
- عيسا بن عبد الله الكامل ١٥
- عيسا بن عبد المؤمن بن علي الكومى : ٢٠٣
- عيسا بن عبد الواحد بن يعقوب المرينى : ٤٠٧
- عيسا بن سليمان : ١٤٢
- عيسا بن سعيد (عامل فاس) : ١٠٧

- غ -

- غالب (قائد الحكم المستنصر ومولاه) : ٩١ - ٩٢ - ٩٣
- غالب الشقوري (أبو محمد - الطبيب) : ٣٩٦
- الغزالي (أبو حامد) ١٧٢ - ١٨٠ - ١٩٠

- ف -

- فارس بن يغمراسن بن زيان العبدالوادي ٣٦٠
- فاطمة الزهراء بنت الرسول محمد عليه السلام : ٢١
- فاطمة أم البينين : ٥٤ - ٥٥
- فاطمة بنت سير (أم يوسف بن تاشفين) : ١٥٧
- فتح الله السدراتي (الوزير) ٢٩٨
- الفتوح بن دوناس المغراوي : ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ١١١ - ١١٢
- ١١٣
- فرانز فون دومبي ٨
- فرج (الحاجب) ٣٨٩
- الفشتالي عبد الله ٢٩٣ - ٢٩٦
- الفيلاي الهاشمي ٩

- ق -

- القادر ابن ذى النون : ١٦٨ - ١٦٩
- قاسم بن ابي القاسم العزفي : ٣٤٥
- القاسم بن ادريس بن ادريس الحسيني ٥١ - ٥٢
- القاسم بن محمد ابن ابي العافية : ٨٦ - ١٤٠ - ١٦٧
- القاسم (كنون) بن محمد بن القاسم بن ادريس الحسيني : ٨٧
- قاسم بن عامر الأزدي : ١٠٣
- قراقوش الارمني : ٢١٩
- القطراني : ابو يحيى (عامل سجلماسة) : ٢٩٦ - ٢٩٧
- قمر أم علي بن يوسف بن تاشفين : ١٥٧
- القومس (قائد الفونسو السادس) : ١٥٥
- القويقي (مشرف فاس) : ٤٩
- قيس بن عيلان : ٣٧٩

- س -

- سانشو بن الفونسو العاشر : ١٦٠ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٥٦ - ٣٥٨
- ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٦ - ٣٧٩
- ٣٨٣ - ٤٠٨ - ٤٠٩
- سانشو خيمينو (ابو برذعة) : ٢١٢ - ٢٦٧
- سبع بن منقباد ٢١٠
- سر الحسن (زوجة يعقوب المنصور) ٢٤٥
- السكسيوى ٣٩١
- سكوت البرغواطي ١٤٠ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٦٨

- السلالجي عثمان ٢٦٦
- سلام (قاتل زيرى بن عطية) : ١٠٦١
- السلطين انظر الفونسو الهايع
- سليمان ابن الاحمر ٣٩٤
- سليمان بن جرير ٢٢ - ٢٣ - ٢٤
- سليمان بن مخلوف (صاحب محمد بن تومرت) ١٧٦
- سليمان بن عبد الله الكامل : ١٥ - ١٦
- سليمان بن عبد الله بن يوسف المريني (السلطان أبو الربيع)
٣٨٢ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٤١١
- سليمان بن عبد المؤمن : ٢٠٣ - ٢١٨
- سعادة (عبد يوسف المريني وقالته) ٣٨٨
- السعود بن خرباش الحشمى ٢٩٤
- سعيد بن ميمون الصنهاجى ١٩٤
١٥٤ - ١٥٥ - ١٦١ - ١٦٢
- سعيد حجى ٩
- سفيان الثورى ٢٩
- سيدراى بن وزير ٢١٦
- سير بن أبى بكر اللمتونى : ١٣٨ - ١٤٢ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥٣
- سير بن علي بن يوسف بن تاشفين ١٥٧
- سوط التمام ٣٠٨

- شانجه انظر : سانشيو .
- الشديد الرومى (القائد) ٢٩٤
- شمعون بن يعقوب ١٣٠
- شمس (ام ابي نبوس اخر خلفاء الموحدين) ٢٥٩
- شعيب بن الحسين الأنصارى (أبو مدين دفين تلمسان) ٢٧٠
- شعيب بن محمد ابن ابي مدين : ٤٧
- شعيب الهسكورى ٢٥٤

- ه -

- الهادى (الخليفة العباسى) : ١٦ - ١٧ - ١٨
- هارون الرشيد : ١٥ - ٢١ - ٢٧ - ٢٨
- الهاشمى الفيلالى ٩
- هرقل ٢٣٥
- هشام بن عبد الملك بن مروان ١٣٠
- هشام المؤيد المروانى : ٥٨ - ٩٣ - ٩٤ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٥
- الهوارى محمد بن ميمون (قاضى فاس) ٧٢

- و -

- واجاج بن زلو اللمطى : ١٢٣
- واضح مولا صالح بن المنصور : ١٧ - ١٠٥
- واضح الفتا : ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨

- واسول بن ميمون بن مدرار الصفرى : ٩٠
- الوراق عبد الملك بن محمود : ٢٤ - ٢٧ - ٤٢ - ٥٠

- ي -

- يتلوتان بن تلاكاكين الملتونى الصنهاجى ١٢٠
- يحيى نجل الخلفاء الموحدين ٧٧
- يحيى بن ابراهيم الكدالى ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٢٦
- يحيى بن ادريس بن ادريس الحسنى ٥١
- يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس الحسنى ٨٠ - ٨١
- يحيى بن أبى بكر بن يوسف بن تاشفين (والى فاس) : ١٥٨-١٥٩
- يحيى بن أبى طالب العزفى ٣٩٩ - ٤٠٠
- يحيى بن ايوب (أبى الصبر) ٣٩٢
- يحيى بن حازم العلوى (الوزير) ٢٩٨
- يحيى بن خالد البرمكى : ٢١ - ٢٢
- يحيى بن يحيى بن محمد بن ادريس بن ادريس الحسنى : ٧٧ - ٧٨
- يحيى بن محمد بن ادريس بن ادريس الحسنى (السلطان) ٥٣
- ٥٤ - ٧٧
- يحيى (المعتصم) بن محمد (الناصر) بن يعقوب المنصور (الخليفة
الرشيد) ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٥١ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٧٤
- يحيى (أبو الحسن) بن محمد المزدغى : ٧٦
- يحيى بن منبعل العسكري (الوزير) ٣٧٣
- يحيى بن عبد الله الكامل : ١٥

- يحيى بن عبد المؤمن بن علي الكومي ٢٠٣ - ٢٠٩ - ٢١٠
- يحيى بن العزيز ابن حماد : ١٩٣ - ١٩٤
- يحيى بن علي ابن غانية : ١٩١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٦٣
- يخلف بن عمران القودودي : ٢٧٥
- يحيى بن عمر اللمطوني : ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨
- يحيى بن القاسم الإدريسي : ٧٩ - ٨٠
- يحيى بن سكوت البرغواطي (الحاجب ضياء الدولة) : ١٤٣
- يحيى بن يومر : ١٩٥
- يحيى بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٦
- يحيى الحفصي (الوائق بالله) ٤٠٥
- يخلف الأوربي (أبو خزر) : ٢٢٥ - ٢٦٨ - ٢٧٥
- يخلف بن الحسن : ١٩٤
- ينو بن يعلا بن محمد اليفرنى ٩٠ - ١٠٤ - ١١٥ - ١١٦
- يزيد بن الياس العبدي ٢٧
- يطوت المقراوى ١٠٢
- يلنور (أبو يعزا) بن ميمون الهزميرى ٢٦٧ - ٢٧٥
- يصلتين (ويصلاصن أيضا) قريب المهدي بن تومرت : ١٩٤ - ١٩٥
- يعلا بن محمد اليفرنى : ٨٩ - ٩٠ - ١٠١ - ١٠٤
- يعلا بن يوسف : ١٤١
- يعقوب ابن ازناك : ٣٩٠ - ٣٩١
- يعقوب بن جابر العبد الوادي أمير سجلماسة : ٢٥٧ - ٣٠٩
- يعقوب بن عبد الحق الميرنى : ١٣ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٧٦ - ٢٤٠
- ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٨٥ - ٢٨٧ - ٣٠٠ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٥ - ٣٠٦

٣٠٩ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ ٣١٥ - ٣١٦ - ٣٢١ - ٣٢٥
٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٤٠ - ٣٥٤ - ٣٥٧ - ٣٦٠ - ٣٦٥
٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧

- يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق المريني : ٢٩٦ - ٤٠٣

- يعقوب بن عبد المؤمن بن علي الكومي : ٢٠٣

- يعقوب (المنصور) بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي
(الخليفة الموحد) : ٤٧ - ١٣٩ - ٢٠٦ - ٦١٥ - ٢١٦ - ٢١٨ - ٢١٩
٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٨
٢٣٠ - ٢٥٤ - ٢٨٨

- يعيش (عامل الخليفة محمد الناصر على بلاد الريف) : ٢٧١

- يعيش بن يعقوب المريني : ٣٩٨

- يغمراسن بن زيان (سلطان تلمسان) : ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٩٣ - ٢٩٥
٢٩٦ - ٢٩٧ - ٣٠١ - ٣٠٥ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢
٣١٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٤٠٣

- يسكر الجورائي (أبو محمد) ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢
٧٣ - ٢٧١

- يوسف ابن حكم (القاضي) ٣٠٨

- يوسف ابن النحوي : ٣٣ - ٣٤

- يوسف ابن قيطون ٣٥٤ - ٣٧١

- يوسف ابن الودون ٢٨٧

- يوسف بن تاشفين : ٨٦ - ١١٣ - ١٢٨ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦

١٣٨ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٥ - ١٤٧ - ١٥٠

١٥٤ - ١٥٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٧٠

- يوسف بن داوود ابن عائشة ١٥٥

- يوسف بن محمد : ٤١١
- يوسف بن محمد بن أبي عبيد (قائد مراكش) : ٣٩٠ - ٣٩١
- يوسف بن محمد بن علي القسطنطي ٧٥
- يوسف (المنتصر) بن محمد (الناصر) بن يعقوب (المنصور) : ٢٤١
٢٤٢ - ٢٧٣ - ٢٨٣
- يوسف بن عبد الحق (قاضي فاس) : ٦١
- يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي (السلطان) : ١٨١ - ١٩٥
١٩٦ - ١٩٨ - ٢٠٢ - ٢٠٥ - ٢٠٨ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢٨٨
- يوسف بن عمران (قاضي فاس) ٦٧ - ٧٥
- يوسف بن عمر (المؤرخ) ٢٠٨
- يوسف بن عيسا الحشمي : ٣٩٠ - ٣٩٤ - ٣٩٦
- يوسف بن سليمان : ١٦٨
- يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني (السلطان) ٥٧ - ٦٦
٦٧ - ٦٩ - ٧٦ - ٧٧ - ٣٠٨ - ٣٥٥ - ٣٦١ - ٣٦٣ - ٣٦٦
٣٧٠ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٧ - ٣٧٩ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤
٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٤٠٤ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩
٤١٠ - ٤١١
- يوسف (الشيطان) العبد الوادي (قاتل الخليفة الموحد علي السعيد)
٢٥٧

فهرس (1)

أسماء الاجناس والقبائل والبطون والجماعات

- أ -

- أثبج ٣٠٢ - ٣٤٣
- الادارسة : ٣٢
- الأزد : ٢٩ - ٤٦
- الافرنج ١٤٣
- أهل القيروان ٤٧
- أهل صفرو ١٦٧
- أوربة : ١٩ - ٢٠ - ٢٨ - ٤٦ - ٥٢ - ٢٠٩ - ٢١٣ - ٣١٤ - ٣٢٣
- اولاد ابي يحييا ٣١١
- ايلان انظر هيلانة

- ب -

- بنى أمية : ٨٨ - ١٠١
- بنى الاغلب : ٩٨

(I) حذفنا من هاذنا الفهرس بعض الاسماء التي تتكرر كثيراً مثل العرب والبربر والروم

- بنى ايوب : ٢١٩
- بنى بلكين ٢٦٩
- بنى بهلول : ٢٧٧ - ٤٠٨
- بنى تغالفت : ٣٧٠
- بنى جابر : ٣٠٢ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٧١ - ٣٩١
- بنى جرمون : ٣٧١
- بنى حمامة : ٣٦٩
- بنى حسن : ٣٠٢ - ٣٧٨
- بنى حفص انظر الحفصيين
- بنى الخير : ٣١ - ٣٢ - ٣٧٠
- بنى بخير ١٢٠
- بنى راشد ٣١٠
- بنى رهينة : ١٤٢
- بنى زياد : ١٢٠
- بنى لماس : ١٢٠
- بنى مدرار ١٠٠
- بنى مراس ١٤١
- بنى مروان انظر المروانيين
- بنى مكود : ١٤٢
- بنى الملجوم ٣٠
- بنى ملولة ٣٩
- بنى منير : ١٢٠
- بنى موسا ١٢٠

- بنى صبيح : ٢٦٧
- بنى العاصم ٢٧١
- بنى العباس : ٩٨
- بنى عبد الوادى ٢٥٧ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢
- ٣٢٦ - ٣٧٩ - ٣٨٦
- بنى عبيد ٩٢
- بنى العزفى ٣٧٢
- بنى علي : ٣٧١
- بنى عسكر ٢٨٦ - ٣٥٣ - ٣٧٠ - ٣٧٧ - ٣٨٥ - ٣٨٦
- بنى غانية ١٨٨
- بنى غفجوم : ٣٤٣
- بنى فشتال : ١٢٠
- بنى فودود : ٣٧٠
- بنى سعيد ٣٨٢
- بنى سبتان ٣٧٧
- بنى سوخم ٣٧٠
- بنى هود : ١٦٠
- بنى وارث : ١٢٠ - ١٢١ - ٣٧٠ - ٣٧٧
- بنى وراغ : ٣٧٠
- بنى ورتاج : ٣٧٠
- بنى وطاس ٣٧٠
- بنى يابان : ٣٧٠
- بنى يازغة : ٣٧٧

- بنى بحصب : ٢٩
- بنى يزغتن (بنى يازغمة) : ٣١ - ٣٢
- بنى بقرن : ٢١ - ٣٢ - ٨٨ - ١٠٩ - ١١٣ - ١١٤ - ١٢٩ - ١٣٣
- ١٣٨ - ١٣٤
- البجلية : ١٢٩
- برغواطة : ١١٠ - ١١٩ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٣ - ١٩٠
- ٣٤٣ - ١٩١
- بطوية : ٢٨٩
- المباشكنس : ١٤٣
- بهلولة : ١٣٩ - ٢٨٩

- ت -

- تجين : ٣٣٦ - ٣٣٧
- تريعين : ٣٧٠
- تكلاتة : ١٢٠
- التسلول : ٨٣ - ٢٨٦ - ٢٨٩
- تينمل (قبيلة) : ٢٠٢

- ج -

- جانانة : ٢٨٨ - ٢٨٩
- جراوة : ٤٦

- جزولة ١٣٣ - ١٣٩
- الجلالة : ١٤٣
- الجنويون : ٢٧٦
- جشم : ١٩٩ (٢٦٠ - ٣٠٢ - ٣٠٩

- ح -

- حاحة : ١٢٩ - ٣٩١
- الحموديون ٥٢
- الحفصيون ٢٥٠ - ٢٧١

- خ -

- الخلط ٢٤٨ - ٢٥٥ - ٢٧٤ - ٢٧٦ - ٣٠٢ - ٣٤٣ - ٣٤٥
- ٣٤٧ - ٣٥٣ - ٣٧١ - ٣٩١

- ز -

- رجراجة (ركزاة) ١٧٨
- الروافض ١٢٩
- رياح : ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٣٩١ - ٤٠٣

- ز -

- زكارة : ٢٨٩

- زكنة (لعلها تكنة بالناء) ٣٩١

- زفانة ٢٠ - ٢١ - ٢٨ - ٣١ - ٣٢ - ٤٦ - ٥٢ - ٨٨

٩١ - ١٠٢ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٤ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٧ - ٢٠٢

٢١٩ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٧٩ - ٣٠٩

- زواغمة ٢٠ - ٣١ - ١٣٩

- زواوة ٢٠

- ك -

- كناية ٨٩ - ٩٠ - ١٥٩

- كي -

- كدالة ١٢٠ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦

- كشميوة ١٧٨ - ١٨٣ - ٢٠١

- كنفيسة ١٧٢ - ١٧٩

- ل -

- لماية : ٢٠ - ١٣٩
- لقتونة ٣٢ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٣ - ١٢٤
- ١٢٦ - ١٤٠ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥١ - ١٥٦ - ١٥٨ - ١٦٦
- ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٢
- لمطة ١٢٠
- لواتة ٤٦ - ١٣٩

- م -

- مدالج ٢٩
- مديونة ١٣٩ - ٢٨٩
- المروائيين (بني مروان) ٨٨ - ٨٩ - ٩١ - ١٠٣
- مكناسة ٢٠ - ٢٨٦
- المنبات : ٢٩٧ - ٣١٢
- منداسة ١٢٠
- المصامدة : ٤٢ - ١٣٣ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٧ - ١٧٧ - ١٧٨
- ٢١٣ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٣٠٩ - ٣١٤ - ٣٢٣
- مصمودة ٤٦
- المعقل ٢٤٩ - ٢٥٥
- مغراوة : ٢١ - ٣٢ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١٣
- ١١٤ - ١٢٨ - ١٣٤ - ١٣٨ - ١٤٠
- مغيرة ٤٦ - ١٣٩
- مسراثة (قبيلة) ١٢٠

- مسوفة ١٢٠ - ١٢٦

- ص -

- الصدف ٢٩

- صدينة : ١٣٩

- صنهاجة ٢٠ - ٢٨ - ٤٦ - ٥٢ - ٨٩ - ١٠٥ - ١١٩ - ١٢١

١٢٥ - ١٣٣ - ١٤٨ - ١٥٨ - ٢٠٩ - ٢٠٦ - ٣١٤ - ٣٢٣

- صنهاجة مفتاح ٢٠٩

- الصفرية ٧٩

- ع -

- العاصم ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٩١

- العبيدين (بنى عبيد) ٨٨ - ٩١ - ١٠٣

- العلويين ٩٢

- غ -

- الغز (الأغزان) ١٣٩ - ٢١٣ - ٢٢٦ - ٢٤٠ - ٢٥٨ - ٣٠٢

٣٠٧ - ٣٠٩ - ٣٤٣ - ٣٥٣ - ٣٧٤ - ٣٩٣ - ٣٩٦

- غمارة ٢٠ - ٢٨ - ٥٢ - ١٠٥ - ١٤٧ - ٢٠٩ - ٢٢٦

٣١٤ - ٣٢٣

- غيائة ٢٠ - ١٤٢

- ف -

- الفرس ٤٥

- فندلاوة ٣٧٧

- فشالة ٢٨٩

- ق -

- قيس (العرب القيسية) ٢٩ - ٤٦

- س -

- سدرارة ٢٠ - ١٣٩ - ١٦٧ - ٢٨٩ - ٣٧٧

- سفيان : ٣٠٢ - ٣٣٠ - ٣٥٣ - ٣٥٥ - ٣٥٦

- ش -

- الشيطان (اشنيخان ؟) ٤٦

- الشبعة ٥٨

- ه -

- هبيرة ٣٧١
- هرغة ١٢ - ١٧٩
- هنتانة ١٧٨ - ٢٢٦ - ٢٢٧
- هسكورة ٢٤٨ - ٢٦٠ - ٢٦٧ - ٢٩٠ - ٣٠٤
- هوارة ٢٠ - ٤٦ - ٥٤ - ١٢٠ - ٢٨٩
- هيلانة (ايلان) ٧

- ي -

- اليحصبيون (بنى يحصب) ٤٦

فهرس (1)

- الإبتير : ٣٧٨
- أبدة : ١٥٤ - ١٩٣ - ٢٤٠ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٧٢ - ٣١٥ - ٣٣٩
- أبو الطويل (مكان قرب سلا) : ٣٩١ - ٤١١
- الأراك (مدينة) : ٢٢٣ - ٢٢٦ - ٢٢٨
- أرجونة : ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨
- أركش : ٢١٤ - ٢٤٧ - ٣٦٦
- أرنية ١٦٢
- أريونة : ١٦١
- أزاجن (أسجن ٩) : ٣٨٤
- أزرو (جبل) : ٣٢١
- أزموور : ٣٤ - ٥١ - ٢٦٠
- أزغار (فحص) : ٢٨٩ - ٣٩١
- أطرانكش : ٢٠٠
- أكسفورد ٦
- أكدير (تلمسان) : ١٨٨
- ألكاي : ٨١ - ٨٣

(I) حذفنا من هذا الفهرس بعض الأسماء التي تتكرر بكثرة في صفحات الكتاب مثل المغرب والمشرق والأندلس وبعدة القرويين ومسجدها وبعدة الأندلس ومسجدها

- المريية (أنظر المريية)
- أندوجر : ٢٧٣
- أنفا : ٣٠١ - ٣٩١
- أم الربيع (وادي) ١٩ - ٣٩ - ٢٠١ - ٢٩٣ - ٣٠٢ - ٣٠٦
٣٩١
- أمركو (جبل - قلعة) : ٣٠٨ - ٤٠٤
- أصينة : ٥١ - ٥٢ - ٨١ - ٨٤ - ٨٨ - ٥٠ - ٣٠٤ - ٣٨٩
- أغلان : ٣٩ - ٤٦
- أغمات : ٥٠ - ٥١ - ١٢٩ - ١٢٣ - ١٣٤ - ١٤٢ - ١٥٥ - ١٦٩
١٧٧ - ١٧٨
- أفرغة : ١٣٦ - ١٥٦ - ١٦٩ - ٢٦٣
- أقليمج : ١٥٩ - ١٦٠ - ١٧٠ - ٢٢٩ - ٢٦٨
- الأقبواس ٣٥٤
- استجة : ٣١٦ - ٣٤٥ - ٣٥٧
- اسطبونة ٣٧٣
- اشبيلية : ١٤٣ - ١٤٩ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٦٢ - ١٦٩ - ١٩٥
١٩٨ - ٢٠٠ - ٢١١ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢٢٩ - ٢٣٤ - ٢٣٥
٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٩ - ٣٦٦
- اشبونة (أنظر لشبونة)
- أشير ١٠٧
- الأهواز : ١٦
- أوريوالة : ٢٧٤

- ب -

- باب أبي سفيان (فاس) ٤٠
- باب أصليتين: (فاس) : ٧٢ - ١٧٠
- باب أفريقية: (فاس) ٣٩ - ٤٠ - ٤٦
- باب البنود (مراكش) ٢٦٠
- باب بنى مسافر (فاس) ١١٤
- باب تختست (سجلماسة) ٢٩٦
- باب الجديد: (فاس) ٥ - ٤٢
- باب الجرف (فاس) ٤٢
- باب الجزيين (فاس) : ٢٩٦
- باب الحديد (فاس) : ٤٠ - ٤٦ - ٥٨ - ٧٧ - ٢٣٣ - ٢٧٢ - ٤١٢
- باب حصن سعدون (فاس) : ٣٩ - ٤٢ - ٤٦
- باب الخوخة : ٤ - ٤١
- باب دكالة (مراكش) ٢١٣
- باب الرب (مراكش) ٣٩١
- باب زيتون ابن عطية : ٤٠ - ٤٣
- باب الكنيسة (فاس) ٤٠
- باب الكيسة (عجيسة) : ٤١ - ٤٢ - ١١٢ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧٢
- باب المحروق (فاس) ٢٧١
- باب المغيرة (فاس) ٤٢
- باب الصالحة (مراكش) ٢٦٠ - ٣٠٣
- باب الفاتحة (مراكش) : ٢٦٠

- باب فتوح (فاس) : ٥ - ٤٣ - ١١٢
- باب الفرج (فاس) ٤٠
- باب الفرس (فاس) ٣٩ - ٢٧١
- باب الفصيل (فاس) ٤٠
- باب الفوارة (فاس) : ٤٠
- باب القبلة : ٤١
- باب السلسلة (فاس) : ٤٠ - ٢٧٧ - ٤١٤
- باب سليمان (فاس) : ٤٢
- باب الشريعة (تازة) : ٣٧٧
- باب الشريعة (فاس) ٤١ - ٤٤ - ٣٧١ - ٢٩٣ - ٢٩٦
- باب الشيبوية (فاس) : ٤٠
- باجة ٢٠٠ - ٢١٩ - ٢٦٩
- بادس : ٢٠١ - ٢٣ - ٢٧١ - ٣٣١
- برياط : ١٣٠
- البرت : ٣٦٦ - ٣٣٩ - ٤٠٦
- برنغال ١٦١
- بجاية ١٦٧ - ١٧٣ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ٢٠٣ - ٢١٠
- ٢٦٤ - ٢٦٩
- البحر الشامي ٩٧
- بحيرة ٤ : ٣٤٢
- البحيرة : ٣١٤
- برج نار الحرة (مراكش) : ٣٩١
- برج الذهب (اشبيلية) : ٢٧٣

- برج الكوكب (فاس) : ٤٩
- برزخ (حومة سيدي العواد بفاس) : ٤٠ - ٤٦ - ٤١٤
- بركونة : ٢٧٦ - ٣٢٧
- برقة : ١٨ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢١٧
- برشك : ٣٨٦ - ٤١٠
- برشلونة : ١٦٠ - ١٦١
- بطليوس : ١٤٦ - ١٥١ - ١٦١ - ٢٠٠ - ٢٧٥
- بلاد أوربة : ٧٩
- بلاد تازة : ١٨٦
- بلاد التسول : ٨٠
- بلاد تينغز (تينغير) : ١٨٦
- بلاد جزولة : ١٢٩
- بلاد سكالمة : ٢٦١
- بلاد الديلم : ١٥
- بلاد مديونة : ٧٨
- بلاد مكلانة : ١٤٢
- بلاد مكناسة : ١٣٣
- بلاد المصامدة : ٥٠ - ٥١ - ١٢٦ - ١٢٩ - ١٤٢ - ١٩٠
- بلاد نفيس : ١٢٢
- بلاد النوية : ١٦
- بلاد نول : ١٩ - ١٩٩
- بلاد صنهاجة : ٥١ - ٣٠٦ - ٣٩١
- بلاد غمارة : ٥٢ - ١٤٠ - ١٤١ - ٢١٠

- بلاد عمالة : ١٨٦
- بلاد فازان : ٥١ - ١٤٢ - ١٦٧ - ١٨٦ - ٢٨٩ - ٢٩٤ - ٣٢١
- بلاد فندلاوة : ١٤١
- بلاد قشيلية ٢٣٦
- بلاد السودان ١٦ - ١٢٤ - ١٢٦
- بلاد السوس : ١٢٨ - ١٢٩
- بلاد هزرجة ١٧٨
- بلاد مسكورة : ٣٩٩
- البلاط : ١٥٤ - ٢٢٩
- بلد العناب ٢٦٤
- بلطة : ١٤٤
- بلنسية ١٤٦ - ١٤٩ - ١٥٦ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٣
- ١٦٧ - ١٦٩
- بليانة (حصن) : ٣٧٨
- بليش (حوز سبتة) : ٣٨٣
- بفلونة : ١٤٦
- بنى تاودة (فاس البالي) : ٢٠٩
- البصرة (مغرب) ٥١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٨ - ٩١ - ٩٢ - ٩٥
- بفارة ١٢١
- بغداد : ٢٢ - ٢٤ - ١٢٢
- بهلولة (حصون) ٢١
- بونة (عنابة) : ١٩٣ - ٢٦٤
- بويبلان (جبل) : ٧٨

- بياسة : ٩٨ - ١٥٤ - ١٩٣ - ٢٤٦ - ٢٦٤ - ٢٧٣ - ٣١٥ - ٣٣٩ -

- ت -

- تاتكلاتين : ١٢١ -

- ناجرة : ١٨٣ - ١٨٩ -

- تادرارت : ١٦٧ -

- تادلة : ٢٠ - ٥١ - ١٢٩ - ١٤٢ - ١٨٦ - ٢٧١ - ٣٠٦ -

- تازة (رباط قسازة) : ٥١ - ٨٠ - ٨٣ - ١٨٧ - ٢٤٩ - ٢٥٥ -

٢٦٢ - ٢٧٧ - ٢٨٦ - ٢٨٩ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٥ - ٣٠١ -

٣٠٦ - ٣١١ - ٣٣٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٨١ - ٣٨٥ - ٣٩٤ -

٣٩٩ - ٤١١ - ٤١٢ -

- تازوطة : ٢٥٧ - ٢٨٤ - ٢٩٢ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٤٠٩ -

- تاكرارت (تلمسان) : ٣٦٣ -

- تاكرارت (مكناس) : ١٩١ - ٣٦٣ -

- تامزجدرت : ٣٨٦ - ٤١٠ -

- تامزجدرت : ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٩٣ -

- تامزورت : ٣٩١ -

- تامسنا : ٢٠ - ٥١ - ٥٢ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣٢ - ١٤٢ - ١٩٠ -

٣٠١ -

- تانسيفت انظر نسيقة (وادي) -

- تافراطست (زواية) : ٢٨٦ - ٣٧٣ -

- تافنا (وادي) : ٣٠٩ - ٣٣٦ - ٣٩١ -

- تاهدارت (وادی) ٥٢
- تاهرت (تیهرت) : ٨٨ - ٨٩ - ٩٨
- تاوریرت : ٣٨٥ - ٤٠٠ - ٤١٠
- تاونت (الغزوات) : ٣٨٦ - ٤١٠
- تیریشه ٢١٤
- ترچالة : ٢٢٩
- ترغة ٥١
- تطوان : ٥١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٤٠٧
- تطیلة ٢٠٥ - ٢٧٣
- تلمسان : ١٦ - ١٩ - ٢١ - ٢٢ - ٥٠ - ٥١ - ٨٤ - ٨٥ - ٩٥
- ٩٦ - ٩٧ - ١٠٠ - ١٠٣ - ١٠٦ - ١٠٩ - ١٤١ - ١٤٣ - ١٥٩
- ١٦٥ - ١٦٧ - ١٩٤ - ٢٠٠ - ٢١٩ - ٢٥٧ - ٢٩٣ - ٢٩٥
- ٣٠٥ - ٣٧٧ - ٣٧٩ - ٣٨٢ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٩٩ - ٤٠٤
- ٤٠٨ - ٤١٠
- تلمسان الجديدة : ٣٨٧ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٤١٠
- تنس : ١٠٣ - ١١٠ - ١٤٣ - ١٦٨ - ٣٨٦ - ٤١٠
- انسسول (بلاد) : ٥١
- تونس : ٩٣ - ١٩٨ - ٢١٩ - ٤٠٣ - ٤٠٤
- تیکساس ٥١ - ٥٢
- تینسصل : ١٦٥ - ١٦٦ - ١٧٦ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٦ - ٢٠٢
- ٢١٥ - ٢١٧ - ٢٤٨ - ٢٦٧

- الثغر الأعلا : ١٤٦ -

- ج -

- جامع الأشياخ (فاس) : ٣٨ - ٥٤
- جامع تازة : ٤٠٨ - ٤٠٩
- جامع حسان (الرباط) ٢٢٩ - ٢٦٩
- جامع القصبية (فاس) ٧٥
- جامع الزهراء (قرطبة) : ١٠٧
- جامع الكتبيين (مراكش) ٢٢٩ - ٢٦٩
- جامع المنصور (مراكش) ٢٥١ - ٢٥٨ - ٢٥٩
- جامع فاس الجديد ٤٠٥
- جامع الشرفاء (فاس) : ٣٨ - ٤٧
- جبال بني يازغة : ٣٥ - ٦٩
- جبال بني يزقاسن ٣٩٩
- جبال الرحمة ٣٤٣
- جبال غمارة : ٩٨ - ١١٣
- جبال غمائية ٥١ - ١٧١
- جبال الشرف : ٣٢٥ - ٣٥٧
- جبال هسكورة : ٣٧٨ - ٣٩٠
- جبال ورغة : ٢٧١ - ٣٧٧
- جبل أبريل (أفريد) : ٣٤٧ - ٣٥٢ - ٣٥٤
- جبل بني بهلول : ٣٣ - ٢٥٨ - ٢٩٦

- جبل تيزران (غمارة) : ٢١٠
- جبل الذهب : ١٣٣ - ٦٣٦ - ١٦٧
- جبل الكندرتين ٣٩٨ - ٤٠٨
- جبل الصوف : ٢١٣
- جبل العرض (فاس) : ١١٤
- جبل الفتح : ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢١٤ - ٢٦٤ - ٢٧٥ - ٤٠٠
- جبل سليمان : ٢٢٩
- جبل سكسيوة : ٣٣٠ - ٣٣٤
- الجرف : ٤٠
- الجرف الأحمر : ٤٦
- الجريد : ٢٦٤
- جزاء برقوقة (فاس) ٣١٤
- الجزائر (قرب سلا) ٣٩١
- جزائر بنى مزغنة (الجزائر) ١٣٦ - ١٤٣ - ١٦٨ - ١٩٣
- ١٩٧ - ٢٣٢ - ٢٦٤ - ٣٦٤
- الجزائر الشرقية : ١٥٧
- الجزيرة الخضراء : ٤٢ - ٨٩ - ٩١ - ٩٣ - ١٠٦ - ١٤٥ - ١٤٦
- ١٥٢ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٨ - ٢٢٠ - ٢٢٢
- ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٧٥ - ٣٣٥ - ٣٥٨ - ٣٦٣ - ٣٧٣ - ٣٧٦
- ٣٨٠ - ٣٩٤ - ٣٩٨ - ٤٠٠ - ٤٠٥ - ٤٠٦
- جليانة ٣٢٥
- جليقة : ١٤٦
- جنوة : ٢٨٢
- جيان : ١٥٤ - ٢٦٣ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٣٨٧ - ٣٥٧

- ح -

- حارة ابن ابي برفوقة (فاس) : ٤٦
- حارة ابن ابي عامر (فاس) ٤٦
- حارة البادية ٤٧
- حارة الربط ٤٦
- حارة لواتة (فاس) ٤٦ - ٦٧
- الحجاز ١٥ - ١٧ - ١٥٩
- حجر النسرة (قلعة) ٥١ - ٨٤ - ٨٧ - ٩٢ - ٩٤ - ٩٥
- حجر الفرج (فاس) ٤٠
- حمام الامين ٤٧
- حمام بنت البان (فاس) ٦٧
- حمام الجزيرة (فاس) ٤٧
- حمام الرحبة (فاس) ٢٧٧
- حمام رشاشة (فاس) ٤٧
- حمام الرياض : ٤٧
- حمام الكذان (فاس) ٤٧
- حمام كرواوة (فاس) ٤٧
- حمام قرقف (فاس) ٤٧
- حمام الشيخان (فاس) ٤٧
- حمة ابي يعقوب ٣٦
- حمة وشتانة : ٣٦
- الحصن الابيض ٤٠٩

- حصن بن بشير : ٣٢٧
- حصن الدير ٣٧٨
- حصن الزهراء ٣٢٧
- حصن العقاب : ٢٣٨
- حصن الوادي ٣٨٠
- حصن يحيى ٣٨٠ - ٤٠٨
- حصون بهلولة ٢١
- حصون مديونة ٢١
- حصن القرع ٢٢٩
- حصون فنلاوة ٢١
- حصن القناطر ٣٥١
- حصون وطاط ١٤٢

- خ -

- خراسان ١٥
- خمار الورد ٣٢٦

- د -

- الدار البيضاء (فاس الجديد) ٤٠٧
- دار القيطون (فاس) : ٣٨
- دانية : ١٥٦ - ١٦٩ - ٢٧٤

- برن (جبل) : ١٩ - ١٢٩ - ١٧١ - ١٧٦ - ١٧٨
- درعة ١٢٧ - ١٢٨ - ١٤٢ - ١٨٦ - ٢٩٦ - ٣٠٧ - ٣٧٨
٣٩٩ - ٤٠٤ - ٤٠٧
- دكالة (ارض) : ١٦
- دلالية ٢٧٤

- ذ -

- ذكوان ٣٣٨

- ر -

- رانجة (حصن) ٣٧٨
- رأس العقبة (فاس) : ٤٢
- الرباط (رباط الفتح) ٩ - ١٩٢ - ٢٠٢ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٦٩
- رباط تازة : انظر تازة
٢٨٧ - ٣٠٨ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٤٠ - ٣٥٧ - ٣٧٣ - ٣٩١
٣٩٢ - ٣٩٨ - ٤٠٧
- رحبة اليبير (فاس) ٣٨
- الرميطة : ٤٢ - ٤٧ - ٤٩ - ٤١٤
- رندة ٣٢٣ - ٣٧٦ - ٣٩٤ - ٣٩٨ - ٤٠٥
- الرصيف (حومة بفاس) : ٤١٤ - ٤١٤
- رهينة (حصن) ١٦٢

- رويدانة (تارودانت) : ١٢٩
- روطة : ٣٢٦ - ٣٤٧
- الريف : ١٤١ - ١٤٣ - ٢٥٧

- ز -

- الزاب ١٦ - ١٠٦ - ١٤٤ - ١٩٨ - ٢٧٢ - ٢٨٥ - ٣٧١
- الزلاقة : ١٤٥ - ١٥١
- زالغ (جبل) ٢٩ - ٤١٣
- زرهون (جبل) ١٩ - ٥٠ - ٢٩٢
- زكندر ٢١٢
- زيدتون ابن عطية (فاس) : ٤٩

- ط -

- طرابلس ٢٣٠ - ٢٦٤
- طرابلس انشام ٤٠٨
- طرطوشة ١٤٦ - ٢٦٣
- طريانة (حومة بفاس) ٤٦
- طريف ١٤٣ - ٢١١ - ٢٣٤ - ٢٦٢ - ٣٥٤ - ٣٥٧ - ٣٦٦
- ٣٦٨ - ٣٧٦ - ٣٨٠ - ٤٠٥ - ٤٠٨ - ٤٠٩
- طلايوت : ٢٦١
- طلييرة ٣٨١

- طابطة ١٦٤ - ١٦٢ - ١٦١ - ١٥٨ - ١٥٣ - ١٤٩ - ١٤٤
١٦٨ - ٢١١ - ٣٣٨ - ٤٠٦
- طنجة ١٠٠ - ٩٧ - ٩١ - ٨٨ - ٨٣ - ٥٢ - ٥١ - ١٩
١٠٤ - ١٣٦ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٩٤ - ١٩٩
٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٥٠ - ٣١١ - ٣١٣ - ٣٣٠ - ٣٣٥ - ٣٥٧
٣٧٤ - ٣٩٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤

- ك -

- كبالة ٢٧٤
- كبتور ٣٦٨ - ٣٥٥
- الكذبان (فاس) ١١١ - ٤٧
- كركونة ٢١٢
- كريقلة ١٣٢
- كنانة (حصن) ١٦٨
- الكنيف (فاس) ٤٧
- كهف الرماد (فاس) ٤٣

- ل -

- كرسيف : ٨٦ - ١٤٣ - ٢٨٢ - ٤٠١
- كرواوة (فاس) ٢٢ - ٤٠
- كليز (جبل) : ١٧٨ - ٣٠٣

- ج -

- لاردة : ١٦٢ - ١٦٣
- لبللة ١٩٥ - ٢٩٤ - ٢٧٦ - ٣٥٧
- لبيط : ١٥١ - ١٥٣ - ١٦١
- لكاعة (بلد) ٢٥٣
- لشبونة ٨ - ١٣٦ - ١٦١ - ٢١٤ - ٢١٨
- لواتة (مدينة) ٨٢ - ١٠١ - ١٣٣
- لورقة : ١٥٣
- لوشة : ٢٧٤

- م -

- الماء المغروش ٣١٤ - ٣٢١
- ماردة ٢٧٥ - ٢٦٣
- مازونة ٣٨٦ - ٤١٠
- مالقة : ١٨٩ - ٢٦٢ - ٣٢٨ - ٣٣٥ - ٣٣٨ - ٣٧٣ - ٤٠٥ - ٤٠٦
- ماسة : ١٢٩
- مجاز كناية (أم الربيع) ٣٩١
- مجريط : ١٦١ - ٢٢٩ - ٣٢٨
- مجشر الشاطبي ٣٥
- المخفية (حومة بفاس) ٤٠

- مدرسة جامع الاندلس ٤١٢
- مدرسة فاس الجديد ٤١١
- المدور ١٥٤ - ١٥٥
- المدينة : ١٠٢ - ١٩٢ - ٢٨٦
- مدينة ابن السليم ٣٥٠ - ٣٤٢
- المدينة البيضاء ٣٣٥
- مدينة الدمنة ١٤٢
- مدينة سالم ١١٦
- مديونة (حصون) ٢١
- مديونة (مدينة) ٨٢
- مراكش ٣٢ - ٤٢ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٥٤
- ١٥٦ - ١٦٤ - ١٦٩ - ١٧٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩٤ - ١٩٨
- ٢٠٠ - ٢٠٤ - ٢١٠ - ٢١٣ - ٢٢١ - ٢٥١ - ٢٦٠ - ٢٧٧
- ٢٨٧ - ٣٠٥ - ٣١١ - ٣٢ - ٣٣١ - ٣٤٠ - ٣٧٣ - ٣٧٨
- ٣٩١ - ٤٠١ - ٤٠٣ - ٤٠٨
- مريالة ٢٧٣ - ٣٧٦
- مرج قرقة ٤٤
- مرسية ١٤٩ - ١٥٥ - ١٦١ - ١٦٣ - ٢٤٥ - ٢٤٦
- مرشانة : ٣٤٥ - ٣٤٦
- مروالة ٢٧٦
- المرية : : ١٥٣ - ١٥٥ - ١٦٩ - ١٩٣ - ٢٦٢ - ٣٣١
- المزنة : ٢٣٣ - ٢٧١ - ٣٨٢
- مزغران : ٣٨٦
- مكة : ١٦ - ١٧ - ٩٦

- مكناسة (مكناسة) : ١٠١ - ٢١٣ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٧٧ - ٢٨٩
٢٩٢ - ٣١٤ - ٣٢٣ - ٤٠٩ - ٤١٢
- مكناسة (بلاد - مدائن) ٥١ - ٨٢ - ١٠٦ - ١١٩ - ١٤٢
- مكس (وادي) ٣٥
- مكول (قرية) ٤٢٩
- ملالة (حوز بجاية) ١٧٣
- الملعب (حوز تلمسان) : ٤٠٦
- ملوية (نهر - بلاد) ١٩ - ٢٤ - ٨٤ - ٨٦ - ١٠٦ - ١٣٨
١٤٠ - ١٩ - ١٦٧ - ١٩٣ - ٢٩٣ - ٣٠٩ - ٣٨٥
- مليانة ١٩١ - ٢٦٤ - ٣٨٦ - ٤١٠
- مليبية ٨٤ - ١٤٣ - ٢٧١
- المنكب : ٣٣١
- المصاراة (جنة - فحوص) ٤١ - ٤٤
- مصر ١٥ - ١٦ - ١٨ - ٤٠٩ - ٤١٠
- مصمودة (بلاد) ٥١
- مصمودة (نهر وحومة بفاس) ٤٧
- مضيق الحية ١٠٦
- معدن عوام ٤٢ - ١٩٤ - ١٩٥
- المعمورة : ١٥٢ - ٢٠١ - ٢٠٢
- مغيلة (مدينة) ١٥٨
- المقرمدة ٣٨
- مستغانم ٣٨٦ - ٤١٠
- مسجد طريانة (فاس) : ١٧٣

- المسجد الحرام ٥٩
- مسجد الصابرين (فاس) ٤١١
- مسجد شالة ٣٧٣
- مسجد الشرفاء (فاس) ٥٥
- مسون ٨٥
- المسيلة ١٠٧
- مشقريط : ٣٤٩ - ٣٦٦
- المهديّة (تونس) ٨١ - ٨٣ - ٩٠ - ١٩٧ - ١٩٩ - ٢٣٢
- ٢٦٤ - ٢٣٣
- معورقة ١٥٨ - ١٥٩ - ٢٣٢ - ٢٧٤ - ٢٢٥ - ٢٧٣ - ٤٠٧

- ن -

- خيرة ١٥٥
- ندرومة ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٤١٠
- نكور ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ١٤٣
- نفيس (مدينة) ٧ - ٥٠ - ٥١ - ١٢٣ - ٣٣٠
- نسيغة (قنطرة وادي) ٢٦٦
- نول مطة : ٢١٧ - ٢٣٠

- ص -

- صبرة : ٢٨٢

- الصحراء ١٥٩
- صخرة ابي بياش : ٢٩٠
- صخرة عباد ٣٣٨ - ٤٠٦
- الصخرتين (جبل بظاهر تلمسان) ١٦٥
- الصخيرة ١٥٤
- صدينة (مدينة) ١٣٩
- صفاقس ١٩٨ - ٢٦٤
- صفرو ٧٩ - ٨٢ - ١٣٩
- الصفصيف (قرية قرب تلمسان) ١٦٥

- ع -

- العرائش ٥١ - ٤٠٣
- العراق ٢٢ - ٢٤ - ٣٩
- عكا ٤٠٨
- علودان (جبل) ١٤٢ - ٤١١
- عقبة عين علون (فاس) ٣٩
- عقبة السعتر (فاس) ٣٦ - ٤٢ - ١١١
- عوسجة ٩٩ - ١٤٠
- عين اصلين ٤٦
- عين اسحاق (التسول) ٨٥
- عين خميس ٢٠٢
- عين خومال (فاس) ٧٠

- عين دردورة (فاس) ٣٩
- عين الصخرة ٣٦٢
- عين علون (فاس) : ٣٩
- عين عمير ٣٠
- عين غبولة ١٩٢ - ٢٠٢ - ٢٦٤ - ٤٠٦
- عين القديح ١٨٧
- عين قرقف ٦١ - ٦٥
- عيون ابن اللبصاد ٤٠ - ٦٦
- عيون الكوازين ٦٦
- عيون صنهاجة (فاس) ٤١٢

- غ -

- غرناطة : ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٩ - ١٦٢ - ١٩١ - ١٩٦ - ١٩٨
- ٣٣٤ - ٣٢٨ - ٣٢٦ - ٢٦٤
- غروب : ٣٧٨
- الغزوات : ٤١٠
- غليانة ٣٢٦
- غساسنة (مرسا) ٣٨١
- غيانة (قلع - جبال) ٢١ - ٢٩٠
- غور : ٣٧٨

- ف -

- فارس ١٦
- فازاز (بلاد - جبال) ٢١ - ٤٢ - ١٣٤ - ١٤١
- فاس الجديد ٣٢٢ - ٣٧٧ - ٤٠٤
- فج عبد الله : ٢٤٨ - ٣٣٦
- فج الفرس ٥٢
- فحص اذاد ٨٢
- فحص بنى مصرخ (مصور ؟) ٩١
- فحص الصباب ١٦٤
- فحص عطية ١٦٤
- فخ : ١٧
- فندلاوة (حصون) ٢١
- فوارة (حومة بفاس) : ٤٧

- ق -

- قرطبة ٤٧ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٩ - ١٠٦ - ١٠٨ - ١٥٤
- ١٦١ - ١٦٩ - ١٩٥ - ٢٠٠ - ٣٢٦ - ٣٣٨ - ٣٣٩
- قرمونة ١٥٤ - ١٥٥ - ١٩١ - ٢٣٨ - ٢٦٣ - ٢٧٣ - ٢٤٣
- ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧
- قطنيانة : ٣٢٥
- القلعة (فاس) ٤٠
- قلعة ايوب : ١٦٣
- قلعة جاير ٣٤٥

- قلعة خولان ٢١٤
- قلعة دمنة ٣٩٢ - ٤١١
- قلعة رياح : ٥٥ - ٢٢٩ - ٢٣٧ - ٢٣٨
- قلعة مهدي ١٤١
- قلعة علودان ٣٩٢
- قلعة الوادي ٣٥٢
- قلع غياثة ٢١
- قلعة فنداوة (بني يازغة) ٣٧٧
- القليعة (حصن) ٣٢٥
- قمارش : ٤٠٦
- القناطر : ٣٢٨
- قنطرة ابي الرؤوس (حومة بفاس) ٧٢
- قنطرة محمود ١٦٤
- قنطرة عزيمة (فاس) ٣٨
- القصبات ٣٨٦ - ٤١٠
- قصبية رباط الفتح ٤٠٦
- قصبية طنجة ٣٨٩ - ٣٩٢ - ٣٩٣
- قصبية مراكش ٢٣٠ - ٢٤١ - ٢٤٣ - ٢٤٨
- قصبية مكناسة ٣٢٢ - ٤٠٥
- قصبية فاس ٤٠٦
- قصر ابي داليس ٢١٦ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٦٩ - ٣٧٣
- قصر البرت ٣٥٥
- قصر الجواز (والمجاز ايضا) ٢١١ - ٢١٨ - ٢٢٢ - ٢٣٤

- ٣١٣ - ٣٢١ - ٣٣٨ - ٣٤٠ - ٣٧٣ - ٣٨٠ -
- قصر كتامة ٣٨٩ - ٤٠٨
- قصر مصودة ٩٩
- قصر عبد الكريم ١٩٢ - ٢٨٩ - ٣٩٢
- قصبة : ٢١٢ - ٢١٨ - ٢٦٤
- قسنطينة ٩٤ - ١٩٤ - ٢٦٤ - ٤٠٦
- قشتالة ١٤٦ - ٢٣٦
- قورية ١٦٨
- قيجاطة : ٢٤٦ - ٢٧٣
- القيروان : ١٨ - ٨٠ - ٨٩ - ٩٠ - ١٩١ - ١١٩ - ١٢٢ - ١٦٤
٣٨٣ - ٤٠٧

- س -

- سانطامرية (وشقنمية ايضا) ١٦٤ - ٢٣٩
- الساقية الحمراء ٣٤٠
- سايس (فحص) ٣٠ - ٤٦
- سببة ٥١ - ٥٢ - ٨٨ - ٩١ - ٩٤ - ١٠٠ - ١٠٥ - ١٤٢
١٤٤ - ١٥٧ - ١٦٨ - ١٩٤ - ٢٠١ - ٢١٣ - ٢٥٠ - ٢٧٦
٣٥٧ - ٣٦٦ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٢ - ٤٠٠ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤١١
- سبو (وادي) : ٣٠ - ٣١ - ٣٤ - ٣٦ - ٤٦
- سجلماسة : ٨٨ - ٩٠ - ١٠٠ - ١٠٦ - ١١٧ - ١٢٧ - ١٣٨
١٤٢ - ١٩٠ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٣١٢ - ٣٧٨ - ٣٩٩ - ٤٠٤

- سد رواج : ٤١٣
- سدورة (مسدورة ؟) : ٣٧٧
- سرقسطة : ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١
- ١٦٣ - ١٦٢
- سسلا ٩ - ٥١ - ١٩٢ - ١٩٥ - ٢٠٢ - ٢١٣ - ٣٠٨ - ٣٣١
- ٣٩٨ - ٤٠٢
- السند ١٦
- سهيل ٣٢٨
- سور الحجر : ١٣٨
- سوق الصباغين (فاس) ٤١٤
- سوق العطارين (فاس) ٤١٣
- السوس ٢٢ - ٥١ - ١٤٢ - ٢٠٢ - ٢٥٨ - ٣٢٢ - ٣٩٠
- ٣٣٤ - ٣٣٧ - ٣٤٠ - ٣٧٧ - ٤٠٧
- السوس الأدنى : ١٩
- السوس الأقصى ١٦ - ١٩ - ٩٥ - ١٠٣ - ١٩٩ - ٢١٨
- سوسة : ١٩٨ - ٢٦٤
- سويقة اين مكنود ٢٠٦ - ٢١٨

- شي -

- شاطبة ١٥٦ - ١٦٩ - ٢١٥ - ٢٥٨ - ٢٦٠ - ٢٧٤ - ٢٩٦
- ٣٠١
- شالة : ٢٠ - ٥١ - ٥٢ - ٨٤ - ١١٠ - ٣٨٨ - ٤٠٧

- الشمام : ٩٧
- سانتفيللا : ٢٦٨
- شنونة : ٧٩ - ١٣٠ - ١٤٣ - ٣٢٦
- الشرف : ١٤٣ - ٣٢٥
- شرشال : ١٠٣ - ٢٨٦
- شريش : ١٦١ - ١٨٨ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٨ - ٣٦١
- ٣٦٢ - ٣٦٦ - ٣٨٠ - ٤٠٧ - ٤٠٨
- شكيبس ٣٨١
- شلب ٢١٩ - ٢٦٩
- شلبطرة ٢٣٦ - ٢٣٨ - ٢٧٤
- شلف ١٠٣ - ١٤٣ - ١٦٨ - ٢٣٣
- شلوقة : ٣٥٦ - ٣٢٦ - ٣٤٢ - ٣٦٦
- شنترين ١٣٦ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢١٤ - ٢١٨
- شنيل : ٣١٦
- شقورة : ١٥٤ - ١٥٦
- الشيبوية : ٣١ - ٤٠
- شيشاوة (مدينة) ١٢٩

- ه -

- هنين ٩٦ - ١٨٣ - ٣٨٦ - ٤١٠
- هوارة (بلاد) : ٥١

- 9 -

- وادی الاش ۳۷۶ - ۳۷۸ - ۴۰۸
- وادی اشبيلية ۲۱۱ - ۲۲۹
- وادی ایسلی ۲۹۵ - ۳۱۰ - ۴۰۴
- وادی برتقال : ۲۱۴
- وادی بهت : ۲۹۲ - ۲۵۶
- وادی تلاغ - ۲۸۲ - ۳۰۵
- وادی تهلیط ۱۸۷
- وادی الحجارة : ۱۶۱ - ۱۶۲ - ۲۲۹
- وادی حسن (فاس) ۵۸
- وادی ربات ۱۰۵
- الوادي الكبير (فاس) ۴۸ - ۴۹ - ۳۵۳ - ۳۵۴
- وادی لك : ۳۴۷ - ۳۵۲ - ۳۶۲
- وادی مارین ۴۰۶
- وادی المطاخن ۸۲
- وادی منی (مضي ؟) ۱۰۶ - ۱۴۳
- وادی مصمودة (فاس) : ۴۸ - ۷۷
- وادی الشجاة ۴۰۶
- وادی تکور ۲۷۲ - ۲۸۴
- وادی نفیس ۱۷۸
- وادی النساء ۳۱۳ - ۳۲۵

- وادى صيفير ؟ : ١٤١
- وادى العبيد ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٣٠٦
- وادى غفو ٣٠٦
- وادى فاس ٣٢٢ - ٤٠٤ - ٤٠٧ - ٤١٣
- وادى سبو ١٥٢ - ٢٨٦
- وادى شدروع (سد رواغ ؟) ١٥٩
- وجدة ١٠٥ - ١٠٩ - ١١٠ - ١٤٣ - ١٦٨ - ٢٣٣ - ٢٧٢
٣١٠ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤١٠
- ورغة : ٥١ - ١٤١
- ورزيفة ٩٩
- وطاط (بلاد) ١٦٧
- ولبلى ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٩ - ٣٠ - ٥٠
٩٥
- ونشريس : ١٠٣ - ١٤٣ - ١٦٨ - ٢٦٤ - ٣١١ - ٣٨٦ - ٤١٠
- وشقة ٧٩
- وهران ٩٥ - ١٠٣ - ١٤٣ - ١٦٦ - ١٦٨ - ١٩٩ - ٢٠١
٣٨٦ - ٤١٠

- ي -

- يابسة (جزيرة) ١٥٧ - ٢٧٦
- يابورة : ١٦١ - ٢٠٠ - ٢١٩ - ٢٦٩

فهرس أسماء الكتب

- أ -

- الانيس المطرب بروض القرطاس ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ١٠٩
- ١١٠ - ١١١ - ١١٤
- الانيس المطرب ، فيمن لقيه مؤلفه من أدباء المغرب ٥
- الاحاطة ، في أخبار غرناطة ٥
- ازهار البستان ، في أخبار الزمان ١٩ - ١٣١
- الاكليل لمحمد المهداني ١١٩
- الاستبصار ، في عجائب الامصار ٤٥
- الاستنكار ٣٦٣

- ب -

- البرهانية لعثمان المسلاجي ٢٦٦
- البيان المغرب لابن عذاري ٧
- البيان والتحصيل لابن رشد ١٦٤
- يدونات فاس الكبرى ٦ - ٧

- ت -

- تاريخ مدينة فاس لأبي القاسم ابن كنون ٥٥

- تفسير ابن عطية ٣٣٦ -

- التشوف : ٣٤ - ١٧٠ -

- التهذيب ٣٦٣ -

- ج -

- جلاء الأذهان ٨٧ -

- جنا زهرة الأساس ، في بناء مدينة فاس ٥ - ٦ -

- خ -

- خلاصة تاريخ تونس : ٤٠٣ -

- ذ -

- الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية : ٧ -

- ر -

- الرعاية للمحاسبين ٢٧٠ -

- 3 -

- كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر : ٥

- ل -

- لقط المفرائد من حلق الفوائد ٥

- م -

- المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ١٨٠ - ١٨٤ - ٢٠٢

- مفاخر البربر ٧

- المقياس : ٢٤

- المسند الصحيح الحسن ، في محاسن مولانا أبي الحسن : ٥

- ميزان العمل ١٨٠ - ٢٥٨

- ن -

- نظم السلوك ، في الأنبياء والخلفاء والملوك ١١٩ - ٢٤٥ - ٢٨٠

- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٥

- ص -

- صحيفة المعهد المصري للإدراسات الإسلامية بمدير ٧

- ق -

- القبس لابن الفياض : ١١٥
- القرطاس أنظر الأنيس المطرب

- ه -

- الهداية ٢٧٠

جدول الخطأ والصواب

صواب	خطأ	س	ص
إسحاق بن محمد بن عبد الحميد	عبد الحميد	20	19
درّاس	دازس	3	37
الجرف	الجوف	11	42
بعده	بعد	17	97
الصديني	الصديقى	12	116
يحيى بن إبراهيم	ابراهيم بن يحيى	5	124
درعة	رودة	13	129
برغواطة	براغواطة	22	129
والجلالقة	والجلاقة	20	143
عبد الله البشير	محمد البشير	3	179
موسا بن سليمان	موسا بن سهل	4	205
بالمنتصر	بالمستنصر	1	241
أبى محمد	محمد	21	296
وأنفا	أنفا	26	301
أبا زيان	زيان	6	311
مهابة	مهابة	16	326
بدمح	بدمح	20	369
منها	مها	1	372

طبعت هاذا الكتاب ونشرته

دار المنصور

للطباعة والوراقة

حي مايبلا - مجموعة ج - نمرة 9 - 10 - 11

الرباط

تلفون 511.04

السجل التجارى نمرة 22.098

الحساب البريدى 195.49

الصندوق الوطنى للضمان الاجتماعى نمرة 48.786

نمرة التعريف المالى 511.215